الدكتور ك. ا. اسارجيان

هدية الى حضرة مدير مكتبة
الجامعة الاميركية في بيروت
١٥ حزيران ١٩٥٢



# تاريخ الأمة الأرمنية

وقائع من الشرقين الأدنى والأوسط في أدوار
الامبراطوريات الرومانية والبزنطية
والفارسية والعربية والعثمانية
والروسية

من القرن السابع قبل الميلاد الى نهاية الربع الأول من القرن العشرين الميلادي



مطبعة الاتحاد الجديدة

الموصل
١٩٥١

# مصادر الكتاب


١ تاريخ الأمة الارمنية ( لئو . تفليس ١٩١٧

٢ « « « ( ك . باصماجيان . استانبول ١٩١٤

٣ « « « ( كيورك ميسروب . بلغاريا ١٩١٥

٤ « « « ( هـ . ساهاك موسيسيان . فينه ١٩٢٢

٥ « « « ( يغيشه توريان . القدس ١٩٣٤

٦ تاريخ ناشنا كسيون ( م . وارانطيان . باريس ١٩٣٢

٧ تاريخ تشكيل جمهورية ارمينيا ( س . وارتسيان . باريس ١٩٢٨

٨ حروب واسبوراكان الدفاعية ( اونيك ميخيتاريان

٩ تاريخ وارطانانك (يغيشه شاهدعيان من تلاميذ ميسروب ماسدوتش

١٠ « موسيس خوريناتزي

١١ هيشاداكاران و . زارطاريان. القاهرة

١٢ « الطبري

١٣ « ابن الأثير

١٤ « ابن العبري

١٥ « ابن حوقل

١٦ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١٧ دائرة المعارف الاسلامية « الطبعة العربية »

١٨ تاريخ باوسدوس البيزانطي

١٩ « اغا تانكه غوس

٢٠ « مهرطاد آيانوس

٢١ « بلوتارك *La vie des hommes illustres,*
*La vie de Laugaullos, Grassus, Bombeus.*

٢٢ « و . دوري *Hist. des Romaines.*

٢٣ « جاك دي مورغان *Hist. des Peoples Armeniens.*

٢٤ « بوش ليكليرك *Hist. des Lagides.*

٢٥ « سيدللو *Hist. general des Arabes.*

# الفهرست

ص

٧ توطئة .

١٤ الرجال البارزون فى خدمة الامبراطورية البيزانطية

١٦ قواد الارمن البارزون في الامبراطورية العربية

٢٠ رجالات الارمن الذين خدموا مصر الحديثة : بوغوص بك يوسفيان ، آرتين بك جراكيان ، نوبار باشا ، ديكران باشا ابرو .

٢٨ رجال الارمن الذين خدموا ايران : يبريم خان ، كيف وصف الاجانب يبريم خان .

٣٣ شهادات الاجانب عن الارمن ، شهادات العرب عن الارمن .

٤٤ ( الفصل الاول )

الحدود واحوال ارمينيا القديمة ، منشأ الارمن في القرون الغابرة ، الامم التي سبقت الارمن فى بلاد ارمينيا ، دخول الارمن الهندو اوروبيين الى اورارديا .

٥٣ ( الفصل الثاني ـ ارمينيا فى حكم الاجانب )

الارمن في حكم المادیين ، الارمن في حكم الفرس ، ارمينيا تحت حكم الاسكندر الكبير ، ارمينيا في حكم السليفيكيين .

٦٠ ( الفصل الثالث ـ الاسرة الارداشيسية )

دور الاستقلال التام وتشكيل الامبراطورية ، ارداشيس وزاريه ، ارداشيس الاول الملك المستقل .

٦٦ ديكران الثاني الكبير .

٧٤ دور انحطاط امبراطورية ديكران الارمنية .

٨٤ آرداوازت الثاني : ارداوازت وانطونيوس .

٨٨ ارداشيس الثاني : سياسة القيصر اغسطوس مع الارمن والبرثويين .

٩٠ ديكران الرابع وهرادو .

ص

٩٣ ( الفصل الرابع ـ الملوك الاجانب فى ارمينيا )

وونون البرتوي .

٩٥ ارشاك الأول ، مهرطاد الكرجي .

٩٧ ( الفصل الخامس ـ ملوك الاسرة الارشاغونية الارمنية )

البرتويون، الارمن وواغارش الاول .

٩٩ ديرطاد الاول ، معركة هرانديا ، الوفد البرتوي فى روما ، معاهدة هرانديا ، ديرطاد والقيصر نيرون .

١٠٤ الملوك الذين اعتلوا عرش ارمينيا بعد ديرطاد الاول ، ديرطاد الثاني ، خسروف الثاني ، مصرع خسروف على يد آناك .

١٠٧ ارداوازت مانتاكوني وكتابه الى شابوه .

١١١ ديرطاد الثالث الكبير : عود على الفترة المنقضية بين موت خسروف ومجيء ديرطاد الثالث، قدوم ديرطاد الى ارمينيا ، الحالة الدينية على عهد ديرطاد، تنصر ديرطاد ، الحروب الاولى باسم المسيحية ، معاهدة ديرطاد مع قسطنطين ، أواخر ايام ديرطاد وموته، آلهة الارمن القديمة قبيل زمن ديرطاد .

١٢١ خسروف كوداك : آثار خسروف ، غزو الفرس لأرمينيا .

١٢٤ الملك ديران وحرب صوغ : عواقب حرب نصيبين وسمل عيني ديران من قبل العدو .

١٢٦ آرشاك الثاني : عهد السلام وانكشاف الغمة ، اصلاحات البطريرك نيرسيس الكنسية وانشاؤه المؤسسات الخيرية ، مقتل الامير كينيل بامر ارشاك وزواج آرشاك من زوجة كينيل ، تشييد ارشا كاوان، حروب آرشاك الخارجية، حرب يوليانس ، معاهدة يوفيانوس ، مهروجان ارزروني المرتد الخائن وطنه ، الاضطرابات السياسية ، لجوء ارشاك الى شابوه ، القبض على ارشاك وسجنه ، جناية مهروجان على وطنه .

ص

١٤٠ الملك باب : أعمال باب وتسميه البطريرك نيرسيس .

١٤٨ الملك وارازطاد: مانوئيل ماميكونيان، حرب أرضروم، حامية الفرس في ارمينيا.

١٥٢ آخر ملوك ارمينيا الارشاغونيين: ارشاك الثالث، خسروف الرابع، ورامشابوه، شابوه، ارداشيس الثالث .

١٥٥ الحروب الدينية في القرن الخامس : حرب آفارایر .

١٦٢ ( الفصل السادس – غزو العرب لارمينيا )

المعارك الدامية بين الارمن والروم وبين الارمن والعرب ، السلم المؤقت ( عسف وعصيان ) ، آخر عمال العرب في ارمينيا ، علاقات الارمن بالعرب .

١٧٠ ( الفصل السابع – الملوك الباقرادونيون )

اشود الاول : اشود امير الامراء ، غزو شهاب لارمينيا واعلان اشود ملكا ،

١٧٢ سمباد الاول : عصيان العباس ، الافشين في ارمينيا ، الحرب مع الافشين ، الاختلال الداخلي ، الحرب مع احمد امير العراق الشمالي ، الافشين ينتهز فرصة القلاقل الداخلية ، وقائع مختلفة، النزاع بين العامل يوسف وبين سمباد ثم مصالحتهما، العصيان العام بين امراء المقاطعات ، تسليم سمباد نفسه بعد تقهقره وغلبه .

١٧٩ الملك اشود الثاني الحديد .

١٨١ الملك العباس الأول .

١٨٣ آشود الثالث الملك الرحيم : تشكيلاته، تأديبه حمدون وتقدير الخليفة المطيع لله له، مجيء قيصر الروم الى ارمينيا ، أعمال اشود واثاره ، آني .

١٩٠ الملك سمباد الثاني .

١٩١ الملك كاكيك الاول .

١٩٢ الملك اوهانس سمباد : سيل السلجوقيين ، خيانة اوهانس لوطنه ، بيعه العاصمة من الروم .

١٩٥ دور انحطاط الاسرة الباقرادونية .

ص

١٩٦ الملك كاكيك الثاني : كاكيك الثاني وويست مركبس ، حملة الأروام الثانية ، كاكيك فى القسطنطينية، الغزوة السلجوقية الثانية ، اواخر حياة كاكيك الثاني ،
٢٠٠ اعمال ملوك باقرادونيان وآثارهم : المدن والمهن الصناعية، التجارة ، العمران .
٢٠٣ ( الفصل الثامن – الدولة الارمنية فى كليكيا )
الباب الاول : اسرة روبينيان ( دور الامارة ) ، كليكيا : السكان ، الحدود ، الوضع الطبيعي .
٢٠٤ اعلان استقلال الارمن في كليكيا : دور الامارات .
٢٠٥ روبين الاول .
٢٠٦ قسطنطين الاول .
٢٠٧ الامير طوروس الاول .
٢٠٨ الامير ليون الاول : ليون الاول امير أنطاكية ، قيصر الروم اوهانس كومينوس في كليكيا .
٢١٠ الامير طوروس الثاني : غزوانترونيكوس لارمينيا ، الامير طوروس الثاني والسلطان نور الدين، الامير طوروس ومقصود الثاني ، الامير طوروس وريذو دي شاديلون ، القيصر مانوئيل الاول في كليكيا ، الامير طوروس المنتقم .
٢١٤ الامير مليح : عقيدة مليح الدينية ، مليح والامراء واللاتين ، مليح والاروام .
٢١٥ الامير روبين الثالث :
٢١٧ الباب الثاني : دور الملكية - اسرة روبينيان ، الملك ليون الثاني، ليون العبقري، زحف امراء البلاد الاسلامية المجاورة الى كيليكيا ، صلاح الدين الايوبي ، الحرب الصليبية الثالثة ، اعلان الملكية وتتويج ليون الثاني ، قضية تاج أنطاكية، حركات جديدة .
٢٢٥ حيتوم الاول البايبروني ، أزمة العرش ، سياسته الداخلية ، سياسته الخارجية، غزوات التتر في الشرق ، الملك حيتوم والتتر ، احتلال الشرق الأوسط بالجيش

ص

المتحالف الارمنى التتري ، غزو المماليك الكيليكيا الارمنية .
٢٣١ الملك ليون الثالث : غزوة المماليك الثانية ، السلطان بيبرس في كليكيا الارمنية ، حرب بمبسيا (حمص) ، معاهدة الصلح .
٢٣٣ الملك حيتوم الثاني : اغتصاب عرش حيتوم ، حرب حمص .
٢٣٨ دور انحطاط دولة كليكيا الارمنية : أسباب الانحطاط .
٢٣٩ الملك ليون الرابع ، مقتل حيتوم الثاني وليون الرابع .
٢٤٠ الملك اوشين الاول .
٢٤١ الملك ليون الخامس .
٢٤٤ نهاية أسرة بايبرونيان - ملوك لوسينيان على عرش كليكيا الارمنية : الملك كوئيدون لوسينيان .
٢٤٥ الملك قسطنطين الثاني لوسينيان .
٢٤٦ الملك قسطنطين الثالث .
٢٤٧ الملك ليون السادس لوسينيان .
٢٥٢ النتائج السيئة للسياسة البيزانطية .
٢٥٤ (الفصل التاسع - الارمن تحت نير القبائل المغولية)

الحروب فى الاراضي الارمنية ، الشاه عباس الاول ومنهاجه ، امارات الارمن فى قرهباغ ، طاويد بك ، معاهدة قوربجان .
٢٦٣ ارمينيا في حكم روسيا القيصرية : معاهدة كلسدان ، معاهدة تركمان جاي ، معاهدة ادرنه .
٢٦٦ ارمينيا تحت حكم الاتراك العثمانيين .
٢٦٨ التاريخ الارمنى الحديث : السلطان عبد المجيد ، السلطان عبد العزيز ، عصيان زيتون ، الارمن وعبد الحميد الثاني ، الحرب الروسية التركية ، حالة ارمينيا خلال حرب ١٨٧٨ ، مؤتمر برلين ، يقظة الارمن .
٢٨٧ (الفصل العاشر - اعمال النهضة الارمنية)

تكوين الاحزاب السياسية الثورية ، حزب هنجاك ، الحزب الحر الديمقراطي ،

ص

حزب تاشنا كسيون ، احتلال البنك العثماني في الاستانة ، غزو خاناصور ، حروب ساسون الدفاعية ، الحرب الارمنية التتارية .

٣٠٥ كفاح تاشنا كسيون ضد سلطات روسيا القيصرية ، مصادرة املاك واموال المؤسسات الدينية الارمنية ، قنبلة قصر يلدز ، حالة عبد الحميد النفسية بعد القنبلة ، مفاوضات عبد الحميد مع تاشنا كسيون لالقاء السلاح .

٣١٤ فعاليات تاشنا كسيون السياسية داخل البلاد وخارجها (١٨٩٠-١٩٠٨) .

٣٢٨ الارمن في الدستور العثماني : حرب البلقان .

٣٣٢ حالة ارمينيا في سني ١٩١٤-١٩١٧ .

٣٣٦ (الفصل الحادي عشر - الحروب الدفاعية في واسبوراكان - ١٩١٥)

٣٤٥ دسائس الحكومة على حياة زعماء الارمن في وان ، حيال الأمر الواقع ، حرب ايكسدان ، الاعمال الاجتماعية المثمرة ، شبح الجوع ، الحروب في الاقضية ، دفاع مدينة وان عن نفسها ، اليوم الاخير من حروب وان الدفاعية ، دخول افواج المتطوعين الارمن الى وان ، حكومة آرام ، انسحاب ٢٠٠,٠٠٠ ارمني من مقاطعة وان .

٣٨٠ (الفصل الثاني عشر - حالة ارمينيا بين ١٩١٧ - ١٩٢١)

انقلاب كيرنسكي ( شباط ١٩١٧ ) ، انحلال الجيش الروسي (١٩١٨) ، بقاء الأرمن وحدهم على الجبهة ، شهادتا بريون وباربي ، اعلان لينين استقلال الارمن ، فشل المفاوضات بين الترك والارمن وضغط الاتراك على الارمن ، نداء الجنرال نظربكيان الى جيشه وأمته ، انكسار الاتراك واعلان استقلال الارمن ( ٢٨ ايار ١٩١٨ ) ، احياء الدولة الأرمنية ، الارمن تجاه الحلفاء ، التوقيع على معاهدة سيفر واعتراف الحلفاء والأتراك باستقلال ارمينيا ، غزو مصطفى كمال والبلاشفة لأرمينيا ، عصيان الشعب الارمني ضد الادارة الشيوعية ، مؤتمر لوزان (١٩٢٣) ، اهداف الأمة الأرمنية اليوم .

# الخطأ والصواب

| ص | س | الخطأ | الصواب (١) |
|---|---|---|---|
| ١٠ | ٢٣ | وتهب | وتنهب |
| ١١ | ٢٤ | لارنب | لازب |
| ١١ | ٢٤ | استحلت | واستحلت |
| ١٣ | ١٣ | ما علينا | ما عليها |
| ٢٦ | ١ | هي | هما |
| ٤٤ | ١٢ | جاك مورغان | جاك دي مورغان |
| ٤٨ | ٤ | كبادوسيه | بروكيا |
| ٥٥ | ٦و٧ | «ولكن ..الخ | اقرأ السطرين كما يلي : فدحروا الجيش البابلي وأسروا ملكه نابوناهيد وبذلك صارت بابل ولاية صغيرة . |
| ٦٣ | ١٤ | الايراني | الروماني |
| ٩٣ | ٦ | متأجبة | متأرجحة |
| ١١٥ | ٤ | (٢) | (١) |
| ١٤٠ | ٢٣ | وقادة | وقادة |
| ١٤٢ | ١٥ | المالكة | المملكة |
| ١٤٧ | ١ | حكم | ظلم |
| ١٥٧ | ٥ | لم حرمتاها | حرمتاها |
| ١٦٤ | ٢٠ | لهؤلاء الخاص | لهؤلاء ولاءه الخاص |
| ١٨١ | ١ | وحدث الامراء | وحدث ان الأمراء |

| ص | س | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| | | بين نهاية ١٩٢ وبداية ١٩٣ ضم ما يلي : « الا في راحته كان اشود يتفانى في خدمة وطنه ولذلك شب الخصام على العرش » | |
| ٢٤٠ | ١٨ | مع فوج المغول | مع فوج الى المغول |
| ٢٥٣ | ٣ | الاعداء | العدو |
| ٢٥٩ | ١٤ | الأجرار | الاحرار |
| ٢٨٣ | ٣ | فاما فورا | فاما فوزاً |
| ٣٧٦ | ٤ | الحاسية | الحماسة |
| ٣٠٢ | | السطر الاخير «ذلك انهم طالبوا» .. الى - « في تركيا » . يقرأ كما يلي: « ذلك ان روسيا كانت تريد وحدها القيام بالاصلاح في الولايات الارمنية بتركيا حسب هواها » | |
| ٣٢١ | ٣ | السخية | الضافية |
| ٣٢٣ | ٢١ | انني بهذه | انني بهذه المناسبة |
| ٣٢٦ | ٢٠ | ومن موقد | ومن فوق |
| ٣٢٨ | ١٧ | ولاعم | ولدعم |
| ٣٢٩ | ٣ | امتشان | امتشاق |
| ٣٣٢ | ٢٤ | والانظام في | والانخراط في |
| ٣٣٥ | ٨ | ثقليها | ثقلاها |
| ٣٣٧ | ١٣ | نفى | نفس |
| ٣٥٥ | ٦ | الذي سيحرز، هذا الكفاح | هذا الكفاح الذي سيحرز |

وهناك هنات اخرى لا تخفى على القاري.

(١) من ص ١ الى ٥٧ كلما وردت الفاظ : « الماريون والماريين والماري والمارية » فاستبدلها بالفاظ « الماديون والماديين والمادي والمادية » .

# توطئة

منذ أن عرف التاريخ الأمة الأرمنية كانت بلادها مسرحا لسلسلة وقائع عظيمة ومناجزات للامم المختلفة التي عاصرتها كالرومان والبيزانطيين والفرس والعرب والأتراك والروس وقد نازعتهم نزاعا طويلا مستمراً دفاعا عن كيانها وحفظاً لبقائها ، ولا تزال حتى اليوم تسعى لترد عن بلادها الأمم التي احتلتها .

وقد طال نزاع الأرمن لكل أمة من الأمم السالفة الذكر أجيالا عديدة ، وثاروا على كل منها مرارا لكسر أغلالها ونزع نيرها عن رقابهم كي ينالوا الاستقلال والحياة الحرة.

ان نضال الأمة الأرمنية مع أعدائها لأشبه بعقاتلة الذئب الأسد ، فقد صارعت بفئة قليلة عظماء الدهر الذين أدهشوا العالم بقوتهم وشوكتهم وفتوحاتهم فغزوا الامم الصغيرة واكتسحوا بلادها وثلوا عروشها فادخلوها في حكمهم واستثمروا خيرات أوطانها لفائدتهم الخاصة حسب ، وقضوا عليها فاصبحت في خبر كان ، وقد دمرتها حملات الرومان من الغرب وغارات الفرس من الشرق فصارت أثراً بعد عين ، ومن هذه الأمم المنقرضة الحيثيون والاورادبون والبابليون والآشوريون والبروكيون والبونديون والفينيقيون وكانت هذه الأمم باجمعها معاصرة لأرمينيا . دثرت هذه الأمم وبادت بينما بقيت الأمة الأرمنية تجالد الخطوب وتقارع الحدثان ، ووقفت سداً منيعاً في وجه تيار الأمم الفاتحة ، ولئن نم هذا على أمر فانما ينم على ارادة حديدية وميل فطري الى الحرية والاستقلال .

صارع الارمن الرومان خمسة أجيال والفرس والبرثويين والساسانيين في ايران اكثر

من عشرة أجيال ، وصمدوا للبيزنطيين خمسة أجيال وللعرب ثلاثة وللترك خمسة أجيال ، وقد دافعوا هذه الامم القوية الغالبة على الرغم من ضعف قوتهم وقلة معداتهم ، وانما أظفرهم وقوى جهادهم ارادتهم القوية والمبادىء السامية التي دانوا بها منذ أقدم العصور تلك المبادىء القائمة على أسس الحق والعدالة ففازوا مرة وغلبوا اخرى ، وتحرروا طوراً واسترقوا آخر حتى يومنا هذا ، ولكن هذا لم يفت في عضدهم ولم يغير من طباعهم ومبادئهم فهم أبداً للعدل والحق وهم دوما للحياة الحرة .

وبتماس الأرمن مع الأمم العريقة في الحضارة اقتبسوا منهم وسايروا قافلة التاريخ واقتفوا نهج التجدد والاصلاح غير مغفلين ان يطبعوا ذلك بطابعهم الخاص وذلك منذ عهد ديكران الثاني حتى بداية عهد وراماشابوح اي منذ الجيل الاول السابق للتاريخ الميلادي حتى القرن الخامس له ، ولقد كان للمدنيتين الرومانية واليونانية أثرهما على حضارة أرمينيا وكانت مؤلفات سوفوكليس ويفريبدبس متداولة بين الأمراء وطبقات الشعب كما كانت آثار ارداوازت الملك الأرمني الأديب والشاعر تحتل مكانها في أندية روما ، اما فلسفة أرسطو وأفلاطون فكانت مطلب المثقفين من أبناء الارمن ، وكان الامراء دبردات وارداشيس وارشاك ممتازين بثقافتهم الرومانية بين أمراء الشرق الاوسط آنذاك .

وكانت الجامعتان هاغباك وصناهين في عهد الملوك البقرادونيين من أوسع الجامعات المؤسسة في ذلك الحين وكان يدرس فيها العلوم الحكمية والعقلية والادبية ، وكان الشباب من أبناء البلاد المجاورة لارمينيا من الاغوان والكرج والبكريين واللازكيين يقصدونها لارتشاف العلم من ينابيعها .

على ان ما أضعف الارمن تفرقهم ومنازعات الامراء فيما بينهم لعدم تآلف قلوبهم وانفضاضهم عن الملوك القائمين فيهم وهي عوامل تنخر في جسم الدول وتضيمها وبسبب هذه العوامل عينها فقدت الدولة الارمنية استقلالها وأضاعت ملكها .

كانت الدولة الارمنية مكونة من خمس عشرة اقطاعية تخضع كلها للملك في الامور العامة ، ولكن لكل منها ميزانيتها الخاصة وجيشها وادارتها تحت إمرة أمير اقطاعي .

وأشهر تلك الاقطاعيات واكبرها الرشدونية والمانّاوازية والبيزنونية والارزرونية والباقرادونية ، وكان على كل اقطاعية ان تقدم الى الملك فرضاً من المال والجنود عند الحروب الا انهم لم يكونوا وحدة قومية ولا تآلفت صفوفهم لمجابهة الاعداء .

وبعد فان اسباب تدهور الامة الارمنية وتصدع بنيانها كثيرة نوجز أهمها في ما يلي:

فمنها أنانية الأمراء وجهلهم وترجيحهم منافعهم الخاصة على المنافع العامة غير حاسبين للطوارىء والعواقب حساباً ، فحين تدعو الحاجة الى المؤالفة ونسيان الاحقاد الشخصية نجدهم ينسحبون من الجبهة أو يبقون على الحياد أو يضافرون العدو ، وهكذا يجد الملك - وهو أحد هؤلاء الأمراء الاقطاعيين - نفسه عاجزاً عن لم الشعث وتوحيد الصفوف لتحشيد القوة الكافية من ابناء ملكه لمواجهة العدو ، وهكذا كانت تدور على هذه الامة الدوائر وتقضي على ملكها .

أضف الى ذلك ان الوضع الجغرافي لأرمينيا والتشكيلات الجيولوجية لها كانت عوامل مساعدة على الشتات ،فهي محاطة بسلسلة من الجبال الموازية والمحاذية لبعضها ، وسطحها تعمه شبكات نهرية كبيرة وصغيرة الأمر الذي كان يحول دون اختلاط الأهالي من ذوي الاقطاعيات المختلفة وتعارفهم من جهة ويعرقل التعبئة والتحشيدات العسكرية من جهة اخرى فيوهن عزم الامير الذي يود أن يمد الملك او زميلا من الامراء بالعون .

وكانت صعوبة المواصلات والمخابرات نظراً الى هذا الوضع اكبر عامل في تأخير الدفاع فعند وقوع غزوة من عدو خارجي او عصيان من امير اقطاعي ، كان الملك يسمع الخبر بعد اسبوع اذ يكون العدو قد نال مأربه وقضى عدوانه بالاستيلاء على البلاد وتخريبها فلا تجدي الحيلة فيه نفعاً كما حدث لديكران الكبير حين أغار على ارمينيا القائد الروماني الشهير لوغوللوس فلم ترده الانباء الا وقد وصلت الجنود الرومانية العاصمة ديكرانا باد .

وبسبب هذه الصعوبات الجيولوجية كان قواد الرومان يؤثرون في سيرهم طريق شمال العراق لحروبهم وغزواتهم مع الفرس البرثويين ، وان سبب انخذال جيش انطونيوس في اذربيجان انما هو الجهد الذي ناله من صعوبة الطرق في أرمينيا ، اما انتصار الجيوش المغيرة على ارمينيا تحت نفس الأوضاع والعوامل فناجم عن كثرة عددها .

ان الشعب الأرمني لشعب صغير بالنسبة الى جاراته من الدول المعظمة ، ولقد عاش مع ذلك خمسة عشر جيلا يجاوره الرومان من الغرب والفرس من الشرق ، وانما حفظ له كيانه حماسه الشديد ووطنيته الملتهبة وغيرته وشجاعته وبطولته الفذة ، وما محق استقلال هذا الشعب الا الخيانة وعصيان أمراء الاقطاع مليكهم طمعاً بتاج او حباً بلقب ينالونه من المغير ولو ضحوا بالمملكة في سبيل هذا اللقب او ذلك التاج .

ولم يستطع من الملوك الأرمن اخضاع كافة هؤلاء الامراء غير ديكران الثاني اكبر ملك ملوك، وديرتاد الكبير، واشود الأول شاهنشاه الأرمن ، واشود الثالث ، هؤلاء فقط بسطوا نفوذهم على الأمراء قاطبة وحكموا البلاد بادارة مركزية كما تسمى اليوم .

وعلى الرغم من ان الشعب الارمني شديد الحماس لوطنيته ، متفان في سبيل قوميته فهو شعب مسالم ميال الى الحرية والسلام محب للحياة الهادئة عازف عن العدوان لا يبدأ به أحداً ، ولكن حين ترغمه الظروف ينهض نهضة رجل واحد لمجابهة الطواريء غير متوقع عوناً او مساعدة من حكامه ورؤسائه .

والامة الارمنية أمة حية جبارة ولها حضارتها الخاصة ، وقد أوجدت لها ثقافة قومية ما بين سيول الدماء وعلى الرغم من الاضطهادات والاعتسافات التي عصفت بها على كر السنين، وسجل الارمن بايمانهم الذي لا يتزعزع تاريخاً قومياً مجيداً وبرزوا في الادب واللغة والفن المعماري على نمط خاص بهم ، كما استنبطوا موسيقى رائعة تهز النفوس لانغامها العذبة الشجية .

اضطهد الاعداء هذه الامة النابغة ونكلوا بابنائها لأنهم استشفوا في خباياهم ذكاء نادراً يأبى عليهم الذل والهون ، ووجدوا في خلقهم أنفة وميلا طبيعياً الى الحرية والاستقلال ولمحوا فيهم السبق الى الغلبة في مضمار الحياة ، ولا أدل على ذلك من ان يبادر هؤلاء الاعداء الى غلق مؤسساتها الثقافية وتدمير آثارها ليباعدوا بين الابناء الناشئين وحضارة الآباء المبتكرين . وعاشت الامة الارمنية دهرها حياة رعب وفزع تفصد دماؤها ليفتدي بها غرماؤها وتهب خيراتها لتوضع في أفواه سالبيها ولكنها لم تفقد عزتها القومية ولم تعدم نشاطها بل ظلت ثابتة كالطود الراسخ نبراسها ايمانها الوطيد

بان الحياة كفاح لا يفوز فيه الا الصلب الصامد ، ولئن فقدت استقلالها آنا بعد آن فان ايمانها بمبدئها ونزعتها الى الاستقلال لم يتزعزعا ، وهذا الاستقلال الذي حرمته سياسياً مطمح أنظار أبنائها لا ينون ينشدونه في يقظتهم وفي أحلامهم وان نفوسهم لمفطورة عليه منذ برئت ، فهي اليه تسمى وبظلاله تتفيأ ما كر الجديدان .

وإن لنا من التاريخ لدليلا قاطعاً على ما خالط نفوس أبناء أرمينيا منذ القدم من عشق الحرية ذلكم هو عصيانهم وثوراتهم المتكررة ضد الرومان والبيزنطيين والفرس والعرب والترك وضد كل أمة غازية ، ولقد كان الربع الاخير من القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين مليئاً بمآثر بطولتهم في هذا الميدان .

دامت أغلال الاتراك في أعناق الارمن خمسة أجيال فضاقوا بهذا العبء الثقيل ذرعا وغلت في صدورهم مراجل الغيظ لا ينفس عنها إلا الحرية ، ولم يكن طلب الارمن من الاتراك انفصالا عن كتلة الامبراطورية العثمانية ، انما كان مطلب بقية شعوب هذه الامبراطورية من عرب وكرد ومكدونيين ، طلبوا حقهم في الحياة والمساواة والاشتراك في تدوير دولاب الدولة ، ولكن طلبهم العادل هذا عاد وبالا عليهم ، وقوبلت عرائضهم واسترحاماتهم في المراجع العليا بوجه باسر بل عدت عليهم جناية سياسية سالت لها دماؤهم البريئة تصرخ الى رب العلاء وتشكو اليه جور الانسان على أخيه الانسان ، أهرقت هذه الدماء الزكية ثمناً لخصال حميدة ونفوس جبلت على الوطنية ومحبة الاستقلال فكانت مصداقا لقول الشاعر العربي :

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

وهنا نرى الواجب يفرض علينا ان نبرىء الارمن من تهمة الصقها بهم أعداؤهم وأشاعوها حتى صدقتها الامم الصديقة ، تلك « ان الارمن كانوا آلة بيد الاجانب ، فاستخدموهم ضد الدولة العثمانية بغير مبرر » فنقول انهم براء من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وانما اندلعت ثورتهم نتيجة الظلم واستعباد السلطات وتفرقتها بين العناصر والاديان ، وتسليح طرف وتجريد طرف آخر من السلاح ، فبلغ السيل الزبى ولم يعد في قوس الصبر منزع وغدا طلب الحق ضربة لازب ولكنه حسب عليهم جرماً استحلت

دماؤهم ، ولما فرغ الجزارون من اشباع تعطشهم الى الدماء وقرمهم الى اللحوم البشرية لم يجدوا وسيلة غير هذا الادعاء الكاذب يسترون به شنار جريمتهم في ابادة أمة بكاملها بواسطة عصابة من السفاحين قوامها طلعت وأنور وجمال ( جلاد زعماء العرب ) وبهاء الدين شاكر وجمال عزمي ، وذلك بعد دعوة الشباب لخدمة العلم . وهكذا شل جسم الامة بفقد شبابها الذين كانوا مرتجاها الوحيد للدفاع عنها .

-٢-

وهكذا - كما رأينا في القسم الاول من مقدمتنا - فبمنهج خاص متعمد مقصود اقتلعت العاصفة الطورانية البربرية الهوجاء عروقنا من اراضي آبائنا واجدادنا ورمت بنا الى البادية العربية الواسعة بعد أن سامتنا صنوف العذاب والاضطهاد ، فأثكلت ويتمت وأيمت . وألفينا انفسنا في هذه البلاد العربية العزيزة بلاد يعرب وقحطان نزلاء محترمين وضيوفاً كراما فاستوطناها وتركنا كل غنائمنا وثرواتنا ومقدساتنا ولم يبق لنا منها الا الذكريات .

نزلنا أهلا ووطئنا سهلا ولقينا من حسن الضيافة العربية الأخوية الخالصة والانسانية النبيلة آيات رائعة يعجز عن شكرها القلم واللسان ، وخالطنا العرب فبدت لنا جوانب كانت علينا غامضة ، ففتنتنا اخلاقهم العالية وسجاياهم الشريفة واطلعنا على امجاد تاريخهم ومزايا اسلافهم الكرام وتعلمنا لغتهم فقرأنا آدابهم وقصائد شعرائهم بالاعجاب .

أجل لقد استقبلنا العرب من غير سابق معرفة بدافع الضمير والوجدان حسب فانزلونا بلادهم الرحبة وساوونا بابناء رعاياهم الكرام كرماً ومناً لا أملا وطمعا ، فلهم من كل ارمني الشكر والولاء .

على ان اصدقاءنا العرب ما عرفونا ولا عرفوا تاريخ اجدادنا ولا ادبنا القومي ، ولم يعلموا شيئا عن اخلاقنا وسجايانا ولا عن منشئنا ووطننا وعاداتنا ، واخيراً فالعرب الكرام لم يعرفوا عنا اي شيء . فرأيت وأنا احد افراد هذه الامة الشاكرة للجميل ان اقدم الى هؤلاء الأخوان الاعزاء تاريخ امتي موجزاً وأدبها مفصلا ليطلعوا على نواحي كانوا

يجهلون عنها كل شيء .

ان مصيرنا اليوم ومقدراتنا لمربوطة بمصير ومقدرات الامة العربية النجيبة ، فلنا ما لها وعلينا ما علينا ، ونحن نفخر بنجاحها ونتألم لاخفاقها ، نسر باقبالها ونأسى لادبارها فمن الواجب اذن أن نعرفها وتعرفنا ، واذ اننا قد عرفناها حق المعرفة، رأينا من اللازم أن نعرف انفسنا اليها وهي التي حدبت علينا فكانت لنا حاضنة بل أماً .

ان تاريخ الامم لأشبه بمقياس الحرارة ، وكما ان هذه الآلة تتأثر بحرارة الجو فيصعد الزئبق او ينخفض فيها تبعاً لذلك فكذلك نجاح الامم واخفاقها تابع للظروف والزمان ، فاذا كانت الامة محاطة بامم هادئة مسالمة عاشت فظهرت حيويتها وانتعشت روحها ، اما اذا جاورتها شعوب وحشية همجية أو بلاد ضخمةفيكون سبيلها في الحياة وعراً شائكا لانها تكون مهددة ابداً . كذلك كانت حياة الامة الارمنية فلها أدوار تاريخية ناصعة وادوار اخرى مظلمة حالكة ، ولقد ضاع استقلالها الذاتي مراراً ثم استعادته واستولت على بلاد كثيرة وامم مختلفة بقوة وسطوة ، أما الآن فالقسم الكبير من بلادها قد اغتصبته دولة مغولية الأصل ، والجزء الشرقي منها محتل من قبل البلاشفة باسم حماية استقلالها الكاذب .

فالجو مظلم والأمل باسترجاع البلاد ضعيف نظراً الى الزمن الحاضر . ولكن الحياة السياسية للامم لا يثبتها تاريخ لحكمها او لحكوميتها ، ولذلك فالامة الأرمنية لا يؤسفها وضعها الحالي ، فهي مستوطنة في البلاد العربية سعيدةراضية تسمى قلباً ولساناً لاسعاد ورقي هذه البلاد الكريمة التي نزلتها تثبت لها ذلك الوقائع العديدة من الماضي القريب ، وان من خصال الامة الارمنية انها في اي مكان استوطنته واي بلد نزلته لا تكون عبئاً ثقيلا على شعبه الاصيل بل تبذل جهدها لاعلاء شأنه ورفع منارة عزه .

واذا قلبنا صفحات تاريخ الامم التي سكنا بلادها وجدنا من افراد الشعب الارمني اشخاصاً بارزين قد اظهروا اخلاصهم ومهارتهم وشجاعتهم وامتازوا بخدماتهم القيمة في الوظائف العظيمة التي تقلدوها فكسبوا ثقة واعتماد السلطات الوطنية المحلية .

❖❖❖

-٣-

# الرجال البارزون فى خدمة الامبراطورية البيزنطية

لقد اعتلى عرش بيزانطية مئتي عام قياصرة كان أصل عنصرهم أرمنياً فرفعوا لها مجداً وبنوا لها عزاً ، ومنهم :

أ- نرسيس بادريك ( *Nersess Badrigue* ) :

كان قائداً في الجيش البيزانطي ، وقد طرد الغوطيين والاسلوفيين والفرنك والجرمان من ايطاليا ، وعمر البلاد التي خربتها أيديهم ، وسكن رافينا وبنى مدينة ميلانو .

ب- ليون هايكازن الخامس ( *Leon Haigazne* ) ( ٨١٣ - ٩٢٠م ) :

كان من أعظم قياصرة بيزنطية ولقد قضى عهد قيصريته بالحروب المتوالية فرد صولة البلغار عن القسطنطينية وحارب العرب فأمن دوام الامبراطورية بظفره عليهم ، وكان من أعظم قواده البريين مانوئيل ماميكونيان ، اما قائده البحري فكان مارينوس ماميكونيان.

ج- فاسيل الأول :

كان من نسل الملوك الارمن ، وكان رئيس وزرائه أرمنياً أيضاً وهو وارت كيسار ، وكذلك كان قائد بلاده العام ارداوازت ماميكونيان وقائد بحارته الكسيس الارمني الذى أنقذ جزيرة قبرص من أيدي العرب وأصبح نائباً عن الملك فيها لمدة سبع سنوات .

د - قسطنطين زيرانازين ( ٩١٣-٩٥٩م ) :

وكان يعتبر من أعلم الامبراطرة من انداده . كان يعتز بقوميته وبعنصره الارمني ، وقد أناط قيادة القوات البحرية والبرية بالارمن وعين قائدين أرمنيين فى الجيش الشرقي اولها « اوهانيس كوركين » وثانيها « تثوفيلي كوركين » ، وقد حارب هذان القائدان

العرب عشرين عاما فى أرمينيا التى كانت محتلة من قبلهم ، واوهانيس كوركين هو الذي دفعهم عن القسطنطينية وأنقذها من سلطتهم .

هـ - اوهانيس جشكيك ( ٩٦٩-٩٧٦م ) :

كان من نبلاء الارمن وقد اعتلى عرش المملكة بدهائه العسكرى وذكائه الادارى والسياسى ، وكان من أعظم قواد زمانه انتصر على العرب عدة مرات ، وأعفى الارمن من جميع ضرائب الدولة ، وقد أرسل قائده الارمني وارت آكليوس لدفع الروس عن أدرنة التي كانت مهددة من قبلهم .

- وهكذا نجد الارمن القاطنين فى بلاد الامبراطوريه البيزانطية سموا الى أعلى مناصب الدولة وقاموا لها بخدمات جليلة نافعة - .

-٤-

# قواد الأرمن البارزون في الامبراطورية العربية

أ- علي بن يحيي ابو الحسن الارمني :

كان هذا عام ٨٦٠م ، إذ نراه على زعامة العصيان العسكري ضد الخليفة في بغداد ، لكنه صالحه أخيراً فنصبه الخليفة عاملا على مصر .

وفي عام ٨٦٢ أرسله عاملا على أرمينية فوطد العلاقات بينها وبين الخليفة حتى منح الخليفة أميرها اشود باقرادوني الاول لقب « أمير الامراء » .

وقد قتل علي بن يحيي ابو الحسن الارمني سنة ٨٦٣ في جبهة بيزانطية على ما سيرد ذكره .

تولى ولاية مصر بعد مالك بن كيدر سنة ٢٢٧هـ ولبث في ولايتها زهاء ثلاث سنوات ثم عزل عنها سنة ٢٢٨ لسبع خلون من ذى الحجة فكانت ولايته عليها سنتين وثمانية أشهر .

ثم وليها ثانية عام ٢٣٤ بعد عزل هاتم بن هرثمة بن نصر عنها ، وكان ذلك من قبل الامير ايتاخ المعتصمي على الصلاة ، واستمر على امرة مصر حتى كان ان قبض الخليفة المتوكل على الله جعفر على ايتاخ المذكور في المحرم سنة ٢٣٥ ، فولى المتوكل ابنه وولي عهده محمداً المنتصر مصر وأعمالها كما كان لايتاخ المذكور فدعي عبد ذلك للمنتصر على منابر مصر ، وقد أقر علياً بن يحيي هذا على عمل مصر على عادته فاستمر عليها الى ان صرفه المنتصر عنها باسحق بن يحيي بن معاذ في سنة ٢٣٥ ، فكانت ولايته على مصر في هذه المرة الثانية سنة واحدة وثلاثة أشهر تنقص اياما .

وخرج من مصر وتوجه الى العراق ووفد على الخليفة المتوكل على الله جعفر وصار عنده من كبار قواده ، وجهزه في سنة ٢٣٩ الى غزو الروم ، فتوجه بجيوشه الى بلادهم

فأوغل فيها ، ويقال انه شارف القسطنطينية فأغار على الروم وقتل وسبي حتى قيل انه أحرق الف قرية وقتل عشرة آلاف علج وسبى عشرة آلاف رأس وعاد الى بغداد سالماً غانماً ، فزادت رتبته عند المتوكل أضعاف ما كانت . ثم غزا غزوة أخرى عام ٢٤٩ وتوغل في بلاد الروم ثم عاد قافلا من أرمينيا الى ميافارقين ، فبلغه مقتل الامير عمر بن عبد الله الاقطع بمرج الاسقف ، وكان الروم فى خمسين الفاً فأحاطوا به ـ أعني عمر ـ ومن معه فقتلوه وكان معه الف رجل من أعيان المسلمين ، فلما بلغ الامير علي بن يحيي هذا عاد يطلب الروم بدم عمر بن عبد الله المذكور حتى لقيهم وقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل وقتل من معه ايضا من أصحابه أربعمائة رجل من أبطال المسلمين رحمهم الله تعالى وكان علي بن يحيي هذا أميراً شجاعا مقداماً جواداً ممدوحا عارفا بالحروب والوقائع مدبراً سيوساً محمود السيرة فى ولايته ، وأصله من الارمن .

« عن النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة »

٢ـ وردان الرومى :

كان قائداً فى جيش بيزانطية حينما أدرك المؤامرة التي دبرت له ، فالتجأ عند العرب واشترك مع عمرو بن العاص فى فتح مصر ، فكان وردان مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه رضي الله عنه . وفي ايام ولاية مسلمة بن مخلد على مصر نزلت الروم « البرلس » فى سنة ثلاث وخمسين هـ . واستشهد فى الوقعة وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين .

« عن المصدر نفسه »

٣ـ بدر الجمالي :

كان والياً على الشام عام ١٠٦٧م فى عهد المستنصر الفاطمي وشبت في عهده نار الفوضى فى مصر ، فعينه المستنصر أمير الجيوش ، وفى مدة قصيرة شكل جيشاً قويا وأدب الفوضويين . وطد السلم واشتغل فى ترقية الحالة الاقتصادية والترفيه عن الفلاح . انشأ من الأرمن فرق المشاة والخيالة تحت قيادة الأرمن أنفسهم وذلك لسلامة البلاط ، توفى عام ١٠٩٤ ودفن فى كنيسة الارمن حسب وصيته .

وكان بدر الجمالي قائداً من قواد الفاطميين ووزيراً من وزرائهم ، وكانت الدولة الفاطمية التي بلغت درجة كبيرة من الرقى على وشك الانهيار في عهد الخليفة الضعيف المستنصر ( ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ = ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م ) فقد كان السلاجقة يزحفون على الشام والمماليك من الاتراك يقاتلون الجنود من السودان في مصر ، وحل بالبلاط قحط دام سبعة أعوام استنفد موارد البلاد ، وقضت المنازعات على هيبة الحكومة وسلطانها وطاح الجوع والمرض بالناس وذهبت أعمال التخريب والعنف بما كان للدولة من ازدهار وخيل للناس ان هذه الدولة سيعصف بها الاضطراب والفوضى ، ولكن القائد الشآمي بدر الجمالي تولى قيادة الجند والاشراف على شؤون الحكومة بدعوة من الخليفة فأعاد الامن الى نصابه بمجهود كبير لم يخل من صرامة . والحق ان الدولة الفاطمية دخلت بذلك في طور جديد من أطوار عزها .

وكان بدر مملوكا أرمنياً للامير جمال الدولة بن عمار ولذلك عرف بالجمالي نسبة اليه ، ولا بد ان يكون مولده في بداية القرن الخامس الهجري لانه عندما بلغته الوفاة عام ٤٨٧هـ ( ١٠٩٤م ) كان عمره نيفاً وثمانين عاما . وذاعت شهرته في الشام قبل ان ينصب وزيراً للفاطميين ، وعين حاكما لدمشق مرتين ولكن صرامته مع الجند الذين الفوا الملاينة أوقعته في المآزق . وبعد ذلك أصبح كبير قواد عكا . وكان عليه ان يحارب جند ملكشاه وكان له حرس خاص من الارمن وكذلك كان الجند الذي تحت أمرته من المخلصين له ، وسار بهم عند استدعاء الخليفة اياه عام ٤٦٦هـ (١٠٧٣) ليخلصه من أيدي العمال المستبدين من الاتراك ، ولم يدرك هؤلاء سر مجيء بدر الجمالي ووقعوا في الفخ الذى نصب لهم وقتلوا جميعاً في ليلة واحدة ، وهكذا أصبح بدر سيد الموقف ونصب اميراً للجيوش ( مرجوش في لغة العوام ) وقاضيا للقضاة وداعيا للدعاة ووزيراً ، ولكن اللقب الاول كان ألصقها به . ويعرف جبل المقطم بجبل الجيوش لاشرافه على القاهرة ، وقد شيد بدر الجمالي عليه مشهداً يزعم العامة اليوم ان سيد الجيوش مدفون فيه . وبعد ان عاد الهدوء الى العاصمة عمل على استتباب النظام شرقي الدلتا ثم غربيها كما استولى على الاسكندرية من غير ابطاء ، وكان غزو الصعيد شاقا لان القبائل العربية فيه نادت

باستقلالها . ولم يكن توفيقه في الشام كتوفيقه في مصر فان الامور كانت مضطربة فيها وسقطت دمشق في أيدي السلاجقة حوالي نهاية عام ٤٦٨هـ (١٠٧٦م) ولم تعد الى حوزة الفاطميين بعد ذلك .

وفي العام التالي ظهر القائد السلجوقي امام القاهرة نفسها ، ولكن بدراً كان عنده من الوقت ماسمح له بجمع قواته ورد السلاجقة على أعقابهم وبالرغم من محاولاته المتكررة في سنوات ٤٧١هـ (١٠٧٨-١٠٧٩م) و ٤٧٨ (١٠٨٥-١٠٨٦) و ٤٨٢ (١٠٨٩-١٠٩٠) لم يوفق الى استعادة دمشق والاستيلاء على الشام ، ولم يكن في حوزة الفاطميين عند وفاته الا مدن قليلة جنوبي الشام ، ومما أضعف نفوذه هناك هذه الثورات المستمرة التى كان الموعز بها واحد من أبنائه في مصر ، ولسنا نعرف عهد جهده في الحكم الا القليل ولكنه كان حسن السيرة فيه ، وقد أجمعت المصادر كلها على امتداحه ، وزاد دخل مصر من الضرائب في ايامه حوالي ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ الى ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ دينار وساعدته هذه الموارد على الاستفادة من الدروس التى تعلمها من غزوة السلاجقة ، فحصن بدر الجمالي القاهرة بسور ثان وبنى الابواب الثلاثة المنيعة التي لا يزال اعجاب الناس الى يومنا هذا وهي باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح .

وفي ربيع الاول من عام ٤٨٧هـ (مارس ١٠٩٤م) ختمت حياته الموفقة الناشطة بعد ان أعد أبنه الافضل شاهنشاه كي يخلفه في جميع مناصبه . وبعد شهور قلائل لحق به الخليفة المستنصر الذي مكث في الحكم ستين عاما كاملا . «النجوم الزاهرة ...»

٤- بهرام الارمني :

كان في عام ١١٣٢م ان دعاه الخليفة عبد العزيز لتأديب العصاة في داخل الدولة ومنحه لقب «تاج الدولة» فنجح في مهمته ووطد الامن العام في البلاد وحسن الحالة الاقتصادية والزراعية ، وكان أخوه والياً في لوكسور ، وقد عاش أواخر أيامه في دير أرمني بمصر العليا .

ولقد كان الارمن محبوبين ومعززين عند الخلفاء الفاطميين وكان هؤلاء الخلفاء أصدقاء للدولة الأرمنية الفتية في كيليكيا .

-٥-

# رجالات الارمن الذين خدموا مصر الحديثة

## بوغوص بك يوسفيان

تقلد بوغوص بك يوسفيان منصب وزارتي الخارجية والتجارة في عهد محمد علي باشا الكبير ، كما كان مندوبه الخاص الى تركيا لعقد الصلح مع السلطان بعد التصادم العنيف الذي قام بين الباشا وتركيا . وقد خدم يوسفيان بك القطر المصرى العربي أربعين عاماً.

## أرتين بك جراكيان

تقلب جراكيان فى عدة مناصب عالية ، حتى نال وزارتي الخارجية والتجارة بعد وفاة بوغوص ، وقد أصلح الحالة الاقتصادية والتجارية في مصر ووثق العلاقات الودية بين السلطان عبدالمجيد ومحمد علي الكبير ، وسعى بوسيلة حسنة فى السماح لمحمدعلي باشابزيارة الآستانة حيث أنعم عليه فيها برتبةفريق ، وقد الغى جراكيان الامتيازات التجارية كما الغى امتياز قنال المحمودية وارتأى تأميمه لمنفعة البلاد ولقد اشترك مع ابراهيم باشا ايضاً ، وعين بعد وفاته سفيراً لمصر لدى الباب العالي في عهد عباس باشا ، ثم صار في عهد اسماعيل باشا وزيراً بلا وزارة ومستشاراً لنائب الملك.

وفي سنة ١٨٥٧ نجد ارتين بك يعارض فكرة منح امتياز شق قنال السويس الى دلسبس يشاركه المعارضة مصطفى فاضل باشا شقيق سعيد باشا حيث ان ارتين بك كان يرى في منح امتياز حفر القنال مداخلة الاجانب فى حقوق مصر السياسية ، الا ان دلسبس حصل على غايته بواسطة نابليون الثالث .

# نوبار باشا



قدم نوبار باشا الى مصر عام ١٨٤٤م بدعوة من خاله بوغوص بك يوسفيان ليشغل وظيفة سكرتير لوزارة الخارجية ومترجم بمعية محمدعلي باشا الكبير، وبعد وفاة بوغوص بك عين برتبة بكباشي ومشاور لابراهيم باشا ، وحين سفر هذا الى باريس كان نوبار برفقته فمنح من قبل لويس فيليب ملك فرنسا صليب ليجيون دونور .

وبعد عودته من باريس عين برتبة قائمقام ثم مشاوراً ومترجماً عند محمد علي باشا الكبير ، وبعد وفاة محمد علي رافق ابراهيم باشا عند سفره للاستانة ، ولما توفي ابراهيم باشا رافق عباس باشا الى استانبول لتولية هذا الاخير مقام نائب الملك ، وبعد عودتها منها منح نوبار لقب بك ثم عين سكرتيراً اولا لنائب الملك ومديراً لادارة الصحة في الاسكندرية ، ولما أراد رشيدباشا الصدر الأعظم للامبراطورية العثمانية ان تشمل مصر ايضا التنظيمات ، كان نوبار باشا يقنع عباس باشا بتنفيذ رغبات الصدر الاعظم .

واقترح نوبار مد الخط الحديدي بين الاسكندرية والسويس فأجيب اقتراحه ،

وللحصول على ذلك سافر الى لندن فنجح في القضية مقابل ادخال الاصلاحات في مصر .

وعين سفيراً لمصر في فينا عام ١٨٥٣ ، ثم مديراً عاما لادارة السكك الحديدية المصرية سنة ١٨٥٨ .

وقد رافق سعيد باشا في سفره الى فرنسا وانكلترا وطولون ثم عاد الى مصر بطريق استانبول . وعند وفاة سعيد باشا عام ١٨٦٣ رحل الى الاستانة لابلاغ السلطان عبد العزيز خبر الوفاة وتولية اسماعيل باشا ، ثم رافق المذكور لتوليته الحكم من قبل السلطان ، وفي هذه الرحلة جرت المفاوضات بشأن قنال السويس وفرض الباب العالي فتحه وارسل مذكرة الى حكومتي باريس ولندن كلفهما فيها قبول الشرطين التاليين :

(١) الغاء السخرة المجانية عن الفلاحين .

(٢) انهاء الشركة امتيازاتها لاسالة الماء ، واعادة الاراضي.

وقد عقدت المقاولة بين نوبار باشا وفردنند دلسبس في ١٩\٢٠ آذار من عام ١٨٦٣ وزار السلطان عبد العزيز مصر ورفع نوبار الى رتبة فريق .

ولما عاد السلطان رافقه نوبار للتفاهم مع شركة القنال وسافر الى باريس عام ١٨٦٤ وكيلا عن نائب الملك للتفاوض مع دلسبس ، وبعد مفاوضات طويلة جعل الامبراطور نوبار حكما لانهاء القضية ، وأصدر نوبار حكمه في ٨ تموز من عام ١٨٦٤ بفتح القنال ومنحه نابوليون صليب القائد ليجيون دونور .

وعاد الى مصر في اليخت الخاص لاسماعيل باشا ثم رافقه الى استانبول حين قصدها ليحصل على خديوية مصر مستقلة ووراثية ، وبعد الانتهاء من هذه المهمة عين نوبار وزيراً للاشغال والمواصلات اضافة الى منصبه ( أي المدير العام للسكك الحديدية المصرية) ثم تولى عام ١٨٦٦ وزارة الخارجية .

ومنحت تركيا مصر استقلالا وحكما وراثيا على ان تدفع مائتين وخمسين الف جنيه ، ولأجل المصادقة عليها من جانب فرنسا قصد نوبار باشا البلاد الافرنسية ، ثم سافر عام ١٨٦٧ الى استانبول لفض سوء التفاهم بين اسماعيل باشا والباب العالي فنجح في مهمته ونال عام ١٨٦٧ الفرمان الهمايوني لنائب الملك يمنحه لقب « خديوي » لادارة

المملكة حسب مطاليبها المحلية ورغباتها وحاجاتها وتشكيل ادارة داخلية وتنظيم الكمرك والشرطة والبريد وتعيين الموظفين الاداريين الأجانب ، وهكذا ضمن هذا الفرمان الاستقلال الداخلي لمصر والوحدة الادارية . وكتب المسيو دي فوكوئه Vogue - وهو من أعضاء الاكاديمية الفرنسية - في هذا الخصوص بجريدة فيكارو في عددها الصادر في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ما يلي :

« هيأ نوبار باشا الأهبة اللازمة ونال لمصر استقلالا تحت ظل سيادة وهمية .

أتى هذا المفاوض البارع استامبول بسلسلة لطف ذهبية حصل بها من الباب العالي على فرمان عام ١٨٦٧ وعلى لقب « الخديوي » وبها أمن لمصر استقلالها الذاتي ، ثم نقل نوبار باشا السياسي الماهر سلسلته الى باريس تلك المدينة التي كانت تحل فيها اوانئذ جميع مشاكل المصر وعلى الخصوص الامور التي تتعلق بوادي النيل وفرغ في هذه المدينة من تدبير الامور التي تتعلق بفتح القنال » .

ولم يرض نوبار باشا بنيل الاستقلال الذاتي لمصر بل كان يطمح الى ان يعمها العدل ويشمل اراضيها الزراعية الارواء ، ولقد عمل فعلا ونجح في تأمين هذين المطلبين .

وبذل نوبار باشا سعياً حثيثاً لانشاء المحاكم المختلطة في مصر ، فكان يتنقل بين عواصم الدول لمقابلة الرؤساء فيرى يوما في باريس وآخر في لندن ويعرج على برلين وفينا فكأنه لجنة مفاوضة قائمة في شخصه حسب، للمذاكرة في اصلاح المحاكم ، وهكذا قضى عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ بكاملها ذاهبا آيبا متنقلا مفاوضا ، وفي عام ١٨٧٠ عندما كان موجوداً في استامبول لقضية نفسها ورد اليه أمر بالعودة الى القاهرة ليتولى وزارة الخارجية .

وسافر اسماعيل باشا الى الاستانة مصطحبا نوبار فانتهز نوبار هذه الفرصة وتفاوض مرة اخرى في اصلاح المحاكم ونجح في استحصال موافقة الدول المعظمة على تشكيل لجنة خاصة لاصلاح المحاكم وذلك عام ١٨٧٣ ، وبواسطة هذه اللجنة وبارشادات نوبار الخاصة سنت القوانين الضامنة حقوق المصريين .

وكان أجل أمانيه الترفيه عن الفلاح وقد بذل لذلك جهوداً جبارة حتى دعي « أبا

الفلاح » .

وقد عين عام ١٨٧٥ وزيراً للتجارة ، وعام ١٨٧٦ اشغل وزارتي الخارجية والتجارة. ووقعت بينه وبين اسماعيل باشا قطيعة بسبب تبذير الاخير في ثروة المملكة ، ولذلك ترك نوبار منصبه وسافر الى اوروبا ، حتى استدعاه اسماعيل الى مصر فعاد وقد لقي الاورد بيكنسفيلد واللورد ليوني في لندن والمستر ويدنيكتن في باريس للمفاوضة في أمور المملكة .

وحين عودته الى مصر طلب الى الخديوي ان يتنازل عن املاكه وعقاره لتسديد الديون الخارجية والقروض ، ثم أسس مقابل ذلك خزينة خاصة للعائلة الخديوية .

واقترح نوبار على اسماعيل تشكيل مجلس الوزراء واقنعه بذلك ، وفي الثامن والعشرين من آب سنة ١٨٧٨م تشكل هذا المجلس بامر من الخديوي تحت رئاسة نوبار باشا وأخذ على عاتقه فضلا عن ذلك وزارتي الخارجية والعدلية .

وجعل احكام المحاكم المختلطة تشمل المصريين ايضا ، وأسس دائرة تسوية الأراضي « كاداسترو » ونظم دوائر الأشغال العامة . وبسبب هذه الاصلاحات العامة التي أدخلها نوبار في كافة الدوائر الحكومية شغب عليه الموظفون المفصولون ، فاستقال وخلفه توفيق باشا .

وطلب بسمارك تنفيذ الأحكام المختلطة ، فغادر نوبار القاهرة ، ثم باصرار من بسمارك طلبت فرنسا وانكلترا استعمال صلاحية السلطان بعزل اسماعيل باشا من خديوية مصر فارسل السلطان برقيا الأمر باقالته من منصبه ، وفي ٢٦ حزيران من عام ١٨٧٨ وبارادة سلطانية ثانية نصب الخديوي اسماعيل على خديوية مصر .

ووقعت الثورة العسكرية عام ١٨٨٢ ، واخيراً ضرب الانكليز الاسكندرية بمدافعهم البحرية واحتلوا القاهرة سنة ١٨٨٣ وعين اللورد كروس مندوبا ساميا في مصر .

وبعد عام ترأس نوبار باشا مجلس الوزراء فضلا عن تقلده وزارتي الخارجية والعدلية ووقعت على عهد وزارته هذه ثلاثة امور هامة : (١) تخلية السودان (٢) حادثة كليفورد لويد (٣) تعيين موعد انسحاب الجيوش البريطانية من مصر ، وفي السنة ذاتها وصل مصر وفد نورثبروك .

وجرت مفاوضات جديدة بين تركيا وبين السير ارموند فولف ولكن طلب الأخير رفض من جانب فرنسا .

مات توفيق باشا سنة ١٨٨٨ فاستقال نوبار باشا من جميع مناصبه ، ثم ترأس لآخير مرة مجلس الوزراء عام ١٨٩٤ فضلا عن وزارة الداخلية، وبسبب تجاوزه السن القانوني وانهاكه الجسماني طلب الاستقالة من منصبه وذلك عام ١٨٩٥ ، ثم توفي عام ١٨٩٩ .

توفي نوبار باشا في باريس ، ونقل جثمانه الى الاسكندرية ، والقى فخري باشا الخطبة التأبينية التالية :

سادتي :

حين يواري القبر نعش نوبار باشا الى الأبد ، اجد الواجب يفرض علي ان أتقدم بكلمة موجزة وداعية حزينة باسمي وباسم جميع الزملاء الذين يعملون معي الى زميلنا العظيم .

انه ليطول بي المقام ويستطيل البيان ان اردت ان أعدد خصاله الحميدة الكثيرة وأعماله المجيدة المتعددة وهي ماثلة في أذهان جميع الحاضرين هذا المأتم ، انما أوجز فأقول : ان الحكومة التي أتشرف بتمثيلها في هذا المقام تشارك الجميع لوعتهم والمهم بفقد رجل الدولة العظيم الذي اقترن اسمه بتاريخ مصر لمدة نصف قرن فأدى لها خدمات جليلة في المناصب الرفيعة التي أشغلها فاستوجب تقدير جميع نواب الملك والخديويين في مصر ونال الثناء وحسن الثواب الابدي جزاء وفاقا لمساعيه » .

وفي ما يلي الكلمة التي فاه بها كورتبز ميز رئيس استئناف المحاكم المختلطة أثناء حفلة ازاحة الستار عن تمثال نوبار باشا :

سادتي :

جئت هنا باسمي وباسم جميع المنتسبين الى المحاكم المختلطة لنكرر اهداء التبجيل والتعظيم امام هذا التمثال ، وليس يخاف على أحد ان نوبار هو الذي أدخل الاصلاحات على محاكم مصر والكل يعلمون ما تحمله الرجل العظيم من أتعاب وما بذله من جهود جبارة في سبيل الحصول على غايته الجليلة هذه .

كانت عقيدته بان توزيع وتنفيذ العدالة هى الأساس القوي لحل أية مشكلة اجتماعية فى البلاد ، وبتعميم هذه العدالة ترتقى الامم أدبياً واجتماعياً .

وكما تعلمون أيها السادة كان عقيدته هذه لم تكن خاطئة : فبفضل اصلاح المحاكم عم الأمن وساد البلاد فأمنت المصالح العامةواقتلعت الاسواء فزهت القيم الاخلاقية فكان أثرها ملموسا في جميع المشاريع الصناعية والزراعية . وهكذا كوفيء نوبار بنيله أمله وغايته المثلى التى نشدها دوما ، ولا يستطيع جميع حكام المحاكم المختلطة الذين كانوا يؤدون واجباتهم منذ ثلاثين عاما تحت ظل عنايته ورعايته ، لا يستطيعون الا ان يؤيدوا ما أدته المحاكم المختلطة من خدمات وما كان لها من منفعة .

واننا لنرجو مخلصين ان المواطن الكبير والوزير الخطير سيعرف في تاريخ مصر بلقبه الجدير به ، الا وهو « مؤسس العدل » .

# ديكران باشا ابرو



كان ديكران باشا فى شبابه مستشاراً لوزارة الخارجية وذلك على عهد وزارة ذي الفقار باشا ، ثم تولى منصب الوزارة نفسها فأمن مصالح مصر في كل الظروف وعقد

معاهدات تجارية مع عدة دول أوربية .

عام ١٨٨٢ سافر ديكران باشا الى اوربا في اجازة اعتيادية ، وخلال وجوده فيها اندلعت نيران ثورة أحمد عرابي باشا وحدثت وقائع دامية في الاسكندرية يوم ١١ تموز فسارع ديكران الى العودة، وقابل الخديوي محمد توفيق باشا ، فارسله هذا مع زوهراب باشا لمفاوضة قائد الاسطول الانكليزي بوشاب ساير ، ولقد نجح المفاوضان في مهمتها نجاحا باهراً ، ولكن الامور تبدلت ، ولم تجد نصائح درويش باشا ومندوبي الخديوي مع الثوار ، فضرب الاسطول الانكليزي مدينة الاسكندرية يوم ١٢ تموز ، وراح العصاة لمدة عشرة أيام ينهبون بيوت الأجانب وحوانيتهم ومخازنهم ، وأحرقوا المدينة وقتلوا أشخاصاً ، ولم يكتفوا بهذه الفظائع بل قرروا تدمير قنال السويس لمنع مرور السفن الأجنبية .

كان الخديوي خلال الثورة في الاسكندرية وقد تباعد عنه أعضاء مجلس الوزارة ولم يبق معه إلا ديكران باشا ، وقد دعوا اليها عرابي باشا فأوضحا له النتائج الوخيمة التي تنتج عن أعماله وبذلا له النصح فاقتنع وأوقف الثورة .

ان ديكران باشا هو الذي ألحق أرض زوبلة وأراضي أخرى بالادارة المصرية ورتب قضية الجالية اليونانية في مصر ، وكانوا سابقاً تحت التابعية العثمانية وقد لجأوا الى مصر قبل ضم بعض الجزر اليونانية الى بلاد اليونان .

كان ديكران حريصاً على وطنيته المصرية ، يقف في أغلب الاحيان في وجه المندوبين السامين ويردد على أسماعهم قوله المأثور : « هل أنا وزير لمصر أم موظف مأجور لانكلترا ؟ »

توفي ديكران في ٢٩ تموز ١٩٠٤ في باريس ونقل جثمانه الى القاهرة فمشى في جنازته رئيس الوزراء والوزراء والمندوب السامي اللورد كرومر .

-٦-

# رجال الارمن الذين خدموا ايران

## يبريم خان



كما كان في ما مضى كذلك كان الحكم في عهد الملوك القجارية في البلاد الايرانية ظلما واستبداداً واضطهاداً وجهلا واعتسافات اقطاعية في جميع انحاء البلاد ، وكانت مقاليد الامور في يد فئة من المتنفذين المستعمرين التابعين لدولتي روسيا وانكلترا المعظمتين ، بينما كان الشعب يئن تحت كابوس البؤس ذليلا مهانا فقيراً لا حول له ولا طول .

وقد قامت في ايران ايضا - كما في غيرها - حركة انقلابية ديمقراطية لهدم صروح الظلم والاستبداد وذلك عام ١٩٠٨ وانبثقت الشرارة الاولى في تبريز ، بيد ان الاحرار لم يتمكنوا من خضد شوكة محمد علي شاه ودامت المصادمات أشهراً عدة بقيادة الثوروي

ستارخان ، وفي لهيب هذه الثورة نزل الى الميدان يبرم خان مناصراً وذلك بقرار من حزب الداشنا كسيين الأرمني وبموافقة اللجنة المركزية العلياء فكانت خطط يبريم كما يلي:

(١) اثار أهالي كيلان وكون منهم جماعات انقلابية ، واخيراً استولى على كيلان .

(٢) غزا من كيلان رشد وهجم عليها فاحتل دار الحكومة وقتل الوالي ، وخلال ساعتين دخلت المدينة في حكم الأحرار وذلك في شباط عام ١٩٠٩ .

(٣) توجه من رشد الى انزلي فاستقبله الشعب بحفاوة بالغة ودية وانضم باجمعه الى قوات الاحرار بناء على ارشادات وتحريضات يبريم خان ، فاحتل المدينة بعد مصادمات طفيفة .

(٤) ثم زحف سيل الأحرار نحو قزوين بقيادة يبريم ، وفي أثناء الزحف اصطدم الثوار بقوات الطاغية محمد علي شاه فكسروها ودخلت قواتهم يوزباش جاي ، وفي الطريق الى قزوين التقوا بخيالة شاهسوان الحكومية فتغلب يبرم عليها بقوته المكونة من الفدائيين ولقد جرح هو وحصانه في الموقعة ، ولما اقترب من قزوين أنذر واليها ورئيس بلديتها وقائد حاميتها بتسليم المدينة ، ولكنهم طلبوا منه مهلة ثلاثة ايام ، فهاجم الاحرار المدينة ليلا بقواتهم صارخين « ليحيي الدستور » فاحتلوا مركز الحكومة وأحرقوا الباب وأسروا الفا ومائتي نسمة كما غنموا كثيراً من الأسلحة والعتاد وقد دام النزال خمس عشرة ساعة .

وباحتلال قزوين من قبل يبرم خان أصبح اعلان الدستور في المملكة مؤكداً ، فكان هذا الاعلان مدعاة ابتهاج وغبطة للشعب فاقام المهرجانات ، وفي معالم الافراح هذه أعلن الشاه الدستور ، ولكنه من جهة اخرى سد طريق قزوين - طهران وذلك بارساله جيشاً يعاون الحامية الروسية الموجودة في طهران .

وعلى الرغم من وجود هاتين القوتين فان يبريم حمل عليها وشق طريقه الى العاصمة الايرانية مصادما القوتين ، ودامت المعركة ساعة ونصف ساعة ثم انجلت عن غلبة يبريم عليها وبذلك افتتح الطريق الى طهران امام الدستوريين الأحرار .

وحين ذاع خبر هذه الانتصارات بدأ الموالون للدستور - بعد ان كانوا مختفين خوفاً - يظهرون أنفسهم ويلتحقون باخوانهم الأحرار الذين كانوا يزحفون الى طهران بقيادة

يبرم خان ، والتحق به الفان من جنود البختيارية الخيالة الأحرار كما التحق بهم سردار اسعدخان سبهدار الذي انضم مع مائتين من جماعته ، وقررت هذه القوات الحاشدة دخول طهران الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

وهكذا دخل الغزاة العاصمة في ٢٩ حزيران من عام ١٩٠٩ ، فلجأ الشاه الى السفارة الروسية ومنها فر الى اوديسا بواسطة السفير الروسي ، فاحتل يبرم الدوائر الحكومية والمجلس ، وسلم لياخوفت القائد الروسي وكذلك مساعد محمد شاه سيفيهما الى قواد الأحرار ، وتسلم يبرم وظيفة مدير الأمن العام ومارسها بصورة ديكتاتورية وذلك لتأديب الرجعيين . وشكل الشرطة والجاندرمة ونظم حامياتها لحفظ الأمن ، فاستتب الهدوء والسلام في البلاد وانتشرت مبادىء الحرية بين طبقات الشعب ، ومضت الشهور والشعب سائر تحت ظل الدستور ، ولكن دسائس الرجعيين لم تنقطع وذلك بتحريض روسيا القيصرية .

ثم هدد الجيش الروسي عاصمة البلاد بعبوره رشد وانزلي وقزوين لسحق النظام الدستوري ، ولكن انذار انكلترا أوقفها عند حدها ، اما يبرم خان فقد مضى في اصلاحاته الداخلية غير معير تهديد روسيا اهتماما .

ولما عم الأمن والسكينة العاصمة أرسل يبرم قوات تأديبية الى الشاهسوانيين والى رحيم خان والى سائر العصابات الرجعية التي كانت تبدي مخالفات وتسعى الى أن تقوم بعصيان مسلح ضد الدستور ، وفي خلال ثلاثة أو أربعة أشهر انضوى جميع هؤلاء العصاة الى أنصار الدستور وأعلنوا الطاعة للحكومة الدستورية .

ورفعت الفتنة رأسها واختل النظام بعودة محمدعلي شاه ملتجئاً الى قوة التركمان الذين على ساحل بحر الخزر ، وتهيأ القواد الرجعيون بتشجيع روسيا القيصرية ، ونزل الى الساحة سالار الدولة عدو الله والدستور والممثل القاسي المستبد ، فتطلعت الأنظار الى يبرم خان فتسلم قيادة جيش الأحرار الدستوريين ليخنق الحركة الرجعية في ايران .

ونازل الجيش الدستوري أرشد الدولة صهر محمد علي شاه ففر جيش أرشد أمام الجيش الدستوري ، وأسر أرشد مجروحا ثم قتل رمياً بالرصاص بأمر يبرم .

وعند هذا الفوز فر محمد علي شاه الى روسيا مرة أخرى . وبعد قتل أرشد وهزيمة محمد علي شاه ، اصطدمت قوات يبرم بقوات سالار الدولة ، وفي أثناء المعركة استشهد يبرم خان قرب همدان فى ٢٥ ايلول ١٩١٢ .

وانتشر خبر مقتله في كافة أنحاء ايران فكان لنعيه رنة حزن وأسى فى قلوب جميع الايرانيين الأحرار .

## كيف وصف الاجانب يبرم خان؟

نقرأ فى جريدة فرانكفورتير جايتونك الالمانية العظيمة ما يلي :

« لقد قتل أعظم سند للحكومة الايرانية وأبرع شخصية فذة فيها بعد أن صد حملات سالار الدولة ونجح في رد الشاه المخلوع ومنعه من دخول العاصمة الايرانية .

... ومما هو حري بالذكر انه ( اي يبرم ) لم يكن ايرانيا بل ارمنياً مسيحيا ، وقد تمكن - كمدير عام للامن - بنبوغه الممتاز من ان يقر الأمن والسلام فى العاصمة وفى ارجاء المملكة ، كان يلبي النداء فوراً عندما يدعوه الواجب الى ساحات الوغى وكان قائداً مثقفاً بعيد النظر جهز جيشه بالاسلحة الحربية الجديدة ونهج النظام العسكري الحديث .

ولم يكن في يمين الحكومة الايرانية سيف اقطع من يبرم خان فى الصدق والمعرفة ، فموته خسارة اذ يعز وجود نظير له مضاء عزم يقاوم سالار الدولة ويصمد لغزواته المتوالية . وبضياع يبرم خان فقدت ايران آخر أمل بتنظيم أمورها ومقاومة روسيا ولو بصورة مؤقتة » .

وكتب جان هربرت سفير فرنسا في موسكو فى جريدة *Le Siecle* ما يلي :

« ... وكل من عرف يبرم وس كره فى تاريخ ايران الحديث يقدر الخسارة الجسيمة التى منيت بها البلاد بفقده ، فقد ضاع سلام ايران والشرق نظراً لما اتصف به يبرم من الشجاعة المثالية وما تمتع به من الصيت الحسن الذي زاده حماساً وبطولة ، لقد كان سيد كل موقف وكلما ادلهمت الخطوب كان لها .. وما كان يبرم ايرانيا ولا مسلما ولكنه كان

أرمنيا وكان مسيحيا !..

ولو لم تكن عنصريته هذه تلجئه الى الحذر والاحتياط ، ولو لم يوجد القواد والسياسيون من انكليز وروس لكان بيرم كرمويل زمانه وعبقري عصره .»

•

ويطول بنا البحث ان اردنا ان نذكر جميع الرجال الأرمن الذين خدموا مختلف الامم فلن تستطيع تركيا ان تنكر خدمات الارمن لها في جميع مساعيها : فالعلم والأدب والصناعة والتجارة والاقتصاد والصحافة وما الى ذلك من مقتضيات المدنية .. هذه كلها مدينة للعبقرية الارمنية .



الجنرال ديرغوكاسيان



لوربس ملكيان

وفي الحرب التركية الروسية عام ١٨٧٨ أثبت القواد الارمن في الجيش الروسي القيصري شدة بأسهم ، وانتقلوا من نصر الى نصر امثال لوربس ملكيان والجنرال ديرغوكاسيان ولازاروف وآرغونيان وكامساراكان وغيرهم .

وهذا وليم ساروين *William Saroyan* قد زين الادب الامريكي برواياته الشائقة وديكران قيوبجيان *Michel Arlen* وقد امتاز في الأدب الانكليزي .

-٧-

# شهادات الأجانب عن الأرمن

## ما كتبه فردريك مايدي المستشرق الافرنسي والمؤرخ العالمي .

يروي لنا التاريخ الارمني بان الارمن وإن كانوا فئة قليلة بالنسبة الى الفرس الذين أسسوا امبراطورية عظيمة بأعداد هائلة من النفوس . إلا ان هؤلاء الارمن رغماً عن قلتهم قد تمكنوا من الاستيلاء على بلاد اوراردبه ودام نضالهم مع الفرس البرتويين أحقابا ما بين غلبة والخذال ولكن الامة الارمنية لم تفقد وحدتها القومية مطلقاً .

ونظراً الى وضع ارمينيا الجغرافي فانها كانت تقف احيانا سداً حاجزاً بين الامم وكانت احيانا اخرى هدف النضال بين دولتين ، ولكنها ثبتت على الكفاح بوعورة جبالها وباتحادها القومي وكانت تضطر في بعض الآناء ان تميل الى جانب من الاعداء ، ثم تنصرف عنه الى الجانب الثاني محافظة على كيانها القومي كما كانت في بعض الاحوال تكافح الطرفين المتقاتلين .

لاريب ان هذا اللعب في السياسة يخالف مبدأ التوازن وانه ولاشك محفوف بالاخطار ، إلا انه خطأ سياسي اضطرت الدولة على ركوبه نظراً الى وضعها الجغرافي المحلي الذي بسببه ايضاً كان ان التحق بعض الأمراء احيانا تحت ظروف قاسية قاهرة بالاعداء وشاركوا العدو مساوئه . وأية أمة عصمت من الخطأ الفردي يا ترى مهما بلغت من الرفعة وعلو الشأن ؟ على ان الامة الارمنية فى هذه الحالات الشاذة اظهرت ايضاً آيات البطولة القومية والمبادىء السامية ، وقدمت على مذبح البشرية دماء شهدائها فى الدين والوطنية والمثل العليا .

ما أعظمها بطولة ، وما أروعها شجاعة نادرة استيلاء ديكران الثانى على بلاد الشرق

الاوسط تحت سمع وبصر الامبراطورية الرومانية العظيمة ! وما أعلاها شجاعة وتمسكا باهداب الدين القويم مقاومة الارمن لماكسيميانوس دايا القيصر البيزنطي فضلا عن معتقدهم !

قاوم الارمن القوة المزدية الساسانية الفارسية بقوتهم القليلة البالغة ستين الف مقاتل لثلاثمائة الف محارب فارسي ، واستهات الجيش الارمني واستشهدت اعداد كبيرة في ساحة قتال « اوارآير » (١) ، ولكنهم أرغموا الفرس على ان يعترفوا بمبادىء دينهم الارمني القويم ، وركع الغالب امام جثث المغلوبين ممجداً المبادىء السامية .

وسط هذه الشدائد والاحن ، وفي حلك هذه الدجنات القاتمة كانت تشع بطولة الارمن الشداد وقد خلد التاريخ لهم صفحات رائعة ناصعة في هذا المضمار ، إن في تاريخهم القديم ام في تاريخهم الحديث ، وبذلك حفظت الامة الارمنية كيانها وكانت في عداد الامم الخالدة » .

فردريك فايدي

---

١) موقع قرب اذربيجان الايرانية

# ما قاله المؤرخ الاثري الاديب جاك دى مورغان

## عن الأمة الارمنية

« يندر ان نجد بين أمم التاريخ أمة موحدة العنصر ، غير هذه الأمة التي لم تختلط مع غيرها من الأمم ولبثت محافظة على لغتها وعاداتها واساليبها ومظاهرها العنصرية ، ان هذا لنادر الوقوع !

يبتدىء تاريخ بعض الأمم قبل الميلاد بألوف السنين ، كما يبدأ تاريخ غيرها في القرن الثامن عشر أي في الأمس القريب ، اما اولئك الذين وجدوا من قبل سبعين قرنا فكيف لا يكونون مؤلفين من عناصر مختلفة ؟

اننا نعتقد ان الشعوب تكونت بعد عدة هجرات وتنقلات وغزوات ومصادمات ، فطمس عن التاريخ أمر منشئهم وتكوينهم ، واننا لنعرف القليل عن الحياة الاولى للامم الحاضرة ، وان هذه المعرفة غير كافية لتحليل الجماعات البشرية ومعرفة أصول الامم التي مثلها لدى الجميع مثل النهر المؤلف من السيول والسواقي الجارية المكتوم منبعها في جبل بعيد المنال .

وهل يمكن ان تكون الامة الفرنسية مركبة من عنصر واحد ؟ طبعاً لا !

فالبراهين الاثرية والاثباتات التاريخية تؤيد ان ارض فرنسا سكنتها أمم مختلفة خالطت غيرها ثم تخلت عن مكانها له ، ثم يروي لنا التاريخ ان الغاليين الذين كانوا من عناصر قديمة مثل الايريين والليغوريين واليونان ، ثم الرومان باقوامهم المتباينة كالفرنسيين والغوث والوزيغيين والوندال والالانيين ، ثم كافة برابرة اوروبا الوسطى ، هؤلاء كلهم جاسوا ارض فرنسا وخلفوا آثارهم في كل مكان ، ثم وطىء ارض فرنسا العرب والانكليز والاسبان والالمان وغيرهم من الشعوب ، أضف الى ذلك الاسرى الذين طال أمدهم في فرنسا اكثر من جيل واحد وكانوا من اجناس مختلفة يعاملون

كالانعام ويتصرف بهم اسيادهم كما يحلو لهم، وكان عدد هؤلاء الاسرى عند الدول المعظمة يفوق عدد السكان الاصليين وقد مازج دمهم دم السكان .

على ان هذا الاختلاط كان في فرنسا ضئيلا جداً إن قيست بالامم الشرقية التي عانت الغارات المتوالية ورزحت تحت نير الظلم والعسف الذى مارسه فيها الاسياد بصرامة فائقة دون رحمة او انصاف ! ومن بين هذه الامم أمتان لفتتا اليهما الانظار وحازتا الاهمية الكبرى لدى التاريخ، وصمدتا لخطوب الاجيال وتقلب الحدثان ، تانك هما الامة الارمنية والامة اليونانية .

اما منابع الهجرة الأرمنية فلا تعرف ، ولكن الراجح فى الظن ان الأرمن قدموا من قلب آسيا لخلوا سهول اوربا الشرقية وقد امتزجوا فى هجرتهم بأمم مختلفة ، ثم ظهر الأرمن في تراكيا منذ ابتداء تاريخهم اي قبل أساطير تاريخنا ، ثم اختلطوا بأمة ثانية هي بالأصل من عرقهم وعبروا البوسفور مع البروكيين كاقوام رحل ومكثوا فى قلب الاناضول برهة من الزمن ، ولم تكن الأراضي التي نزلوها ربوعا خالية ولا بوادي قفراء بل كانت تحتلها شعوب همجية أذاقت محتلي بلادها الأمرين .

وبعد عدة أجيال انفصلوا - أي الأرمن - عن البروكيين ورحلوا الى أرارات، وخلال مرورهم بنائري (١) تمركزوا في أنقاض مملكة اورارديه وكانت مؤلفة من عناصر عديدة مندمجة بالعناصر القوقازية التى كانت تقطن تلك البقاع ، فاندمج هذا المزيج العنصري بالعنصر الأرمني ، ومازجه غير ذلك الماديون والاثوريون والفرس واليونان واليهود والسوريون والكرج واللاز والعرب والمغول والترك واخيراً الروس .

ولما ابتلع العنصر الغالي - الروماني جميع العناصر الاخرى ومثلها فى عنصره كانت الأمة الأرمنية شوكة في حلقه فاحتفظت باخلاقها ومميزاتها وبلغتها ونزعتها وقابلياتها ويستدل من ذلك ان العنصر الغالي - الروماني والعنصر الأرمني متكافئان حائزان قوة فائقة في حيويتها بين الامم راجحان دهاء وذكاء ومقدرة .

ان المصريين القدماء اندمجوا في أول الامر باليونانيين واخيراً بالعرب ، واندمج

---

١) هي القسم الجنوبى من بحيرة وان

الفينيقيون بالسوريين والقرطاجنيين فابتلعهم الرومان اجمعين ، اما الماريون والاثوريون والحثيون والميلاميديون فلم يبق منهم غير ذكرهم ، كذلك انصهر الادروسيكيون في بودقة الرومان والفيسكوت وقد تكون منها الشعب الاسباني . والعنصر الجرماني لم يبق عنصراً خالصاً لا في بورغونيا ولا في ايطاليا او افريقيا . فكانت جميع تلك الامم لا تحيا حياة عنصرية كاملة والسبب في ذلك ان قوتها كانت ترتكز على بربريتها لا على عقولها ودهائها الفائق .

وبعد الفي عام لم يبق من الامم قائمة على رجليها الا الأمة الأرمنية تفتخر بقوة عنصرها وقوميتها ، وتباهي بجهود شهدائها في سبيل حفظ حريتها ، وتأمل ان تتبوأ مركزها اللائق بين أمم العالم الحية المستقلة .

وستنال هذه الامة النجيبة المركز الحرية به بواسطة قانون العدل القويم ، لا بالقانون الدولي بل بسنة التفوق بالعدل والاتحاد والذكاء ، فان أمة ثبتت على عواصف الدهر خمسة وعشرين قرناً لهي أمة لا تبيد » .

جاك دي مورغان

# شهادات العرب عن الأرمن

## بيان صاحب المعالي الدكتور رئيف أبو اللمع في القاهرة
## ( وزير معارف الجمهورية اللبنانية )

«ان الفرد الأرمني غيور ومجد ونشيط ، مشوق للعلم ومحافظ على تقاليده القومية ، أتقن اللغة العربية بصورة عجيبة وأبرز فيها كفاءة فكان من الصعب على الانسان ان يفرقه عن الفرد العربي الأصيل من حيث تلفظه وطلاقته ، واني لاستمع بالاعجاب الى الأجوبة التي يلقيها ابناء الأرمن الحذقين المتيقظين الذين يتقصون واجباتهم اللغوية بكل نشاط .

ونحن ما عدا اننا ممتنون ، فكذلك نحن مسرورون ايضاً من هذا العنصر الحي الذي وهب قواه بكل اخلاص دون ما قيد ولا شرط لترقية ورفاه مملكتنا الديمقراطية . ان السعي هو غاية الفرد الأرمني وزينته في الحياة ، أعطه عملا فهو يستثمر ذلك العمل وينتجه بصورة جد محكمة فيسبب له ولمحيطه نفعاً وفائدة ، وبنشاطه ومهارته يكسب ذلك العمل اهمية عظيمة فتنمو كميته ونوعه ، ولذا كانت هذه الامة نعمة عظيمة لأية مملكة استوطنتها .



الدكتور رئيف أبو اللمع

والامة الأرمنية ما عدا انها غيورة متعقبة لغاياتها بعناد ، فانها غير يائسة ايضاً عند الشدائد الجة التي تصادفها وبالعكس فانها متفائلة ، لأن السعي والنجاح يشكلان وحدة متوازية في قرار نفسها ، ولذا فان هذه النفس تكره بشدة ، الطلب والمسألة ، وان العنصر الأرمني ليشمئز

من الاستجداء ويحتقره ، وانه لشديد قاس عليه ، ولا شك انها خصلة ممدوحة فذة وفضيلة عجيبة في امة نزلت بها كوارث ومصائب عديدة .

لا أستطيع ان أتصور أن أجد امة مظلومة ومذبوحة بصورة بربرية بعيدة عن الرحمة البشرية كالامة الأرمنية، فان المذابح والدمار اللذين وقعا على الأرمن عام ١٩١٥ كانا شنيعين ، فتيقننا بان هذا الخراب المخيف غير قابل للعمار .

وأحاط حبل المشنقة عنق هذه الامة ولكنها أفلتت منه بمهارة وقوة، فأمة كهذه الامة تستحق أن تعيش في وطن حر مستقل ، بلى انها اضطهدت وضحت ولكنها لن تموت لانها لا تريد الحياة والعيش فقط بل ان لها اعتقاداً راسخاً وايماناً متيناً برسالتها، والامة التي تملك الايمان لن تموت » (١).

الدكتور رئيف أبو اللمع
وزير معارف الجمهورية اللبنانية

---

١) نشرت هذه الشهادة في جريدة «هوسابير» بعددها ٢٣٦ الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩٥١ في القاهرة .

# بيان صاحب المعالي السيد محمد فاضل الجمالي

## رئيس مجلس النواب العراقي



« ان العراق ليفتخر بالجالية الارمنية ، فهم مواطنون مخلصون في بلدنا ، ويحبهم الى السعي والعمل ، فانهم نافعون جداً لترقية العراق ، ويمكن لهذه الامة ان تعدني من اصدقائها ، فأنا مستعد لمعاونة قضيتها حينما تحتاج الى ذلك » .

نيويورك \ ٥ شباط ١٩٥١

★

# بيان صاحب المعالي محسن البرازي

رئيس مجلس الوزراء السوري الاسبق

« عرفنا الأرمن بحق ، وقد عشنا نحن ايضاً في ايام حالكة مثلهم ، فكما اننا أعناهم في ضيقهم فقد أعانونا في ايام ضيقنا ، ونحن مطمئنون الى وطنية الأرمن الخالصة » .

دمشق | ٥ تموز ١٩٤٩

---

# بيان صاحب الفخامة حسني الزعيم

رئيس جمهورية سوريا الأسبق

« اللاجئون الأرمن في سوريا قدروا أمتنا وحكومتنا وأظهروا وطنيتهم الحقيقية بصورة عملية ، وذلك باطاعتهم القلبية وبخدماتهم الاقتصادية ، فـأ تمنى من اعماق قلبي الرفاه والسعادة والسلام لهذه الامة . فالارمن اخواننا واولادنا ، وسعادتهم سعادتنا ، وادبارهم ادبارنا » .

دمشق | ٤ تموز ١٩٤٩

# بيان صاحب المعالي محمد صلاح الدين باشا

## وزير خارجية مصر — في نيويورك



« لقد أحببنا الأرمن في كل وقت وحين ، ونحن نحسبهم جزءاً لا ينفصم عن مصر ، ونحن لا نحب أرمن مصر فقط بل اننا نحب الامة الارمنية باجمعها . وقضية الارمن قضية عادلة والقضايا العادلة يجب ان لا تبقى بدون حماية ، والغاية من تأسيس منظمة الامم هي حماية تلك القضايا ، أما من جهتي أنا فلا يشك الارمن في حمايتي قضيتهم » .

# شهادة الايرانيين عن الارمن

« ان يرم خان ابن ارمينيا ذلك البطل الذى كان مجاهداً ومدربا قديراً ، أدى خدمات مفيدة جلى في حركات الاحرار الايرانية .

وعدا الخدم الجليلة التي قدمها يرم ، فنحن لا ننسى خدمات موسيس خان وكبرى خان واضرابهما من ابناء الارمن .

ان اعمال التحرير التى قام بها حزب الداشناكسيون في الحركات سيذكرها التاريخ الايراني بالثناء العاطر .

فى ذلك الحين عندما كانت الامة الارمنية عرضة للخطوب القاسية وهى بأمس الحاجة الى لم شتات قواها الضعيفة لترد بها الظالم ، نرى حزب الداشناكسيون الذى يتحلى بالاخلاص والرغبة الملحة في تحرير الامم من نير الاستعباد يأبى ان يبقى على الحياد لا يمد الى اخوانه الايرانيين في نضالهم يداً ، وبدافع هذا المبدأ النبيل نزل هذا الحزب دون تردد الى الميدان مجاهداً معنا لنيل الدستور .

فمن الواجب علينا ان نسجل للامة الارمنية بالشكر والثناء دورها الخطير الهام في مكان بارز من صفحات التاريخ الايرانى ، وان نكتب بمداد الفخر والتبجيل اسماء الزعماء والمحاربين الارمن الشداد ، واننا لنذكر دوما أبداً اسماء رستم ونيكول دومان وكبري واصحابهم فى تاريخ جهاد ايران الدستوري .

وذلك الشهيد فى ساحة معركة الشرف المكللة هامته بآيات المجد والفخر « غاريبالدي ايران » يرم خان، ومعتلي اعواد المشنقة غير آبه الموت بدروس خان وغيرهما من شهداء الارمن الاحرار سيبقى ذكرهم خالداً فى قلوب اخوانهم الايرانيين ما كر الجديدان » .

مجلة منظمة ازدكان
التى نشرت بمناسبة سنتها الدورية
٤٤ الدستور الايراني

## الفصل الاول

# الحدود واحوال ارمينيا القديمة

### موقع أرمينيا :

يحد أرمينيا من الشمال جورجيا وأذربيجان القوقازية ، ومن الشرق الحدود الايرانية التركية الحالية ، ومن الجنوب الحدود العراقية التركية ، أما حدودها الغربية فتمتد الى كابادوسية (١) .

وسطحها مكون من جبال يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٥٠٠ و ٢٢٥٠م



( جبل ارارات : ارتفاعه ٥١٦٠ م )

فسلسلة جبال طوروس واتى طوروس والجبال الموازية لها تشكل الرقعة الجبلية الأرمنية وأعلى جبالها جبل « ارارات (٢) » الذي يبلغ ارتفاعه ٥١٦٠م ، وفي رواية ان سفينة

---

١) ولاية انقرة وقيصرية الحاليتان.

٢) وصف جاك مورغان *Jacque Morgan* جبل ارارات بما يلي :

« هذا الجبل العظيم اعتبره القدماء منبثقاً من قوة خارقة الطبيعة ومسكناً للارواح التي كانت تسمى بالاصل *Dragonageue* ، وعلى قمة ارارات المكللة هامتها بالثلوج ذكريات لتقاليد الازمان السحيقة في القدم ، فقد قيل ان الالهة ارسخت جبال ارارات لتزري ببرج بابل الذي صنعته يد البشر ليطاولوا به السماء .

ان تشامخ هذا الجبل البركاني يبعث الروعة في النفوس والسحر في القلوب فكأنه قصيدة الطبيعة تتلوها على اسماع البشرية فتؤخذ بها وتخشع لها .

وها هو ذا بين الجبال كالمنار يعلن البشرية ان الالهة الزرادشتية ترفع من فوق قمته الكرة الذهبية لتنير بها انحاء العالم القديم » .

نوح استقرت على قنته ، وقد حصل الاثريون الامريكان على امتياز من الحكومة التركية بالبحث عن هذا الأثر ، وينبع الرافدان - دجلة والفرات - من جبال أرمينيا كما تصدر عنها خمسة أنهر أخرى .

اما الاراضي الزراعية فتتألف من الأراضى المسطحة التى بين سلاسل الجبال وهى أراض خصبة مغلة ، يسهل ريها لأن ميلانها الطبيعي مساعد على ذلك .

وهى غنية بالمعادن وثروتها الطبيعية غزيرة ولكنها لا تزال حتى الآن مطمورة لعجز محتليها عن استثمارها .

أقاليمها مختلفة المناخ ولكنها كلها صحية ، شتاؤها بارد يغمرها بالثلوج معظم الفصل وصيفها معتدل الا في بعض المواقع والسهول فهو حار .

فيها بحيرتان عظيمتان هما بحيرة وان وبحيرة سيفان وكلاهما تصلحان لسير السفن فيها ويبلغ ارتفاع بحيرة سيفان عن سطح البحر الفى متر ، ولقد استغلت السلطة الحاكمة الحالية هذا الارتفاع فكونت شلالات عظيمة لغايتين اولها : تُوليد القوة الكهربائية لتشغيل الآلات الصناعية وغيرها وثانيتها : سقي الاراضى القاحلة .

وأرمينيا ذات مناظر طبيعية فتانة تخلب الالباب من جبال سامقة ذاهبة في أجواز الفضاء وقنن شامخة مكللة بالثلوج الناصعة البياض ومراعي خضراء ووديان ساحقة الاغوار ومناخ معتدل لطيف حتى في أشد ايام القيظ .

وبهذه التشكيلات الطبيعية كانت أرمينيا تعتبر القلعة الداخلية للشرق الاوسط فى الازمنة الغابرة ، وكانت هذه التشكيلات تارة خيراً وبركة على الارمن وطوراً شراً ووبالا عليهم ، اما الخير فان شواهقها وشعابها وطرقها الصعبة السلوك كانت الحصن الحصين لدفاعها القومي ضد الغزاة والمغيرين كما كان لها الفضل الاكبر في تربية خصال قومها وتمرسهم فى مقاومة عوامل الطبيعة وتمرنهم على الرياضة واحتمال المصاعب التى يرونها طبيعية بسبب قسوة طبيعة بلادهم ، فانطبعت نفوسهم على أصول الدفاع عن العزة القومية والنفسية وعلى محبة الحرية . اما الشر فصعوبة المواصلة وتعذر التعبئة السريعة ، ولذلك فحين طروء الخطر المفاجيء يبقى الامير او العامل محصوراً فى منطقته بغير أيد

ويسهل على العدو سحقه عاجلا لتعذر وصول المدد المنتظر بسرعة .

فأرمينيا كانت نظراً الى وضعها الجغرافي هذا ملتقى طرق الامم الغازية او القبائل الضارية ، وهذه الغزوات المتكررة سببت لها انتكاسات أضرت بمصالحها .

•

## منشأ الارمن في القرون الغابرة

الارمن قوم هندو اوروبي آري كالفرس والانكلوساكسون والجرمن والسلاف وغيرهم . وآرية العنصر الارمني معترف بها من قبل علماء النسل أمثال هاينريخ هوبشمان وغيره ، وحينما تولى النازيون الحكم في المانيا اراد هتلر ان يحسب الارمن في عداد الامم السامية الارامية بيد ان علماء علم الانسال الالمان مثل روورباخ *Rhorbach* وماكس *Max* وكلند *Klynde* وكارل روث *Carle Roth* وغيرهم اثبتوا بالادلة التاريخية والاتنوغرافية ( المنسوبة الى علم الانسال ) آرية الامة الارمنية .

والأمم الهندواوروبية نزحت بشكل موجتين كبيرتين وانتشرت في آسيا الوسطى حتى أقصى الغرب ، وانقسمت الموجة الاولى الى فرقتين دخلت احداها الهند وايران ، ومن هذه الموجة تكونت الامم الهندية والايرانية والمارية . اما الموجة الثانية فبعد ان اجتازت بحيرة اورال وبحر الخزر دخلت اوروبا ، وبعد ان قطنت اجيال عديدة منهم في شمال ساحل البحر الاسود تفرقوا شيعاً وجماعات تشكلت منها العناصر الهندواوروبية في اوروبا ومن هذه العناصر اتجه القسم الارمني الى اوروبا جنوبا فعبر نهر الطونة وقطن في تراكية ، ومن هناك قطعوا مضيق الدردنيل الى آسيا الصغرى حيث التقوا مع قوم البروكيين .

ووصل الارمن الى ارمينيا بعد مصادماتهم مع الحيثيين والاورارديين بعد رحلتهم بالوف السنين وذلك في القرن السابع قبل التاريخ الميلادي ، وهناك لقوا قوماً غيرهم فاندمجوا بهم كما اندمجت الاقوام الهندية الآرية بالشعوب التي احتلت بلادها .

# الامم التي سبقت الارمن في بلاد ارمينيا

## (١) السوباريون

ان ارمينيا بلاد عريقة في القدم ، ولقد استوطنتها اقوام وشعوب عديدة قبل الشعب الارمني الآري ، وأحد هذه الشعوب وأقدمها السوباريون الذين كانوا قبل سكناهم ارمينيا يقطنون في كليكيا وسوريا والعراق ومارستان وجنوب قفقاسية ، ولكنهم نزلوا ارض ارمينيا قبل الجيل الحادي والعشرين للميلاد .

وتثبت الوثائق والآثار المحفوظة لدى علماء الآثار ان السوباريين كانوا قوماً ذا حضارة راقية وصناعة وفن معماري ، وقد وجدت بين الآثار اسلحة وأواني تدل على دقة وجمال صناعتهم ، وقد استعملوا النحاس والحديد ، وشيدوا الابنية المزخرفة ، ومارسوا الكتابة بالحروف المسمارية ، وكانوا ذوي فطنة وذكاء ، وهم من أصل هندو اوروبي ايضاً .

وقد دالت دولة السوباريين في ارمينيا قبل عام ٢٠٠٠ للميلاد بصولة شعب غاز آخر .

## (٢) الخاريعيدانيون

قبل الميلاد بألفي عام، هجمت جماعة بشرية على ارمينيا فخضدت شوكة السوباريين واستولت على بلادهم ، تلك هي جماعة الخاريعيدانيين ، وقد كانوا قبل استيطانهم ارمينيا يسكنون شمال البحر الاسود ، ثم هجروا المكان وانقسموا في جبال القوقاز فريقين ، ففريق واصل سيره فحل في كابادوسية وبلاد الحيثيين، والفريق الثاني يمم شطر ارمينيا فسكنها ومنه تشكلت دولة الخاريعيدانيين .

وامتزج دم هؤلاء الغزاة بدم السوباريين وكانت من الشعبين الموحدين دولة معظمة عاشت عدة قرون ، وورث أبناؤها ذكاء السوباريين ونشاطهم ، فأبدوا مهارة وبراعة في التجارة والصناعات المختلفة وعقدوا المعاهدات التجارية مع فراعنة مصر .

## (٣) البروك ـ موزك

وقبل الميلاد بألف ومائتي عام ، خرج شعب آخر من تراكيا ، وفي مضيق الدردنيل انشعب فئتين ، دخلت فئة منها الاناضول فقرضت دولة الحيثيين وأسست في كابادوسية دولة البروكيين ، واحتلت الفئة الثانية وهم الموزكيون بلاد الخارعيدانيين ، فقوضوا دعائم دولتهم وأنشأوا الدولة الجديدة ، وقد التجأ الى بلادهم معظم الحيثيين الفارين من وجوه غزاتهم .

## (٤) الاوراردين

لما انقرضت دولة الخارعيدانيين عام ١٢٠٠ ق.م ، عقبها - كما رأينا - الحيثيون المغلوبون في شمال ارمينيا، والموزكيون في جنوبها، ووقعت قلاقل واضطرابات وغزوات مستمرة ، واختلط الشعبان وخالطت دماءهم دماء اخرى على مرور الزمن فتكون من هذا المزيج قوم جدد دعوا « بالاوراردين » .

### المملكة الاوراردية :

كانت بلاد ارمينيا قبيل حكم الاوراردين منقسمة الى قسمين، أحدهما « اوراردو » ( وهي اراضي ارارات وارضروم ) وكانت تسمى ايضاً ملديس، وثانيها « نائري » (وهي الواقعة جنوب مدينة وان وبحيرتها ) وبدعى شمالها بيانا .

وقد وحد الفاتحون هذين القسمين فتكونت منها المملكة الاوراردية .

### الملوك الاوراردبون :

حكم الاوراردبون من القرن التاسع الى القرن السابع ق.م وقام فيهم ملوك كثيرون كان أشهرهم « آرامه » و « اركسيدبس » و « روساس الاول » .

### آرامه ( ٨٦٠ - ٨٤٣ ق.م )

وحد آرامه جميع أمراء الاوراردين المتفرقين المتنابذين تحت سلطانه ، وهو لذلك يعتبر بحق المؤسس لهذه الدولة .

كانت آشور على عهد حكمه أعظم وأشد دولة في العالم بأساً ، كما اشتهرت باستبدادها وقسوتها، ولقد امتدت فتوحها الى البلاد المجاورة لها وكانت رغبتها شديدة في فتح البلاد الاوراردية ولذلك كانت حركات الآشوريين العدوانيـة مستمرة يرمون بها الى خراب بلادهم وافناء شعبهم وفرض الجزية عليهم . وكان آرامه الملتهب حماساً لوطنه يناوىء الآشوريين ويقاتلهم ويقي البلاد شرورهم، حتى كان ان جهز شلمناصر الثاني الملك الآشوري المعاصر له جيشاً كثيفاً أغار به على اوراردية، فاكتسح جيوشها وأمعن في تدمير بلادها وقتل سكانها وسبيهم ونهبهم ، ثم نصب في البلاد مسلة كتب عليها ما يلي :

« لقد أرعبت آرامه الاورارادي قوة سلاحي ، فترك عاصمته ( آرزاسكون ) وفر لائذاً بقمة جبل آددوري ، فاقتفيت أثره وحاربته حتى غلبته ، فأسرته مع ٣٤٠٠ جندي كانوا معه ، وأشغلت مركز قيادته . غنمت اموالا طائلة ، وبقوتي الجبارة دست وسحقت كالثور الوحشي بلاده ، فخربتها ودمرتها واحرقتها، وعلى ابوابها نصبت المشانق فعلقت الكثيرين وهم أحياء على أعوادها ، وأجلست غيرهم على الاوتاد ... »

لقد فقد آرامه كل شيء إذن ، ولكنه لم يخسر الشرف ، فقد دافع عن وطنه وحمى استقلاله ، ولكن الكثرة أعيت القلة ، فراح آرامه شهيداً شهما وسجل تاريخ أمته اسمه بين الابطال الصناديد .

## آركسيدبس الاول ( ٧٨٠ ـ ٧٥٥ ق . م )

خلف آركسيدبس نينواس الاول ، وكان آركسيديس من أعظم وأقوى ملوك الاورارديين ، وعندما تبوأ عرش المملكة ظهر عصيان عم انحاء البلاد ، ودام هذا العصيان اربعة عشر عاماً، ولكن اركسيدبس ظل يعمل على ملاشاته حتى أخضع العصاة وظفر بهم جميعا . ثم استمال اليه كل الأمراء الذين شقوا عصا الطاعة وكون اعظم جيش اورارادي، وبعد تنظيمه حمل به على آشور عام ٧٦١ق م فانتصر على ملكهم « شلمناصر » وأسر من الاشوريين ٢٩٥٠٠ اسير وغنم غنائم حربية هائلة نقلها الى وان التي غدت في عهده مركزاً هاما للتجارة .

فتح اركسيدبس البلاد المجاورة وغلب أمماً كثيرة ، وسجلت جميع فتوحه على الصخور التي في ضواحي وان .

روساس الاول ( ٧٣٠-٧١٤ ق م )

ملك روساس الأول خلفاً لساردور الثاني الذي كان قد قهره الاشوريون فدب الضعف وسرى الوهن في جسم البلاد الاوراردية ورفعت الفوضى رأسها وشكل العصاة على العرش امارات عديدة ، فلما جاء روساس أدب المارقين وأخضعهم وحصن قلمة وان ليقابل بها الاشوريين .

كان الملك الاشوري المعاصر لروساس هو سرجون أشهر قواد عصره ، وكان هذا يطمح الى ضم جميع الممالك المجاورة الى عرشه ، فلما أحس روساس بنياته فاوض الأمم المجاورة له في عقد اتفاق للدفاع المشترك ، وحين علم سرجون بتدابيره أسرع الى محق تلك الامم الواحدة بعد الاخرى قبل ان تجمع شملها وتضم قواتها للدفاع العام . وحمل بادىء ذي بدء على الحيثيين عام ٧١٧ ق م فغلبهم واحتل عاصمتهم كركيش ( جرابلس ) وقرض دولتهم . وكانت حملته الثانية على الموزكيين فثل عرشهم .

ثم وجه قواته اخيراً على الاوراردبين فقهر روساس الأول واضطره على الفرار وقد وصف سرجون نفسه هذه الواقعة في سجلاته بما يلي :

« نشبت الحرب على جبل اواس *Awasse* الباذخ في الارتفاع حتى لتناطح قمته السحاب وتطاول هامته الغيوم ، وفوق هذا الجبل الذي لم يطأه أنس ولا جن ولم تبلغه حتى طيور السماء انقضضت على رأس روساس كالبازي فغلبته وهزمته امامي . كسرت قواته ، وبجثث جنوده سددت المضائق وممار الجبال ، اما روساس فقد نجا بنفسه اذ ركب حصانه وهام على وجهه بين الجبال » .

وبعد هزيمة روساس وانخذال جيشه دخل سرجون مدينة موساسير التي كان فيها صنم الآله « خلدي (١) » فسبي هذا الآله ونقله الى اشور ونهب معبده وحمل غنائم وأسرى كثيرين الى بلاده ، فكانت هذه المعاملة أعظم اذلال للاوراردبين وكانت وصمة عار

---

١) كان الاوراردبون يلقبون « بالخلديين » ايضا نسبة الى معبودهم الالهي « خلدي »

عليهم .

ولما بلغت روساس المهزوم أنباء النهب والتخريب وسبي الآله الى اشور اشتد حزنه وتأثره فانتحر بخنجره أسى والتياعا ، ومن بعد موته سارت المملكة الاوراردية بخطى واسعة الى الفناء .

الحروب المتوالية مع اشور ، والهجمات المتوالية التى كانت تشنها من الشمال القبائل الهندو اوروبية ( مثل الاسكوتيين والجريين والساجيين ) أوهنت الامة الاوراردية وفتت في عضدها وأعدمتها كل قوة دفاعية ضد العدوان الخارجي .

وبعد ان عاثت الويلات من تلك القبائل الوحشية المذكورة ، اجتاحت بلادها الامة الارمنية الهندو اوروبية فقضت على سيادتها قضاء مبرما واحتلت جميع الانحاء فدثرت الأمة الاوراردية وكان ذلك فى القرن السابع للميلاد .

حضارة الاوراردين : بلغ الاورارديون فى الحضارة شأواً بعيداً، فقد استعملوا النحاس الذي كان مبذولا فى بلادهم لعمل الاواني المختلفة الاشكال ، وصنعوا من الحديد الاسلحة والآلات الزراعية، ولقد برزوا فى الصياغة وبلغوا بها أوج الظرافة وتوارثها الارمن فنبغوا فيها وبزوا كل قرين ، وهى الصياغة المعروفة « بصياغة وان » الى يومنا هذا . وقد ارتقى الفن المعماري لديهم وهذه آثار قصورهم المشيدة بالاحجار الملونة، القائمة فى البلاد الارمنية حتى اليوم خير شاهد . وقد عمموا الري وانشأوا الخزانات ومن آثارهم صهاريج مياه ( وان ) الباقية الى الآن . والاواني الفخارية الاوراردية هى زينة المتاحف الاجنبية ، ومن آثارهم ايضا اللوحات الطينية التي استعملت للسجلات .

وكانت التجارة والزراعة مزدهرتين للغاية ، وكانت للارمن علاقات تجارية مع أقصى البلاد ، وكانوا ينحدرون الى بابل بالقفف والارماث (١) التى تجرى على الرافدين.

اما كتابتهم فكانت المسمارية وقد اقتبسوها من الاشوريين .

---

(١) الاكلاك

## دخول الارمن الهندو اوروبيين الى اوراردبا

ذكرنا فيما مضى ان الأرمن قوم هندو اوروبي هاجر مع غيره من هذه الأقوام من قلب آسيا وسكنوا أجيالا طويلة في أوربا شمال البحر الاسود وفي حوض نهر الطونه وتراكيا ، وفي القرن الثاني عشر للميلاد دخلوا مع البروكيين آسيا الصغرى اي الاناضول وعاشوا مع العنصر الموزكي احقابا من الدهر في تراكيا .

وفي القرن السابع قبل الميلاد نفذ الارمن الى غربي اوراردبه واحتلوه فقاوم الاوراردبون غزوهم ولكنهم أخفقوا وغلبوا على أمرهم ودخلوا في حكم الغزاة الجدد ( اي الارمن ) فاستقر هؤلاء في اوراردية واتخذوها وطناً دائمياً ، واقتضى هذا الاحتلال قرنين كاملين ( السابع الى الخامس للميلاد ) تخللها انتقاض ورضوخ وحرب وسلم حتى اندمج القومان وعاشا شعباً واحداً .

فالشعب الارمني الحالي مزيج من العنصر الارمني والعنصر الاوراردي المنضم فيه عنصر الخاريميدانيين والموزكيين ، وان اللغة الاوراردية والدم وشكل الجمجمة والهيئة البدنية والعادات والاساليب الاوراردية لبارزة حتى اليوم في الارمن الحاليين .

*

الفصل الثانى

# ارمينيا فى حكم الأجانب

## الارمن فى حكم الماريين

### تدمير نينوى

احتل الأرمن اوراردية فى القرن السابع للميلاد كما رأينا ، وكافحوا سكانها الأصليين حتى أدخلوهم فى طاعتهم ، ومازجوهم حتى غدوا شعباً واحداً . هذا من الناحية التاريخية، ولقد أغفلنا ذكر الأساطير التاريخية التي تدور حول هذا الموضوع .

وعلى ذلك الزمان ضعفت سطوة الآشوريين فاتفقت الشعوب المجاورة لبلادهم من ماريين وبابليين وفرس جميعاً وقرروا تدمير آشور التي آذتهم قروناً عديدة وسببت لهم التأخر فى جميع ميادين الحياة ، وقد تزعم هذا الاتفاق الملك الجريء الشجاع كياكسار الأول ملك الماريين الذين كانوا قد احتلوا اوراردية اخيراً ، وتهيأ الماريون وحلفاؤهم لمحق آشور واخراب عاصمتهم نينوى .

وفى عام ٦٠٦ ق م أغارت الجيوش المتحالفة على بلاد آشور ودكت نينوى وغادرتها ركاماً ، فما كان من آخر ملوكها - وقد عز عليه ان يستسلم للاعداء - إلا ان ألقى بنفسه الى احضان النار التي التهمت قصره منتحراً .

واحتل الماريون مكان الآشوريين، فدانت لهم الامبراطورية الآشورية ومستعمراتها وكانت ارمينيا من ضمنها . وكان الملك الأرمنى آنئذ يروانت الأول يدفع الجزية للماريين وعندما عاون جنده على قرض آشور وثبت للماريين شجاعة الأرمن ، حفظوا لهم هذا الجميل وأمدوهم بجميع المساعدات للاعمار الداخلي .

# بروانت ملك الأرمن

كان يروانت ملكا على الأرمن في القرن السادس للميلاد ، وفي أيامه قويت شوكتهم ، وكان الماريون صائرين الى الاضمحلال .

وقد كان يروانت يحب الحرية ويأبى الرضوخ ، فتمرد على الماريين ، واذ أراد كياكسار الثاني ملكهم التنكيل به ، فقد حرض عليه كورش الفارسي فسار هذا على رأس قوة كبيرة وحاصر يروانت فتغلب عليه وأسره ، ولما كان كورش صديقاً حميما لديكران بن يروانت مرافقه في الصيد فقد شفع الابن في أبيه فأخلى سبيله وعقدت بين الطرفين معاهدة تحالف تنص على تعاون البلدين اقتصاديا وحربياً .

إلا ان يروانت أعلن العصيان ثانية على كياكسار وأنشأ القلاع ورفض معاونة الجيش الماري واتفق ضده مع البابليين والمصريين واللوديين والاسبارطيين .

واذ أراد كياكسار وقاية دولته الفناء فقد دعا ابن اخته الأمير كورش الى يكباداني (١) وجعله ولياً للعهد وعينه قائداً عاما على جيشه ، ولأجل ذلك دخل كورش ارمينيا بجيش جرار وعقد معاهدة ودية مع يروانت أمن بها معاونة الارمن للجيش الماري .

# الأرمن في حكم الفرس

بعد وفاة كياكسار الثاني أعلن قائده كورش الذى هو ابن اخت كياكسار ملكيته على الفرس وعلى الماريين وجميع البلاد التي كانت تحت سيطرتهم ، فانتقلت جميع هاتيك البلاد وبضمنها ارمينيا الى حكم فارس .

وكان كورش ملكا ذكياً وسياسياً محنكا ، وقد استولى على بلاد كثيرة .

ولقد عامل كورش الأرمن معاملة ودية سلمية للغاية وقدر لهم خدمات جنودهم البواسل وقوادهم الصناديد فى حروبه السابقة ، ففي واقعة ساردبكه *Sardice* فى لوديا

---

١) هي همدان الحالية

نجد الجيش الأرمني البالغ عـدده ٤٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ راجل بقيادة ولي العـهـد ديكران بن يروانت يحقق الظفر لكورش ، ويأسر القائد الأرمني عباس ملك لوديا غرهسوس .

وبعد وفاة يروانت جلس ديكران على عرشه ، فأدار أمور مملكته بحزم ، وظـل محالفاً لكورش .

ثم سار الجيش الماري الأرمـني الى بابـل عام ٥٣٧ ق . م ، ولكن الجيش البابلي دحره وأسر ملكة الأرمن نابوناهيد ، وبذلك ضاع استقلال الأرمن وغدت بلادهم ولاية صغيرة .

# تمرد الارمن على الفرس

عندما تبوأ كومبوس Compus عرش الفرس ظهرت ثورات عديـدة في بلاد الفرس وارمينيا معاً ، وكان الأرمن يبغون ان ينالوا استقلالهم ناجزاً فجاهروا بالعصيان عام ٥١٩ ق . م ، وكان ملك الأرمن آنذاك واهاكن بن ديكران الذى صار بطل الاستقلال والحرية ، وصارت شجاعته وبطولته مضرب الأمثال وقدوة الأجيال .

وبعد وفاة كومبوس تخلف دارا وشداسبيان ، وقد اراد قمع العصيان الارمني ، فأرسل اليهم القائد الارمني تاتارسيس إلا انهم غلبوه وهزموه ، فأرسل دارا قائده الثاني فاوميسا فحارب الارمن مرتين في عام ٥١٩ ق . م وتغلب عليهم اخيراً ولكن بمشقة نظراً الى المقاومة الجيدة التي أبدوها ، وعاش الارمن فى ظل الفرس فى رغد ورفاهية .

واستولى دارا على أمم صغيرة اخرى وضمها الى لوائه .

اما نصره على الارمن فسجل على صخرة البيهسدون كما يلي :

« أرسلت عبدي تاتاريس الارمني لتأديب الارمن ، وامرته ان يضرب ذلك الشعب المتمرد الذى عصاني ، فذهب تاتاريس اليهم فالتموا وهجموا عليه ، وقعت الحرب في مدينة زوزا في ارمينيا .

« أسعدني الآله اهورامزد بلطفه فقتل عدداً كبيراً من جيش الاعداء .

« وقعت هذه الحرب في شهر طورا واهارا ( أي نيسان ) » .

ثم يقول دارا :

« تحشد العصاة مرة ثانية وهجموا على تاتاريس ، وهنـاك في قلعة بارمينيا تدعى ديكرا وقعت الحرب ، وأعانني اهورامزد فضرب جيش العدو ضربة قاصمة . وقع هذا في الثامن عشر من طورا واهارا ( نيسان ) » .

ثم يقول ايضاً :

« اجتمع الارمن ثالثة في قلعة بارمينيا تدعى اوهيياما ، وفي هذه القلعة وقعت الحرب . عضدني اهورامزد بلطفه فأفنى جماً غفيراً من جيش العدو ، وقعت هذه الحرب في التاسع من شهر طانيرا ارتاليس ( ايار ) » .

ثم يقول :

« ثم أرسلت عبدي المدعو فاوميسا وأمرته ان يذهب ويضـرب ذلك الجيش المتمرد الذي لم يذعن لي . فسار فاوميسا الى ارمينيا لاخضاع العصاة ، لكنهم احتشدوا وهاجموا فاوميسا قرب مدينة ايزيدو في اشور . وقعت الحرب في تلك المدينة . أعانني اهورامزد بلطفه فأنزل بجيش العدو ضربة مميتة . جرت هذه الحرب في شهر اناما كـا ( كانون الاول ) » .

ويقول اخيراً :

« اجتمع العصاة مرة اخرى وهجموا على فاوميسا في ولاية بارمينيا ، وفي تـلك الولاية استمرت الحرب . أمدني اهورامزد بلطفه وعونه فأتلف عدداً كبيراً من جيش الاعداء . وقعت هذه الحرب في شهر طورا واهارا ( نيسان ) » .

وقد تبين ان دارا كان يسجل انتصاراته ويخفي هزائمه ، وهكذا سكت هنـا عن ذكر انخذاله ثلاث مرات امام الجيش الارمني ، واخيراً فقد سار واهاكن Vahakn ملك الارمن الى بابل لفك حصار دارا عنها ، ولكنه اضطر الى الانسحاب امام الجيوش الفارسية الجرارة ، وهكذا أضحت ارمينيا تابعة للامبراطورية الفارسية .

وكان الفرس يديرون ارمينيا بواسطة عاملين من عمالهم أحدهما في ارمينيا الشرقية

والثاني في ارمينيا الغربية ، وكان هذا العاملان من الارمن في اغلب الاحيان .

وعاش الارمن تحت حكم الفرس في أمن وسلام وطمأنينة ورفاه، وكانوا يدفعون لهم سنويا عشرين الف رأس من الخيل وخمسمائة طالان(١) كما كانوا يمدون الفرس زمن الحرب بجيش كامل الاهبة ، وكانت أولى امداداتهم في حرب الماريين واليونان .

# ارمينيا تحت حكم الاسكندر الكبير

## ٣٣٦ - ٣٢٣ ق . م

خرج الاسكندر المكدوني من اليونان كي يستولي على البلاد التي تحت سيطرة فارس ، فدخل آسيا بقوة قوامها ٤٥٫٠٠٠ جندي مدرب ، فقابله دارا غودومان ملك الفرس بنصف مليون جندي . بيد ان الاسكندر غلب دارا في غرانيكوس عام ٣٣٤ ق . م ، ثم التقى الجيشان في ايسوس سنة ٣٣٣ ق . م فدارت الدائرة على دارا ايضاً وتقهقر بجيشه اللجب ، وتقدم الاسكندر فاحتل فينيقيا وسوريا وفلسطين ومصر ثم غزا العراق .

وفي خلال هذه المدة شكل دارا جيشاً جديداً ليصد تقدم الاسكندر، فاصطدم الجيشان في اربيلا ( اربيل ) عام ٣٣١ واندحر دارا وجيشه ، فانقرضت الامبراطورية الفارسية واحتل بلادها الاسكندر فاصبحت خاضعة لحكم اليونان .

وجدير بالذكر أن واهي *Wahe* ملك الارمن أرسل في هذه الحرب امداداً لدارا صديقه ٧٠٠٠ فارس و ٤٠٫٠٠٠ راجل، وبعد انخذال دارا حارب واهي الاسكندر المنظم وقوته الجبارة ، وفي عام ٣٣١ ق . م دخلت ارمينيا في حكم الفاتح العظيم ، فعين لها المدعو « مهران » نائباً للملك ، مكافأة له على تسليمه قلعة سارديكو التي كان قائداً فيها في حرب لوديا .

١) الطالان نوع من العملة في ذلك الحين

# انسحاب العشرة آلاف

## ٤٠١ ق.م

كان لملك الفرس ارداشيس نيمون ( ٤٠١ ق.م ) أخ يدعى كورش الصغير ، وكان يسعى الى خلع أخيه ارداشيس ليحل محله ، ولكنه لم يكن يملك جيشا كافيا لتنفيذ رغبته ، فطلب الى اليونانيين أن يمدوه بجيش اجير ففعلوا ، وسار هذا الجند المكون من اربعة عشر الف جندي صوب بلاد الفرس لينصر كورش الصغير في حربه ضد أخيه . وقتل كورش المذكور فبقي الجند بغير قائد ، وانسحبت القطعات اليونانية التي غدت تعد عشرة آلاف ميممة وجهها شطر بلادها ، فدعيت هذه الحادثة « انسحاب العشرة آلاف » وهي من الحوادث الشهيرة في التاريخ . وكان قائد الجيش المنسحب يسمى كزينوفون « *Xenophon* »

نفذ المنسحبون من ايران الى آشور ومنها الى ارمينيا حيث طال بقاؤهم ، ثم وصلوا الى البحر الاسود ، وما كاد يلوح لهم حتى هتفوا : « طالاسا ، طالاسا » اي « البحر ، البحر » ومن ثم ساروا بموازاة ساحله حتى بلغوا البوسفور ومنه دخلوا اليونان بلادهم .

كان كزينوفون قائداً بارعا ، وكان الى ذلك اديباً ومؤرخا ممتازاً ويركن الى كتبه حتى اليوم كاتبو التواريخ . فوضع كتابا عن مشاهداته وعما لاقاه جيشه في طريق عودته من بلاد الفرس ووصف الاماكن التي اجتاز بها .

ولقد وصف أرمينيا باسلوب جذاب جميل وأعطى التاريخ معلومات ظريفة عن الشعب الأرمني وعاداته وطرق عيشه وما الى ذلك .

أدهشت زينوفون وجيشه مناظر الجبال والينابيع المتفجرة والأنهار المنبثقة منها ولما كان مرورهم في موسم الشتاء فقد راعهم منظر الثلوج تغمر كل مكان بارتفاع أربعة أقدام وتكلل هام الجبال . ولم يستطع معظم الجنود احتمال ذلك الطقس القارس وخاصة على الجبال فهلكوا برداً وقراً .

وقعت حوادث طفيفة في بعض الاماكن بين الارمن واليونان ، ولكن

اليونانيين كانوا ينعمون فى الغالب بشهامة الأرمن المضيفين وعطفهم أينما حلوا ، ويذكر كزينوفون حسن ضيافتهم وتقديمهم المقادير الوافرة من الطعام للجيش اليوناني كالحنطة واللحوم والخضرات والزبيب والشراب المعتق .

ويصف كزينوفون بيوت الأرمن فيقول :

« ان بيوتهم كانت مبنية تحت الأرض ، ولها فتحات كفوهات الآبار ينزل منها الديار الى داره بواسطة سلم مصنوع لهذا الغرض ، ويوجد ممر آخر لمرور الحيوانات ، وجدنا في هذه البيوت البقر والماعز والغنم والدجاج ، والحنطة والشعير والخضرات ، وماء الشعير ( البيرة ) من المشروبات الروحية . وكانت البيرة التي لقيناها حادة اذا لم يخلط معها الماء ، ولكنها لذيذة للغاية حين تشرب صرفا ، والارمن يشربون هذا الشراب بالقصب ، ولقد وجدنا لديهم منه انواعا وكلها خالية من العقد فكأنها أنابيب ، وكنا نرى هذه الانابيب فى الأواني التي تحتوي على البيرة وعلى سطحها حبات من الشعير طافية . ولكي نشرب نخب أحد ما كان علينا ان نذهب الى الاواني فننحني ونشرب لأن دنان البيرة كانت مدفونة تحت الارض .

ومن وصف كزينوفون هذا نعلم ان البيرة كانت معروفة لدى الارمن قبل خمسة وعشرين قرنا لزماننا .

# ارمينيا فى حكم السليفيكيين

أعتبط (١) الاسكندر عام ٣٢٣ق م ، فأصبحت امبراطوريته الواسعة نهب نضال بين قواده ، واقتسمها اخيراً قائدان منهم هما بطليموس وسيليفيكوس الاول فكانت مصر نصيب بطليموس وآسيا نصيب سليفيكوس وكان هذا عام ٣٠١ق م ولذلك لقب أتباع سليفيكوس بالسليفيكيين .

وفي عهد السليفيكيين كانت ارمينيا مستقلة تقريبا ، ومنقسمة الى قسمين : ارمينيا الصغرى وارمينيا الكبرى ، وكان أمراء الارمن يشقون عصا الطاعة على السليفيكيين دوما حتى هجم الملك انديوكوس *Andi. cus* الثالث السليفيكي على شطري ارمينيا فسيطر عليها وجعل على كل منها أميراً فكان على الصغرى زاريح وعلى الكبرى ارداشيس .

---

١) اعتبط الانسان ( والفعل مبنى للمجهول ) : مات شابا .

الفصل الثالث

# الأسرة الارداشيسية

## دور الاستقلال التام وتشكيل الامبراطورية

### ارداشيس و زاريه

كانت الدولة السليفيكية آخذة بالاضمحلال وذلك لتكونها من أمم وعناصر مختلفة كانت كثيراً ما تتمرد عليها وتعلن العصيان .

وكان من مشاهير ملوكها انديوكوس الثالث (٢٢٦ - ١٨٦ ق . م ) وقد تمكن بصعوبة كلية من قمع الفتن واخماد العصيان .

كان أمراء الأرمن من العصاة ايضاً فأخضعهم انديوكوس لسلطانه وجعل « ارداشيس » و « زاريه » أميرين على قسمي ارمينيا وكان هذان الأميران يرتقبان فرصة لاعلان استقلالهما، اذ كانا لا يستطيعان ذلك بالقوة نظراً لضعف قواتهما وسنحت هذه الفرصة عام ١٩٠ للميلاد اذ ظهرت في اوروبا دولة قوية هي الدولة الرومانية ، فبعد ان سيطر الرومان على جميع ممالك اوروبا، حولوا وجوههم الى الشرق لاخضاع أمم آسيا ، فدخلوها عام ١٩٠ ق . م ، وتقابلت قواتهم بقوات انديوكوس الثالث في منطقة مغنيسيا ، ولكن الرومان فازوا ببلاده واحتلوها حتى سلسلة جبال طوروس ، وحينما رأى الأميران الأرمنيان غلب السليفيكيين وهزيمتهم ، التحقا بالرومانيين وأعلنا نفسيهما ملكين على مملكتي ارمينيا الصغرى والكبرى، ورأى الرومانيون بنضوجهم السياسي ان يؤيدوا الاميرين تقليصاً لظل الدولة السليفيكية وامعاناً في تجزئتها .

# ارداشيس الاول الملك المستقل

١٩٠-١٦١ ق م

لقد أدرك ارداشيس حقيقة الوطنية فكان واضع حجر الاساس لاستقلال الارمن ونال الهيبة والتقدير بين الامراء بمزجه البطولة العسكرية بفن السياسة الدقيق فلم يغفل أية وسيلة توصله الى غايته وتبلغه مرامه .

كان صبوراً فعالا صلباً متيقظاً نهازاً للفرص والظروف المؤاتية لنجاحه ، لم يبرز فى ساحة الوغى لينال شهرة البطولة ولكن نجمه تألق فى ميدان العمل لنيل حرية أمته واستقلالها الناجز .



( الملك ارداشيس الاول )

كان ارداشيس نائباً للملك السليفيكي انديوكوس الرابع ومن قواده ايضا ، وكان منذ شبابه يدير مقاطعته مستقلا ، ويرقب الفرصة السانحة لاعلان استقلالها وكانت مقاطعته ولاية ارارات .

كانت الحكومة السليفيكية حكومة مطلقة تقتنى بالظاهر أثر الحضارة اليونانية بينما هى باطناً دولة اسيوية محضة تعجز عن ادارة الامم المختلفة المنضمة تحت لوائها تلك الامم التي تختلف بادياتها وعاداتها وأساليبها و لغاتها وتقاليدها .

ولقد بدا للعيان عجز الحكومة السليفيكية ووهنها عندما استولى الرومانيون على حوض البحر الابيض المتوسط ، وفى هذه المنطقة استعمل مجلس الشيوخ الروماني سياسة « فرق تسد » وهي سياسة أمضى من سياسة النار والحديد ، وغذى المجلس فكرة الثورة والعصيان بين الامم التى فى حكم السليفيكيين، وأبدى الرومان للشعوب نيات حسنة كاذبة لفرض سلطانهم عليهم ، ثم وجهوا قائدهم سكيبون *Skibon* للتنكيل بانديوكوس الثالث ملك السليفيكيين وكان قد لجأ اليه انيبال *Anibal* الجرجدوني عدو الرومان ، ووقعت الواقعة قرب مدينة مغنيسيا في ولاية أزمير الحالية سنة ١٩٠ ق م فدمر سكيبون جيش انديوكوس ورده الى ما وراء طوروس ودخلت الاناضول فى سيطرة الرومان .

اما ارداشيس فقد رأى البون الشاسع بين القوتين ووازن فى أيها أنفع لمصلحته ومصلحة أمته ، فقرر الانضواء الى الرومانيين ، ولما تمت هزيمة جيش انديوكوس أعلن ارداشيس ملوكيته واستقلاله التام فأيده مجلس الشيوخ الروماني معترفاً باستقلال مملكة ارمينيا تحت ظل الملك ارداشيس .

واول ما فعله ارداشيس تنظيم جيشه وتوسيع حدود مملكته ، فاستولى على اذربيجان الفارسية وعلى واسبوراكان (١) وسونيك ، كما ضم اليه من بلاد الكرج دايك وكلارجك وكوكارك ، واستولى فى الغرب على ارضروم وترجان وانتي طوروس وفى الجنوب على بعض ولايات سوريا .

وتمكن ارداشيس بسياسته وذكائه وكياسته من جلب قلوب الشعوب التى ضم بلادها الى مملكة ارمينيا .

ارداشيس وانيبال : ولما انخذل انديوكوس كان من الضروري ان يلجأ انيبال الى ملك

١) مدينة وان الحالية

آخر ، فاستقبله ارداشيس بكل ترحاب ، وتقديراً لدهائه العسكري وعبقريته الحربية ، فقد اتخذه مستشاراً وكلفه رسم خريطة لتعمير مدينة آرداشاد لتكون عاصمة ملكه ، وقد شادها على الشطر الايسر لنهر اراكس فكانت بعظمتها وجمالها جرجدون *Cargueton* ارمينيا .

ارداشيس وانديوكوس الرابع : ان تمرد ارداشيس على السليفيكيين واستقلاله ، شق عليهم، فقد كانوا يعدونه أحد قوادهم الموالين، فأرادوا ان يثأروا منه ويشدوا استقلال بلاده ويرغموا عظمتها - وكانت البلاد قد انحازت الى الرومان كما ذكرنا - فجهز انديوكوس الرابع جيشاً كبيراً عبر به الفرات وهجم على ارداشيس وانتصر عليه وأجبره على قبول شروط عام ١٦٥ ق . م ، ولكن انتصار انديوكوس لم يكن أمراً ذا بال، فقد ظل ارداشيس على عرشه بحماية الرومان .

ارداشيس ومهروجان : قبل حرب مغنيسيا كان الحاكم على جزء صغير من ارمينيا الامير زاريه وكانهو ايضاً من قواد انديوكوس الثالث . ونهج زاريه نهج ارداشيس في عصيان انديوكوس وأعلن استقلاله تحت حماية الرومان ، فصادق مجلس الشيوخ الايراني على هذا الاستقلال ، ولكن ارداشيس عز عليه ان يحكم ملك آخر في بلاده . وتحقيقاً للوحدة القومية هجم على اراضي زاريه ، وكان قد توفي ، وخلفه ولي عهده مهروجان الذي كان منصرفاً الى قمع عصيان أخيه الذي اراد اغتصاب عرشه ، ولكي يضعف ارداشيس مهروجان عاون أخاه المتمرد ، ولكن ذلك لم يجده نفعاً ، اذ هرب مهروجان محتمياً بملك كابادوسيه (١) فطلب ارداشيس الى هذا الملك ان يقتل مهروجان فيقتسما الملك بينهما، الا ان ملك كابادوسيه رفض اجراء هذا الامر الجائر، وعاد مهروجان الى عرشه .

اعتداء الآنيين (٢) على حدود ارمينيا : حين اجتاز الآنيون جبال القوقاز المحادة لارمينيا تقابل معهم ارداشيس على الضفة اليمنى من نهر كور ، فأجلاهم في الحال الى

١) كابادوسية هي مجموعة ولايتي قيصرية وانقرة الحاليتين
٢) الانيون قوم برابرة من شمال القوقاز

الضفة اليسرى وأسر ابن ملكهم بعد ان غلب جيشه، وعندها طلبوا صلحاً دائماً وعقد معاهدة سلمية على ان يرد ابن الملك اليهم ، بيد ان ارداشيس رفض كل مطاليبهم ، فلما رأت أميرتهم ساتينك Satenigue ذلك ، علت صخرة عظيمة كانت على ضفة النهر اليسرى وصاحت بأعلى صوتها : « اسمع ايها الملك الشجاع ارداشيس ، تخاطبك فتاة آلانية فاتنة : لقد انتصرت ، وغلبت الآنيين الابطال ، فارجع الشاب الآني الى أبيه».

فلما وقعت عينا ارداشيس على الفتاة سحره جمالها الفاتن ، فأعاد الصبي الى أبيه وطلب يد الفتاة وعقد مع قومها معاهدة صلح وسلام .

أعمال ارداشيس الاول : كان ارداشيس الى شجاعته وبطولته مفكراً عبقرياً جمع في نفسه السجايا الممتازة ومحبة العلوم والفنون والعمران والتمسك بالقوانين .

ويعد ارداشيس واضع حجر الاساس للدولة الارمنية فقد شكل لها جيشاً ، ولم يكتف بفتوح البلدان بل رأى بثاقب فكره ان يذيب الامم والاقوام التي سيطر عليها في بوتقة الامة الارمنية اذ علم ان لاحياة لأمة بغير وحدة ففرض استعمال اللغة الارمنية على الجميع في كل المعاملات رسمية كانت ام غير رسمية والزم بذلك الاقوام الداخلة تحت حكم ارمينيا في سواحل بحر الخزر والقوقاس الشمالية وغيرها . وأعمر بلاده بواسطة الاقوام التي نزحت اليها وذلك بتوزيع العقارات والاراضي عليهم فأنشأوا القصبات والقرى العديدة .

ولقد أنعش الثقافة اليونانية وأحيى الروح الوطنية ووطد العلاقات التجارية والزراعية مع البلدان المجاورة ونور عقول الطبقة النبيلة بضياء العلم والعرفان ووضع الانظمة والاساليب للدولة والاسرة كما فرق الرتب والدرجات العسكرية . واجتهد في رفع حالة الشعب الاقتصادية ، ووجه اهتمامه الى تعمير وتزيين البلاد ، وأعطى الصناعة والثقافة اهمية عظمى وترقت صناعة نسج السجاد خصوصاً على زمانه .

عمر جسوراً عديدة وسير سفناً كثيرة في الانهر والبحيرات ، وبالاجمال فانه لم يغفل ناحية من نواحي المدنية ولا شعبة من شعب الحياة الا وزينها بجميل فعاله ، ويتناقل الارمن الى الآن القول ان : « لم تكن في عهد ارداشيس قطعة ارض خالية

من الزرع ولا فرد عاطل عن العمل » .

وقد بنى ارداشيس المعابد للآلهة الكثيرة وأنشأ الساحات للالعاب الرياضية، على ان اعظم اعماله جماء انه أنقذ أمته من سيطرة الامم وأوصلها الى أعلى درجات الكمال والرفاه . توفي ارداشيس عام ١٦١ ق . م فخلفه « ارداوازت الاول » وبعد وفاته تخلف « ديكران الاول » ، فلما ان قضى وليه ديكران الثاني الكبير الذى أنشأ امبراطورية لم يطل أمدها .

# ديكران الثاني الكبير

## ٩٥ - ٥٤ ق . م

كان عمر ديكران خمساً واربعين سنة حين تولى العرش ، وهو ابن ديكران الاول وسليل الاسرة الارداشيسية التي كانت تتصف بقريحة فذة ميالة الى المناهج العملية التطبيقية .

وعرفه التاريخ بلقب « الكبير » وسماه شيشرون ( Ciceron ) « ملك آسيا العظيم » ويعرف دوره بالدور العسكرى الذهبي في ارمينيا ، فقد رفع اسم أمته عالياً واراد ان يبلغ بحدودها سواحل البحر الابيض المتوسط .



ديكران الثاني الكبير ( ملك الملوك )

كان يطمح الى تخليد اسمه شأن كل ملك اسيوي قديم ، وقد امتاز بخصال فريدة من سياسة فذة ومواهب شخصية نادرة ، وكان مغتراً بسلطانه كل الغرور ، يحتقر حاشيته من الخبراء العسكريين ويسخر من ارشاداتهم الصائبة ، وبذلك فاته كثير من

حقائق الاحوال والحوادث والتف حوله المراؤون وانفض عنه المخلصون. كان يعتقد ان سلطانه موهوب له من الآلهة فهو وحده المسؤول تجاهها وهو المالك المطلق للاموال والارواح ليس لاحد ان يسأله او يحاسبه ، وقد فرض على الجميع ان يطيعوه طاعة مطلقة، عمياء، وقد رسخ في نفسه انه مرسل من السماء لقلب نظام آسيا، فكان هذا الحلم الجميل يطيف بخياله فيتراءى له انه سيشكل امبراطورية تكون مثلا يحتذى ، ويخيل اليه ان جميع الملوك سيكونون خولا وخداما وانه سيوزع الامبراطورية على قواده وتكون عاصمته عاصمة الامصار والاقطار تتيه بين المدن خيلاء بزخارفها الفنية والصناعية وترتع أمته في مباهج الحياة اكثر مما نالت الامة اليونانية في أزهى عصورها .

ولقد نال ديكران لقب « ملك الملوك » الذى كان قد اختص به الفرس ، خلعته عليه الامم بجدارة نظراً الى انتصاراته وفتوحاته وعظمته وذيوع صيته .

كان يتزين ويتحلى كما يفعل كزيركسيس ( *Xerxes* ) ، فيلبس حلة ارجوانية مذهبة ويضع على رأسه تاجاً مرصعاً ولا يخرج إلا مرافقاً باربعة من الملوك المخلوعين او الاسرى وذلك حسبما أخبرنا بلوتاركوس المؤرخ الروماني .

منهاج ديكران : ان الحروب الارمنية كانت تهدف الى غايتين اثنتين : اولاها الاثار والاستعمار وثانيتها اكمال الوحدة وتعميم اللغة والقومية الارمنيتين واسترداد الحدود الأصلية للبلاد وحماية البلاد التي ضمتها اليها من الاعتداء ، وقد نجحت الغاية الثانية، أما تأسيس امبراطورية عظمى فقد باءت بالفشل بسبب الاحوال والظروف الراهنة.

كان القواد الرومان الحسد قد ارغموا على السكوت خمسة وعشرين عاما عن فتوحات وانتصارات ديكران الثاني ، فلما علموا بما يضمره ديكران ومهرطاد (١) من تأسيس امبراطورية على غرار ما فعله اليونان ثارت أحقادهم ونضوا القناع عن وجوههم الباسرة مستعدين لمواجهة الطوارىء ، فما لا شك فيه ان نجاح هذين العاهلين الشرقيين لو تيسر لكان ضربة قاصمة تحل بروما تفقدها أقطاراً آسيوية غنية ، وتذل حضارتها للمدنية اليونانية . ولذلك فقد بذلت كل مجهودها من سياسة ودس لاطفاء النور

---

١) هو حمو ديكران ، وكان ملك بونديا

اليوناني في أرمينيا وبوندوسيا وربطها بعجلتها لتكونا لها سداً قويا في وجه الامبراطورية البرثوية.

الدولة البوندوسية : كان ملوك الدولة البوندوسية من نبلاء الفرس إلا أن قوادهم ووزراءهم كانوا يونانيين ، كما كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للدولة . وقد اتخذت هذه الدولة مدينة سينوب الواقعة على ساحل البحر الاسود عاصمة لها ، وكان ملكها مهرطاد(١٢٣-٦٣ق.م) شجاعا عظيما طموحا تهابه الشعوب الشرقية وتحبه لبسالته وحسن تدبيره ، وكان مهرطاد عدواً لدوداً للرومان مثلما كان آنيبال .

ان هذا الملك المجد الحريص على شرف أمته ومجدها صمم على توسيع مملكة آبائه وكانت الظروف السياسية مؤاتية له .

وكانت بعض الجاليات اليونانية قد سكنت حول البوسفور ودافرياسون وكانت لا تستطيع الدفاع عن نفسها ضد الاسكوتيين أقوام القرم ، فطلبت حماية مهرطاد ، فارسل الى القرم قائداً شجاعا محنكا صد الاسكوتيين ورد اعتداءاتهم واعترافا بالجميل واظهاراً للولاء فقد أعلنت هذه الجاليات انضمامها اليه وانضواءها تحت لوائه ، وبعد مدة قصيرة من ذلك دخل مهرطاد أرمينيا الصغرى وكولكيس أيضا ( مقاطعة سيواس خربوط ) .

معاهدة بين ديكران ومهرطاد : رأى مهرطاد أن مجاورة ملك قوي خطير الشأن كديكران خطر عليه ، كما تأكد ان مخاصمته أمر يجب اجتنابه والرومان يتربصون بها الدوائر ، فارسل لذلك سفيره كورديوس الى أرمينيا لعقد معاهدة تحالف عسكري كان على ديكران بموجبها أن يفتح سوريا وآسيا القريبة ( بلاد البرثويين ) وعلى مهرطاد مقاومة الرومان في آسيا الصغرى ، وتنص المعاهدة أيضا على أن يكون الأسرى والغنائم لديكران والبلاد المفتوحة لمهرطاد.

استيلاء ديكران على ارمينيا الصغرى : كان مهرطاد قبل تحالفه مع ديكران قد استولى على بلاد ارمينيا الصغرى وانتزع ملكية أسرة زاريه الارمنية ، اما ديكران

فبحسب منهاجه الذي يرمي الى الوحدة القومية دخل ارمينيا الصغرى دون حساب او وجل من مهرطاد او من ملك كابادوسيه ، فقتل ملكها ارداشيس وضم هذه المقاطعة الارمنية الى الدولة الارمنية الكبرى .

حملة ديكران على كابادوسيه : غزا ديكران كابادوسيه فاحتلها وسلمها لمهرطاد ، وكانت هذه هي المساعدة الاولى التي قدمها لحليفه، ففر اريوبارزان ملك كابادوسيه لائذاً بروما دون أية مقاومة ولذا أرسل مجلس الشيوخ الروماني القائد سيللا الى ارمينيا فنجح باجلاء الجيوش الارمنية حتى شواطيء الفرات وأعاد الى عرش كابادوسيه الملك الفار. وبعد مدة قصيرة أعاد قائدا ديكران وهامهران وباكواس الكرة على كابادوسيه وسلماها لمهرطاد ،ولكن هذا احتراماً للمعاهدة المعقودة بينه وبين سيللا لم يتدخل في الشأن ، وهرب اريوبربارزان ثانية الى روما ، فنصب قائدا ديكران على عرش كابادوسيه أحد انجال مهرطاد ، ولكن الرومان أعادوا الامور الى مجاريها كرة اخرى .

حروب ديكران مع البرتويين : كان ديكران الثاني في صغره رهينة في بلاط البرتويين ، وبعد وفاة أبيه دفع سبعين قطعة من ارضه ثمناً لحريته ، فلما ان عاد الى بلاده ثم ارتقى عرش أبيه كان قلبه يستعر بنار الغيظ ونفسه تصبو الى الانتقام فناجز البرتويين القتال لأن حالة البلاد السياسية والداخلية كانت تساعده على ذلك .

اردوان الثاني ملك الفرس : بين اعوام ٨٨-٧٧ ق . م حلت الضربات بهذا الملك فقد نفذ ديكران الى بلاد البرتويين بجيش جرار واستولى على سبعين مقاطعة من اراضيها وأرغم البرتويين على ان يطأطئوا الرأس امام السلاح الأرمني . وتقدم ديكران الى نينوى واربيل واخرج اذربيجان وحكاري من حكم البرتويين ، وضبط ما بين النهرين مع نصيبين وسينقارة (١) ، وكانت حكاري واذربيجان من البلاد الارمنية سابقاً ، فتم لديكران بضمها ارجاع حدود ارمينيا الاصلية .

دخل الجيش الأرمني تحت قيادة مليكه بلاد المادين(٢) وسار نحو قصر اردوان

---

١) سنجار

٢) همدان وكرمانشاه من بلاد ايران

الذي كان قلعة الدفاع عن همدان والقصر الخاص للملك ، فاحتل الجيش القصر وباحتلاله ذاع صيت ديكران وخشي البرتويون صولته ، وبانتصاراته هذه نال ديكران لقب (ملك الملوك) الذي كان قبلا خاصاً بملوك الفرس كما قلنا آنفاً .

وأخلى البرتويون الطرق امام الجيوش الأرمنية، وهكذا حل الأرمن محلهم في آسيا ، ولما وصل ديكران الى أوج عظمته لم يفتر عن حماية الدويلات التي دخلت في سلطانه ، ثم تحالف مع ملكي الاغوان والكرج ، وصار الامراء الماديون والحكاريون أتباعاً له .

احتلال سوريا : مل السوريون النزاعات الداخلية بين ملوك السلفيكيين وشكلوا حزبا قوميا لانقاذ الوطن ، وقرر هذا الحزب أن يلوذ بملك اجنبي، ثم ارتأى ان يكون هذا المنقذ « ملك الملوك » الارمني الذي كان أقوى عاهل في آسيا . وهكذا دخل ديكران سوريا عام ٨٣ ق . م بجيش كبير (١) فطرد ملكها انديوكوس يفسيربوس ، وفتح عنوة المدن التي عصت حتى تم له أمر سوريا باجمها وكانت تمتد من شط الفرات الايسر حتى حدود مصر وعاصمتها آنذاك انطاكية ، وفاز بالتاج السليفيكي (٢) ثم فوض أمر ادارة سوريا الى ماكاراد الذي كان من قواده المخلصين ، فتنفس السوريون الصعداء ونالوا الأمن والسلام تحت ظلال الامة الارمنية .

ولم ين ديكران عن فتح البلاد وتوسيع الامبراطورية، ولم يدخر وسعا في اسعاد الشعوب التي أخضعها وفي الترفيه عنها ، ولقد جلب افواجا من القبائل العربية الرحالة من جنوب ما بين النهرين ، فاسكنهم على ضفاف الفرات الشمالية ليؤمنوا المرور في الطرق التجارية الكبرى .

الاستيلاء على كليكيا : أمن ديكران الحدود الشرقية لبلاده ، ثم وجه سلاحه الى الغرب نحو كليكيا التي كانت آخر درة في التاج السليفيكي ، فصمد له اهلها وحشد السلفيكيون ما تبقى من قواتهم وكان ذلك بتحريض ملكتهم سليني ( Seline ) فأردف ديكران بجيش آخر اكتسح قوات السليفيكيين واستولى على البلاد ، فاضافها الملك الى

---

١) يقدر بلوتارك هذا الجيش بنحو خمسمائة الف جندي

٢) ان ديكران ضرب نقودا ذهبية في انطاكية

بماكاراد الحاكم العام لسوريا .

ودمر ديكران مدينة سولي فجعلها اطلالا ونقل سكانها الى ديكران آباد عاصمة بلاده ومركز امبراطوريته ثم غزا كابادوسيه للمرة الثالثة من طريق كليكيا وذلك بعد موت سيالا ، وأحاطها بسياج عسكري اذ كانت كابادوسيه مركزاً عظيما للحضارة اليونانية ، ونقل من سكانها ثلاثمائة الف نسمة الى ديكران آباد وضواحيها .

فتح فينيقية : ثم صوب ديكران سهمه نحو فينيقية ، فقاومته مدينة بطلومايس المحصنة فحاصرها واقترب من فلسطين بجيش كثيف ، وعندها ارسلت الكساندرا الملكة سفراءها مجهزين بالهدايا الثمينة مسترحمة ان يحسن ديكران نواياه نحو اليهود ، فاستقبل الملك سفراء الكساندرا بلطف وبشاشة وأثنى على الشعب اليهودي وميله الى العرش الأرمني وهدأ روع السفراء ووعدهم خيراً . ثم شدد الحصار على المدينة المحصنة بطلومايس وفتحها وأمر الملكة سليني التي كانت ملتجئة هناك بعد هزيمتها من كيليكيا فسجنها في قلعة سيلفيكيا .

وأتم هذا الملك المغوار الباسل اخضاع فينيقية ، فرفرف العلم الأرمني فوق صور وصيدا في الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وبيديكوس ودمشق . ثم بلغه ان الرومان قد ضيقوا الخناق على حليفه مهرطاد فرجع الى انطاكية لمقابلة السفير الروماني الذي سيمثل بين يديه .

بلغ ديكران ذروة علاه بعد فتحه فينيقية ، واصبح خلال ربع قرن سيد آسيا الغربية وامبراطور الشرقين الادنى والأوسط ، فكانت امبراطوريته تمتد من نهر الكور في القوقاز شمالا حتى نهر الاردن جنوبا ، ومن بلاد ايران شرقا حتى بلاد الماديين وغربي كايلكيا . ولكونه « ملك الملوك » فقد كان يمنح التيجان ويسلبها ، ويتحكم في رقاب امم أسيوية مختلفة متباينة بألسنتها وعناصرها ومبادئها واخلاقها ، وقد استولى عليها بطرق متنوعة ثم فرض حكمه عليها طوعا أو قسراً ، وكان يرغم الشعوب جميعا على ان يمتثلوا ارادته باعتباره ممثل الآلهة ، وفرض عليهم ان يدفعوا اليه الجزية في السلم والامداد من الجند والعتاد والذخيرة في الحرب .

ولئن كانت هذه الرفعة تملأ قلوب الأرمن غروراً وتخفف عن كاهلهم عبء الحروب المستمرة ، فأنها كانت في قلوب تابعيهم ناراً آكلة ، وعلى الأخص اولئك الذين كان يوغر صدورهم اغترار ملك الملوك وتجبره ، وان دوام ارتباط وطاعة تلك الأمم كان منوطاً بدوام توفيق ملك الملوك وتألق نجمه . فلم يكن جانبهم مأمونا وعلى الأخص الرومان الذين كان دوام سلطان ذلك الامبراطور ايذانا بادبارهم واخفاقهم ، وان ابناء مستعمرات ديكران لم يكن يربطهم به إلا الخوف والرهبة من قوته وبطشه . اما في اعماق نفوسهم فقد كانوا يضمرون الاثار ويتمنون فك الأغلال وتحطيم السلاسل ، « وهذا أمر طبيعي وحق مقدس لكل أمة ولكل فرد » ، وما الذي كان يربط شعوب هذه الامبراطورية « من ارمن وسوريين وكيليكيين ونهريين (١) وفينيقيين ويونان وقبائل عربية » ؟ لا شيء ، وانما هم خليط لا رابطة بينهم ، بل يتباينون بالأخلاق والعادات والتقاليد والأساليب والمنافع والأهداف القومية ، ولذلك كان نسيج امبراطورية ديكران رخواً جداً !

<u>مدينة ديكران آباد - عاصمة الامبراطورية الأرمنية</u> : نظراً لهذا التوسع المستمر والسيطرة العظمى ، رأى ديكران ان يعمر عاصمة كبيرة تكون وسط مملكته وفي مركز البلاد التي فتحها ليسهل عليه ادارة البلاد ووقايتها أطماع الرومان ، وقر رأيه على ان يبني هذه العاصمة قرب ديار بكر الحالية في اراضي «فارغين» على الضفة اليسرى من دجلة ، وهذا الموقع مركز هام من الوجهات الحربية والتجارية والاقتصادية .

وقرن الرأي بالعمل وانتهى من عمارتها ونظمها وحصنها بالقلاع الجبارة وأنشأ فيها العمائر الفخمة ، ونقل اليها من كابادوسيه ثلاثمائة الف نسمة من الاروام ، فأسكنهم فيها ، كما نقل اليها من اهالي سوريا وفينيقية ومن الماديين والآثوريين ومن اثنتي عشرة مدينة من مدن كيليكيا وسائر البلاد المعروفة مهرة الصناع وارباب الفنون والحرف للاستفادة من مواهبهم وفنهم ، ثم أمر الامراء والنبلاء ان يشيدوا الصروح الفخمة في ضواحي المدينة وان يبنوا القصور ويقيموا فيها الجنائن ، وأقام فيها المسارح المديدة

١) نسبة الى ما بين النهرين

« وكان أحدها خاصاً ببلاطـه » وعليها كانت تمثـل روايات سوفوكليس ويفريبيديس والامير ازدوازت نجل ديكران الكبير وقد كان من اشهر أدباء عصره .

فكانت تتجلى فى ديكران آبادحضارة الغرب ممتزجة بدقة الفن الشرقي، ولئن كان من غايات الاسكندر الكبير في فتوح الشرق بث الثقافة اليونانية ، فقد تحققت وتأثر الشرق أحقابا بعلماء اليونان ، ولقد تأثر ديكران الكبير بالحضارة اليونانية منذ ان استولى على سوريا وسليفيكيا وانطاكية .



نقود ذهبية لديكران الثـاني الكبير
وأسرة ارداشيسيان
منقولة من تاريخ باصماجيان

ولقد كان لكليوباتره زوجة ديكران الكبير وابنـة مهرطاد - وهي من أصل يوناني - النصيب الاوفر والفضل الاكبر في هذه النهضة الثقافية ، فبمشورتها جاب الامبراطور الاساتذة الشهيرين فى الفن والادب ، فاستدعى امينكو وادبس لكي يعـلم الامراء اللغة اليونانية والخطابة ، وعاش مترودور زمناً طويلا لدى الامبراطور وكتب تاريخه بصورة متواصلة .

# دور انحطاط امبراطورية ديكران الارمنية

لوغوللوص ومهرطاد: وهب ملك بوطانيا (١) ملكه من بعده للامبراطورية الرومانية ونفذت وصيته بعد مماته، ولم يكن هذا في مصلحة مهرطاد، اذ ان معناه توسع الرومان وزيادة نفوذهم في الشرق، فحشد جيشاً قوامه ١٤٠٫٠٠٠ من المشاة و ١٦٫٠٠٠ من الفرسان، فدخل بوطانيا وأجلى عنها القوات الرومانية التي كانت تحت قيادة غورسطا الى امام اسوار مدينة كالاديا، ثم أحرق اسطوله المكون من اربعمائة سفينة باسطوله الذي بمدستين سفينة، فأرسل الوالي الجديد الروماني لوغوللوص في كيليكيا الجيش الى بوطانيا ليأخذ بثأر غورسطا، فحاصر هذا المندوب مهرطاد امام مدينة جوليجوس وسحق جيشه، فاضطر مهرطاد الى الالتجاء بسفنه الراسية في ميناء هللسبوندوس فدمر الرومان اسطوله الحربي في معركة تيندوس وذلك عام ٧٣ق م وهكذا تم لهم الاستيلاء على بوطانيا وبابلاجونيا.

ووصل لوغوللوص الى اميسوس (صامصون) بطريق البر وكان مهرطاد قد لم شتات جيشه ليدافع عن بلاده الاصلية، ولكن هذا الجيش الذي جمع على مهل مزقته الجيوش الرومانية شذر مذر في ضواحي غابيرا (سيواس)، وبجهد نجا مهرطاد من أسر لوغوللوص وذلك بحيلة محمد البها، فقد نثر الذهب والفضة والجواهر التي كان نهبها من آسيا، فانشغل الجند بالغنائم يلتقطونها ويتنازعون عليها وقد نسوا أمر القبض على مهرطاد، فتخلص وفر فلاذ بديكران الامبراطور.

ديكران ومهرطاد: كان ديكران حاقداً على مهرطاد الذي كان يحرض الرومان على نفسه « مهرطاد » بحركاته الطامعة، فيقومون بغزوات مستمرة لبلاده، ولذلك فقد أبى ان يجيره واكتفى باضافته وخصص له احدى القلاع التي في داخل ارمينيا بمنطقة سوزنجي ذات المستنقعات، ويفيدنا ممنون ( Mamnocn ) ان مهرطاد ظل في تلك البقعة الموبوءة

---

١) بوطانيا هي ولاية ازميد الحالية قرب استانبول

عامين أي من ٧١ - ٦٩ عاطلا بغير عمـل ، وعبثاً كان يذكر ديكران بالرابطة العائلية وبالكوارث التى انتابته وبالمحالفات القديمة ، ملفتاً نظره الى النسر الروماني الجاثم على ضفة الفرات يهدده بالخطر على امبراطوريته بل على ارمينيا نفسها . وظل ديكران مصراً على الاعراض عن مهرطاد ، وكان المشدد له فى ذلك مترودور الذى يقول: « ان مهمتى كمندوب لمهرطاد ان اطلب الامداد له، ولكن نصيحتى لك كصديق هى رفض الامداد ».

وعلى الرغم من وضعية ديكران السلبية نحو مهرطاد ، فانه أحسن اضافته ، ثم أصغى اخيراً الى مطلبه وذاعت الاخبار ان ديكران جهز مهرطاد بجيش قوي .

آبيوس غلاديوس سفير لوغللوس الى ديكران : بعد فتح سيواس وجه لوغللوس جهوده الحربية الى ديكران ، وكان ذلك مترقباً لان وجود السلطات الأرمنية فى سهل كيليكيا كان يهدد سلامة مملكة كابادوسيه ، كما كان احتلال فينيقية وفلسطين من قبل ديكران تهديداً كبيراً للرومان فى آسيا الصغرى ، لذلك ظل لوغللوس يتحين الفرص لمحاربة ملك الملوك الأرمني حتى واتته فاتخذ التجاء مهرطاد الى ديكران ذريعة وأرسل آبيوس غلاديوس سفيراً الى العاهل الارمني طالباً تسليم مهرطاد للسلطات الرومانية ، وطاف آبيوس غلاديوس أنحاء الامبراطورية الأرمنية بحجة الوفود على ديكران ، وعلم في انطاكية أن ملك الملوك كان منشغلا في فينيقية ، ولما عاد ديكران الى أنطاكية كان آبيوس قد نجح فى اذكاء اوار العصيان ضد الأرمن فى بعض المدن السورية وفي المدن اليونانية خصوصا لأنها كانت لا تطيق الحكم الأرمنى . وحرك كذلك أمير حكاري زاربيلوس وبعض رؤساء النواحي على التمرد .

وفى أنطاكية قدم آبيوس كتاب لوغللوس الى ديكران وفيه يطالب بتسليم مهرطاد العاصي ، وقد أغفل أن يخاطبه بلقب ملك الملوك الذي ناله بجدارة نظراً لفتوحاته العظيمة كما سمع ديكران تهكما وكلاما رخيصاً من السفير فاحفظه ذلك .

يقول بلوتارك « انه خلال خمسة وعشرين سنة يسمع ديكـران لأول مرة من يهدده ويتوعده » (١) .

---

١) بلوتارك : حياة لوغللوس ص٢٢

فأجاب السفير على الفور برفض تسليم مهرطاد واكد له انه مستعد للحرب اذا أرادها الرومان، ثم رد على كتاب لوغللوص من غير ان يستعمل معه لقب «الامبراطور» (٧١ ـ ٧٠ ق م.) .

دخول لوغللوص أرمينيا : تأخر لوغللوص عن تنفيذ مطامعه الحربية في الأمبراطورية الأرمنية بعد مطالبته بتسليم مهرطاد، وكان لهذا التأخير سببان مهمان سياسياً وحربياً :

اولها : عزمه على ان يتم فتح بونتوس بصورة نهائية وان يقتلع جذور استقلالها. وثانيهما : ان البلاد الارمنية كانت مجهولة لديه وكان يعتقد انه سيلاقي صعوبات جمة عند غزوه اياها ، فلما فتح سينوب وأماسيا اتفق سراً مع اريوبارزان ملك كابادوسيه على ان يعبرا نهر الفرات ربيع عام ٦٩ ق.م. المقبل .

اما ديكران فلدى معرفته بتدابير لوغللوص أيقن ان الحرب واقعة لا محالة ، فتعجل باتخاذ التدابير اللازمة ، فاستدعى مهرطاد من منفاه وظلا عدة أيام يتشاوران ويقلبان الامور على وجوهها ، وتبين لهما مكر مترودور اسكبسي فاعدماه الحياة في الحال (بموجب رأي بعض المؤرخين انه انتحر بالسم ) وزال الجفاء بينهما ، ثم قررا ان يسير مهرطاد قبل وصول لوغللوص بعشرة آلاف محارب من جند ديكران ليسترد بلاده وبذلك يشغله في كيليكيا وليكاونيا في الاراضي الرومانية ، بيد أن الرومان كانوا قد اقتربوا من الحدود الارمنية واحتلوا قلعة دوميسا الواقعة على ضفة الفرات ثم استولوا على أرمينيا الصغرى بغير قتال ، وكان ديكران يعتقد بان مهرطاد وجنده سيمنعون الرومان دخول الاراضي الارمنية وفاته أن العدو سيخترق مضائق طوروس التي تدنيه من العاصمة ديكران آباد ، ولم يصدق النبأ ، حتى أن غروره دفعه الى أن أمر بشنق من أخبره بالاعتداء الروماني على الحدود الارمنية ، ولكن الحقيقة تجلت له بعد ذلك فشرع يعد الأهبة .

جهز ديكران قائده مهروزان بثلاثة آلاف فارس وأمره أن يقبض على لوغللوص ويأتيه به حيا كان ام ميتا ، ولكن مهروزان قتل عند ملتقى الجيشين فتشتت شمل جنده

ولما بلغ ديكران خبر مصرع قائده وتبدد قواته قرر الانسحاب حتى أواسط أرمينيا لينظم فيها قوة جديدة لمقاومة العدو ، وأمر الحاكم العام لسوريا بالعودة الى أرمينيا وحول الدفاع عن العاصمة الى احدى القلاع في جنوب دجلة ، وقلد القائد مانكنيوس القيادة وأناط أمر الدفاع عن نصيبين باخيه كوراس .

حرب ديكران آباد : كسر سيكسدليوس *Sexdelias* الفرقة التي كانت تحمي العاصمة ، وقتل قائدها مهروزان ، وانحصرت العائلة المالكة التي كانت داخل اسوار المدينة . أما القلاع الداخلية فقد قاومت مقاومة عنيفة (١) ، وفي ذلك الحين كان ديكران ينظم الجيش في منطقة واسبوراكان ، ويغلب على الظن انه كان في ولاية وان(٢) على سواحل البحيرة الجبلية ، وقد دعا الملوك والامراء لنصرته فاستجاب لندائه ملكا اديابان (٣) واذربيجان واميرا الاغوان والكرج وبعض امراء عرب العراق . وأتم ديكران استعداداته حسب مشورة مهرطاد وارسل الاخير معتمده داكسيلوس *Daxylos* ليقطع خط التموين الروماني فيسهل بذلك غلب لوغلاوس . على ان انقاذ الحرم والخزائن كان يشغل المكان الاول من تفكير الملك ديكران ، فأعرض عن نصائح مهرطاد ومشورته وقرر ان يحقق هذا الانقاذ ولذلك وجه الى العاصمة المحاصرة قائده على رأس ستة آلاف فارس ، فاخترق هذا القائد الحصار وفك اسار الحرم وقسماً من الخزائن وعاد بها الى الملك ، ولكنه دفع ثمن هذه الفعلة غاليا فقد كلفته قتالا عنيفا بينه وبين الرومان والتراكين وخسائر فادحة (٤)

وزها ديكران عجبا بهذا النصر ، فسار بنفسه يقود ٨٠٫٠٠٠ جندي دون ان ينتظر امداد مهرطاد ليفك الحصار عن العاصمة ، ووصل الى ضفة نهر دجلة حيث لقي جيش لوغلاوس البالغ عدده اثنين وعشرين الف جندي منهم ( ١٨٫٠٠٠ دارع و ٣٠٠٠ فارس و ١٠٠٠ مسلح سلاحا خفيفا ) وكان لوغلاوس قد ترك على حصار العاصمة قائده

١) *Xylin* ديول كاسيوس ص٣
٢) تاريخ ارمينيا : يغيشه توريان ص ٨٣
٣) اقليم حدياب
٤) تاريخ ارمينيا : يغيشه توريان ص٨٣

موريتوس *Mourenus* ومعيته ٦٠٠٠ جندي ، وقد قال عنهم ديكران متهكما : « اذا كان هؤلاء رسلا فما اكثر عددهم ، اما اذا كانوا جنوداً محاربين فهم قليلون جداً ! »

وقبل ان تطلع شمس اليوم الثاني كان لوغللوس - بعد ان عرف وضع جيش ديكران - قد رتب قواته في ارض مستوية على الضفة المقابلة من دجلة ثم انسحب الى وراء التل الذي منه يسهل الوصول الى مكان جيش ديكران ؛ وكانت غاية لوغللوس التغرير بجيش العدو وتضليله وعبور دجلة من وراء الجيش الارمني وتطويقه والهجوم عليه ، ولقد انطلت الخدعة على الارمن فظنوا حركة الرومان هزيمة ، وقال ديكران يخاطب قائده داكسيليوس : « أترى يا داكسيليوس كيف ينهزم الجيش الذي لا يغلب؟! » ولكن داكسيليوس كان يجيبه بتحفظ وحذر .

ثم أقلق ديكران وصحبه أن رأوا الجنود الرومانية تعبر دجلة فوجاً بعد فوج فوزع جيشه على مواضع متعددة وتسلم قيادة الجيش يرافقه ملكا أذربيجان وحدياب.

كانت خيالة لوغللوس التي اصطدمت بجيوش ديكران تنسحب رويداً رويداً بحسب أوامر قائدها الذي يريد أن يجر عدوه الى مكان واسع ، وسار لوغللوس الى الامام بـ « ١٢٠٠ » جندي فتقدم نحو سبعمائة او ثمانمائة متر ، وما أن وصل الى التل الذي وراء الجيش الارمني حتى صرخ « النصر » وهجم بقواته عليهم فظنوا أنهم طوقوا من كل جانب فانهزموا هزيمة نكراء ولوغللوس يتعقبهم حتى غروب الشمس .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الجنود المكونة من الكيليكيين واليونان ، وكانوا يحمون داخل العاصمة ، سلموها الى محاصرها موريتوس ، وحينئذ لحق به لوغللوس وأمر بنهبها ، فسلب من الخزينة الملكية وحدها ثمانية آلاف طالان *Talan* أي ما يعادل ٤٨ مليون فرنك ذهبا ، يضاف الى ذلك الاموال الملكية المنقولة التي تعادل قيمتها ١٦ مليون فرنك ذهبي ، وطالت الحروب من أجل ديكران آباد ستة أشهر وسقطت بايدي الرومان .

وبسقوط ديكران آباد (٦ تشرين الاول سنة ٦٩ ق.م.) خضع للرومان بعض امراء الجنوب مثل انديوكوس أمير كوماغين والكفتون الامير العربي ، وأمر لوغللوس

انديوكوس الآسيوي على سوريا(١) . وبهذا الانتصار صار الرومان أصحاب الولايات التي في جنوب ديكران آباد ، ثم احتلوا نصيبين ونهبوا الخزائن الثمينة وأقاموا قيادتهم العليا في غارنوس .

حرب الارزاني (٢) : بعد هزيمة ديكران آباد سعى ديكران ومعه مهرطاد بتشكيل جيش جديد قوي ، فدعوا للخدمة العسكرية من المكلفين ٧٠٠٠٠ من المشاة ، و ٣٥٠٠٠ من الفرسان (٣) ، وكان الجيش خليطاً من الارمن والكرج والاذربيجانيين والعرب ، فتدرب هذا الجيش طوال فصلي الشتاء والربيع ، وبعد الاستعدادات وتهيئة الاهبة من مؤونة وعتاد حربي ، أعلن ديكران الجهاد الديني محرضاً الامم الآسيوية ضد لوغالوس بحجة أنه يريد نهب المعبد الاسيوي العظيم ذي الفن النادر وسلب ما فيه من التحف الغوالي ، ولكنه لم يفلح بدعوته فما أجابه البرتويون ولا جازت عليهم حيلته لان فرادشاه البرتوي لم يكن يروقه ظفر ديكران واتساع نفوذه ، بل كان على العكس يروم اضعافه وتقليص ظله على الشرق ، وهو لذلك لم يشأ ان ينقض العهد الذى بينه وبين الرومان ، وعبثاً حاول ديكران اقناعه واعداً باعادة الاملاك التى اغتصبت منه وباعطائه سبعين مقاطعة مع شمال العراق ، وكذلك ضاعت معه جهود لوغلاوس الذى ذكره بواسطة سفيره سكسيدليوس بالمعاهدة التى أبرمت مع سيلا قبل ثلاثة وعشرين عاما وأعلن فرادشاه حياده ، إلا ان لوغلاوس لم يرضه هذا الحياد وكان يرى الهجوم على البرتويين لولا ان جيشه كان منهوكا مضنى ، فقضى شتاء عام ٦٨ ق . م في حيكاري ، ودفن الحيكاريون ملكهم زاريباوس باحتفال مهيب وكان ديكران قد أعدمه الحياة لخيانته اياه .

وفي منتصف الصيف عبر لوغلاوس جبل طوروس الارمني وتوغل في اعماق ارمينيا حتى بلغ موش ومنابع الفرات ، وعندها أحس انه امام صعوبات جمة قد تكون سببا

---

١) ايبنوس
٢) الارزاني نهر في اقصى الشمال من الفرات «امرا دجاي»
٣) اينانوس

في الافول نجمه، ولم يكن له هنا جواسيس من الاروام او الكليكيين (رتل خامس كما يسمونه اليوم) يدلونه ويرشدونه او يفتحـون له ابواب القلاع المحصنة فيتقن من سوء المغبة .

كان ديكران بعد احتلال عاصمته قد تحول الى « كاركيتون(١) ارمينيا » ارداشاد عاصمة جده ، فقرر لوغلاوس ان يسير اليها رأساً بطريق اراكس ، ولكن هذا كان صعب المنال، فالملكان ديكران ومهرطاد يعرفان الاصول الحربية ولا يحاربان في الاراضي السهلة ، بل يريدان ان يجرا العدو اليها ليطيلا خطوط مواصلاته وتموينه فيمضه الجوع بنابه . ولما رأى لوغلاوس ان الملكين لا يأبهان له ولا ينويان نزاله ، قرر ان يهجم على ارداشاد ويحاصرها تقوية لمعنويات جنده وكسباً للنصر والفخر لنفسه . إلا ان ديكران لم يعطه مجالا لتحقيق حلمه ، وجـرت المعركة الفاصلة في القسـم الشمالي من الفرات « مرادجاي - ارزاني » .

كان على قيادة هذه الحرب الارمنية - الرومانية الثانية ملكان يقودان القطعات المنتخبة ، فديكران على الخيالة ومهرطاد على المشاة . وابتدأت المعركة عنيفة جداً ، اذ هاجت الخيالة الرومانية المشاة الارمن فقاومهم هؤلاء مقاومة الابطال ، ولكنهم وهنوا حين هجم عليهم المشاة الرومان، فشد ديكران أزرهم بالفرسان، وعندها اضطربت القطعات الرومانية وتشوش نظامها ، فشدد الجيش الارمني عليها الحصـار وغلب جيش الرومان وأفناه . وهكذا كانت حرب ارزاني وبالا على لوغلاوس اذ أضعفت وشتتت جيشـه ، وخلقت الحرب والجوع وشتاء ارمينيا القـارس روح التمرد في الجند فاصبح أمره فوضى وأبت البقية الباقية ان تدخل معمعة، وذهبت محاولات لوغلاوس لاقناعها سدى فاضطر حفظاً لكرامة العلم الروماني وبسبب تعنت جنده ان ينسحب من شرقي بحيرة وان الى نصيبين .

ولما وصل الرومان الى نصيبين كان فصل الصيف لا يزال قائما، فانتهزوا الفرصة وحاصروا المدينة وقد كانت ولاية لكوراس شقيق ديكران، وقاوم هذا حتى اوائل الشتاء، وتحت

١) من اشهر المدن الرومانية واجلها « هكذا كان لوغلاوس يصف هذه المدينة »

جنح ليلة قارسة البرد عاصفة الرياح هجم جنود لوغلوص على الاسوار ودخلوا المدينة، فانتشب قتال عنيف داخلها ، ولجأ كوراس حاكم المدينة الى القلعة المركزية ثم اضطر الى التسليم ، فأبقى لوغلوص على حريته في الانتقال والسفر ونهب القلعة وكانت فيها ثروة ديكران وخزائنه .

غزوات ديكران ومهرطاد المظفرة : لما توغل لوغلوص وحاصر نصيبين وفتحها ساق ديكران ومهرطاد جيوشها البالغة ثمانية آلاف على الرومان الموجودين في ارمينيا للتنكيل بهم واجلائهم عنها واسترجاع بوندوس وكسر شوكة بابيوس ، ثم هاجما دريباريوس في وادي آلس عام ٦٧ ق . م فكان قتلى الرومان ٢٤ قائداً و ١٥٠ رئيساً و ٧٫٠٠٠ جندي ، وظلت جثثهم ثلاث سنوات تملأ البطاح بغير دفن حتى مجيء بومبيوس .

وبعد انكسار الجيش الروماني في ارمينيا ومحق افواج بابيوس قرب ديكران آباد والاستيلاء على المقاطعات التي في جنوبها، وجه ديكران جيشه بعضده صهره ملك اذربيجان بفرسانه ومشاته الى كابادوسيه، فدمر الافواج الرومانية المحتمية فيها، وبهذه العمليات التطهيرية صار ديكران سيد الموقف ، ثم صمم على عبور الفرات للقيام بغزوات جديدة .

سقوط لوغلوص ومجيء بومبيوس الى آسيا : حين بلغت أنباء انخذال الجيش الروماني مسامع مجلس الشيوخ ، قرر عزل لوغلوص وارسال من يخلفه لاصلاح الحال، واختار لذلك القائد كلابيون ( Clapion ) وأبلغ المجلس قراره الى لوغلوص بتسليم الجيش الى القائد الجديد ماعدا فرقة فاليريون التي آن موعد تسريحها، ولكن لوغلوص لم يمتثل الامر اذ كان يأمل ان يصلح الحال ويسترد مكانته السابقة ، وصمم على ان يستعد لمحاربة ديكران مرة اخرى . وقد وافقه افراد جيشه أول الامر ، ولكنهم حينما وصلوا الى مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، واصلوا سيرهم باتجاه الغرب ورفضوا الاصطدام مع ديكران ، فقلق لوغلوص وأنشأ يستعطفهم بعيون دامعة على اطاعته ،

ولكن جميع محاولاته لاقناعهم بمواصلة الحرب ذهبت ادراج الرياح (١) .

وكانت روما قد أوفدت مندوبين لاصلاح الأمر في البلاد المفتوحة في بوندوس وأرمينيا ، فما كان أشد دهشتهم حين وجدوا القائد المتباهي بنفسه، الفخور بفتوحاته ، الذائع صيته في روما لا يملك شبر ارض . فسرحوا جيشه بكامله، وضموا الافراد المشتتين هنا وهناك الى لواء كلابيون وذلك خريف عام ٦٧ ق . م .

وفي العام نفسه أعطى مجلس الشيوخ قيادة الجيش الآسيوي الى بومبيوس لتأديب القرصان في كليكيا ولعقد معاهدة مع ديكران . ووصل بومبيوس الى كليكيا شتاء سنة ٦٦ ق . م فأدب لصوص البحر وعمر البلاد التي خربها ديكران ، وبعد ان أنجز مهمته في هذه المنطقة سافر الى كلاديا بجيش كبير فتسلم القيادة من لوغللوس بعد جدال عدائي عنيف بينهما ، ورجع لوغللوس الى روما بثروة عظيمة .

خيانة ديكران الصغير ( ابن ديكران الثاني ) لوالده ، التجاء مهرطاد الى ديكران :

بعد حروب عديدة جرت في ارمينيا الصغرى وفي نيكوبولي رأى مهرطاد انه مهدد بخطر عظيم جداً ، ولذلك اصطحب ٣٠٠٠ جندي وانسحب الى قلعة سينوريا الواقعة بين حدود بوندوس وبين ارمينيا الكبرى ، وبعد ان مكث فيها بضعة ايام أرسل مندوبين الى ديكران يطلب اليه حمايته . أما ديكران فعدا انه رفض حمايته فقد اعتقل مندوبيه وغللهم ، ثم بعث اليه بمن ينبئه انه ( اي ديكران ) حاقد عليه وانه قد جعل مكافأة مائة طالان ( ستمائة الف فرنك ذهبي ) لمن يقتله .

أما سبب غضب الملك على مهرطاد فهو لما يلي : أراد مهرطاد ان يشرك البرثويين في الحرب التي كان مزمعاً ان يشنها على البونديين الرومان ، ولكن بومبيوس كان قد سبقه ، فعاهد فراد على ان يكون الفرات حداً بينهما ، وظلت ارمينيا بموجب هذه المعاهدة ضمن حدود بلاد البرثويين ، وبذلك اصبح فراد حليفا عسكريا للرومان وأخيراً هاجم بلاد ارمينيا بالاتفاق مع ديكران الصغير نجل ديكران الثاني الكبير ، وكان الأرمن في خطر ، فلاذ ديكران بالجبال المنيعة الصعبة المرتقى ، ثم حاصر البرثويون مدينة ارداشاد

١) بلوتارك : حياة لوغللوس

فامتنعت عليهم لحصانتها، اذ هي محاطة بنهر اراكس من ثلاثة جوانب، أما الجانب الرابع فتكتنفه اسوار منيعة وخنادق عميقة (١) ، ولهذا ذهبت سدى محاصرة البرتويين المدينة لفتحها ، وعند حلول شتاء عام ٦٦ ق . م نقل فراد معظم جنده الى جهـة اخرى وعهد بفتح ارداشاد الى صهره ديكران الصغير(٢) ، ولما غادر البرتويون ارداشاد برز ديكران الكبير بجيشه فضرب نجله العاصي وكسره ـ وقد كان الابن عصى أباه في سبيل التاج ـ فلما انكسر ديكران الصغير فر الى جده مهرطاد في بوندوس، ولكنه لما تحقق وهنه وانخذاله التجأ الى بومبيوس فاستقبله هذا بكل ترحاب ليتخذه دليلا في فتح بلاد ابيه .

عندما يئس مهرطاد من ديكران فر الى ما وراء نهر باسيس ، فدخـل بومبيوس ارمينيا وكان دليله فيها ديكران الصغير(٣) وبدون أية مقاومة نزل من منابع الفرات الى وادي اراكس ثم توجه رأساً الى ارداشاد فلم يلق ممانعة من ديكران الكبير الذي أجهدته الحروب الـتي دامت اربع سـنوات مني فيهـا بادبار مستمر ، بل دعاه الى السلم والولاء والصداقة ، وخرج مسافة خمسة عشر كيلومتراً عن العاصمة ارداشاد لاستقباله ، فقابل بومبيوس فعله بكل تعظيم واجلال مظهراً أسفه لطمع لوغلاوص وقسوته ، ثم طلب من ديكران ستين الف طالان ( ٣٦ مليون فرنك ذهبي ) ضمانات حربية ، فلما دفعها صاح الرومان « ليحي ملك الارمن » ثم عقدت بينهما محالفة صـداقة ووفاق ، واقتصرت ملوكية ديكران على بلاده الارمنية فقط .

أما الخائن ديكران الصغير فانه يئس من وعد بومبيـوس اياه بالعرش ، ورفض

---

١) استرابون ١١ ص٦

٢) يذكر ابيانوس ص١٠٤ عن ديكران ما يلي : « انجب ديكران من الملكة كليوباترا ابنة مهرطاد الاول ثلاثة اولاد اولهم زاريه وقد عصى والده في جبهة الحرب بالاتفاق مع بعض الامراء . اما الثاني فقد حز والده رأسه اثناء الصيد لان الاب سقط عن جواده وجرح ففقد شعوره ، اما الابن العقوق فبدلا من ان يعالج اباه خلع التاج عن رأسه المهشم فوضعه على رأسه معلنا ملوكيته ، فاهتم الابن الثالث ـ وهو ديكران الصغير ـ بامر ابيه حتى شفي فوعده بالتاج جزاء لوفائه ، ويلوح ان الابن طالب الاب بانجاز وعده فلما لم يجبه عصى وحرض البرتويين عليه .

٣) يذكر بلوتارك في « حياة بومبيوس » ص٣٣ ان ديكران الصغير التجأ الى بومبيوس عند ضفاف نهر اراكس .

قبول امارة ارمينيا الصغرى، وتطاول على بومبيوس لانه لم يمنحه المكافأة التي يستحقها بعد ان قطع أباه وخان عهد وطنه ، فأمر بومبيوس بسجنه هو وعائلته واولاده ثم أخذهم الى روما كأسرى حرب ، وألحقت ارمينيا الصغرى بكابادوسيه ثم بارمينيا الكبرى(١)

ولما سمع فراداشاه بالحيف الذى لحق صهره احتج ضد بومبيوس ، فما كان من هذا الا ان هدده ثم احتل مقاطعة حكاري وألحقها بملك ديكران الكبير .

عاد بومبيوس الى روما بعد ان نظم ادارة بوندوس وسوريا وفلسطين ومعه اولاد مهرطاد وبناته وديكران الصغير وعائلتـه وذلك في ٢٨ أيلول من عام ٦١ ق . م . وعاش ديكران الكبير بعد ان أضاع امبراطوريته خمسة عشر عاما حليفاً للرومان وصدغزوات البرثويين عن بلاده وسعى في الترفيه عن شعبه واسعاده ، وتوفي عام ٥٤ ق . م . في ارداشاد .

## ارداوازت الثانى

### ٥٤-٣٣ ق . م

لما جلس ارداوازت الثاني على عرش أبيه ديكران الثاني الكبير كانت البلاد مربوطة مع الرومان بالمعاهدة التى تقدم الكلام عنها . فوقع ارداوازت في حيرة من الامر : أيميل في سياسته الى البرثويين فيسخط الرومان ام الى الرومان فيسخط البرثويين؟ فقد توازنه واختل أمره فسعى جهده الى موازنة الحال ولذا كان هواه السياسي طوراً مع هؤلاء وتارة مع اولئك ، سياسة متقلبة اعتبرها الرومان من ارداوازت خداعا ومكراً فكانوا له بالمرصاد كل ايام حياته .

تأثر ارداوازت بالحضارة اليونانية التي اقتبسها والده، فامتاز بين ملوك ارداشيسيان بدهاء فائق وأدب جم (٢) واشتهرت مؤلفاته وآثاره الفلسفية والمسرحية التي كانت تمثل حتى على المسارح الرومانية بحسب شهادة بلوتارك .

غزو غرهسوس بلاد البرثويين، وبوروفت بلاد ارمينيا : في اوائل حكم ارداوازت

١) تاريخ ارمينيا : اسحق موسيسيان ص٢٨٤

٢) بلوتارك : «حياة غرهسيوس»

كان غرهسوس احد الحكام الثلاثة طموحا جاعا للمال والثروة، فطمع في الخزائن الموجودة في البلاد البرثوية وشجعه على ذلك انتصارات لوغلاوس وبومبيوس في الشرق، فدخل سوريا وفلسطين، وبعد ان نهب نفائس هيكل القدس تقدم الى بلاد البرثويين وسلم قيادة جيشه في سوريا وفلسطين الى ولده بوبليوس وتوجه هو نحو الشرق، وحين وصوله الى ضفة الفرات استقبله ارداوازت بستة آلاف جندي (١) ووعده بان يمده بعشرة آلاف دارع وثلاثين الفاً من المشاة على نفقته الخاصة، ثم نصح لغرهسوس ان يسير لغزوه من طريق ارمينيا معدداً له مزايا هذا الطريق في تأمين نصره. غير ان غرهسوس لم يبال بارشاداته ووعده وأكد له انه يريد غزو البرثويين من طريق العراق الذى غادرته الجيوش الرومانية الباسلة، فغضب ارداوازت لاعراض غرهسوس وعاد الى بلاده.

وترامت الى يوروفت ملك البرثويين اخبار مفاوضة ارداوازت وغرهسوس، فهيأ جيشاً لجباً بقيادة سورين لحرب غرهسوس، وسار هو بنفسه على رأس حملة الى بلاد ارمينيا، فكتب ارداوازت الى غرهسوس يخبره ان البرثويين هاجموا بلاده، ولذلك فانه لن يتمكن من ارسال المدد اليه، ثم طلب منه الحضور الى ارمينيا لمواجهة البرثويين معاً، اما غرهسوس فلم يجب على كتاب ارداوازت التحريري بمثيله، بل اكتفى باخباره شفاهاً انه لا يملك الوقت الكافي للتفكير بارمينيا حتى يفتح ايران، وحينئذ يكر على ارمينيا فيثأر منه لخيانته.

ثم سار غرهسوس نحو البرثويين وأدلاؤه (٢) اليهم العرب، ولكن الدهر قلب له ظهر المجن فكسره سورين في خران وأسره، ووقعت أعلام النسر الروماني في أيدي البرثويين، وصب سورين في فم أسيره غرهسوس الذهب الحار المصهور قائلا: « اشبع الآن من الذهب الذى أتيت الى ههنا لجمعه » ثم حز رأسه وارسله الى ملكي الأرمن والبرثويين وكانا قد اتفقا اخيراً ضد غرهسوس. وتشاء الصدف ان يكون الملكان جالسين في قاعة مسرح ارداشاد عاصمة ارداوازت يشاهدان تمثيلية رواية « باكوسيائين »

---

١) بلوتارك: « حياة غرهسوس » ص١٩

٢) الادلاء: جمع الدليل

لمؤلفها يفريبدس . فلما وصل الرأس المقطوع أمسك به باسون دارلأني بطل التمثيلية ورفعه عالياً ثم ردد الكلمات التالية من الرواية : « لقد جلبنا بصيدنا من الجبل قرون غزال مقتول » فقوبل بعاصفة من الهتاف .

لما عاد اردوازات من مخيم غرسوس مغضباً بعد تلك المقابلة الجافية قرر حاقداً أن يصالح البرتويين محافظة على بلاده وصيانة لعرشه ، فعقد الصلح وزوج ابن يوروفت ( Yorctis ) باكورمن شقيقته وكانت الرواية التي مثلت ابتهاجاً بزواج الأميرين .

اردوازات وانطونيوس : ان أنطونيوس هو أحد الحكام الثلاثة ، وقد ألهاه عشق كليوباترا برهة من الزمن عن القضية الشرقية ، ولما علم بمقتل غرسوس وباعتلاء فرافوت الرابع عرش البرتويين وقتله لوالده سنة ٣٧ ق.م. استعد لسحق البرتويين وقرر الاغارة على ايران ، فجمع حوله عدة ملوك واتفق معهم على ان يعاونوه بقواتهم ، وكان من هؤلاء الملوك اردوازت فقد قدم ٦٠٠٠ من الفرسان و ٧٠٠٠ من المشاة وكانت هذه اكبر معونة قدمها ملك من الملوك المحالفين(١) .

كان على أنطونيوس أن يتريث ويعطي فترة راحة لجيشه الذى أضناه طول الاسفار بيد أنه لم يفعل ذلك بل تعجل في الأمر ليلاقي كليوباترة وليأخذ بثار غرسوس ويعيد الشرف الروماني بانقاذ النسر الروماني من البرتويين ، وكانت مراجل حقده تغلي ضدهم ولذا ففي ربيع عام ٣٦ ق م. عبر بجيشه البالغ ١٢٠ الف جندي نهر الفرات وسار بمحاذاة مجرى نهر اراكس بطريق أرمينيا فوصل الى بلاد المادين (٢) وكان الماديون مرتبطين بالبرتويين بتحالف عسكري ، فهجم أنطونيوس تواً على مدينة فراطا من أعمال أذربيجان إلا ان القوتين المتحالفتين العظيمتين من الايرانيين والمادين ردتاه على أعقابه فاضطر الى الانسحاب والتقهقر ، ولما رأى اردوازت انخذال انطونيوس خاف عداء الشرقيين المحالفين فعاد أدراجه بجيشه الى بلاده .

---

١) بلوتارك : «حياة انطونيوس» ص٣٧

٢) الاراضي الايرانية التي بين تبريز وهمدان

وتعقب البرثويون جيش أنطونيوس المتقهقر حتى ضفاف نهر اراكس الأرمني ، ونفذ الرومان من هذه المنطقة الى أرمينيا حيث استراح الجيش المتقهقر الذى أضناه الجوع والتعب وشبع من خيرات البلاد ، ولكن الوباء حل فيه فأفنى عدداً غفيراً من افراده .

دب اليأس الى نفس انطونيوس بسبب اندحاراته المتوالية التي كانت وبالا عليه ، واغتاظ من نفسه ومن ارداوازت الذى كان يأمل معاونته مها كلفه الأمر ، وقد تقاعس هذا عن نصره خوفاً من عداء الشرقيين المتغلبين . ورجع أنطونيوس بجيشه الى الاسكندرية مدحوراً كسير الخاطر وذاع أن سبب اندحاره كان ارداوازت ملك الأرمن لذلك قرر أن يثأر منه .

واتخذ انطونيوس الخديعة بادىء الأمر للايقاع بخصمه واستدراجه الى الفخ ، فعقد اتفاقا مع الماديين الذين غلبوه لتأديب ارداوازت ، وكان بينه وبين ملك الماديين عداء شخصي ، وقدم أنطونيوس الى الشرق بجيش عظيم وحل في مدينة نيكوبول، ثم دعا ارداوازت بواسطة صديقه الامير كيليوس بحجة الاستشارة الحربية والاتفاق لغزو البرثويين ولكن ارداوازت امتنع عن مقابلة خصمه ، فأعدم انطونيوس اريوبارات ملك كابادوسيه باعتباره خائنا له ثم سار بجيشه للقبض على ارداوازت ، وخلاصة الامر فان انطونيوس أراد أن يقابل ارداوازت باية وسيلة كانت من تهديد وتوسل وتوسط بالملوك الذين هم أصدقاء ارداوازت ومن كتب ودية . وأخيراً لقيه بقوة السلاح فى قيادته ، وهناك قبض عليه ليروي غليله بالانتقام منه .

نهب أنطونيوس جميع أرمينيا دون مراعاة وجدان أو ضمير ، كما نهب جيشه معبد الالهة أناهيد وكسروا صنمها الذهبي فاقتسموه بينهم ، ثم أراد أنطونيوس أن ينهب القلاع والخزائن الارمنية فأخذ ارداوازت معه لكى يسهل عليه ذلك ، ولكن حاميات القلاع أبت فتح الابواب ووبخوا انطونيوس وأسمعوه قوارص الكلام لامتهانه ملك أرمينيا ، ثم أعلنوا حالا ملوكية الامير أرداشيس الثاني .

غادر انطونيوس ارمينيا وحمل معه ارداوازت مقيداً بسلاسل ذهبية ومعه عائلته

وولده ديكران (١) وسلمهم الى كليوباترا في الاسكندرية فأمرت بسجنهم وتعذيبهم .

وفي ذلك الحين اتهم انطونيوس وكليوباترا امام مجلس الشيوخ ، اتهمها اكتافيوس(٢) وحرض المجلس عليها بدعوى انها يعملان على اعادة امبراطورية الاسكندر المكدوني في الشرق ، وتمكن اكتافيوس من تحصيل أمر باعلان الحرب عليها ، وفي واقعة اكثيون ( Acthion ) انتصر عليها وهزمها الى الاسكندرية ، فلما وصلا خافا ان ينقذ انطونيوس ارداوازت فحز رأسه وأنفذه الى ملك الماديين الذي كان من ألد اعداء ارداوازت ، ولكن هذا العمل الشنيع اعتبرته المحافل الرومانية جرما كبيراً تجاه شخص جليل ذكي عالم مثقف . واخيراً فاز اكتافيوس بانطونيوس فقتله .

## ارداشيس الثاني

### ٣٣ ـ ٢٠ ق.م

تولى ارداشيس الحكم ونيران الحقد على قتلة أبيه تتأجج في صدره ، وكان جريئاً ، فصمم على أخذ الثأر وهجم على الرومان ، فلما تبين مبلغ قوتهم الجبارة التجأ الى البرتويين حيث لقيه فراد الرابع بالعز والاجلال ووعده بالمعونة على الاثئار .

واذ كان ارداشيس في البلاط البرتوي ، قرر انطونيوس ان يجلس نجله على عرش ارمينيا تحت وصاية ارداوازت ملك الماديين الذي اتفق مع انطونيوس على تزويج ابنته من اسكندر بن انطونيوس فيرتبطان بالمصاهرة، ولكن هذا الاتفاق لم يتم بسبب هجوم ارداشيس الثاني يضافره البرتويون على ملك الماديين . نجح ارداوازت أول الأمر في صد عدوان المتحالفين عليه ، وقد ساعده على ذلك الجنود الذين في ارمينيا ومادستان. فلما ظعنوا لحرب اكثيون التي أذكى نارها اكتافيوس ، تضعضعت قوة ارداوازت وأسره في المعركة ارداشيس الثاني الملك الأرمني ، ثم توجه الى ارداشاد عاصمة ارمينيا فاستقبله الشعب استقبالا حاراً واستوى على عرش ارمينيا وبلاد الماديين ايضا وقتل

---

١) يوسيفوس : علم الآثار العبرانية

٢) كانت اكتافيا شقيقة القيصر اغسطوس زوجة لانطونيوس ، فلما هام بحب كليوباترا هجرها ثم طلقها ، فنقم عليه اكتافيوس لذلك ، وكانت نقمته سببا في سقوط انطونيوس واعدامه

جميع الرومانيين الذين كانوا تحت سلطانه .

سياسة القيصر اغسطوس مع الارمن والبرتويين : كان القيصر اغسطوس فطناً بعيد النظر ، عارفاً باخلاق وسجايا الامم الشرقيـة ، فسار بحسب الظروف والأوضاع ، واستعمل سياسة لينة ودية مع الامتين الارمنية والبرتوية ، وفي مدة بقائه في الشرق لم يعمد الى القوة والتجبر في حكمه ولم يتخذ السلاح أداة لسياسته ، ولكنه عرف كيف يجعل خشيته في قلوب الناس ، تحت الثقـة وضعف التعلق بالعائلة البرتوية المالكة ، ولم يبعد شبح الحرب من البلاد حسب ، ولكنه أعاد اعلام النسر المأسورة الـتي خسرها غرەسيوس وانطونيوس.

أما الارمن فقد أرادهم على ان يبقوا تحت نفوذ روما وان تكون أرمينيا سداً منيعاً بوجه برابرة آسيا وسوراً حصيناً لصيانة المدنية الغربية ، وتأثر سياسة بومبيوس الكيسة بعدم جرح العزة القومية وباذكاء الحماس الارمني ، كذلك كف يده عن العبث في ارمينيا ولم يرم الى استعمارها بل تركها حرة مستقلة ، واستعمل الى ذلك كله سياسة « فرق تسد » ونجح فيها اذ تشكل حزب موال للرومان من طبقـة النبلاء والامراء يناويء الحزب الموالي للبرتويين . وكان الملك ارداشيس يرعى الحزب البرتوي ويعادي الحزب الروماني .

وقد نهج اخلاف اغسطوس سياسته فكفلت لهم المصالح الرومانية عدة اجيـال في ارمينيا .

وكان أول عمل قام به الحزب الروماني هو طلبه الى القيصر ان يقيم على ارمينيـا ملـكا يناوىء ارداشيس المعروف بعداوته للقيصر وللرومان ، وكان ولدا ارداوازت اللذان هما اخوا ارداشيس معتقلين في روما لدى بلاط القيصـر ، وكان يقوم بتربيتها ليستعملهاعند اللزوم في اهدافه السياسية في ارمينيا . ولقد أراد القيصر ان يحصل على صداقة ملك البرتويين فبعث الى قطيسفون عاصمة البرتويين بهدية للبلاط الملكي وكانت الهدية فاتنة ايطالية تدعى « موس » وبذلك كسب رضى الملك البرتوي . وسير بعد ذلك ديغرنوس وهو ولده الذي تبناه بجيش كثيف الى ارمينيا لكي ينصب على عرشها النجل

الثالث لأرداوازت الثاني باسم « ديكران الثالث » . وكان الحزب الموالي للرومان قد اغتال الملك ارداشيس الثاني ، ولهذا لم يلجيء الأمر الى استعمال القوة لخلعه ، ودخل ديغريوس ارداشاد عاصمة ارمينيا سلماً فوضع تاج ملوك ارمينيا على هامة ديكران الثالث ، وتم ذلك في قاعة نادي الامراء بحضور جم غفير من الشعب ، ثم ضرب سكة باسمه كعادة الملوك السابقين .

ومات الملك ديكران الثالث في عنفوان الشباب عام ٦ ق.م.

## ديكران الرابع وهرادو

بعد وفاة ديكران الثالث أجلس الحزب الوطني الموالي للبرتويين على العرش الارمني ولديه الابن والبنت ، وكان اسم البنت « هرادو » أما الابن فقد دعي عند تجليسه باسم « ديكران الرابع » وكان هذان الاخوان الشقيقان قد تزوجا من بعضهما بحسب التقاليد القديمة السقيمة .

وتجددت احقاد القيصر على الارمن وعلى الأخص لانهم اجلسوا مليكهم دون طلب موافقته ( اي القيصر ) وهذا كان لازالة النفوذ الروماني عن البلاد ، وأراد قيصر ان يرسل اليهم مرة اخرى ديغريوس ، الا ان هذا كان مغتاظاً ، فرحل الى جزيرة رودس ، وعندها أرسل بدله نائبين لينصبا ارداوازت الثالث الابن الثالث لأرداوازت الثاني وكانت تربيته رومانية وأمرهما بخلع ديكران الرابع ، الا ان الارمن عصوا واحتجوا على هذا الامر وقتلوا من الرومان وأجلوا الباقين عن البلاد وطردوا ارداوازت وجرت هذه الامور عام ٢ ق.م.

أما ديكران الرابع - ويلوح لنا انه كان قد فر واحتمى بالملك البرتوي - فقد هيأ جيشاً كاملاً ليدخل به ارمينيا ، ودخلها لحطم النفوذ الروماني داخل البلاد وأيدمو الاة البرتويين ، وذلك سنة ١ ق . م .

<u>كابوس في ارمينيا</u> : حين تهن قوة الامة وتسوء سياستها ينفرط عقد وحدتها فتسودها التفرقة وتتبلبل الآراء ، ويعمل المغرضون كل لمصلحته ، فتنتهز الأمم المستعمرة

هذه الأحوال لتقوم بدورها في توسيع الخرق ولتبث الدعاوة لنفسها بين طبقات الشعب. هكذا كانت حالة ارمينيا عند بزوغ شمس المسيحية: فلقد كان فيها - كما ذكرنا آنفاً - حزبان متصارعان أحدهما يوالي الرومان ويرى السلامة في صداقتهم، وثانيهما يمالىء البرتويين ويعلن ان منفعة البلاد في مصادقتهم، وكان التناقض بين اصحاب الرأيين لا يديم الحكم لأي ملك اكثر من عام او عامين. على ان السواد الاعظم من الامة الارمنية كان ميالا الى البرتويين لتقاربهم معهم باللغة والعادات الشرقية وبالعنصرية والمصاهرة - وقد كانت كثيرة بين الامتين - ولذلك كانت كفة البرتويين هي الراجحة، وكان غيظ القيصر وحسده يتزايدان وهو يعلم حق العلم ان هوى الشعب الارمني هو مع البرتويين، فبذل قصارى جهوده في صرفه عنهم - وهم منافسو الرومان اجيالا كما يعلمنا التاريخ -.

***

لم يكن من مصلحة القيصر اغسطس ان يترك مقدرات ارمينيا في يد عدوه القديم، او بذر الامور الداخلية فيها برعاها غربه، ولقد عظم عليه ان يقبوأ ديكران الرابع العرش بعضد من البرتويين، فلما توفي ديكران خلال احدى المحاربات مع جيرانه - وقد وقعت الحرب بتحريض من الرومان - واتته الفرصة فأرسل حفيده كايوس الى الشرق، وبطلب من الحزب الارمني الموالي للرومان، دخل ارمينيا ونصب على عرشها اريوبارزان نجل ملك الماديين ملكا للارمن (١ - ٥ م) فثارت ثائرة الارمن الموالين للبرتويين لهذه الترتيبات التي أجراها القيصر وحاربوه في قلعة آرداكيرس، وفي هذه المعركة جرح أدون رئيس الحزب الارمني البرتوي كايوس جراحا بليغة لم تمكنه من العودة الى بلاده، فلقد مات من تأثيرها عام ٤ م.

ومات اريوبارزان، فنصب القيصر ابنه ارداوازت، فاغتاله الحزب الوطني، فلما القيصر ورأى ان يسترضي الارمن ويجلب قلوبهم، فجلب من روما الابن الاخير لارداوازت الثاني الارمني - وكان ربيب بلاطه - وأقامه ملكا باسم ديكران الخامس،

ثم لاسباب مجهولة خلعه وأعاده الى روما (١) وبقي فيها حتى وفاته ( ٥ - ١٦م ) وبموته انقرضت الاسرة الارداشيسية .

❖

١) يوجد في انكورة في سجل لهذه الوقائم ما يلي :

*(La Grande Armenie, apres la mort de son roi artaxes, Je pouvais en faire une province : J'ai prefere, suivant lexemple de nos ancetres transferrer ce royaume a Tigrane fils d' Ardavasdes, petit fils du roi Tigrane, et J'ai charge de ce soin Tibvero, qui n'etait encore que mon beau fils. Quand ensuite celte meme nation s'agita et se revolta, elle fut dompte par mon fils Caius et remise par mon ordre, aux rois Arioberzan fils du roi Mede. Artabaze, et apres sa mort, a son fils Artavasdes.*

*Ce dernier ayant ete tue, J'ai envoye dans ce royaume Tigrane, issue du sang des rois Armeniens.)*

*Duruy, Hist. Rom. tom IV. P. 167.*

وترجمته :

« ارمينيا العظمى : بعد وفاة ملكها ارداشيس كنت أتمكن من ان اجعلها ولاية ، ولكنني آثرت - على غرار اسلافنا - نقل ملكيتها من ديكران بن ارداوازت حفيد الملك ديكران . وارسلت لحمايته طيباريو الذي لم يكن آنذاك الا ابني المتبنى . ولما انتابت هذه الامة نفسها القلاقل وشقت عصا الطاعة فيما بعد ، اخضعها ابني كايوس ، ولقد عهدت بامر مني الى الملك اريوبارزان ابن الملك المادي ارداوازت ثم الى ابنه ارداوازت من بعد وفاته . وبعد مقتل هذا الامير ارسلت الى هذه المملكة ديكران سليل الملوك الارمن . »

فكتور دوري . التاريخ الروماني : المجلد ٤ الصحيفة ١٦٧

الفصل الرابع

# الملوك الاجانب فى ارمينيا

بعد انقضاء حكم الأسرة الارداشيسية اضطرب الوضع في أرمينيا وساءت الاحوال وانتشرت الفوضى بنتائجها السيئة ( بين ١٤-١٦ م ) فضاع استقلالها وصارت أشبه بقزم صغير بين عملاقين جبارين هما روما وقطيسفون فكانت طوراً غيل لهذا الجانب وتارة لذاك ، وكانت مقدراتها متأججة بينهما .

وكان أمراء الارمن يجرون وراء منافعهم الشخصية ، ففدوا آلات صماء تحركها أيدي الامبراطوريتين فتطبقان سياستها الغاشمة على حساب ضرر الوطن المسكين ، وفى تلك الحقبة من الزمن توالت على البلاد غارات قاسية وغزوات شديدة فزادتها المصائب دما ودماراً وعم البلاد السلب والنهب والحريق ، وتفرقت قلوب أبنائها وانتشر الكذب والرياء والنفاق، وكانت الامبراطوريتان متعاديتين فتنصب كل منها على أرمينيا المشتتة ملوكا غرباء من غير العنصر الارمنى لضمان نفوذها السياسى فيها .

## وونون البرتوى Vonon

بينما كان الارمن يبحثون عن خلف لديكران الكبير ، كان ملك الملوك البرتوي المدعو وونون قد هرب من وجه مواطنيه الناقمين عليه لموالاته الرومان ، فدخل أرمينيا وبما أنه كان قد نشأ نشأة رومانية وهو موال للرومان فقد حاز الشروط الموافقة لرغبات الارمن في وريث العرش ، وأعلنوا ملوكيته فى عام ١٦ م ، غير ان وونون لم يبق على عرشه إلا فترة قصيرة لان الملك ارداوان الثالث الارشاغوني الذي تبوأ أريكة ايران وكانت تربيته برتوية وطنية محضة لم يرض به ، وهـدد مجلس الشيوخ الرومانى باعـلان الحرب اذا لم يبادر الى خلع وونون ، وبناء على ذلك فقد عين اغسطس قيصر ديغريوس بديلا اجتنابا لتكرر العواقب الوخيمة التي أصابت لوغللوس وبومبيوس ، وهكذا

غادر وونون أرمينيا وسافر الى أنطاكية حيث بقي تحت حراسة صاحبها محتفظا بلقبه وأوسمته الملكية .

ثقل تهديد البرتويين على القيصر وديغريوس ، خصوصا وان الحزب الموالي للبرتويين قويت شوكته ونال سبقا على الحزب الموالي للرومان ، وقرر الرومان أن يقووا نفوذهم ومركزهم في أرمينيا ، فأرسلوا اليها القائد الشهير جرمانيكوس .

أحرز جرمانيكوس انتصارات رائعة ( قوبل بسببها باستقبال فخم عند عودته الى روما ) وهدأ الاحوال ووطد السلام ، وبحذقه وحلمه جمع عليه قلوب الارمن أجمعين ، ثم طلبوا منه على عرش بلادهم زينون نجل بوليمون الملك البونتي وكان قد نشأ نشأة أرمنية وطنية وتطبع بالعادات والاساليب القومية منذ صغره ، فأجابهم جرمانيكوس الى طلبهم ، ولما دخل زينون الى أرداشاد عاصمة أرمينيا قوبل بحفاوة وأقيم له احتفال لم يسبق له نظير ، ووضع جرمانيكوس تاج أرمينيا على فرق زينون فصاح المحتفلون « يحيا أرداشيس الثالث » وبذلك تبدل اسم زينون بالاسم الارمني « أرداشيس » عام ١٨ م .

ونظراً الى القرابة التي تربط الملك الجديد بالعائلة المالكة الرومانية فقد عدل بين الحزبين المتخاصمين : البرتوي والروماني ، فاعترف اردوان ملك البرتويين بملوكية أرداشيس إلا أنه اشترط على الرومان ابعاد وونون من أنطاكية لان وجوده فيها خطر على عرشه ، فأبعد ، وفي بعض الطريق الى كيليكيا قتل بصورة دنيئة .

وطالما كان ديغريوس يدير أمور الامبراطورية بنفسه ( وقد تخلف بعد أغسطوس ) وكان أرداشيس الثالث ملكا على أرمينيا فقد بسطت حمامة السلام جناحيها على البلاد ، ولكن عندما أطلق ديغريوس لنفسه عنان المباذل والشهوات في أواخر أيامه ثم سلم الامور الى أيدي موظفي البلاط فقدت أرمينيا خيرها ورفاهة عيشها .

تاه ارداوان الثالث غروراً بسلطنته التي مدت حدودها انتصاراته المتوالية ، ولما رأى - بعد وفاة أرداشيس الثالث - أن الحكم الروماني قد وهن في أرمينيا بوأ ابنه أرشاك الاول عرشها .

## ارشاك الاول

### ٣٤ ـ ٣٥ م

بجلوس ارشاك على عرش ارمينيا ، قوي نفوذ البرتويين فيها ، اما ديفريوس فتظاهر بقلة الاكتراث للامر . لكن ارداوان هدده باعادة امبراطورية كورش والاسكندر بقوته وبسلاحه ، ثم استعد لغزو كابادوسيه ، وحيال هذه الحال عمد ديفريوس الى حيلة سياسية ، فاستفز ملك الكرج على غزو ارمينيا وثل عرشها ، ثم اغتصاب تاجها بمؤازرة الرومان خفية او علانية . وصادف هذا هوى في نفس بارسمان ملك الكرج لمصلحة أخيه ، فأرسل أخاه المذكور وهو مهرطاد واستأجر هذا بذهب الرومان السارماديين الضراة (١) من قبائل القوقاز، وبمؤازرة جنده دخل ارمينيا فأثار فيها معارك دامية وسبب لها خسائر مادية ، ودام ذلك ربع قرن، حتى سئم رجال البلاط الملك ارشاك (٢) .

## مهرطاد الكرجي

### ٣٥ ـ ٥١ م

لما سمع ارداوان بموت ولده بتلك الصورة المفجعة ، ثارت ثائرته على مهرطاد ، وأرسل ابنه الآخر فورود بجيش كامل المعدات للاخذ بثأر أخيه واسترجاع تاج ارمينيا من غاصبه، ولكن بارسمان كان قد احتاط للامر واتخذ له التدابير وفتح ابواب حدود الآنيين ، فساق على ارمينيا قبائل القوقاز المتوحشة ضد البرتويين ، ولم يتمكن خيالة هؤلاء من التغلب على مشاة القوقاز البرابرة الاشداء ولا من رد نبالهم الصائبة . وفي اثناء الصدام لاقى ملك الكرج بارسمان الامير البرتوي فورود ، فأصاب الاول الثاني برمحه وجرحه جرحا بليغاً ، وبجهد تمكن مرافقوه من انقاذه ، وظن البرتويون ان أميرهم قد قتل ، فتصدعت صفوفهم وانسحبوا من ساحة الوغى فكانت الغلبة للعدو .

---

١) جمع ضار

٢) بركوبيوس : ويرى يفيشه توريان ان ارشاك هذا هو خسروف الاول ويقولان ارشاك اخوارداوان .

اضطرم ملك البرتويين غيظاً على الكرج ، ولكي يغسل العار الذى لحق بجيشه ، دخل بكامل قواته ومعداته الى ارمينيا، ولكن الكرج الذين كانوا عارفين بالمواقع الحربية والمراكز الدفاعية الهامة ردوا ارداوان . وبينما كان هذا يستعد للمعركة الفاصلة ، لعب ديفريوس لعبته الثانية ، اذ حرض الامراء البرتويين المتنفذين على المطالبة بملك ارشاغوني ( من الاسرة الارشاغونية الملكية ) ثم انه هدد فيديليوس ( *Vidilius* ) بتحريض ديفريوس حاكم سوريا بانه سوف يدخل ايران والعراق بجيش عظيم لاحتلالها، فاضطر ارداوان على الانسحاب من ارمينيا وهرب الى اسكوتيا حيث نظم جيشاً حديثاً كر به على ارمينيا فاحتلها وطارد ديرطاد الارشاكوني المطالب بالتاج الارمني .

خلف كاليفولا القيصر ديفريوس ، فسار على سياسة سلمية نحو البرتويين ، واستدعى مهرطاد الملك المغتصب الى روما فقيده وسجنه وترك ارمينيا للبرتويين .

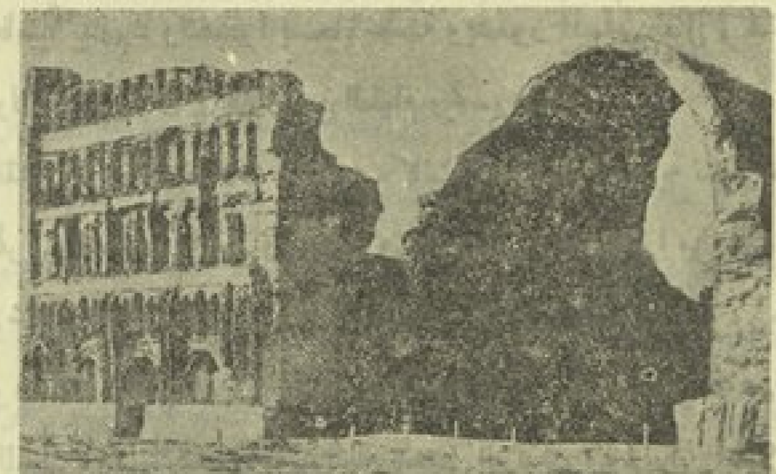
وانتقل العرش الارمني بعد مهرطاد من مالك الى مالك حتى عام ٦٦ م ، وكان آخر غاصب له هو هراطامبزد .

## الفصل الخامس

# ملوك الأسرة الارشاغونية الارمنية

انتقل تاج ارمينيا الى الأسرة الارشاغونية الارمنية منذ سنة ٦٦ ب.م حتى ٤٢٨ ب.م، وجلس على العرش الارمني عشرون ملكا من افرادها، غير ان تسعة منهم لم يرثوه عن آبائهم ..

وكان بعض هؤلاء الملوك ينتمون بأصلهم الى العنصر البرثوي، ولكنهم انتحلوا القومية الارمنية وتربعوا في دست أحكامها، ففتحوا لها دوراً جديداً وذلك بسن القوانين ونشر الأمن والسلام فى البلاد، وحكموا ٣٦٢ عاما بصفاء مع البرثويين وتحت ظل النسر الروماني مراراً، وحموا استقلال ارمينيا من هجمات الساسانيين .



طاق كسرى في قطيسفون

مشتى الملوك البرثويين فى جنوب شرقي بغداد

ولكن الرومان خانوا ارمينيا ونكثوا عهودها منذ جلوس تيودوروس أحد القياصرة البيزانطيين المسيحيين المتأثر بالمبادىء الاسيوية البائدة، وقد عجل في انقراضها أمراء الارمن الطامعون وذلك بالقلاقل والاضطرابات المستمرة .

البرتويون : ونرى لزاماً ههنا قبل ان نكتب تاريخ الأسرة الارشاغونية الارمنية ان نقول كلمة عن الأسرة البرتوية :

ان مؤسس الامبراطورية البرتوية هو ارشاك الاول وقد دعيت الامبراطورية باسمه ، وبه سميت سلالته « الأسرة الارشاغونية » .

كسر ارشاك هذا أمير السليفيكيين وأعلن استقلال البرتويين عام ٢٥٠ ق . م ، ووسع بعد ذلك رقعة المملكة حتى غدت امبراطورية تمتد من الفرات حتى انيدوس وسواحل اوكسوس .

وكانت عاصمتهم الأولى يكادونبوليس مركزاً للتجارة ، كما كانت قطيسفون (١) على ضفة نهر دغلاد (٢) مركزاً لسياسة العالم آنذاك ، اما همدان فكانت مصيف ملك الملوك .

اما حضارتهم فقد كانت يونانية ممزجة بالحضارة الشرقية ، وكان نظام تعدد الزوجات فاشياً بينهم ، واتصفوا بسجايا حسنة وبشعور انساني نبيل ، فكانوا يحسنون معاملة الاولاد والأسرى ، يقلون من الطعام ويحسون الخمر .

وبانتشار طرق المواصلات المنتظمة ، كانت القوافل البرتوية تتصل بالبر والبحر ، يبيعون الحرير والنحاس والجلد والحديد من الرومان ، وقد جنوا من ذلك ثروة طائلة .

اما شكل الدولة فكان ملكياً مطلقاً ، ويترأس الملك الوزارة ، ويدعى « ملك الملوك » او « الملك المعظم » . وكانت أسرة « سورينيان » أرفع أسر الأمراء ، فوظيفتها ان تتوج الملوك ، ومنها يتعين القائد العام للجيش البرتوي ، ولم يكن الحكم وراثياً بل انتخابياً ، ولكنه لا يقلد إلا الى أحد أفراد الأسرة الارشاغونية .

اما قوتهم العسكرية فهي على الغالب من الخيالة السريعة التي كانت تدهش العدو .

الارمن وواغارش الاول : تأسس حكم الأسرة الارشاغونية الاجنبية في ارمينيا بغير ما عناء ، لان الحزب الوطني القومي كان موالياً للبرتويين . ويقول داكيدوس مؤرخ

١) قطيسفون *Ctesephon* ويسميها العرب « المدائن » ولم يبق اليوم من مبانيها الا « طاق كسرى » جنوبي شرقي بغداد .

٢) نهر دجلة

ذلك الزمان « ان الارمن مقاربون للبرتويين بالوضع الجغرافي لبلادهم وبالقربى وبالدين الواحد واللغة الواحدة ، وهم مشابهون لهم بصفاتهم النبيلة وبكساهم وأسلحتهم ، مرتبطون بهم بالمصاهرة » .

كان الحزب الموالي للرومان الذي يروم نشر ثقافتهم في البلاد الارمنية بعيداً عن هوى القوم ونزعاتهم ، فظل سوادهم على وثنيتهم محافظين على طابعهم الاسيوي .

وحينما كان التاج الارمني ينتقل من رأس الى رأس، جلس على عرش ايران واغارش الاول ( ٥١ - ٧٧ م ) . كان واغارش ملكا جسوراً مستبداً عاتياً ، كما كان ذا همة عالية في انجاز الاعمال العظيمة . فلما اتضح له ان الارمن يميلون الى البرتويين جعل فرعا من أسرته البهلوية الارشاغونية يحكم في ارمينيا ، وكانت الغاية من ذلك سياسية محضة فيكون المقام الاول للشاه الايراني الذي يحمل لقب « ملك الملوك » ويكون المقام الثاني الى « الملك الارشاغوني » في ارمينيا ، اما المقام الثالث فلملك الماديين « الارشاغوني » ايضاً .

ولكي يطبق واغارش منهجه ، فانه في السنة الثانية من جلوسه على العرش نصب باكور أخاه ملكا على مادستان ، وديرطاد الأخ الأصغر عاهلا على ارمينيا .

وكان ملك ايران يضرب السكة باسمه لسائر الولايات المتحدة ( الدومينيون في تعبير العصر الحاضر ) ولذلك لا نجد في هذا الدور نقوداً ارمنية خاصة ، بينما نجد ملوك ارداشيسيان وباقراد وثيان وروبنيان قد سكوا العملة الارمنية باسمائهم ورسومهم .

## ديرطاد الاول

## ٥٢ - ٥٩ ثم ٦٦ - ٧٥

اعتورت سبيل ديرطاد الى العرش عقبات ومصاعب ، واستقبل الارمن توليه اياه بكل حبور وتلقوه بكل حفاوة وترحاب ، لانه كان موافقاً لهم من وجهة جميع الاحوال الاجتماعية والقومية ونظيراً من حيث الشرقية والعنصرية ، وقدم الشعب الارمني عامة له ولاءهم وخضوعهم لانهم ملوا الانقلابات والحركات العصيانية المتوالية

التي أقضت مضاجعهم وحرمتهم الراحة والنعيم ، وكانوا ينتظرون السلم والهدوء بكل لهفة على يدي هذا الملك الجديد .

ولما علم هراطاميزد - مغتصب التاج الارمني - بوفود قطعات عسكرية برثوية على ارمينيا بقيادة الملك ديرطاد فر من ارمينيا ، وكان الشعب يكرهه لتعسفه واستبداده ، ففتحت ارداشاد وديكران آباد ابوابها للملك الجديد .

حل الشتاء ببرده القارس ، فاضطر الجيش البرثوي الى الانسحاب من ارمينيا بسبب قلة المؤن والذخائر ، وكان هراطاميزد يترقب الفرص ، فلما وافته أنباء هذا الانسحاب جاء ارمينيا فاحتلها ثانية وطغى وبغى ، وآذى الشعب وآلمه اكثر مما كان يفعل قبلا ، فغضبت الأمة ، وحاصر الشعب الناقم قصر هذا الطاغية ، فلاذ بالفرار هو وزوجته زنوبيا وقصد الكرج ، وكانت المرأة حاملا ، فلم تستطع مواصلة الطريق وتضرعت الى زوجها ان يقتلها ويخلصها من هذا العناء ، إلا انه كان يستعطفها ويشدد عزمها ، فلما راحت الجهود سدى عمد اليها فجرحها وألقاها الى نهر اراكس حذراً من وقوعها في أيدي الارمن ، غير ان الامواج دفعتها الى الشاطئ ، وشاهدها رعاة فأخرجوها حية ، واستبانوا في جمالها وملامحها أمارات النبل والغنى ، فنقلوها في الحال الى العاصمة ارداشاد فاعتنى بها ديرطاد نفسه وعاملها باهتمام وحنو .

<u>جوربولون في ارمينيا</u> : كان لاحتلال ارمينيا من قبل البرثويين وقع سيء في نفوس الرومان ، وفي عام ٥٤م تولى الحكم القيصر نيرون ( Neron ) وهو لما يبلغ السابعة عشرة من عمره . وقرر بعد استشارة الأميرين سينيفا (Seneva) وبوروس انفاذ جوربولون حاكم كابادوسيه وكلاديا لاسترداد ارمينيا الى حماية روما ، وأعلن الحرب على البرثويين .

دخل جوبولون ارمينيا بجيوشه ، فسار نحو ارضروم ، وتحرك في الربيع يروم ارداشاد مركز المقاومة ، الا انه وجد العاصمة خالية من اية قوة برثوية او ارمنية ، وابوابها مفتوحة امامه ، وعلى الرغم من انه تسلم المدينة سلماً ، فقد أحرقها بغير اشفاق ولا انصاف عام ٥٩م ، وكان سبب احراقه اياها انه لا يستطيع حفظها بحامية صغيرة .

ثم غزا ديكران آباد من ارداشاد ، فقدمها سكانها لقمة سائغة وفتحوا ابوابها دون اية مقاومة ، وباحتلال هذه المدينة العظيمة الزاهرة اعتبرت الحرب منتهية بين الرومان والأرمن والبرثويين . ونصب جوربولون ديكران السابع على عرش ارمينيا ، وكان هذا حفيداً لملك كابادوسيه ، وقد توجه نيرون وارسله للعرش الأرمني سنة ٦٠م (١) .

معركة هرانديا : ان تتويج ابن كابادوسيه ملكا على ارمينيامن قبل قيصر اعتبر استصغاراً لشأن ديرطاد الارشاغوني وأفقده عطف ملك الملوك وعطف الاسراء والكبراء في فارس ، وقد كان انشغال واغارش ملك البرثويين بتأديب بعض الولاة والقبائل العاصية سبباً في اهماله معاونة ديرطاد زمناً قصيراً وتركه اياه يجابه بكتائب قليلة افواجاً عديدة من الرومان ، فما ان فرغ من اخضاع المتمردين حتى وجه اهتمامه الى ارمينيا ، فتوج ديرطاد بحضور الأسراء ، وأرسل الى ارمينيا جيشاً برثويا لجباً ، واستمد هو لغزو الولايات الرومانية .

كان جوربولون قائداً مشهوراً ذكياً فطناً محنكا ، فعرف العواقب السيئة التي يجرها عليه تصادمه مع ملك الملوك البرثوي ذاكراً سوء منقلب انطونيوس وغراسوس من قبل ولذلك طلب من نيرون ان يرسل قائداً آخر للمحافظة على ارمينيا .

عين بيدوس خلفاً لجوربولون ، وأخطأ هذا في نصب مخيماته على ضفة الفرات امام قلعة هرانديا الارمنية ، ولقد هدد بفرض الضرائب الباهظة والانظمة المجحفة بحقوق الارمن.

وتحرك ملك الملوك بجيوشه الجرارة ودخل ارمينيا بطريق نصيبين وبسرعة فائقة هاجم الرومان ، أما بيدوس فبدلا من الدفاع عن مواقعه ساق قسما من جيشه امام البرثويين كي يسد الطريق ويقطع عليهم معابر دجلة ، ولكن محاولته باءت بالفشل ، فعبر الجيش البرثوي وحاصر الجيش الروماني الاصلي امام قلعة هرانديا فتغلب عليهم وأفنى معظمهم ، وعقد مع بيدوس هدنة ، وأخذ قلعة هرانديا مع جميع غنائمها وأسر الجيش الروماني ، ثم احتل سائر القلاع الارمنية .

الوفد البرثوي في روما : كان بيدوس قد كتب سلفاً — قبل المعركة — الى روما

(١) دوري : تاريخ روماس ٦٠

يزف اليها البشرى بالنصر المبين ، ولذلك أمر القيصر نيرون بقرار من مجلس الشيوخ ان تقام الزينات وتنصب اقواس النصر في الكابيتول ، فاحتفل القوم احتفالا رائعا ، ابتهاجاً بظفر بيدوس المزعوم .

وفي ربيع سنة ٦٣م وصل الى المدينة الخالدة - روما - وفد برتوي يطالب بتأييد ديرطاد ملكا على ارمينيا ، فدهش نيرون لهذا التناقض والاختلاف وقال في نفسه : ان كان بيدوس ظافراً فملام قدوم هذا الوفد ؟ ثم استوضح الضابط المرافق لهذا الوفد عن حقيقة الحال في ارمينيا ، فأجابه هذا ان ليس فيها اي جندي روماني ، فظن قيصر ان الوفد يمزح او انه يريد التبجح بقوات أمته ، ولكن الحقيقة بدت له أخيراً واضحة كالشمس .

ولذلك أعلن نيرون الحرب على البرتويين وذلك بعد مشاورة مجلس الشيوخ حفظاً لكرامة الأمة وشرف الرومان ، كما رفض المعاهدة التي أبرمها بيدوس ، وبعث بهدايا ثمينة الى ديرطاد ملك الأرمن مؤكداً له أن ليس بينهما عداء ، ولكن التاج يجب ان يعقد له في روما .

جوربولون وديرطاد الأول : أراد نيرون ذلك القيصر الذي طبق صيته اوروبا ان يذيع اسمه في آسيا ايضا ، ولذلك نحى بيدوس عن منصبه واعاد جوربولون على القيادة العامة ليغسل العار عن الجيش الروماني المغلوب ، ومنحه صلاحيات واسعة كتلك التي منحت الى بومبيوس في زمانه ، ووضعت تحت امرة القائد الشيخ أفواج مصرية منتخبة وأفواج سورية نظامية فضلا عن جيوش الملوك والأمراء المحالفين في آسيا .

عبئت هذه الجيوش الغفيرة في ميلدنية (ملاطية) ، ثم عبرت الفرات نحو الشرق ، غير ان ذلك لم يكن الا مناورة عسكرية ، فان جوربولون بقدر اشتهاره في الفن العسكري كان كذلك شهيراً في سياسته العملية ولذا فانه ظل مقتنعاً ان محاولة تجربة الحظ بقوة السلاح ضد عدو غالب مجازفة مجهولة العواقب ، وان هذه التجربة ان منيت بالاخفاق خرجت أرمينيا نهائيا من يد الرومان ، ولذلك رأى أن أصوب خطة لحل القضية الأرمنية هي التفاهم مع ملك البرتويين وكان هذا ايضا موافقاً على ذلك لأنه قد ثبت

النفوذ البرثوي وأضعف سطوة روما في الشرق وبذلك ضمن تاج أرمينيا للارشاغونيين بصورة أكيدة .

وعلى أساس هذا التفاهم التقى ديرطاد وجوربولون في هرانديا في موضع كان فيه العلم الروماني مركوزاً وحده اشارة للاندحار الروماني(١) . وفي الفسحة التي بين مواطىء اقدام الجيشين الروماني والبرثوي وضع تصوير نيرون، وتقدم ديرطاد بزي كاهن مجوسي فوضع عمامته امام صورة القيصر لكي يتسلمها منه في روما .

معاهدة هرانديا : اعترفت قطيسفون وروما بموجب هذه المعاهدة بالسيادة الأرمنية القومية ، على ان يعين ملك البرثويين اميراً ارشاغونياً لعرش ارمينيا ، ثم يتوج قيصر هذا الملك ، وظلت هذه المعاهدة مرعية حتى انقراض اسرة ارشاغون الأرمنية .

ديرطاد ملك الأرمن والقيصر نيرون : بعد معاهدة هرانديا سافر ديرطاد الى روما مع الملكة وابنائها والامراء البرثويين وحاشية تبلغ ثلاثة آلاف جندي أرمني من الفرسان وكثير من كهنة المجوس وعدد من كبار الموظفين الرومان ، وبامر من القيصر استقبل ديرطاد بحفاوة واجلال في كل بلد روماني مر فيه ، ثم تلقاه قيصر باستقبال فخم في مدينتي نئوبوليس وبودا بوليس حيث أقيمت المهرجانات الحافلة احتفاء بملك الارمن ومنها توجه العاهلان الى روما فاستقبلها الشعب بالاكاليل والمشاعل ، وفي بوردوم وضع نيرون تاج ارمينيا على رأس ديرطاد بحضور مجلس الشيوخ من فوق مسرح عال وذلك عام ٦٦م .

وبقرار من مجلس الشيوخ أقيمت احتفالات كبيرة على شرف ملك ارمينيا ومثلت روايات مسرحية على اوبرا بومبيوس ، وزين نيرون تلك الاوبرا بزينات ذهبية وأسرف في التزيين حتى أطلق الشعب على ذلك اليوم « اليوم الذهبي » .

وفي سركس روما ارتدى نيرون رداء أبولون وساق العجلة على شرف ديرطاد وتفنن في ضروب القيادة فسمي « القائد المنتصر » ووضع اكليلا من الغار فوق الكابيتول ، وأغلق القيصر باب معبد يانوس رمزاً الى السلام المطل على الارض والبحار .

---

١) ان ركز العلم منفرداً كان في تلك الايام اشارة الى الاندحار

عودة ديرطاد من روما : أحب نيرون ديرطاد الملك الارمني الشاب ، ورغب فى ان يتعلم أسرار دين المجوس ، فكان يجلس الى الكهنة مصغياً الى شروحهم ، وبحسب توصياتهم كان نيرون وديرطاد يأكلان سوية ويتعلمان الحكمة من حكماء الشرق ورقى(١) طرد الارواح الشريرة .

أنفق نيرون المبالغ الطائلة على شرف ديرطاد ، وعند مغادرته روما أهدى اليه ما يعادل تسعة ملايين ونصف مليون من الفرنكات الذهبية لاعمار العاصمة ارداشاد ، وبعث معه معماريا ومهندساً فنياً رومانياً لهذه الغاية . وبعد عودة ديرطاد شيد ارداشاد وسماها « نيرونيا » ودامت صداقة الامبراطوريتين العظيمتين عشرة أعوام بعد تلك الحروب والمعارك الطاحنة ، فجنت ارمينيا ثمرة السلام رفاهة ويسراً .

الملوك الذين اعتلوا عرش ارمينيا

بعد ديرطاد الاول

١- سانادورك (٩٥ - ١١٠ م)

٢- واغارش الاول (١١٦ - ١٤٠ م) وقد بنى مدينة واغارشاباد

٣- خسروف الاول (١٨٥ - ٢١٦)

٤- ديرطاد الثاني (٢١٦ - ٢٢٢)

٥- خسروف الثاني (٢٢٥ - ٢٥٠)

وجلس هذا الاخير على العرش وقد ظهر الساسانيون فى ايران .

خسروف الثاني

٢٢٥-٢٥٠م

بعد موت ديرطاد الثاني تبوأ عرش ارمينيا خسروف الكبير شقيق ارداوان ملك البرتويين(١) . فحكم على البلاد تحت سيادة أخيه لان الرومان الذين يهكتهم

---

١) رقى جمع رقية وهي ان يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق الطبيعة فى زعمهم

٢) يصرح بروكوبيوس ان ارداوان الرابع كان آخر ملوك البرتويين، وقد اجلس شقيقه خسروف على عرش ارمينيا ويؤيده المؤرخ اليوناني آكاتانكلوس

متاعب المعارك الدامية المتوالية خلوا بين البرتويين وبين مطامعهم الاستعمارية الاشعبية ومن المحتمل انهم تركوا لهم ارمينيا ايضا .

وفي الواقع فأن عداوة الغرب العظيمة قد خمدت، ولكن روح المعارضة والشغب كانت تنمو وتقوى في الداخل ، وكانت تتمخض عن احداث وانقلاب عظيم في الشرق، وكان الباعث المباشر على هذا الانقلاب هو اردشير الفارسي الاصل ، فقد استخدم في جيش ارداوان ، وبالنظر الى انه لم ينل التقدير الحري بخدماته الجليلة فانه قرر اعلان العصيان(١) على العرش ، فتمرد معه الشعب الايراني ، وقد ادعى انه من نسل كورش الكبير ولكنه كان في الحقيقة ابن بابك المنجم والاسكاف ، وكان خبيراً بفن الطلاسم وجده يدعى ساسان ولذا دعيت اسرته بالساسانية .

جمع اردشير الساساني افواجاً كثيرة ثم سار على ارداوان،وقتله قرب الخليج الفارسي ، وبعد هذا النجاح السريع أعلن نفسه « ملك الملوك » وسعى في الحال الى تأمين الوضع السياسي وذلك بتقوية المذهب الزرادشتي وعبادة النار ، ثم طلب من الرومان تسليم جميع الولايات الآسيوية والمصرية التي كانت تحت سيطرة الفرس في عهدي كورش وكزيركيس .

أما مقتل ارداوان فكان عام ٢٢٦ وبه انتهى حكم البرتويين بعد ان كانوا ملء الدنيا خلال ٤٧٥ عاما مضت .

حرب خسروف مع اردشير وانتصاره : حارب القيصر اسكندر سيفيروس ( *Severosse* ) الساسانيين كرها . وأخفق أردشير في محاولته اختراق البادية العراقية العربيةوارمينيا ايضا ، ولذا جازت افواجه الكشافة الحدود الرومانية وحاصرت نصيبين حتى وصلت فرسانه الى قرب كابادوسيه .

وبموجب تقارير مؤرخي ذلك الزمان فأن القيصر كان قد قسم جيشه الى ثلاثة اقسام مر أحدها في طريقه من ارمينيا .

وحارب خسروف اردشير ايضا بجيشه العظيم (٢) وسحق قواته بحروبه الباسلة

---

١) تاريخ روما : آكاتانكيوس

٢) ديون *Dion* كاسيوس : المجلد الثاني ، الفصل الثالث

الموفقة . فانسحبت قوات ارداشير وفر الى جنوب ايران ومنها الى جنوب جزيرة العرب.

بعد هذه الانتصارات عمد خسروف الى سياسة اخرى ، فدعا الشعب البرتوي الى الانضواء تحت لوائه لرفع النير الاجنبي واقامة السلطان القومي ، ولكن قبيلتي اسباها بريون وسور بن بهلوي انضمتا الى ارداشير ، ولم يجب الى نداء خسروف سوى قبيلة كارين بهلوي وبهساجان ، فقد انضموا اليه ، ولما أحس ارداشير بذلك قتل جميع افراد العشيرة ولم يفلت منهم غير صبي واحد .

احتفل قيصر الرومان في روما كما احتفل خسروف ملك الارمن في ارداشاد وواغارشاباد بانتصارهما على ارداشير وأقاما الزينات الرائعة . وقد أمر خسروف بتقديم الذبائح والقرابين والحج الى سبعة معابد ، ثم أهدى خمس الغنائم الحربية الى كهنة المجوس .

مصرع خسروف على يد آناك : ظل الصراع قائما بين خسروف وارداشير مدى عشرة أعوام(١) لم يستطع ارداشير خلالها ان ينال من غريمه مأربه في ان يجعل ارمينيا ولاية تابعة للامبراطورية الساسانية ، ولذلك صمم ان يغتاله بخدعة ، وصرح برأيه الى كبار دولته ونبلاء أمته معلناً ان وجود خسروف يقف عقبة كأداء دون ضم ارمينيا الى الامبراطورية الايرانية كما كانت على عهد دارا ، وطلب الى الأمراء البهلويين تنفيذ ذلك موغراً صدورهم بان خسروف برتوي بهلوي ، ولكنه ـ لسوء نواياه ـ لم يقتف آثارهم في تملقهم واخلاصهم للعرش الايراني وجعل هدايا كبيرة حتى انه وعد بمدينة بهلو ومقاطعة جوشانين لمن يقدم على قتله ، فغرت الوعود شخصاً يدعى آناك من قبيلة سور بن بهلوي وصمم على ارتكاب هذه الجريمة ، فالتجأ الى خسروف فى ارمينيا مدعياً انه هرب من ظلم ارداشير ، وكان خسروف آنذاك فى مشتاه الملكي بناحية عودي ، فلما علم بالتجاء آناك رحب به ترحيباً بالغاً وجعل له ولحرمه موضعاً من مدينة ارداز ، ولم يخامره أي شك فى أمره لانه كان يحسب آناك برتويا بهلويا من أمته .

وبعد عام من اجارة آناك وفى موسم الربيع خرج الملك للصيد والمذكور برفقته

(١) آكاثانكيغوس ص ٣١

فانتهز آناك فرصة كان فيها الملك منفرداً، فطعنه بخنجره وقتله وهرب ولما أحس أتباع الملك من أمراء وضباط بالجريمة تعقبوا آناك حتى قبضوا عليه قرب العاصمة ارداشاد على جسر داربيران فأغرقوه في النهر ثم قضوا على جميع أولاده وأحفاده غير طفل يدعى كريكور هربت به مربيته الى قيصرية عاصمة كابادوسيه.

هكذا قتل خسروف ملك الارمن، بيد ان ارداشير لم ينل أمنيته اذ وافته المنية بعد عام (سنة ٢٤١ م) وقد أوصى ابنه بتنفيذ منهاجه.

## ارمينيا بعد موت خسروف

ليس لدينا وثائق قوية تعرفنا بوضع ارمينيا بعد وفاة خسروف، ولكن مما لاشك فيه انها كانت صيداً هيناً لمطامع شابوه الذي خلف أباه.

وواقع الأمر أن بعد اغتيال خسروف، أراد ارداوازت مانتاكوني ان ينقذ ولي العهد دبرطاد بن خسروف من سهام ارداشير، فنقله في الحال الى روما حيث تربى عند الكونت ليكيانوس وبقي لديه حتى عوده الى بلاده ليتولى عرش أبيه.

ويذكر المؤرخون الاجانب انه بعد عشرين عاما لوفاة خسروف، كان حاكم ارمينيا شخصاً يدعى ارداوازت (١). وقبل ان نتكلم عنه يخطر ببالنا السؤال التالي: «هل تمكن شابوه في أول عهده بالحكم من احتلال ارمينيا وتحويلها الى ولاية ايرانية؟». وللاجابة على ذلك يجب ان ندرس بدقة حالة ايران السياسية:

نجد ان شابوه حين تولى العرش، غزا الرومان، حتى انه عبر الفرات وهدد أنطاكية (٢).

وهو ما لم يطرد الرومان من العراق كان متعذراً عليه احتلال ارمينيا اذ انها من غير شك عندما ترى نفسها مهددة من قبل الساسانيين ستلقي بنفسها في احضان الرومان أولى من ان تقع تحت سلطان عات جديد، وكانت ضربة لازب على قيصر

---

١) ديريه‌ليوس بواليون
٢) ميرخونة: «تاريخ الساسانيين»

الرومان كورتيانوس بعد انتصاره على الآنيين والغوثيين ان يولي وجهه شطر آل ساسان فغزا شابوه عام ٢٤٢ وانقذ انطاكية ونصيبين ، وكان يني النفس بحصار قطيسفون عاصمة الفرس ايضا لو لم يسمم ديمستيوس الذي كان سبب هذه الانتصارات وقد منح لقب «وصي الجمهورية» ، سممه عربي يدعى فيلبوس عصى على القيصر الشاب الذى ناهز العشرين ربيعاً حسب وكتب الى مجلس الشيوخ ان الجيش الروماني قد أعلن قيصريته هو (١) وذلك بعد ظفره في ريسانا واندحار جيش الساسانيين عام ٢٤٤م .

على ان فيلبوس - بصفته القيصر - بدلا من ان يسوق جيشه لمتابعة الفرس المنخذلين في معركة ريسانا ، استعجل الصلح الذى كان فوزاً لهم اذ انه ترك لهم ارمينيا والعراق ، ولكن مجلس الشيوخ أنذره انذاراً اضطره على استرجاع ذينك البلدين ، فغضب شابوه وشرع ينتظر فرصة مناسبة للانتقام من هذا دراكونيقاني .

<u>ارداوازت مانتاكوني وكتابه الى شابوه</u> : تذكر بعض التواريخ ان ارداوازت ملك الأرمن أعان شابوه ملك الفرس في تلك المعركة الدامية ، وان شابوه اسر القيصر والريانوس عام ٢٦٠م ، وبهذا العون يتبادر الى الذهن ان الأرمن كانوا تحت انتداب الفرس وربما كانت معاونتهم من ضمن بنود معاهدة فيلبوس، فن ارداوازت هذا؟ وهل بذل المساعدة للفرس ؟

اما عن السؤال الاول فنقول انه ارداوازت مانتكوني مربي ولي العهد ديرطاد الذي اودعه روما خوفاً عليه من شر ارداشير.

واما عن السؤال الثاني فان المؤرخ الارمني الشهير خوريناتزى Khorenatzi يسمي ارداوازت (الحاكم المطلق) ، فيستنتج من هذا انه لم يكن تحت نفوذ الفرس بل في حماية الرومان ، وقد ظل حافظا لوفائه لهم فليس معقولا ان يرسل جنوداً لمعاونة شابوه الملك الفارسي ، ويؤيدنا في استدلالنا هذا الكتاب الذي ارسله ارداوازت الى شابوه حين طلب الاخير معاونته وذكر اسرة القيصر ، وقد اورد الكتاب ديبيوس بولليون المؤرخ الروماني وهذه صورته :

---

١) دوري : تاريخ الرومان المجلد ٦ ص٣٤٣

« اشاركم الرأي ، ولكنني أخاف ان تزيد النار ضراما بدلا من ان تنال الفوز ! سيناقشكم الحساب عن والبريانوس ابنه وحفيده وقواده وامته ، وستحاسبكم فيه فرنسا وافريقيا واسبانيا وايطاليا والوريكيون والاقوام البوندية وأمم الشرق جمعاء ، هذه الشعوب الحالفة كلها للرومان .. وسيقولون لكم : لقد اعتقلتم شيخنا ، ولكنكم أقمتم العالم على رؤوسكم . وربما علينا ايضا - نحن الارمن - ، وبما اننا جيران لكم ، لحين جهادكم الجمهورية الرومانية سنكون نحن ايضا هدفا لمضايقاتها ، ان وافقناكم على عدائها » .

وكان ارداوازت لا يزال حيا حين اعتلى دبرطاد عرش ارمينيا ، ثم مات في الحروب مع الشماليين (١) .

حرب القيصر افريليانوس مع زنوبيا ، وسياسة الارمن تجاهها : اتبع ارداوازت سياسة اللعب على الحبلين تجاه الرومان والفرس ، ولهذا اعتبر الرومان ارمينيا عدواً مشتركا مع الفرس ، ولما علم القيصر افريليانوس بالوعود التي بذلها الارمن لزنوبيا ملكة تدمر بمعاضدتها ، غضب غضباً شديداً .

كانت الملكة زنوبيا زوجة فوتنياد الذى غلب الفرس فى عهد القيصر جاليانوس ، حتى انه وصل الى أبواب قطيسفون عاصمتهم مرتين ، ولأجل ان يكافئه القيصر على بطولته عينه قائداً للجيوش الشرقية الرومانية وأطلق عليه اسم « قيصر الشرق » فجعل هذا القائد مقره في تدمر . وبعد سنين عدة أغتيل فوتنياد بعلم زنوبيا ، فأعلنت هذه ملوكيتها على تدمر والشرق ودعت نفسها « ملكة الشرق » وغاظ ذلك افريليانوس فهجم عليها بقوة كبيرة عام ٢٧٣ وأسرها .

أقدمت زنوبيا على الحرب اعتماداً على معاونة الارمن والفرس، ولذلك فحينما طلب اليها افريليانوس التسليم أجابت بما يلي : « أنا منتظرة الفرس والارمن ، وان الساراكينوسيين معي (٢) » .

---

١) خوريناتزي
٢) افريليانوس

إلا ان المساعدة التي كانت تنتظرها زنوبيا من الفرس والارمن لم تصل اليها لان شابوه كان قد توفي ، واختلت الامور بالاضطرابات السياسية ، فبعد شابوه تخلف فورميزت ، وهذا مات ايضاً بعد ان حكم سنين ، تخلفه فرام وانهمك في شهواته ولم يستطع ان يعاون زنوبيا إلا معاونة بسيطة . اما الارمن فقد خشوا ان يفقدوا صداقتهم للرومان ولهذا رفضوا مساعدتها بصورة باتة . ولكن القيصر كان شديداً فلم ينس وعود الفرس والارمن لزنوبيا ، وعدها من أعدائه (١) .

---

١) قويسكوس

# ديرطاد الثالث الكبير

## عود على الفترة المنقضية بين موت خسروف ومجيء ديرطاد الثالث

سكت التاريخ فلم يحدثنا بوضوح عن الفترة التي مرت بين وفاة خسروف ومجيء ديرطاد لنعرف من كان القائم على حكم ارمينيا ، على ان اضطراب المملكة الساسانية اداريا وسياسياً يبعد احتمال كون ارمينيا على ذلك العهد تحت حكم الفرس كلياً .



ديرطاد الثالث الكبير

وباستقراء الوقائع التي سردها لنا التاريخ ، كمعركة رسانا وكتاب اردوازت الى شابوه ، ثم ظفر افريليانوس على الفرس وتهديدات بروفوس وتنفيذها من قبل غاروس وقلة اكتراث الحكام لارمينيا خصوصاً بعد تئوكفيديانوس ، نجد ان هذه الوثائق تؤيد نظريتنا بان ارمينيا قد حافظت على حيويتها الداخلية بثبات على كل الطوارىء (١) .

١) يغيشه توريان : تاريخ ارمينيا ص ١٩٢

ان هدف الفرس الأوحد منذ الأزمنة القديمة كان استعمار ارمينيا ، وقد وضع ملوك الفرس هذا ضمن مناهجهم ، ولم يدخروا وسعاً في سبيل تحقيقه وخاصة منذ عهد ارداشير الساساني وأخلافه ، ولكنهم لم يتمكنوا من الفوز بأمانيهم ، واذا كانوا قد نجحوا في الاستيلاء عليها بعض الآناء ، فقد كان احتلالهم قصيراً متقطعا ، ذلك ان الارمن قاوموا أشد المقاومة ولم يطيقوا وجود المستعمرين في بلادهم .

قدوم ديرطاد الى ارمينيا : مر بنا ذكر ديرطاد في ما سبق من البحث ، وقلنا انه هرب الى روما بعد مقتل خسروف بمعاونة ارداوازت ماناتاكوني ، وهناك نشأ وترعرع وهناك في قصر الكونت ليكيانوس درس ونال قسطا وافراً من الثقافتين اليونانية والرومانية واختص بالأدب والفلسفة .

ونال ديرطاد عطف القياصرة وحبهم وذلك لعلمه وشجاعته النادرة التي غدت مضرب الامثال وحيكت حولها الاساطير ، فكان يوصف بقوة خارقة تفوق طاقة البشر .

وفي اثناء حرب الغوطيين أبدى ديرطاد بسالة فائقة ، ونقل ليكيانوس اخبار بطولته الى مسامع القيصر تيوكيغيديانوس فاعجب بها ، ثم طلب اليه ان يغامر مرة اخرى بمبارزة ملك الغوطيين ، ففعل وقبض على الملك ، وتقديراً لهذه الفعال الغراء قرر قيصر ان يوفد ديرطاد الى وطنه ليتولى عرش اجداده ، وكان ذلك عام ٢٨٧ م

كان القيصر غاروس قد أدب الساسانيين وألقى في قلوبهم الرعب ، ولكن بعد موته نهض الفرس ثانية ، ولما رأى فرام ملكهم ان الجيوش الرومانية قائمة على الحدود الايرانية ، أرسل الى القيصر الجديد هدايا عظيمة ثمينة لكي يكتسب صداقته وكانت عصابات الصارماديين آنذاك تهدد الحدود الرومانية من تراقيا ، فرأى القيصر ان لا مندوحة له عن صداقة الفرس فحالفهم . ثم ارسل ديرطاد الى ارمينيا ليضمن بقاءها تحت نفوذه . وصل ديرطاد الى ارمينيا عن طريق قيصرية فاستقبله امراء المملكة واعيانها . وعند وصولهم الى قضاء يغليا توجهوا الى قرية هريزا التي فيها معبد الالهة اناهيد فنحروا لها الضحايا ، ثم واصل الموكب سيره الى واغارشاباد العاصمة .

نظم ديرطاد امور الدولة وعين الوزراء ، ثم جعل ارداوازات ماناتاكوني قائداً

عاما على جيوشه ، وبعد تنظيم الجيش وجه السلاح الى الساسانيين ودمر بلاد فارس واشور .

وأصدر أمره بملاحقة المسيحيين ، لأن المسيحية كانت قد تغلغلت سراً بين الطبقات الفقيرة حين مجيئه ، وقد نهج في هذا الاضطهاد نهج الرومان .

وتزوج ديرطاد من اشخين بنت اشخادار ملك الالانيين وذلك عام ٢٨٨م .

الحالة الدينية على عهد ديرطاد : قبل ان صار الدين المسيحي ديناً رسمياً لأرمينيا كان دين الأرمن مزيجاً من الزرادشتية والوثنية الغربية التي كانت بدورها خليطاً من العناصر المحلية والعناصر المقتبسة من الكلدانية القديمة . وعلى عهد ديكران الكبير كان الدين اليوناني قد أحرز المرتبة الكبرى ، وفي عهد دريت وواغارش وخسروف كان الدين البرثوي قد انتشر انتشاراً هائلا ، كما حدث في عصر ديرطاد ان ديناً جديداً احتل مكان الأديان القديمة جمعاء ، ذلك هو الدين المسيحي .

قبل دخول الاسكندر الكبير ارمينيا كان الدين الفارسي شائعاً فيها ولكنه كان في وضع متأرجح ، اما الدين اليوناني الذي ذاع في عهد الفاتح العظيم فقد أحرز مكانة ثابتة وطدها له كهنته المخصوصيون مع العلم ان كهنة المجوس كانوا موجودين في ارمينيا منذ زمن قديم يذيعون عبادة آناهيد وواهاكن . ولقد أعاد ارداشير الساساني الزرادشتية الى ارمينيا وكانت قد فقدت أهميتها في عهد البرثويين ، وأساس مبادئها عبادة النار . اما في زمن خسروف الكبير فقد أهملت عبادة النار بصورة شبه كلية ولا يذكر لها الا سبعة معابد فقط مع أصنامها ، يهدى الى هذه الاصنام ثيران واغنام وخيول وبغال بشرط في جميعها ان تكون بيضاء ، وكانت تلك المعابد مزارات مقدسة يحج اليها حتى دمرها غريغوريوس المنور الذي قبل المسيحية دينا رسمياً للدولة .

وأسماء هذه المعابد ومواقعها كما يلي :

١- معبد اهورامزد في قلعة آني .

٢- معبد اناهيد في ارداشاد وفي أماكن اخرى .

٣- معبد مهر في ترجان ( باكاراتيج ) .

٤- معبد دير في واغارشاباد ( هيرازم ) .

٥- معبد آصدغيك في اشديشاد .

٦- معبد بارشيخا في طورطان .

٧- معبد ناني في ثيل .

٨- معبد واهاكن في واهي واهيان ( موش ) .

وكان في غير هـذه المعابد صنمان ايضاً كيسانيس وغدر *Temedie* ، ولقد قاوم كهنة هذين الصنمين مقاومة عنيفة جيش الملك الذي تنصر وأراد تحطيمها .

ظفر كالبريوس *Galirious* على الفرس ومعاهدة السلم الأربعينية :

في السنة العاشرة لجلوس دبرطاد على عرش ارمينيا ، ومن جراء الحرب التى شنها كالبروس ضد نبرسيح ملك الفرس عام ٢٩٧م نالت ارمينيا حياة سياسية هادئة . وبموجب ما ذكره المؤرخان الرومانيان بفردوبيوس واميانوس ماركيلنوس ، فان المعاهدة التي عقدها كالبريوس مع نبرسيح وهبت ارمينيا حياة مستقلة ، ولقد حالفت الرومان باتفاق دفاعي عسكري لمدة اربعين عاما في سلم مستمر ( ٢٩٧-٣٣٧ ) ولهذه المعاهدة أهمية كبرى في تاريخ ارمينيا .

كان فرام وهو ابو ملك الفرس القائم شخصاً محباً للسلام ، اما نبرسيح الابن الثاني لفرام وخلفه في تاج قطيسفون (٢٩٤م) فحينما رأى القيصر تئوكفيديانوس مشغولا بمصر وكالبريوس بباونيا ، انتهز الفرصة للهجوم على ارمينيا ، فعبر دجلة اوائل عام ٢٩٦ ، ولما رأى دبرطاد ان جيشه غير كفء لمقابلة الجيش الفارسي الجرار أرسل رسولا خاصا الى القيصر يستنجده فأمر القيصر القائد كالبريوس في الحال ان يرحل الى جبهة الحرب وغادر هو مصر الى فلسطين .

عبر كالبريوس بجيشه نهر الفرات وهاجم جيش نرسيح في سهل خران ولكنه غلب ولم يستطع انقاذ نفسه وفلول جيشه الا بصعوبة ، ووصل الى انطاكية حيث استقبله قيصر بامتهان(١). ثم نظم تئوكفيديانوس جيشاً آخر من حاميات وادي الطونة والغوطيين

١) قد دبرطاد قاطعا نهر الفرات سباحة : فكتور دوري « تاريخ روما » المجلد ٦ ص٥٥٨

وجعله تحت قيادة كالبروس ، وهذا الاخير يشد أزره ديرطاد ملك الأرمن بقوائه عبر جبال ارمينيا لمجابهة الفرس ، وكانت قوى الفرس قد ضعفت فى ذلك الحين ، فتقدم كالبربوس وهجم عليهم ليلا فكسرهم وهزمهم ، وهرب الملك نبرسيج مجروحا وقد ترك أولاده وحرمه في ايدي العدو (٢) . وعلى أثر هذا النصر دخل القيصر تئوكفيدياوس العراق وتقابل مع كالبربوس فى نصيبين .

وبادر ملك الفرس الى طلب الصلح، فعقد، وكانت شروطه حفظ السلام لمدة اربعين عاما لا يتعدى خلالها أحد الطرفين وتترك لأرمينيا الألوية الأرمنية الخمسة الواقعة فى سهل شمال دجلة التي كان قد اغتصبها شاوح الأول جد نبرسيج ، وبهذه المعاهدة دخل أمراء الكرج ايضا تحت حماية الرومان .

تنصر ديرطاد : ان ديرطاد الذى ربي فى روما كان ذا فكر نير ، وكان ميالا الى الحضارة الشرقية شديد التعصب للدين الوثني ، وقد قاوم المسيحية وأثار زوبعة اضطهاد على المتنصرين ، وسعى الى توطيد دعائم الوثنية بين جميع الطبقات .

وكان غريغوريوس (كريكور) بن آناك - ذلك الذى نجته مربيته من القتل كما أسلفنا - قد تربى في قيصرية وتعلم فيها اليونانية واعتنق المسيحية . وحدث ان ديرطاد حين عاد من روما ليتولى زمام الملك اصطحبه معه لبلاطه ، فلما وصلا الى معبد اناهيد فى هريزا أمره ان يأخذ طاقة من الورود ويقدمها بخضوع الى الآلهة اناهيد ، فرفض غريغوريوس عبادة الصنم وجاهر بمسيحيته . غضب الملك من جسارة هذا المسيحى ، ولما تحقق ان آناك أباه كان قاتل أبيه فقد أمر بحبسه وتعذيبه بقسوة ، وظل غريغوريوس خمسة عشر عاما في سجنه بسراديب قصر ارداشاد ، حتى كانت معجزة ربانية فاعتنق ديرطاد المسيحية ، واقتفاء للطريق الذى سلكه الملك فقد تنصر الامراء والاعيان ، وشيد غريغوريوس ديراً عظيما أسماه (اجميازين) واصبح المقر العام للرئيس الروحاني الاعلى .

---

١) باوسدوس البيزانطي



دير اجيازين
شيد عام ٣١٥م ، وهو المقر الاعلى
للرئيس الروحاني الارمني العام (الكاثوليكوس)

دمر ديرطاد في الحال المعابد الوثنية وحطم الاصنام ومقاماتها ، ثم أحرق جميع الآثار الوثنية وكل آثارها الادبية والدينية ، ويرى يغيشه توريان ان ديرطاد تابع الحوادث التي جرت في زمانه والاحوال السياسية التي أحاطته ، فأعلن المسيحية ديناً رسمياً للدولة ،لان هذا الدين كان قد انتشر انتشاراً هائلا حتى ان ديراً كان قد تأسس قرب البلاط الملكي .

ونظراً الى عدم وجود الحروف الهجائية الارمنية آنذاك فقد تأخرت ترجمة الاسفار السماوية الى اللغة الارمنية ما يقارب قرناً ونصف قرن، ولذلك فان أغلبية الناس لم يكونوا يفهمون كليات عقائد الدين الجديد بل كانوا يسيرون على المناهج القديمة .

ان ديرطاد باعلانه الدين المسيحي ديناً رسمياً للدولة قد حاز شرف السبق بين الامم التي قبلته بعد ذلك ديناً لها ، فقد كان اعلانه عام ٣٠٥م ، بينما اصدر ديودورس الكبير قيصر الرومان ارادته بالغاء الوثنية واحلال المسيحية سنة ٣٩٢ اي بعد ديرطاد بسبعة وثمانين عاما . اما الحكومات التي انسلخت عن الامبراطورية الرومانية فقد

تأخرت طويلا في اعتناق المسيحية .

فأعلنت فرنسا مسيحيتها بصورة رسمية عام ٤٩٦ اي بعد ارمينيا بمائة وواحد وتسعين عاما ، وانكلترا عام ٦٠٥ م اي بعد الارمن بثلاثمائة سنة ، والمانيا عام ٨٠٥ اي بعد خمسمائة سنة .

آثار ديرطاد الثالث : عمر ديرطاد عدداً من اماكن العبادة على طراز معماري



مدخل فيللا الاميرة خوسروفيتوخت
شقيقة الملك ديرطاد الكبير

رفيع ، فبنى كاتدرائية(١) داروں الشهيرة وغيرها من المعابد والكنائس العديدة وشاد الاديرة ، ووضع بنفسه معظم أحجارها الاساسية ، وبعد ان أنجز هذه المؤسسات اقام حصونا كثيرة أشهرها حصن كارني الذي يصفه المؤرخون بارتفاعه وروعة فنه المعماري ، ولا تزال اطلال سراي الملك قائمة حتى زماننا في كارني ، وقد كتب في هذا السراي تاريخ حياته وحياة أمته بالحروف اليونانية ، ولما زار العالم الاثري دوبوا **Dubois** هذا السراي عام ١٩٣٤ وجد احجاره الثمينة مهشمة مكسرة ومبعثرة . ومن الآثار الشهيرة

(١) الكاتدرائية Cathedral : الكنيسة المركزية التي راعيها المطران

الباقية قصر خسروفيتوخت شقيقة ديرطاد .

وفضلا عن ان ديرطاد شاد هذه المؤسسات فقد خصص لها موارد حياتها ودوامها فأهداها القصبات والقرى كما خصص لها المقاطعات الكثيرة في خمس عشرة ولاية أرمنية وفي كل ولاية من هـذه الولايات كانت للكنائس والاديار أراض خاصة بها ، وانتقلت الاملاك الواسعة التي كانت وقفـا على المجـوس اوقافا على الديرة والمؤسسات الدينية ورجال الدين الجديد ، وخصص لها في كل قضاء سبعون قطعة من الاراضي إلا ان هذه الترتيبات أثارت حسد بعض رجال الدين ، ثم اشتد هذا الحسد واستحال عداء عندما اختل الحلف الذي بين زعماء الدين وبلاط الملوك .

## الحروب الاولى باسم المسيحية

### مقتل أمير الحونيين ـ صفوك ومامكون ( ٣١٢ ب.م )

وبينما كانت أرمينيا ترقى سلم حضارتها علماً واقتصاداً بفضل معاهـدة الاربعين التي ابرمت في نصيبين بين نيرسيح وثيوكنفيدياوس ، خرق بنود تلك المعاهدة أحـد قياصرة الرومان المسمى ماكسيميانوس دايا مدفوعا بتعصبه الذميم للوثنية ونقمته على المسيحية فأثار عليها عاصفة هوجاء من الاضطهادات ، وللغاية نفسها هجـم على ارمينيا ليطفيء أنوار الدين المسيحي ، إلا ان الله نصر جيشه المؤمن به ، فتقهقر المعتدي وهرب الى بلاده بالبقية الباقية من فلول قواته ، وبهـذا الخصوص يكتب المؤرخ يوسيفوس ما يلي :

« ان هذا الطاغية ( ماكسيميانوس ) حارب الارمن ايضاً ، تلك الأمة التي كانت منذ القدم صديقة حليفة للرومان ، رأى القوم في نصرانيتهم وعبادتهم لله ، فطفق يضايقهم ليردهم الى الوثنية ويعيدهم الى الانصاب والاصنام ، ولكنه بعمله هذا بدل الصداقة بالعداوة ، ففدا الجيش الحالف جيشاً محاربا . ومن جراء هذه الحرب ذل الجيش المستبد وأهين مرات عديدة ثم فني » .

وكان محتملا هجوم الفرس على ارمينيا مفترصين الحوادث الدامية التي جرت بين

الارمن والرومان المخترقين معاهدة الاربعين عاما ، ولكن شابوه الثانى - العدو الاكبر للارمن مستقبلا - كان حينذاك طفلا صغيراً ولم يكن بعيداً احتمال هجوم برابرة الشمال لاشغال الارمن بمناجزة ما كسيميانوس ، وقد حارب ديرطاد - فى شيخوخته - هؤلاء البرابرة حينما أراد أمير الجيوش عبور نهر كور والاعتصام بارمينيا ، وفي أثناء المعركة شق ديرطاد بسيفه ذي الحدين الأمير وجواده شقين ، فلما شاهد جنود الحونيين هذه البطولة فروا منخذلين ، واستشهد من الارمن القائد العام ارداوازت مانتا كوني صهر ديرطاد .

ونشبت في الحين ذاته فتنة قرب حدود دارون كانت تنذر بحروب سياسية داخلية ، حيث رفع صفوك شيخ الاسلوكيين لواء العصيان بتحريض من الفرس .

ولما كان ديرطاد منشغلا مع الحونيين ، فقد أناط أمر تأديب الشيخ بوزيره مامكون وأمره ان يحطمه بأية صورة كانت ووعده ان يمنحه دارون لقاء ذلك ، فقرر مامكون ان ينفذ ذلك بطريقة سياسية معهودة فتظاهر انه عاص على الملك والتجأ الى صفوك ، وفى أثناء الصيد قتله ، فبر الملك بوعده وأقطع مامكون دارون ، ونشأ من أحفاد مامكون أمراء مامكونيان الذين أدوا خدمات جليلة الى وطنهم أجيالا عديدة.

معاهدة ديرطاد مع قسطنطين : ان تنصر ارمينيا واعلانها الدين المسيحي ديناً رسمياً للدولة ، كان سبباً لحقد الفرس الساسانيين وعدائهم . فتوجهت انظار الارمن الى الرومان، والحقيقة ان قطيسفون كانت فى الشرق المركز الأعظم للاستبداد والاستعمار الساساني ، وكانت تضمر قلب حكومة الملك الارشاغوني في ارمينيا ومحو الدين المسيحي .

في هذه الظروف قرر ديرطاد ان يربط مقدرات أمته بمقدرات الرومان وقوتهم، وكان فى عام ٣١٣ ان اعتنق القيصر الروماني قسطنطين المسيحية، وأصدر أمره القيصري فى ميلانو بحرية الأديان والافكار وكان يميل الى حماية المسيحية ... كان ديرطاد يعد نفسه مذنباًنحو روما لمحاربته ما كسيمياوس قيصر ، فلما ان تنصر قسطنطين انتهزها ديرطاد فرصة فقصد روما برفقة غريغوريوس لتهنئة القيصر بمسيحيته أولا ولتجديد

التحالف الارمني الروماني ثانياً .

بعد هزيمة ليكيانوس من أمام قسطنطين في الشرق ، أعلن قسطنطين نفسه الامبراطور العام للامبراطورية الرومانية لجدد معاهداته مع الدول الشرقية ، وأولى المعاهدات التي عقدها كانت معاهدته مع ديرطاد ملك الارمن ( عام ٣١٥ ) ضد الدولة الساسانية التي كانت العدو المشترك للدولتين المسيحيتين (١) .

أواخر ايام ديرطاد وموته : لا شيء يستحق الذكر في اواخر حياة ديرطاد غير التئام المجمع الديني العام في نيقية ( ازنيق ) قبل وفاته ببضع سنين وايفاد اريستاكيس بطريرك الارمن للاشتراك بالمجمع .

ولما ان بلغ القسمين من عمره المديد ، ونظراً الى الاضطرابات الدينيـة ومعارضة الأمراء والأعيان للدين لانه حد عليهم شهواتهم ورذائلهم ، تنازل ديرطاد عن العرش لابنه خسروف ، واعتزل معتكفاً حتى توفي عام ٣٣١ ، ودفن في طورطان مقبرة الملوك الارشاغونيين .

آلهة الارمن القديمة قبيل زمن ديرطاد الثالث : كان الارمن قبل المسيحية يعتقدون بوجود الارواح الصالحة والأرواح الشريرة ، وبأن الملائكة هم واسطـة بين الآلهة والبشر . ومن أشهر الآلهة عندهم :

١- وانادور *Vanadour* : وهو آله الثمر والفيض والبركات وآله النعم والبسـاتين والمزروعات ، وكانوا يحتفلون له في اليوم الحادي عشر من نيسان كل عام شاكرين الامه. وكان شهر آب راس السنة الارمنية، ويسمونه ناقاصارت *Navasarte* وهو شهر الاحتفالات التي يسمونها « الاعياد الناقاصارتية » .

٢- مهر *Mihre* : وهو آله النار والنور يحتفلون له في ١٤ شباط ، فيضرمون نيراناً كثيرة في كل انحاء البلاد .

٣- دير *Dire* : وهو اله العلم والفراسة وكتوم الآله الكبير اهورامزد .

٤- اناهيد *Anchide* : وهي من اهم الآلهة عندهم ، يعتقدون ان لها كل الصلاحيات

(١) آكاثانكيلوس ، باوسدوس ، زنوب ، يغيشه

وهي مفيضة المواهب في الحياة والروح . وكان صنمها مصنوعا من الذهب وهو في باريزا Yariza وكان معبدها يعج في جميع الاوقات بالحجيج من طالبي الصحة والعافية .

٥- اهورامزد Ahura-mazda : هو جد الآلهة جمعاء ، خالق السموات والارض ، ومانح الخير والحسنات للبشر .

٦- آصدغيك Venus : آلهة الجمال ، وكان صنمها ومعبدها في اشديشاد من لواء حوش ، وكان لها عيد خاص يحتفلون لها فيه بالورود والازهار ، ولذلك سمي عيدها « عيد الورود » .

٧- واهاكن Vahakne : إله الشجاعة والبطولة وشبيه الشمس ، فهو مولود من الأرض والسماء ، ومن حمرة البحر ، ومن النار واللهب ، شعره من النار ، ولحيته من اللهيب ، وكل عين من عينيه شمس ملتهبة . وكان الملوك عند الحرب يسترحمونه الأيد والظفر .

٨- ناني Nane : آلهة العفة والعصمة ، تفيض على النساء الخصال الممدوحة والفضائل .

تلك كانت أشهر الآلهة الأرمنية حين جلس دبرطاد الثالث على عرش أجداده في أواخر القرن الثالث الميلادي .

## خسروف كوداك

### ٣٣٧ - ٣٤٢

ان موت دبرطاد والسياسة اللينة التي أتبعها خسروف أدت الى اضطرابات وقلاقل داخلية وعصيان متكرر ، وكان من مسببات ذلك عداء الاعيان وكبار المملكة للمسيحية كان للدين الوثني اتباع في داخل المملكة ، خصوصا الحزب الموالي للساسانيين ، وقد بذل مجهوداً كبيراً لانعاشه ثانية بين الشعب ، وكانت حامية الوثنية الملكة زوجة خسروف وبتحريض منها هجم نفر على البطريرك - وهو يؤدي صلاته اليومية في كاتدرائية موش - ليغتالوه ، وكانت تنقم عليه توبيخها على سوء سلوكها ، غير ان الهاجمين أخفقوا في نيل مأربهم ونجا البطريرك بواسطة حماته الأشداء .

ووقع في الوقت نفسه نزاع دموي بين الأمراء الماناوازيين والفورتونيين ، فكان هذا الصراع سبباً في دمار القبيلتين أول الأمر ، ثم أوفد الملك والبطريرك المطران البيانوس للتوفيق بين الطرفين ، ولكنه عاد بصفقة خاسر اذ لم يستطع مصالحتهما ، فأرسل الملك القائد واجي ماميكونيان على رأس قوة عظيمة لتأديبهم فأبادهم عن بكرة أبيهم ، واعطيت أملاكهم وعقارهم للكنيسة .

وظهرت بوادر العصيان في شمال المملكة وجنوبها فعصى سانادروك في بايداكاران وباكور في اغزني . كان سانادروك قد أرسل الى بلاد الاغوان يرافقه كريكوريس بن وارطانيس نائبا عن البطريرك لادخال القوم في المسيحية ونبذ وثنيتهم ثم تكوين مملكية ارشاغونية منهم تقف حاجزاً حيال القبائل الشمالية المتوحشة ، ولم يقنع سانادروك بالبقاء ضمن الحدود المعينة له بل طمع في الاستيلاء على جميع ارمينيا بواسطة الآنيين والهونيين لحرض القبائل قائلا : « ان ملك الارمن يريد ان يمنعكم الغزو والاغارة على البلاد المجاورة ثم يحرمكم السلب والنهب » ، ثم قتل كريكوريس رسول البطريرك بربطه في ذنب فرس في وادي وادلي ، واتفق مع القبائل البربرية المجاورة وعبروا نهر كور فدخلوا ارمينيا ، فالتجأ الملك والبطريرك الى قلعة طارون مدة ستة أشهر دون ان يناوشا البرابرة حتى مجيء واجي ماميكونيان القائد العام من بيزانطية ، وكان قد سافر الى القسطنطينية برسالة خاصة مع الاميرين حاشديني وزوباس .

هجم واجي على البرابرة من جهات ثلاث ، فكان باكاراد قائد الجبهة الغربية ، وواهان امادوني قائد الجبهة الشرقية ، وفي جبهة ثالثة كان واراز كاميفيان وميهونطان وكاريكين رشدوني ، فاطبقوا على البرابرة وأفنوهم ، وجاءوا برأس سانادروك(١) الى الملك .

أما المتمرد الآخر باكور فقد انتهز فرصة انشغال الجيش في الشمال بتأديب سانادروك ، فأراد أن يعلن ملوكيته بمعاونة الفرس ، لكن القائد ماناجهير رشدوني الذي كان قائداً للجبهة الجنوبية لم يمهله بل هاجمه بقوته العظيمة ففرق شمل جيشه وسحق قواته ، ثم حز راس العاصي وقدمه الى الملك ، ونقل الأسرى الى داخل البلاد فسامهم

---

١) يسمى سانيسان ايضا

من العذاب .

آثار خسروف : على الرغم من الحروب المتوالية والثورات المتتالية ، فقد كانت ارمينيا غنية عامرة ، فلما رأى خسروف الرفاه ووفرة المال في البلاد أنشأ مدينة دوفين العظيمة وقد صارت اخيراً عاصمة لأرمينيا ، وغرس غابات الصنوبر والبلوط، ابتداه من حصن كارني في سهل دوفين وعلى امتداد نهر ازاد حتى قصر ديكنوني وسميت المدينة خسرو اباد .

ويذكر المؤرخ القومي خورينانزي ان السبب الموجب لبناء هذه المدينة هو التقلبات الجوية التي حدثت في العاصمة القديمة ارداشاد .

غزو الفرس لأرمينيا : وبينما كان خسروف منصرفاً الى اعمار بلاده استعد الفرس لغزو ارمينيا عام ٣٣٨ ، ولما علم الملك بذلك أمر الشيخ بزنوني طادابين بمقابلتهم بقوة جبارة ، وذلك من نواحي هيروزاربوانت ، ولكن طادابين بدلا من ان يقاوم العدو أخذ جيشه البالغ ٤٠٠٠٠ تحت امرته وحارب به جيش الوطن، وحيال هذا الامر المهول غير المنتظر أمر الملك القائدين واجي ماميكونيان وواهان امادوني باستدراك الحال بسرعة فائقة دون تردد وان يسوقا جيشا كافيا يواجهان به طادابين الخائن ، فصدع القائدان الباسلان بأمر مليكهما ، وساروا بجيشهما فتقهقر الخائن الى قرب بحيرة بزنوني « وان » ، ثم قبضا على طادابين العاق ، فقتل رجماً بحضرة الملك مع جميع افراد عائلته الذين كانوا قد فروا الى جزيرة آغطامار داخل بحيرة وان (١) .

وبعد عام وقعت حرب اخرى عام ٣٣٩ ، ولئن كان الارمن قد انتصروا انتصاراً باهراً الا انهم فقدوا في المعركة قواداً كباراً من بينهم واجي ماميكونيان القائد العام ولم يعش الملك طويلا بعد هذه المآسي فمات وعمره خمسون سنة .

---

(١) بوسدوس البزنطي

# الملك ديران وحرب مروغ

## ٣٤٠-٣٥٠

وكانت وفاة خسروف وبالا على ارمينيا ، ففي ذلك الحين كانت الحروب الاثنتاعشرة في العراق بين شابوه ملك الفرس وبين الرومان قد استمرت ( ٣٣٠-٣٥٠ ) ، ولما نمي الى ملك الفرس موت خسروف الذي كان قد أعطاه درساً قاسيا، بادر بارسال اخيه نبرسيح لاحتلال ارمينيا قبل ان يدخلها الرومان، ثم تولى عرشها ، ولكن ارشاوير كامساراكان امير ولاية شيراك ( فارس اردهان ) وهو الذي يلي الملك في المرتبة ونفوذ الكلمة ، ساق جيشه على نبرسيح في سهل مروغ فقهره واضطره على التقهقر ، ثم هزمه واجلس على العرش ديران بن خسروف عام ٣٤٢ ، ويعد دور سلطنته التي دامت عشر سنوات، دور هبوط وتدن في ارمينيا ، فهذا الملك فضلا عن جهله بالفنون الحربية التي كانت تعد في زمانه من اكبر المزايا بل فضيلة لكل ملك ، فقد كان ساقط الاخلاق مذموم السيرة همه الزينة والتجمل ، لم ينفع حليفته روما ولم يسع الى طرد اعداء الشمال بمؤازرة شابوه ( نظراً الى ما يورده المؤرخ خوريناتزي ) .

وكانت جميع أعماله سيئة لم ينل عليها غير التوبيخ والامتهان ، وكان ديران في حياة البطريرك وارطانيس يتقيد في بعض الأحيان عن اظهاره اعماله وأطواره الشاذة حرمة له وتأدبا، ولكن الأمر انعكس بعد وفاة البطريرك وتولي هوسيك ابنه كرسيه وكان صهراً لديران .

كان البطريرك هوسيك شابا تقياً ورعا ، فظل ينتقد تصرفات الملك السيء الاخلاق ثم أعلن حرمه ومنعه دخول الكنيسة الملكية ، فثارت ثائرة الملك الفاسق ، وعلى ملأ من الشعب وفي ساحة عامة قتل صهره البطريرك ضربا بالعصي عام ٣٥٠ ، ثم عين خلفا له المطران دانيال غير انه عاد فقتله ايضا لجرأته وانتقاده سلوكه الشائن .

وبتحريض من رئيس الحرم الملكي - أب مرتبيد *Martbede* - ابيدت عائلة الاميرين ارزوني ورشدوني ، وبمقاومة الاميرين ارداوازت وواساك ماميكونيان

للملك نجا من تينك العائلتين ولدان فقط هما داجاد وشاواسب .

كانت تربية ولي العهد موكولة الى أسراء ماميكونيان ، غير ان هؤلاء الاسراء غضبوا من حركات الملك القبيحة الذميمة ، فأعرضوا عن ولي العهد وتحصنوا في قلعة داي ، وبعد مدة زوجوا الاميرين الناجيين من سيف الملك من بنتين من بناتهم وبذلك أحيوا نسل رشدوني وارزوني .

عواقب حرب نصيبين وقتل عيني ديران من قبل العدو : ان الحروب التي وقعت مدة اثني عشر عاما بين الفرس والرومان انتهت بمعركة سينقارا ، وقد أعطى كلا الطرفين خسائر عظيمة فيها ولم يحرز أحدهما نصراً حاسماً ، وكان في كل عام يعبر شابوه ملك الفرس دجلة كما كان يعبر قسطنطين الفرات .

كانت نصيبين مفتاح طرق الرومان(١) فحاصرها الفرس ثلاث مرات كانوا يرتدون فيها متقهقرين ، وقد أعطى الجانبان ضحايا هائلة على أطراف أسوارها، ثم مل الخصمان الحرب الاثنى عشرية بعد ان أجهدتهم وأنهكت قواهم ، وبدون صلح او مفاوضة فيه ، وبدون قيد او شرط أوقفوا الصراع ، وكان كل منهما بحاجة الى المهادنة ، فشابوه تهدد قبائل الشمال حدود بلاده الشمالية ، وقيصر تحدث اضطرابات كبيرة في القسم الغربي من امبراطوريته ، وعلى كل منهما دفع الخطر الداهم .

رجحت كفة الفرس في هذه المدنة ، فمال ديران الى مصانعتهم ووعد بدفع الجزية لهم ، ولما رأى شابوه ضعف ديران وسقوط همته ، عد ارمينيا صيداً هيناً وعول على الثأر من ملكها ، فعهد بهذا الأمر الى وارازشابوه أمير اذربيجان ، وكان هذا عدواً لديران لسبب تافه كان يعتبر او اتخذ أمراً هاماً : فقد طلب وارازشابوه من ديران جواده المسمى « جاردون » هدية ، غير ان هذا قدم اليه جواداً يشبه الجواد المطلوب تماماً ، ولم يشعر الأمير بهذه الحيلة لولا ان بيساك رئيس تشريفات ديران أخبره بها ، فحفظها له . وبعد مدة دعا ديران واراز الى الصيد وهو يضمر له في نفسه شراً ، وانتخب مكانا غير ملائم اهانة لضيفه ، وكان بيساك مطلعاً على كل شيء ، فأفشى السر الى واراز

---

١) د. دوري

شابوه . اما هذا فقد أحفظته برودة موقف ديران في استقباله ، فهو لم يحضر الأمراء والحاشية الملكية ، ولم يخرج الخيالة من الحرس الملكي ، فبيت له الشر ايضاً . وفي أثناء الطعام والشراب بلغ سكر الملك حداً عظيما فانتهزها واراز فرصة وأمر خدامه المدججين بالسلاح ان يقبضوا على ديران ويحكموا وثاقه ، ثم أمر الملكة واولادها وفيهم ارشاك ولي العهد ، وغادر محل الصيد وسار بهم جميعاً حتى بلغ قرية « طالاريس » حيث أمر باحماء الحديد ، وسمل به عيني ديران ، ثم نقله مع افراد عائلته الى بلاط الفرس .

## ارشاك الثـــاني

## ٣٥١-٣٦٧

ذاع خبر اسر الملك وسمله في كافة أنحاء أرمينيا ، فعم الخوف والهلع أنحاءها ، وخشوا التهديدات من خارج البلاد بسبب خلو العرش ، فاجتمع الامراء والاعيان والشيوخ والافراد المثقفون ورؤساء القرى من جميع أطراف المملكة لاتخاذ التدابير تجاه الخطر (١) ، فقرروا بالاجماع الدفاع عن الوطن والاثئار من العدو الذي امتهن ملكهم ، وفي الوقت نفسه أرسلوا وفداً مكوناً من الشيخ السونياتي انتوفك وارشاوير كامساراكان الى حلفائهم الرومان يطلب المساعدة وتنفيذ عهدهم لهم .

جاء القيصر بنفسه مع جنده ، وعسكروا في سهل باسين حيث نزل الفرس ايضا وبعد ان رسموا خطة الحرب ، هاجم الجيش المتحالف الفرس فاصلاهم حربا عوانا وأنزل بظهورهم ضربة قاصمة فامعن في تقتيلهم وأسر منهم اعداداً كبيرة وغنم منهم غنائم كثيرة ، وأسر الملكة والحرم الفارسي الملكي ، وفر الملك بعد جهد جهيد الى قطيسفون عاصمة ملكه ، ومن هناك طلب عقد صلح ولكن القيصر اشترط عليه تخلية سبيل ديران الكفيف مع حاشيته المأسورة فرضي بهذا الشرط ، وفك أسار الملك الارمني فعاد الى بلاده ، وطلب هذا ان يقام على العرش ابنه ارشاك ، ثم تحالف شابوه مع الملك الجديد الذي تولى العرش برضاه .

---

١) يوليانوس

وزوج قيصر أرشاك بخطيبة كوستاس المدعوة فوليبياطا ، وبذلك ارتبط قيصر روما وملك ارمينيا بقربى المصاهرة .

على عهد ديران كانت قد اختلت القوتان المادية والمعنوية في ارمينيا ، ولم يعد فيها شيء من عهود عظمة ديرطاد وخسروف بل ان استقلال المملكة ذاته كان في خطر ونظراً الى حمق ذلك الملك وخرق رايه فقد ابتعد الامراء والاعيان عن عرشه ، كما انفض من حوله رجال الدين ، ففسدت أخلاق الشعب بفساد ملكهم « والامم على دين ملوكها » وكثرت الحزازات والعداوات الفردية والاغتيالات ، فتوقف دولاب الدولة وتسيبت الامور بضياع المسؤولية بين الموظفين ، وتعطلت الايادي العاملة فأمست معظم الاراضي والحقول قاعا بلقعاً (١) .

عهد السلام وانكشاف الغمة : لما تولى ارشاك زمام الحكم أمل شابوه ان يعقد اواصر الصداقة معه فلما زوج القيصر فوليبياطا منه تولدت منافسة بين الامبراطوريقين على اكتساب وده وكانت الاضطرابات التي نشبت على حدود كلتيهما وانشغالها بقمعها سبباً في ان تنعم مملكة ارشاك بالسلام فترة طويلة من الزمن وهذا السلام أفاد المملكة فائدة عظمى ، فزهت وانتعشت والتأمت الجروح التي أحدثتها حوادث عهد ديران ، وهذا ما صرح به المؤرخ بافسدوس اذ يقول « عم الصلح والسلام في ذلك الزمان » .

أخذ ارشاك يعيد المياه الى مجاريها ، فشرع بالاصلاحات الداخلية ونظم الامور المختلة في الدولة وأعاد الرتب للامراء والدرجات للاعيان ، ونظم الدفاع فقوى الجيش وحصن الحدود وشاد عليها ثكنات الحاميات ، وعهد بوظيفتين هامتين الى شخصين عظيمين : فقد أعاد الى العاصمة أمراء ماميكونيان الذين نقموا على تصرفات ديران الذميمة فالتجأوا الى دايو تشور ، ثم عين واساك ماميكونيان لقيادة الجيش العامة ، ووارطان ماميكونيان وزيراً للبلاط ، كما جعل واغارش وزيراً للداخلية ، وأنشأ وزارة المالية والارياف ، وأناط التشريفات الملكية بنيرسيس .

كان ارشاك شابا قويا جريئاً ، حكيما بصيراً بالعواقب كما كان حريصاً على شرفه وصيته ، وبسياسته وكياسته احتفظ بتاجه سبعة عشر عاما بين جارتيه العظيمتين

---

١) بوليانوس

المتنافسين فارس وبيزانطية .

اما منهاجه فيتلخص فيما يلي : (١) السعي لازدهار بلاده ورقيها الاقتصادي (٢) تأمين طاعة الامراء الاقطاعيين للعرش وخضوعهم عندما تدعو الحاجة الى توحيد صفوف الامة (٣) تعمير مدينة ارشاكاوان وكان ارشاك طوال حكمه عطوفا على الشعب مشجعاً لهم ، وقد مد يد المعونة الى أبناء الارياف وحاربهم سيطرة الاقطاع ، وكان لشدة حرصه على حماية الشعب والريف يعاقب المسيء من أرباب المقاطعات عقوبات جسمانية .

ورأى ارشاك بثاقب فكره ان السلطة الروحانية متممة لقوى الدولة السياسية والعسكرية ، وهي - أي السلطة الروحانية - تتأثر بالدولة فتقوى بقوتها وتهن بضعفها ، ولذلك سيطر عليها جميعاً مدى حكمه المليء بالرخاء والسلام ، وكان يرى لزاما عليه ان يلاحظ شؤون الكنيسة ، وعملا بنظريته هذه ففي السنة الثانية لتبوئه العرش رأى من الضروري ان ينتخب شخصا قديراً جليلا لائقا بكرسي البطريركية الرفيع .

وباغلبية ساحقة من الآراء انتخب نرسيس البرتوي بطريركا عام ٣٥٣ ، وصادق الملك على هذا الانتخاب . اما نرسيس هذا فهو رئيس التشريفات الذي عينه ارشاك ، ولما طرق النبأ مسمع المنتخب ( بفتح الخاء ) ذكر ارشاك بمقتل جده البطريرك هوسيك بيد ديران والده ورفض الانتخاب ، ولكن الملك سحب فوراً سيف التشريفات من منطقته ، وأمر بحلق رأسه والباسه اللباس الروحاني ، ثم أرسله بعد مدة وجيزة الى قيصرية ليقتبل الدرجة بالرسامة . ( بعد برهة من اعتناق المسيحية ، كان الرؤساء الروحانيون الارمن يأخذون رسامة درجتهم الروحانية من بطاركة كابادوسيه الرومية ).

<u>اصلاحات البطريرك نرسيس الكنسية ، وانشاؤه المؤسسات الخيرية</u> : مذ تولى البطريرك نرسيس رئاسة الكنيسة الارمنية ، أدخل عليها اصلاحات عديدة ، لان العقائد الوثنية السخيفة كان بعضها لا يزال مرعيا بين مختلف الطبقات . فغب عودته بعصا البطريركية جمع سنهادوساً (١) في كاتدرالية آشديشاد فوضع الحدود التالية :

(١) السنهادوس في الاصطلاح الكنسي مؤتمر المطارنة والبطريرك للنظر في الشؤون الكنسية.

(١) منع الزواج من القريبات (٢) تحريم تعدد الزوجات (٣) تحريم دفن الشهداء من الاموات في السطح وهي عادة قديمة درج عليها الشعب اعتقاداً منهم ان الأرواح الصالحة تأتيها بهيئة طيور ( هارالبز ) فتلمس بالسنتها جروحها وتحييها (٤) سن القوانين والأنظمة الخاصة بالحياة الزوجية .

وقبل التئام هذا السنهادوس لم يسبق ان تأسست في البلاد أية مؤسسة اجتماعية او خيرية ، وكان المرضى والفقراء مهملين في بيوتهم محرومين من العناية العامة، ولم يكن في البلاد مأوى للعجزة او ميتم وما الى ذلك ، فطفق البطريرك نيرسيس يسعى بكل قواه في انشاء هذه المؤسسات الخيرية ورعايتها وزيادتها ، فانشأ داراً للخدم واخرى للفقراء ومستشفى وميتما ، وحث أبناء الريف على مساعدة هذه المؤسسات وبذر في قلوب الشعب حب الرحمة والاحسان ، وانفق على مشاريعه الخيرية من أوقاف الكنيسة وأموالها .

وسعى ايضا باهتمام في زيادة عدد المدارس لتعليم اللغتين الاشورية واليونانية ، ويقال انه عمر اكثر من الفي دير وكنيسة ومدرسة ، وفي عهد نيرسيس تأسست الرهبنة الاعتزالية، وقد اعتبرها ارشاك مضرة بمصلحة المملكة لانها تنكب الافراد عن تأدية واجبهم الاجتماعي والوطني ، وبسبب هذه الفعاليات قام عداء بين الملك والبطريرك .

مقتل الأب مارتبيد بيد شاواسب : وفضلا عن معاداة الملك للكنيسة ، فقد زادت كراهية موظفي الدولة ورجال البلاط واشتد بغضهم لرجال الدين وللكنيسة بسبب ازدياد املاكها ونفوذها بين طبقات الشعب واصرارها على احترام القوانين والعقائد الدينية الجليلة وطلبها من الشعب التمسك بالتقوى وبالاخلاق الحسنة ، وبلغ الكره والعداء أشدهما عند الأب مارتبيد (١) .

ظلت عادة تعدد الزوجات فاشية بين الأرمن وخاصة بين الملوك والأمراء حتى بعد اعتناقهم المسيحية ، فثقل عليهم تحريمها ... اما الأب مارتبيد فكانت سلطته حتى على الملك في بعض الاحيان وكان البطريرك نيرسيس يشجب هذه الوظيفة لمخالفتها روح المسيحية ، كما انه أراد ان يقوي نفوذه بذلك عند الملك فكان يطالب باسقاط المارتبيد

١) الاب مارتبيد : هو الشخص المختص بادارة املاك الملك الخاصة، وبادارة حرمه واولاده

ولذلك اشتدت العداوة بين الكنيسة ورجالها وبينه .

ان المارتبيد هو الذي حرض الملك ديران على محو الاسرة الارزرونية والرشدونية فلم ينج منها غير شاواسب وفى أحد الايام كان البطريرك فى آشديشاد لتأدية صلاة العيد وكان المارتبيد موجوداً فيها ايضاً فزار البطريرك متظاهراً بالاخلاص والولاء وتكذب سريرته مظهره ، وقبل الجلوس الى مائدة الطعام التي مدت باسم البطريرك قام المارتبيد مجولا بضع دقائق فراعه فخامة وجمال المكان الذي أنشأته الاموال الكنسية وتحركت كوامن أحقاده نحو الكنيسة التي كان مؤسسها الملوك الارشاغيون وبالاخص ديرطاد الكبير ، وتذكر خاصة ديرطاد الذي دس أصنام الآلهة وعمر كنائس المسيحية ، وأثناء تناول الطعام تفوه المارتبيد بكلمات عدائية نابية محتقراً ديرطاد وجميع الملوك الارشاغونيين سيان منهم الاحياء او الاموات ، وأردف قائلا : « كيف وهب الملك ديرطاد مثل هذا الموقع لأناس يرتدون الالبسة النسائية ، وكان حريا به ان يقيم عليه قصراً ملكيا فخما . اما انا فلسوف أسعى ما حييت لاحمل الملك على هدمه » . اما البطريرك نيرسيس فاكتفى بتنبيهه الى ان يحفظ لسانه .

وبعد تناول الطعام سافر المارتبيد متوجهاً الى العاصمة ، وحين وصوله الى ضفة الفرات فى موقع ميزورك حيث بنى الملك ساناترورك قصراً هو الآن خراب ، خرج شاواسب الارزونى مستقبلا المارتبيد الذى تسبب في قتل العائلتين قال له « لقد رأيت يا أب مارتبيد دبا ابيض فى الغابة القريبة » فسار المارتبيد برفقته نحوها دون ان تخامره ريبة ، وفيها قتل شاواسب مرتبيد واخذ منه بثار أسرته .

مقتل الأمير كينيل باسم ارشاك ، وزواج ارشاك من زوجة كينيل : غضب القيصر واغنيديانوس على ارشاك لكبريائه واعتداده بنفسه ، فاس بقتل أخيه ديرطاد الذى كان رهينة لديه ، فارسل ارشاك هدايا ثمينة الى قيصر ووسط البطريرك نيرسيس في المصالحة فاقتنع واغنيديانوس وندم على قتل ديرطاد ثم ارسل كينيل بن ديرطاد المقتول مع هدايا غالية ولقبه بالقنصل على ارمينيا وخلى سبيل ابن أخيه الثاني المدعو ديرث .

عاد كينبل الى بلده وحل عند جده الملك ديران الذى كان لا يزال حياً ، فبذل له هذا كل عناية وجمله ورشياً لاملاكه ، ثم عقد له على بارانسيم ابنة انطوفك ، وأعقب ذلك مناسبات واجتماعات مع الامراء والاعيان، فوقع ديريث ابن عم كينبل في هوى بارانسيم ، وصار يسعى الى اتهام كينبل عند الملك فاقنعه بان كينبل الذى يسكن في سهل ارارات ينوي اغتصاب تاج المملكة وشاركه كذلك وارطان ماميكونيان وزير البلاط، فأصدر الملك أمره باقصاء كينبل عن ارارات وبان يقيم في آغيو وبدا وآربيران .

رحل كينبل منصاعا لامر الملك ، ولكن ديران جده غضب ووبخ ولده ارشاك فامر الملك بخنق والده المكفوف ، ولم يكف العدوان اللدودان - ديريث وماميكونيان- عن مد الشراك لكينبل ، حتى دبرا أمر اغتياله بصورة سرية ، فبأمر ملكي بواسطة وزير البلاط استدعي كينبل الى مقر الجيش العام للاشتراك باحتفال عيدالناواصارت ، فاطاع وقدم ، واذ هو في بعض الطريق قبض عليه أشخاص مسلحون فانزلوه عن جواده وكبلوا يديه ثم ساقوه الى تل قريب حيث كان جلاد الملك ينتظره .

أسرعت بارانسيم وهرعت الى البطريرك ، وبعيون دامعة شرحت له الامر واسترحمته انقاذ زوجها من الايادي الظالمة ، وكان البطريرك يصلي فقطع صلاته وقصد الملك راجياً ان ينقض أمره بقتل كينبل ، ولكنه لم يعره اهتماما بل تظاهر بالنوم ، فلعن البطريرك الملك منحياً عليه باللائمة وابتعد عن مقر الجيش ولم يدخله مرة اخرى (١)

وبعد اغتيال كينبل الذي ذهب ضحية غرام ديريث ، أمر الملك بقتل هذا الاخير، ثم تزوج هو من بارانسيم(٢) ، فلم تن عن أخذ ثأر زوجها من مسببي مصرعه وعلى رأسهم وارطان وزير البلاط فاتهمته بالجاسوسية والتواطؤ مع الفرس واستحصلت من الملك أمر قتله ، فقتله واساك سوني وزير الدفاع وشقيق بارانسيم .

تشييد ارشاكاوان : كان بناء ارشاكاوان اثناء غياب البطريرك عن البلاد في رحلة قام بها الى قسطنطين لايداع ولي العهد باب رهينة لديه نظير عقد الصلح مع ارشاك . وقد

١) يقول باوسيديس ان البطريرك منع من دخول مقر الجيش

٢) صارت بارانسيم زوجة ثانية لارشاك وكانت زوجته الاولى فوليمبياطا وقد قتلت مسمومة بامر من بارانسيم.

أقام البطريرك المطران خاط نائباً عنه مدة غيابه ، وقد طال هذا الغياب لأن القيصر نفاه الى جزيرة غير مأهولة لاختلاف الرأي بينهما في بعض المسائل الدينية ، فغضب ارشاك من معاملة القيصر غير اللائقة وأمر القائد العام واساك سوبني بالقيام ببعض الحركات ضمن الحدود البيزنطية .

دام غياب البطريرك سنة كاملة كان المطران خاط خلالها يقوم بواجبه بكل حزم وعزم ، ونشب الخلاف بينه وبين الملك كما كان في عهد البطريرك نفسه واعترض على بناء ارشاكاوان . فقد قرر ارشاك أن يبني مدينة على اسمه في ساحة واسعة وراء جبل أرارات ، وقد شادها فعلا وأمر بان يسكنها رعاع القوم من مجرمين ومحكومين وقتلة ولصوص ونشالين ومن اليهم ، فغزاها هؤلاء القوم الصعاليك بالنهب والسلب والاغارة واعمال الفوضى حتى ضج الرأي العام بالاحتجاج والشكوى ، غير ان الملك لم يتخذ اي اجراء لتأديبهم او تجريمهم(١) .

وبعد قليل من الزمن غدت ارشاكاوان مدينة عظيمة فشيد الملك فيها قصراً له وكنيسة ، وطلب الى المطران خاط نائب البطريرك أن يكرسها فامتنع وبين عدم صلاحيتها للتكريس واقامة المذبح ، ورفض هدايا الملك . وتحزب الأمراء ايضاً ضد هذا المشروع حتى انهم - بحسب ما رواه المؤرخ خوريناتزي - ذبحوا سكان هذه المدينة الهمجية ما خلا الفتيان والاطفال . ولكن المؤرخ باوسدوس يقول ان سبب فناء سكان المدينة كان الوباء الذي حل بها واستمر اياما قليلة .

وكان امراء اسرة كامصاراكان أشد المعارضين لانشاء ارشاكاوان ، ولذلك أبادهم الملك عن بكرة أبيهم ومنع دفنهم اياما طويلة . فاعترض المطران على هذه الاعمال الجنائية وأثار اعتراضه غضب الملك فأمر برجمه ، ولكن افراداً جريئين من قبيلة الاباهونيين أنقذوه ونقلوه الى ديارهم . وبسبب هذه الاعمال غير المشروعة ابتعد البطريرك عن محافل الملك عام ٣٦٧م .

مؤرخ ارمني يؤول تشييد ارشاكاوان : ان المؤرخ والاديب الارمني يغيشه

١) باوسدوس

نوريان يبرر بناء مدينة ارشاكاوان كما يلي : « يكاد يجمع مؤرخو الأرمن على ان انشاء ارشاكاوان كان نتيجة لرأي قائل كيفي غير منطقي كان رائده التفكير في امور الفجور ، ولكن الحقيقة ليست ما يقولون ، ومن المحتمل ان الملك عمر هذه المدينة تمثلا بقوانين المدينة العبرية القديمة لتمنع القتال والاعتداء بين القبائل ، او انه اتخذها وسيلة لملاجئهم لعدم مكنة الحاكم من تسوية المسائل ، او انه جمع السفهاء في مركز واحد لاصلاح اخلاقهم وانفسهم .

ومهما تكن حقيقة الأمر ، وبالرغم من النهاية المفجعة التي انتهت اليها المدينة بتأثير ذوي الأغراض ، فان تشييد الملك فيها قصراً وكنيسة يؤيد أن الرجل لم يشد ارشاكاوان بنية سيئة ولو ان الكنيسة قد شجبت عمله واعتبرته لطخة عار في تاريخ الأرمن ..

دامت حياة المدينة عامين او ثلاثة اعوام ، وبلغ سكانها ٢٠٫٠٠٠ نسمة ، ويقول المؤرخ باوسدوس أن سبب انقراضها هو الوباء الذي نزل بها لا القتل العام بسيوف الأمراء ، ولكننا لا نقره على رأيه بل نميل الى ضده ونرى هذا الضد معقولا ومنطقياً.

هذا ويرى بعض المؤرخين أن سياسة ارشاك كانت تهدف الى تشكيل دولة مركزية والقضاء على الاقطاع الذي كان اكبر عامل في ضعف الدولة ، ولذلك فقد فتح أبواب مدينته لهؤلاء الرعاع ، ولم يرغمهم على ان يسكنوها كما فعل ديكران الكبير اذ أجبر ألوف الناس على سكنى ديكران آباد بل ترك لهم حرية سكناها رامياً بذلك الى جمع القوم واصلاحهم بالاحسان اليهم فيكونون حماة لتاجه وعرشه آملا ان يجعل منهم سداً منيعاً في وجوه أمراء الاقطاع الذين كان الفرس يعدونهم ويبذلون لهم الوعود الخلابة بالملك والتاج فيجعلون منهم آلات يحركونها كما شاءوا لتفكيك عرى الوحدة القومية .

## حروب ارشاك الخارجية : حرب ديكران اباد

## علاقات ارشاك بالقيصر قسطنطين

لما أتم شابوه انتصاره بالحروب في حدوده الشرقية طمع مرة اخرى في ارمينيا والعراق معاً . وبموجب الخريطة التي كانت في يده ، وقد أعطاه اياها شخص فار من

ارمينيا ، فقد عبر شابوه نهر دجلة عام ٣٥٩ بمائة الف من الجنود ، ويصف غزوته هذه المؤرخ اميانوس ماركيلينوس وقد كان شاهد عيان لها ، فيقول :

كانت النار بين دجلة والفرات كأنها بحر ملتهب ، وكان شابوه يخطر امام أفواجه محاطاً بالملوك والأمراء لابساً خوذته المرصعة فاحتلوا بعض المدن دون أية مقاومة ، ولكن ديكران آباد الباسلة قاومت ثلاثة أشهر مقاومة الابطال . وقرب أسوارها قتل ابن ملك الحونيين كرومباريس ، فأقام الفرس سبعة ايام عزاء كان الحزن والغيظ عند انتهائها قد ملك عليهم حواسهم ، فهجموا ونجحوا بهدم جزء من السور ، ثم دخلوا المدينة فقتلوا جماً غفيراً من سكانها وأسروا غيرهم ، ولكن شابوه فقد في هذه الحصار ٣٠٫٠٠٠ نسمة فأضطر على العودة الى بلاده ناويا اعادة الكرة فى السنة المقبلة .

ويقول المؤرخ اميانوس ان شابوه عاد الى العراق عام ٣٦٠ مرة اخرى واحتل مدينتي سينغاره وزافتا ، وكان بين حاميات القلعة جنود أرمنية وجنود رومية .

وترامى الى قيصر القسطنطينية نبأ غزو الفرس للعراق ، فقرر فى الحال السفر الى تلك الديار لمقابلة الجيش الفارسي . وفى قيصرية ، التقى بالملك ارشاك الذي خف اليها بناء على ابلاغه رغبة القيصر بواسطة قائد رومانى ، وبعد استقباله بالعز والاكرام اجتهد القيصر فى اقناعه بالمضي فى صداقة الرومان ـ وكان قيصر يعلم العلم اليقين ما بذله ملك الفرس من جهوده لتقويض دعائم هذه الصداقة ـ وبناء على رجاء القيصر ان تدوم هذه الصداقة لمنفعة البلدين أقسم له ارشاك يميناً بالولاء والاخلاص ، ثم قال :

« انني لارجحن الموت على ان أسلك سبيلا معوجاً بسياسة مضادة للرومان » (١) .

وعاد ارشاك مع حاشيته الملكية الى عاصمته حاملا معه الهدايا ومزوداً بنصائح القيصر وتوصياته ، وظل أميناً لعهده باراً بقسمه لان القيصر ايضا برهن على صداقته ومحبته ارشاك وذلك بتزويجه من فولجيياطا .

بعد رحيل ارشاك ، سار القيصر نحو الفرات فوصل الى بديسيا ( اورفه ) واجتهد في ان يفتح زابطا ولكنه لم يفلح . وفي السنة الثانية ( ٣٦١ ) حارب الفرس ايضا ولكنه

(١) اميانوس ماركيلينوس « الباب ٢٠ ، ص ١١ » .

لم يغز بطائل ، وفي الخريف حين سمع ان يوليانوس فتح لوريكيا وأعلن نفسه قيصر الغرب ، أسرع بالعودة الى انطاكيا ، ومنها رحل الى اوروبا، ولكنه توفي في طرسوس بحمى شديدة وهو يناهز ٥٥ عاما من عمره .

حرب يوليانوس ووضع ارشاك تجاهه : ان يوليانوس هو ابن عم قسطنطين ، وقد صار صاحب الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة الأخير . ويعرف يوليانوس في تاريخ الكنيسة باسم « يوليانوس الجاحد » لانه ارتد عن المسيحية ورفضها بصورة باتة، وأقام شعائر الوثنية وارتدى لباس استوئيكا *Stoicisme*(١) كفيلسوف .

ان يوليانوس بعد فتحه لوريكا عاد الى العاصمة البيزنطية واستعد لغزو الفرس ، ولأجل اخفاء عزمه عن عدوه كي لا يتخذ الأهبة فقد أمر جميع قواده ان يجمعوا جموعهم في سهل خران ، وقسم قوات جيشه فجعل القسم الأول البالغ عدده ١٨,٠٠٠ جندي تحت امرة بروكوبوس ليعبر به دجلة، وبعد ان ينظم قواته يغير بها على قطيسفون عاصمة الساسانيين بطريق شمال العراق الذي هو كذلك طريق القيصر وقواته التي تعد ٤٢,٠٠٠ جندي،فنزل بروكوبوس الى الفرات بسفنه الخفيفة ميمما العاصمة الساسانية وانتصر الرومان واحتلوا قطيسفون ، وفي السنة الثانية (٣٦٣م) اغتيل يوليانوس قرب دمارا. وهنا نرى انه بالرغم من طلب قيصر الى ارشاك الاسراع بمعاونة بروكوبوس الا ان هذا لم يلب النداء ، واكتفى بارسال قائد قواته الارمنية الجنوبية زورا رشدوني، وهذا بدافع التعصب الديني استنكف ان يخدم القيصر المرتد ، وانسحب بقواته الى قلعة دمورا ، فاغتاظ القيصر وطلب الى ارشاك اعدام هذا القائد ، وقد كتب اليه الكتاب التالي :

« الى الأمير ارشاك - اسرع وبادر الى التسلح ضد التهور الايراني . . . انفض الخمول وذر الكسل ، واذكرني أبداً أنا يوليانوس رئيس كهنة الوثنية ، واغسطوس خادم الاله اريس (٢) . . فاذا خالفت أمري - وقد بلغني انك رجل دساس ، وان جنودك قوم اشرار - فانا لا أبالي بذلك . . أما الدليل على خيانتك فهو حمايتك شخصاً مضراً

---

١) نوع من طرق الفلسفة اليونانية

٢) اله الحرب

بالمصلحة العامة ، فانتظر عاقبة الحرب .. يجب أن تعلم انى غب انتصاري على الفرس سأتوجه اليك وأحرق دارك.. ولسوف أدمر الدولة الأرمنية ثم اجعلها امارة فارسية »

فلما قرأ الملك ارشاك هذا الكتاب احتقر صاحبه ومزق رسالته ولم يجب القيصر المرتد.

ان المؤلف الفرنسي رنوبل ينتقد كتاب القيصر الى ارشاك بقوله :

« كان القيصر واثقا كل الثقة ان ارشاك يستطيع أن يأخذ بثأره من الفرس ، وكانت ارمينيا متحالفة مع الامبراطورية الرومانية ضد الساسانيين ، وهي بمواقعها الحصينة فى الشمال تلك المواقع الحربية المنيعة تستطيع ان تربك العدو وتؤمن نصر القيصر ، ولكن قيصراً لم يحسن الاستفادة من هذا ولا احسن معاملة للملك، فقد كتب اليه كتابا لا يكتبه الا أمير اقطاع الى تابعه واستعمل عبارات لا يليق أن يستعملها حليف نحو حليفه وخاصة ارشاك ديرانيان المسيحي الذي يحكم شعباً معظم افراده نصارى ، وزيادة على ذلك فقد تأكد لديه ارتداد يوليانوس وجحوده المسيحية واضطهاده تباعها . لقد كان الحق بجانب ارشاك اذ احتقر كتاب القيصر ولم يجبه الى معاونة بروكوبوس ، فقد حفظ بذلك كرامة نفسه وعزة شعبه المسيحي » .

معاهدة يوفيانوس عام ٣٣٦ : تخلف يوفيانوس بعد يوليانوس، وقد كان قائداً فى الحملة قبلا ، ولكن انتخاب هذا القيصر لم يكن موفقاً ، لانه كان جباناً رعديداً ضعيف الارادة ، وقد أكره على حرب الفرس بالرغم من الخسائر الفادحة التي منوا بها ، فوهن لها جيشهم . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد انهار جسر مشيد على دجلة فكسر معنوية القيصر وأحدث هياجاً فى الجيش ، فأسرع احد أعداء يوفيانوس فأخبر شابوه ملك الفرس فزاده ذلك يقيناً في جبن قيصر واختلال جيشه وضعف قواه الحربية. فكلفه عقد صلح علم شابوه انه يغنم فيه اكثر مما تنيله الحرب حقاً فبواسطة هذا الصلح عادت حدود الدولتين المتحاربتين الى ما كانت قبل معاهدة سنة ٢٩٧ وفقد الرومان خمس ولايات في ما وراء دجلة ونصيبين وسينقارا (١) ، اما ارمينيا تلك الأمة التي نالت روما صداقتها بعد جهود اربعة اجيال ، فقد تركوا مقدراتها الى أيادي الساسانيين !

١) هي بقعة سنجار

ويذكر المؤرخ باوسدوس بخصوص تعهدات يوفيانوس الدنيئة ما يلي :

« لما عقد الصلح بين الساسانيين والرومانيين كتب يوفيانوس كتابا الى شابوه أدرج فيه تعهداته قائلا : سأعطيك نصيبين والقسم السوري من ما بين النهرين ، وليست لي أية غاية في ارمينيا، فاذا تمكنت من غلبها ووضعها تحت حمايتك وفي خدمتك فلن أعينها عليك » .

وهكذا نقض يوفيانوس الساقط بديه مما ناله أسلافه بدماء جنودهم وافتدى به نفسه من الملك الساساني (١) .

مهروجان ارزوني المرتد الخائن وطنه ، وغارته على ارمينيا : جاء بعد يوفيانوس القيصر واغيس ، فلم يأبه لبنود المعاهدة المعقودة بين سلفه وبين الفرس ، وخلى سبيل الأمراء الارمن المرهونين لديه اظهاراً لولائه الخاص نحو ارمينيا . وكان شابوه قد أنهكته الحروب الكثيرة فلم يستطع غزو ارمينيا واحتلالها ، فلم يجد لاسقاط الارشاغونيين إلا وسيلة استعمال الخداع والغش والدس والكذب ، فبربك ارمينيا التي كانت آنذاك قلقة مضطربة من جراء اعمال ارشاك غير اللائقة وتصرفات يوفيانوس الشائنة ، فلم يتأخر عن ارسال عصابات كثيرة الى ارمينيا من جهات مختلفة ، وقد كان مهروجان الجاحد آلة بيد شابوه ، ومهروجان هذا ارمني مسيحي ، غير انه جحد دينه واعتنق الدين المزدي وارتد معه خاله واهان ماميكونيان ايضاً .

سعى البطريرك نيرسيس في رد مهروجان الى المعتقد القويم وصرفه عن مطامعه لسلامة المملكة ، غير ان الخائن أعار نصائح البطريرك أذناً صماء ، وغزا ارمينيا من قسمها الجنوبي بمعاونة القوات الفارسية ، فاحتل بعض القرى والقصبات وعدداً من القلاع ، ودمر أسوار حصن آني ، فدخل الجنود الساسانيون ونبشوا مراقد الملوك الارمن ونقلوا عظامهم المشرقة بالمجد والبطولة الى بلادهم (٢) .

---

١) يقول المؤرخ اميانوس : ان ذيل معاهدة صلح يوليانوس كان ينص على عدم امداد ارمينيا عند نشوب حرب بينها وبين الساسانيين ، وهكذا يحرم المساعدة الرومانية على حليفتها الامينة الصادقة

٢) باوسدوس

وصلت اخبار هذه الغارات متأخرة الى مسامع الملك ارشاك الذي كان في حدود الساسانيين في اذربيجان بناء على احتمال وقوع غارات منهم، فأمر قائد جيشه العام واساك بالتنكيل بعصابات مهروجان سريعاً ، ففعل وانتصر عليها انتصاراً باهراً وشتت قواتها وطرد البقية الباقية الى خارج الحدود واسترد عظام الملوك ودفنهم في آراكاز ، وقد دامت المصادمات بين مهروجان وواساك عدة اشهر وكان مجموعها ثلاثا وعشرين واحدة ، وفي كل منها كانت عصابات مهروجان تولي الأدبار مخذولة ويفر هو بحيله .

**الاضطرابات السياسية ، لجوء ارشاك الى شابوه ، القبض على ارشاك وسجنه (عام ٣٦٧) ، جناية مهروجان على بلاده :** كانت نتيجة معاهدة يوفيانوس مع شابوه وغارات عصابات الأخير المتوالية على ارمينيا من جميع الجهات أن تولدت أزمة سياسية داخلية بين الامراء خوفاً من الغزو الفارسي يوما ما ، واتفقت الاكثرية الساحقة من الامراء في احدى جلساتهم على انهم لن يستطيعوا تحمل هذه الحروب التي لا نهاية لها ثم قالوا : « ليحارب الملك ارشاك وقائد جيشه العام واساك وحموه الامير انتوفك ملك الفرس شابوه » ، ثم هددوا بترك الوطن والالتجاء الى الفرس . اما البطريرك نيرسيس الذي كان حاضراً الاجتماع فقد اتخذ كل ما اوتيه من بلاغة وفصاحة لسان ومواهب لاقناع الامراء بان يخدموا بلادهم ومليكهم ، فلا يسلموه الى ملك وثني ولا يبيعوا الوطن من عدو لدود ، ولكن نصائح البطريرك ذهبت صرخة في واد ، ولم يستطع كبح جماحهم ، بل انهم زادوا هياجاً وشرع بعضهم يصيح في بعض : « هيا انهضوا جميعاً ، فقد جاء دورنا للعمل ، وان زمن الاصغاء للكلمات الرنانة قد فات » .

وبينما كانت حالة البلاد السياسية مضطربة قدم رسول شابوه الامير الانوزان البهلوي يدعو ارشاك الى بلاد الفرس ، ولما كان أمل هذا قد انقطع من امراء أمته ومن أحلافه الخارجيين فقد ظن انه سيتمكن من اقناع شابوه بوعوده الصادقة واقسامه بعين الاخلاص والولاء لعرشه ، وقد طمأنه الامير الانوزان بان كسرى انما أنفذ في طلبه لهذا الغرض وحده ، وعلى ذلك سافر قاصداً ايران عام ٣٦٧ وفي ركابه الامراء وواساك القائد العام، ولم يبق في قلعة ارداكيرس من الحاشية الملكية غير الملكة بارانسيم.

كان ارشاك في اول الامر متردداً في السفر ، ولكن شابوه كان قد أرسل مع الانوزان طبع ختمه الخاص وهذه الاشارة كانت أقدس يمين لدى الفرس ، بيد انه لم يبر بقسمه ، فقبض على ارشاك أثناء مأدبة الغداء التي أقامها على شرف الضيف ، وقيده بسلسلة من ذهب ثم سجنه في قلعة «لاتذكر»(١) ، ثم قتل واساك القائد العام ، وحشا اهابه بالتبن وعلقه في القلعة نفسها امام عيني ارشاك !

قتل شابوه واساك لأنه كان قد قتل مدير اصطبلاته لاحتقاره ملك الارمن ، وفي أثناء المحاكمة نادى الملك واساك باسم « ثعلب » فأجابه هذا : « كنت ، ولا أزال حتى الآن اسداً ، ولكنني وضعت رجلي على جبلين ، وكان الجبل الذي أضغطه ينكش » وانما أراد بالجبلين امبراطوريتي فارس والروم ، وفي هذه الاثناء ارسل البطريرك رسوله موشيغ ماميكونيان ابن واساك الى قيصر الروم طالبا امداد الارمن » .

ظل ارشاك مدة طويلة في سجنه حتى حدث ان قائداً أرمنياً كان مستخدما في الجيش الايراني طلب الى شابوه ان يمثل بين يدي ملكه ليزوره ، وبالرغم من صرامة القانون فقد أذن كسرى له . كان هذا القائد يدعى طراستاماد ، فلما دخل على الملك قدم له عبوديته وعميق احترامه ثم عزاه في حاله ، وفي أثناء تناول الفاكهة عمد ارشاك الى سكين التقشير فانتحر بها ، فسحب طراستاماد السكين من جسم الملك ، وأغمدها هو ايضاً في قلبه مضجعاً الى جانب جثة مليك بلاده .

في أثناء سجن ارشاك ارسل شابوه زيك وغارين وبرفقتهما مهروجان وواهان ماميكونيان لتدمير ارمينيا ، وفي مدة وجيزة دكوا معالم أحضارتها ، وغدت المدن الكبيرة مثل ارداشاد وواغارشاباد ويروانتاشاد وزارهاوان وزاريشاد ووان ونخجوان وغيرها اطلالا ينعق عليها البوم ، واجليت الى ايران عائلات كثيرة كان بين عديدها الكثير من اليهود الذين كان اتى باسلافهم ديكران الكبير . وبعد تدمير هاتيك المدن حاصروا قلعة اردا كبرس التي كانت الملكة محتمية فيها مع ولدها باب ، وقد وصف اميانوس حصار قلعة آردا كبرس وعاقبة آرشاك .

(١) ان القول : قلعة « لا تذكر » تهديد بأن كل من يذكر اسمها يقتل بامر الملك .

لم يكف الملك الشيخ شابوه الثاني عن مطامعه الاستعمارية التي أبداها منذ تبوئه العرش ، وبعد وفاة يوليانوس كانت المعاهدة الدنيئة التي عقدها مع خلفه يوفيانوس قد أمنت السلام ولو كان ذلك أمراً غير اعتيادي بين الروم والفرس . ولكن بعد وفاة يوفيانوس تحركت في نفس شابوه أطماعه ، فقرر ان يغزو ارمينيا ويضمها الى مملكته واستمال اليه قلوب الشعب الارمني وطفق يصطاد الأمراء والاعيان والكبار من الارمن، تارة بالخداع وطوراً بالغش وثالثة بالارهاب والتهديد، حتى انه أقنع يوما الملك ارشاك بزيارته ، فقبض عليه أثناء المأدبة وقيده بسلسلة ذهبية وسجنه بصورة مؤذية في قلعة اغاوانك . ولكي يشبع نهمه وأطماعه الأشعبية أرسل على ارمينيا الخائنين الفارين كوغاكس واردوان وسلمها ادارة أمورها وأوصاهما بان يستعملا كافة الوسائل لتدمير مدينة ارداكيرس وقلعتها التي كان متحصناً فيها حاميتها والملكة باراندسيم وولي العهد باب ، وكانت الخزينة الملكية محفوظةفيهاايضا ان شدة الدفاع وامتناع الموقع والشتاء القارس كانت كلها أسبابا مانعة في فتح المدينة . وكان كوغاكس يعرف طباع النساء ، فاتخذ أيسر السبل اذ طلب مفاوضة الملكة ، فدخل اليها هو وصاحبه في قلعة المدينة طالبين السماح بالمفاوضة ، وعندما أذنت لهما ذكرا لها تهور شابوه وحدة طباعه ونصحا لها بفتح أبواب القلعة وتسليمها ، ولكن إباء الملكة وسحر بيانها وتهاطل دموعها ، كل هذه أثرت في نفس المفاوضين ، فانقلب الوضع رأسا على عقب ، فما كان منهما إلا ان أقسما يمين الاخلاص لها وانضما الى صف قوادها وقررا ان يعينا حامية الدفاع على مغادرة القلعة ، ثم أشغلا القائمين بحصارها بحجة المشاورة في تسليم القلعة ، وفي أثناء الليل هجم المحصورون على المحاصرين هجوماًمفاجئا فأبادوهم عن بكرة أبيهم ، وفر ولي العهد باب بتدبير الملكة الى قيصر الروم فاستقبله قيصر بحفاوة بالغة واكرم مثواه ، ثم خصص باسكانه نئوكيصاريا في بوندوس ، وحين بلغت أنباء الغلب والخسران غير المنتظر مسامع الملك شابوه غلت مراجل غيظه .

اما الارمن فلما علموا باكرام قيصر الروم واغيس وقادة ولي عهدهم شجعهم هذا ، فأرسلوا الى القيصر وفداً برئاسة موشيغ ماميكونيان طالبين منه الامداد

العسكري واعلان ولي العهد باب ملكا ، غير ان قيصر رفض الاعانة العسكرية احتراما للمعاهدة التي بينه وبين الفرس ، لكنه سلم «باب» الى الكونت ددیانوس وأرسله الى ارمينيا لتولى الحكم على يديه دون ان يحمل الشارات الملكية .

حاصر شابوه مدينة ارداكيرس وقلعتها بكل ما اوتي من قوة ، واضطرت الملكة پارانسيم بعد دفاع دام ١٤ شهراً على تسليمها ، فاسرها شابوه ونهب خزائن ارشاك . وبعد ان أنجز مهمته سلم ارمينيا الى أيدي الاميرين المرتدين مهروجان ارزروني وواهان ماميكونيان ليشفيا غلتهما منها وليلغا في دماء ابناء جلدتها ، فطفق المارقان الاثيمان ينشران الديانة المزدية وبادرا فهدما الكنائس والاديرة ثم أحرقا الكتب المقدسة المكتوبة باللغة اليونانية ، وأنشأا في اماكن عديدة هياكل لعبادة النار ، ثم لقنا اولادها وأقاربها العبادات الوثنية ، وصلبا وقتلا دون رحمة كل من خالفهما او عارضهما رجلا كان ام امرأة . غير ان بطلا من ماميكونيان يدعى صموئيل وهو ابن واهان الخائن اراد ان يغسل عار هذه المظالم والموبقات عن امرته فتصدى الى والده وقتله وأهان امه فورمیز توخد التي هي أخت الملك شابوه الثاني (١) .

## الملك باب

علمنا فيما سبق هذا البحث انه حين فتح مدينة ارداكيرس من قبل شابوه الثاني ملك الفرس كانت الملكة پارانسيم قد هربت ابنها باب الى القيصر واغيس ، ثم ان هذا سلم ولي العهد الى الكونت ددیانوس وارسله الى ارمينيا عام ٣٦٨ م ليتولى أمورها .

وبعد فتح ارداكيرس ، ولما نمي الخبر بفرار ولي العهد والاميرين كوغاكس وارداوان (٢) ثم تنصيب باب ملكا بمعونة قيصر الروم ، لاحق شابوه بجيوشه العظيمة الملك الجديد ورفقاءه ، فاضطر الملك الى ان يترك الديار ويفر الى جبال دايوتس الواقعة

---

١) خورناتزي

٢) هما قائدا الجيش الذي حاصر قلعة ارداكيرس ، وقد التحقا بقوات حاميتها بتأثير الملكة پارانسيم فابادا الجيش المحاصر ( بكسر الصاد ) وهربا مع باب الى قيصر الروم ، فجعلهما باب مشاورين له حين توليه العرش ، وهما ارمنيا الاصل .

في حدود ارمينيا ، ودامت مطاردة الملك خمسة اشهر حتى تعب باب ومل كما عجز شابوه ايضا فتوسل بشتى الوسائل من خداع ووعود براقة وابلغ باب بان الغـاية من تعقيبه هى انقاذه من ارداوان وكوغاكس، وانه لو قتل هذين الشخصين الماكرين لوجدشابوه مستعداً للاعتراف بملوكيته على ارمينيا . ولما كان باب شابا غريراً فقد صدق قول عدوه فقتل الرجلين الوطنيين الصادقين ـ ارداوان، كوغاكس ـ وانفذ رأسيهما الى شابوه لينال حسن رضاه ، وبهذه الحادثة تبين قيصر الروم ان مصالحـه في ارمينيا باتت في خطر ، ولذا أرسـل قائديه الكونت ارنيتؤس وديرندوس ، وجهزهما بافواج كبيرة لحماية الملك الشاب، فوصلا الى ارمينيا اذ كان موشيغ ماميكونيان يحارب لانقاذ مليكه من مطاردة شابوه ولوضع حد للتخريبات والمظالم في ارمينيا .

قتل موشيغ قائدي جيش شابوه زيك وكارين الـذين دكا الكثير من عمران ارمينيا ، ثم دمر هياكل النار واحرق المنجمين وكهنة المجوس وعلق أجسام قواد الحاميات فوق أسوارها ، وسلخ أجساد وزراء الفرس وحشاها تبناً ثم علقها على أطراف الاسوار اثاراً ومقابلة لما فعله شابوه بوالده واساك ماميكونيان . والتقى موشيغ بجيش شابوه قرب تبريز وكان هذا قد أتى به ليثأر للجيش الفارسي الذي أبيد ، فتغلب موشيغ على هذا الجيش ايضا ، وأسر حرم شابوه وكان في جملته الاسرة الملكة والحاشية البالغ عددها ستمائة شخص من كبار أعيان المملكة ووزرائها ومن أقارب الملك . وأرسل موشيغ الى الملك باب جلود وزراء الفرس وعظامهم وهي محشوة بالتبن ، ثم أعاد الملكة على عرش الى شابوه ـ مقلداً بذلك فعلة الاسكندر الكبير ـ وبهذا الفعل النبيل ارتفع موشيغ بعيني شابوه ، وتقديراً لعمله المشـرف رسم شابوه على كاس شرابه الذهبية صورة موشيغ ماميكونيان راكباً جواده الابيض ، وكان كلما شرب الخمر قال :

( لنشرب نخب صاحب الجواد الابيض )



موشيغ ماميكونيان
( صاحب الجواد الابيض )

ويئس شابوه اخيراً من النجاح ، وساءه الأدبار ، فأرسل الى قيصر الروم يحتج على امداد ارمينيا خلافاً للمعاهدة المعقودة بين الامبراطوريتين ، ولكن القيصر لم يعر احتجاجه اهتماما بل أمر قواده ان يستمروا على معاونتهم للارمن .

لما رفض القيصر احتجاج شابوه ، قرر هذا حشد قوة عظيمة ، ثم أرسل نداه الى حلفائه المجاورين أمثال شيركير أمير الزكيين ، وورنايرملك الاغوان ، ومهروجان الارمني المرتد .

حرب جيراف : بعد ان حشد شابوه جيشه الكثيف بمعاونة حلفائه من الزكيين والاغوان والكرج ، وتعيين نقاط الهجوم ، سار شابوه « ملك الملوك » الى الجبهتين الارمنية والرومانية .

كان قواد شابوه ، هو نفسه وورنايرملك الاغوان وشيركير أمير الزكيين

ومهروجان الخائن المرتد . اما قواد الارمن فكانوا موشيغ ماميكونيان واسباناطاراد كامساراكان وسمباد باقرادوني .

وبناء على الخطة التي رسمها قواد الرومان ، لم يكن الملك باب مشتركا في هذه المعركة ، بل كان يشاهدها ومعه البطريرك نيرسيس من قمة جبل نباد ، وكانت ساحة الوغى سهل جيراف الواقع على ضفاف الفرات أمام جبل نباد ، فوقعت فيه معركة وحشية دامية عام ٣٧١ ، وأظهر كلا الطرفين فيها بسالة نادرة . وكان سبب تفوق الجيش الارمني على الفرس حماية القطعات الرومانية ذات التروس لهم، وحب الانتقام والأخذ بثار ارشاك الذي ملأ نفوسهم، فقد كانت ذكراه تثير حفائظهم فاذا ما أسقطوا فارساً من فرسان العدو صرخوا قائلين « وهذا لارشاك » واذا حزوا رأس قائد او ضابط صاحوا « وهذا ضحية لارشاك ». وقتل في هذه المعركة شير كير أمير اللزكيين، قتله اسباناطاراد كامساراكان ، وقبض موشيغ ماميكونيان على ورناير ملك الاغوان ، ثم لكزه برمحه وتركه قائلا « امض الى بيتك، فاننا لم نعتد قتل الملوك » ، وكان ملك الاغوان قد سبق فطلب من شابوه غزو ارمينيا بجيشه فقط ، ولكن مهروجان المارق قال له « انك تمد يديك الى الشوك ، فاذا استطعت لمسه فسيكون انجابنا بك عظيما ! » ، وقبض الأمير سمباد الباقرادوني على مهروجان حياً ، فكوى أطراف رأسه بحديد محمي قائلا « ها أنا أضع الآن فوق رأسك يا مهروجان التاج الارمني الذى كنت تحلم به، لأنني واضع تاج الملوك تقليداً وراثياً ، وهذا تاجك ! » ثم خلى سبيله !

واخيراً ، عاد شابوه الى قطيسفون قاعدة ملكه يائساً كسير الخاطر مفجوعا بضياع جيشه وأمرائه وقواده .

ان معركة جيراف أنالت الارمن ظفراً عظيما ومنحت بلادهم السعادة والسلام حيناً من الدهر ، اما البطريرك نرسيس فانه عاد الى كرسي بطريركيته بعد استرحام الملك وحضر معه معركة جيراف كما رأينا ، ووجه نداءه الى الملك باب « بان يعامل الأمراء كالأب الشفوق ، ونصح للأمراء ان يخدموا مليكهم بسلامة نية وطيب قلب » .

وجدير بالذكر اطراء موشيغ ماميكونيان فقد أبدى شجاعة نادرة وبسالة فذة !

وأصبح «باب» الملك المطلق على ارمينيا رغماً عن دسائس شابوه وأحابيله ومماركه لاستئصال جذور الأسرة الارشاغونية .

أعمال باب وتسميمه البطريرك نرسيس : انصرف باب بعد حرب جيراف الى الاصلاح فعامل بالحسنى جميع الأمراء بحسب وصية البطريرك نرسيس وبذلك استمال اليه قلوبهم ، وأعاد اسبانطاراد كامساراكان الى امارته ، وقد كان الملك ارشاك قبض على والد اسبانطاراد لمخالفته في بناء ارشاكاوان فقتله وجميع أسرته عدا الطفل اسبانطاراد . ثم عاقب الاعداء في الداخل بعقوبة الموت ، وقتل الأب مارتيبيد بعد ان عذبه عذاباً أليماً وذلك لاحتقاره والدته الملكة باراتسيم أثناء حصار ارداكيرس ، وكان المارتيبيد واسمه طفاك يتجسس على وطنه وقد تعهد لكسرى بان يسلم الى يديه الملك باب . واهتم باب بعد ذلك بتنظيم الأحوال الداخلية والترفيه عن شعبه وتأديب الأشرار من قومه وما الى ذلك من الأمور النافعة . ولكنه لم يستطع ان يحتفظ طويلا بموازنته الادارية فقد كان عصبياً حديد المزاج كثير الوساوس لا يلبث ان يغضب حتى يصفو ولا يكاد يصفو حتى يغضب ، ولقد لمس الدساسون نقطة الضعف هذه في الملك فراحوا يحاولون الاستفادة منها لأنفسهم ، فقد قرفوا مثلا القائد العام الباسل موشيغ ماميكونيان ذلك الذي خدم ملكه وأمته بغاية الاخلاص والوطنية وحسن النية ، قائلين « ان من عادة موشيغ تخلية سبيل الأعداء » ( مشيرين بذلك الى انه بعد ان قبض على ورناير ملك الاغوان اكتفى بان لكزه برمحه ثم خلى بينه وبين الحياة والحرية ) . فاستدعى الملك موشيغ لاستنطاقه ولما مثل بين يديه وبرهن على نبل غايته وخلوص نواياه ، اقتنع باب باخلاصه فعانقه ثم أمر باعدام المفسدين الذين يريدون الغض من وطنية موشيغ الكمي البطل .

اما اسوأ أعمال الملك باب فهو دسه السم في النبيذ للبطريرك نرسيس في بلاط بكيفياتس وسبب ذلك هو اللوم والتقريع اللذان كان يوجهها البطريرك الى الملك بغية اصلاح أخلاقه وحضه على التقوى والتوبة والاستغفار ، وليس بعيداً عن الملك باب ان يقوم بهذا التسميم نظراً الى اضطراب حالته النفسية وأطواره الشاذة التي يعرفها عنه

حتى الرومان أنفسهم (١) .

ان اغتيال البطريرك نيرسيس سبب اختلالا واضطرابا في جميع أنحاء البلاد حتى ان موشيغ لم يعد يعتمد على سيفه لحسم هذه الأحوال . وقد رأى الأمراء والاعيان ان المملكة صائرة الى الضياع لا محالة ، اما الملك فكان لا يشعر بتدهور حالة الشعب وبتفسخه ، ولقد أسرف في الهدم والتدمير دون مارحمة او انصاف ليمحو تلك المؤسسات الانسانية التي انشأها البطريرك المسموم ، فلم يبق مستشفى ولا ميتم ولا دار للعجزة ولا ملجأ للفقراء الا وقد صدع أركانها ، كما انه قوض دور الرهبنة ووضع اليد على أوقاف الكنيسة ليشل هذه المؤسسات الخيرية بتاتا (٢) فساءت الأحوال وتردت الأخلاق واصبح الرجل يتزوج عشر نساء (٣) ، وحتى عادة دفن الأموات التي كانت تجري على الاصول المسيحية الهادئة عادت الى الأساليب الوثنية الشنيعة بضرب الطبل والمزمار والاعوال وخمش الوجوه وما الى ذلك .

اما البطريرك الجديد فقد عين بارادة ملكية حسب وبدون طقوس دينية خلافا لرغبة الامة وذلك سنة ٣٧٣ وقد سكت البطريرك عن هذا الأمر المخالف للنظم والقوانين الكنسية ، وبجهد جهيد تمكن الملك بمعاونة الروم من اعادة السلام الى نصابه في البلاد ، ولكنه عاد فهدد هؤلاء بالاستيلاء على قيصرية عاصمة كابادوسيه وعلى اورفه وسائر المدن الاخرى ، فغضب القيصر وأرسل رسولا الى شابوه الثاني ملك الفرس للاتفاق معه (٤) .

كل هذه الامور كانت تجري على مرأى ومسمع القائدين الرومانيين ديرنديوس

---

١) ان المؤرخ الافرنسي ( بوشي لكلير ) يذكر ما يلي : « يجب ان لا ننسى ان المؤرخين اوجزوا العبارة ، وقد يكونون مغالين في امر تسميم الملك للبطريرك »

*(il ne faux pas oublier que les hystoriens a court d'explication abusent des poisons)*

*Bouchet Leclerque : Hist. del'Agid*

٢) يغيشه توريان

٣) باوسدوس البيزانطي

٤) اوريليانوس : تاريخ روما

وآرنتيؤس حتى ان الاول كتب الى القيصر يقول « ان ادارة باب حكم واستبداد محض » ، ولسوء ادارة باب وقلة كياسته السياسية قرر القيصر تأديبه ، ولذلك دعاه الى طرسوس في كيليكيا بحجة المشاورة في أمور هامة مستعجلة ، فسافر باب دون ان يتردد او تخامره ريبة في الدعـوة ، ولدى وصوله قبض عليه وأوقف دون ان يرى قيصراً وكان محاطاً باشخاص سكوت لم يفهم منهم أية تفصيلات عن مصيره فادرك انه مغتـال بدسيسة من ديرنديوس وبعون أصدقائه ومشورتهم فر مساء من طرسوس برفقة ثلثمائة جندي ، فلما سمع حاكم المدينة بفراره تعقبه ولكنه خوفاً على حياته عاد الى بيته محجماً عن متابعة التعقيب كما فشلت المفرزة التي لاحقته . وكانت نجـاة باب مضمونة ان أدرك ضفة الفرات فغذ السير حتى بلغه ، وكان الفرار السـريع والسفر المتواصل قد أضناه ، فشدوا له رمثاً بسيطاً عبر به الى الجهة الثانية من النهر ثم عبرت فرسـانه بكل جهد بالرغم من شدة مقاومة أمواج النهر .

عجب القيصر من فرار باب فأمر الكونت دانيال وقائد النبالين بارجير ان يجدا وراءه ويقبضا عليه ثم يأتيا به اليه . ولحقت فرسان قيصر باتباع باب، ولو لم ينبهه احدالسائحين الى مطارديه لا وشك ان يقع في ايديهم . وعاد دانيال وبارجير الى طرسوس بصفقـة خاسر فكانا هدفاً لاستهزاء الناس وسخريتهم وتقولاتهم عن فشلهما الذريع واستوجبا غضب قيصر وسخطه ، ولكنهما كانا يبرران نفسيهما بقولهما ان لدى باب طلسم جرجيس فيخفى عن الانظار حين يشاء ويبدو حين يشاء . وكان قيصر مصمما على قتل باب سراً ام علناً فأمر درايانوس قائد الجيوش الرومانية المعسكرة في ارمينيا بان يغتاله باية صورة كانت ، فشرع هذا يتودد اليه ويطلعه على كتب مزيفة كأنها مرسلة من قيصر فيهـا يشرح له وده ومحبته ، وكان درايانوس يقيم له مآدب الغداء والعشاء مراراً فيلبي دعوته . وفي ذات يوم أقام له مأدبة عشاء فخمة في دار الضيافة واكثر فيهـا من الأطعمة اللذيذة والشراب وزين جوانب المكان بافخر الزينات ، وكانت الموسيقى تعزف أنغاما حلوة تشنف الاذان . وفي أبان سكر القوم وانتشائهم دخل بربري يدعى « صوبرا » فهجم على باب بسيفه اللامع ، فنهض الملك الشاب وانتضى خنجره مدافعاً عن نفسه ، ولكن كثيرين

تكالبوا عليه من جوانب المكان الاربعة وأصيب بطعنة كانت القاضية فخر صريعاً.
وبهذه الواسطة الدنيئة دنست الضيافة التي كان يمجدها برابرة بوندوس الفيكسيني(١)

## الملك وارازطـــاد

غضبت الامة لاغتيال باب بتلك الدسيسة الخسيسة، وقرر موشيغ ماميكونيان بعد اجماع الاعيان العصيان على ملك الروم، غير ان ذلك كان من الصعوبة بمكان دون عون الفرس ومساعدتهم، وهذا ما لم يكن يريده الأرمن. أما مناهضة الامبراطوريتين في آن واحد فكان ضربا من المستحيل، ولذلك تقرر الاخلاد الى السكينة نظراً الى ان السياسة تقتضي مسايرة الحليف القديم، أما القيصر من جانبه، فقد رأى ان لا يخسر ارمينيا ويخرجها من دائرة نفوذه، لذلك جعل وارازطاد الارشاغوني عاهلا لها.

كان وارازطاد بطلا رياضياً، وتحوك الأساطير القومية الحكايات الغريبة عن بطولته وبسالته، وكان لشديد ولعه بالالعاب الرياضية يشترك بالألعاب الأولمبية التي كانت تقام في ايطاليا واليونان، ويصفه المؤرخ باوسدوس بيزانطي هكذا: «كان وارازطاد منذ حداثة سنه ذا شجاعة عظيمة، فكان له قلب حديدي ويدقوية، الا انه كان طفلا بعقليته خفيف الاطوار». ولذا فانه كان غير لائق للجلوس على دست الاحكام، واذا كان الشعب قد استقبله مهللا فهو لأن هذا الشعب فقد بعد موت باب كل أمل في أن ينال ملكا آخر.

كان وارازطاد شخصاً موافقاً لغايات المستعمر، ولكنه على الرغم من نقص ادارته وقابليته الشخصية فقد كان له مشاور سياسي شهير وبطل صنديد بشخص موشيغ ماميكونيان، وبواسطة هذا الرجل وارشاداته كانت العلاقات مع الروم تزداد صداقة وولاء، ونالت المملكة بشخصيته الفذة كل سعادة وسلام. ولكن - للاسف - كان المدوساهراً يتربص بارمينيا الدوائر، وهو شابوه ملك الفرس الذي حز في نفسه موت باب الذي كان هواه مع سياسة الفرس، وبوهنه اغتصب ارمينيا بكاملها وحده، ثم

---

١) وصف مقتل الملك باب بقلم اميانوس مار كيليانوس

هو الآن يطلب من القيصر اقتسامها بينهما دفعاً لكل مناضلة ومنافسة . على ان واغيس قيصر الروم رفض هذه المقايضة مع شابوه مبيناً له ان المعاهدة المعقودة بينهما تلزمه بالمحافظة على كيان الدولة الأرمنية ، فلم يرقه هذا الرد فكتب له كتابا آخر وباسلوب ثان فيه الهيجان باد كلفه قبول ما عرضه مهما كلف الأمر ، أما القيصر فأمر بعض قواده بالسفر الى قطيسفون لكي يبلغوا شابوه احترام القيصر للمعاهدة ، وبعكسها فانه مستعد للحرب .

كان واغيس يرغب مخلصاً فى المحافظة على بقاء الدولة الأرمنية ، ولكن مع الأسف الشديد ، كان التدبير الذي قام به ويسكوث القرب فى تراكيا بالبلقان تهديداً للقسطنطينية عاصمة الروم ، ولذا اضطر القيصر الى نقل أفواجه من الشرق الى الغرب تاركا ارمينيا الى حكم الأقدار ، وأحرق الويسكوث قيصر اوهوحي امام مدينة أدرنه .

أدرك القائد العام لجيوش وارازطاد ان العاقبة وخيمة على مملكته فطلب الى قيصر الروم الجديد المدعو ثيودوروس احتلال ارمينيا فلبى هذا طلبه ، ولكن قبل مجيء الأفواج الرومانية واتخاذ الأهبة للدفاع اغتيل موشيغ بيد ساهاروني معلم وارازطاد .

كان ساهاروني يحسد لموشيغ دهاءه وبطولته ، فادخل في روع الملك ان موشيغ هو قاتل ابيه الملك باب ، واذ كان وارازطاد ضعيف العقل قليل الدهاء ، فقد صدق وشاية ساهاروني الكاذبة . وفي ذات يوم في مأدبة عشاء ، وبعد الانتهاء من مجلس الشراب نهض الملك على رجليه وكانت هذه اشارة للاغتيال فهجم أربعة وعشرون شخصاً فبرموا يدي موشيغ ، وكان وارازطاد قد وصل الى باب القاعة فتوجه اليه موشيغ قائلا « ولم هذا ؟» أجاب الملك : « اسأل والدي باب » فقال موشيغ :« اذن هذا جزاء لعرق جبيني الذى كنت أمسحه بمجد سبقي ؟ » ... وقتل البطل موشيغ ، قتله مكر حاسده وحماقة ملكه !

ان مقتل موشيغ أدى الى فتن داخلية وحروب سياسية ، فان أسرة ماميكونيان التى كانت تتولى القيادة العامة كابراً عن كابر ثارت للأخذ بثأر موشيغ الذى راح ضحية لحماقة الملك ونقص ادراكه ، فبدلت سياستها الذاهبة مع هوى الروم ومالت الى

جانب الفرس ، وكان المقترح لهذا التبديل مانوئيل ماميكونيان .

مانوئيل ماميكونيان : كان مانوئيل أسيراً لدى شاوه في احدى غزواته السابقة ولكنه أظهر بسالة وبطولة فائقتين في الجيش الفارسي فنال محبة البلاط واعتماده .

وحين زال النفوذ الروماني من ارمينيا أرسل شاوه مانوئيل ليتولى حكمها. كان مانوئيل ذا ذكاء وقادوارادة قوية، وكان الى ذلك بطلا شجاعا يعلم ما لاسرة ماميكونيان من مكانة عظيمة ، وبما انه كبير تلك الاسرة فقد أعلن نفسه عميدها ـ وكان وارازطاد قد عهد بهذه العمادة الى واجي ماميكونيان ـ ، ثم انه أعلن نفسه القائد العام للجيش ايضاً، وكانت القيادة العامة قد أنيطت بساهاروني قاتل موشيغ ، وصرح مانوئيل قائلا : ان هذا حقي الوراثي وليس للملك ان يغتصبه منى ، ثم وجه انذاراً الى الملك يطلب فيه منه ان يتنازل عن العرش ويغادر البلاد .

حرب أرضروم : تقابل جيش الملك وارازطاد وجيش مانوئيل في سهل ارضروم عام ٣٧٧ ، وكان كلا الشخصين بطلا ، وكاد وارازطاد ان ينال مانوئيل برمحه لولا ان درعه وقاه ، فادخل الملك الرمح في فم مانوئيل فصك الاخير عليه أسنانه وبقبضة رمحه ضرب عدوه فهرب من بين يديه ، وتبعه هماياك وأرداشيس ولدا مانوئيل يريدان قتله إلا ان والدهما منعهما لئلا يكونا من قتلة الاسياد ، وفر جيش الملك ايضاً فتبعه جيش مانوئيل .

نال مانوئيل بغيته بفرار الملك ، وقبض على ساهاروني مربي الملك وقاتل موشيغ ، فقتله به كما قتل معه اولاده ايضاً . وهرب الملك الى بيزانطية فاصبح الحكم بيد مانوئيل ماميكونيان نائباً عن ملك الفرس ، فعدل الامور ورمم ما خربه الملك باب وفتح ابواب المؤسسات الخيرية التي كانت موصدة الى ذلك الحين، فهدأ الأمراء والاعيان ثم أعلنوا ملوكية زوجة باب وعينوا مانوئيل وصياً على ولديها الأميرين ارشاك وواغارشاك . . وذكر المؤرخ باوسدوس البيزانطي ان السلام والرفاه كانا يظللان كافة انحاء ارمينيا .

حامية الفرس في ارمينيا : اقترحت الملكة زارمانتوخت زوجة باب للمحافظة على كيان المملكة ضد الروم ارسال وفد الى قطيسفون في طلب حاميات من ملك الملوك

الفارسي ، ولهذا سافر ماخاز الى ايران فطلب حماية شابوه الثاني لارمينيا، فسر شابوه لهذا الطلب وأرسل قائده سورين بعشرة آلاف جندي لحماية المملكة ، وجعل مانوئيل نائباً لملك الفرس وأرسل اليه التاج والحلة الملكية .

صار مانوئيل قرة عين شابوه بهذه السياسة الموالية ، غير انه ظهر على المسرح - كما في السابق - مهروجان الارزروني(١) يبذر الفساد ويسلب المملكة سلامها ، فوسوس لمانوئيل ان الجنود العشرة آلاف انما أرسلت للقبض عليه وسوقه مغللا الى قطيسفون، واذ لم يكن مانوئيل راكناً الى اخلاص شابوه من قبل ، فقد صدق افتراء مهروجان وطرد سورين قائد الحامية من ارمينيا ، فساء ذلك شابوه وغزا ارمينيا ثلاث غزوات متتالية ، غير انه كان يعود في كل منها بصفقة الخاسر .

لا شك ان مهروجان الارزروني المرتد والخائن وطنه اغتبط بنجاح دسائسه، ولما رأى فشل شابوه وعده بانه مستعد للقبض على مانوئيل او قتله ان منحه تاج ارمينيا فقبل شابوه هذا العرض وتعهد له بمطلبه وأرسله لمحاربة مانوئيل . فاصطدم شخصان ينتميان الى أمة واحدة أحدهما وطني غيور وثانيهما خائن مرتد عاق ، ووقعت المعركة في سهل باكاوان في خرائب زاريه ، وفي أثناء المعركة لمح مانوئيل مهروجان المارق متنكراً ، فهجم عليه حاملا حملة شعواء وكان مهروجان متحذراً يقظاً وبسرعة قابل الهجوم فسقط الاثنان من فوق فرسيهما . فانتهز الفرصة أحد ضباط مانوئيل وهو المدعو بابيك فبادر الى مهروجان المطروح أرضاً وقتله برمحه قتلة شنيعة وثأر بذلك لأمته منه لان مهروجان كان المسبب لسفك دماء الابرياء من أبناء الوطن ولوهن أمته وسقوطها ، وقدم رأس مهروجان على رأس رمح الى الملكة زارمانتوخت مع غنائم كثيرة وبمقتله انتهت حروب الثلاثين عاما تلك الحروب التي استنزفت من الأمة دماء كثيرة ، فجلب مانوئيل الى عرش ارمينيا ولي العهد ارشاك الثالث ، وجعل أخاه واغارش نائباً ، ثم أودع البلاد الى حماية قيصر الروم ديودوروس الكبير ( ٣٧٩ - ٣٨٥ ) .

---

١) بموجب تاريخ خوريناتزي فقد قتل مهروجان من يد سمباد الباقرادوني في معركة جيراف بعد ان كوي بالنار ، ولكن لم يؤيد مؤرخون اخرون هذا القتل .

# آخر ملوك ارمينيا الارشاغونيين

ارشاك الثالث ـ خسروف الرابع ـ ورامشابوه ـ شابوه ـ ارداشيس الثالث

كان ملوك ارمينيا بعد موت مانوئيل ماميكونيان ملوكاً بالاسم فقط ، لان ارمينيا أضنتها حرب الثلاثين ، ولم يعد في مقدورها العمل على نيل استقلالها وتدعيمه مرة اخرى، وهكذا تركت مقدراتها نهباً بين الامبراطوريتين العظيمتين اللتين لم حرمتاها طعم الراحة مدى ربع قرن من الزمن .

مات ارشاك الثالث في عنفوان شبابه وكان في حماية القيصر ديودوروس، ولكن هذا لم يستعمل النفوذ الروماني لادامة حياة ارمينيا التى كانت تقف بموقعها الجغرافي سداً منيعاً لسلامة امبراطوريته . وسار شابوه الثالث الايراني على سياسة سلفه واراد ان يجعل ارمينيا تحت نفوذه ويهدم نفوذ الرومان فيها ، ولذلك أقام الشاب الارشاغوني خسروف الرابع ملكا على الارمن، ثم زوجه من أخته وجهزه بجيوش فارسية للمحافظة على عرشه وذلك تبعا لخطة قطيسفون الاستعمارية التى كانت تمد ارمينيا ملكا لها . وهكذا اصبح في البلاد ملكان : ارشاك وخسروف ، ونفض ارشاك يديه من مطمعه في جميع ارمينيا وانحاز مع جميع أمرائه الى الجانب الروماني الذى كانت البلاد تحت ظله منذ عهد القيصر واغيس. وبذلك انقسمت ارمينيا الى قسمين وضاعت جهود الاعوام الثلاثين التى بذلتها الأمة بشهامة وبسالة للمحافظة على كيانها واستقلالها ، وأرسلت قطيسفون سفراءها الى بيزانطية للتوقيع على معاهدة أثيمة !

ان اتفاقية ديودوروس مع شابوه الثالث كانت ضربة قاضية على حياة ارمينيا السياسية ، وفقدت المملكة أهميتها السياسية والعسكرية ، على ان هذا التقسيم كان غبناً للرومان سبب ضعف الامبراطورية الرومانية الشرقية ، بينما كان غنما للساسانيين الذين كانوا يريدون توجيه طمنتهم الى قلب الامبراطورية الرومانية .

ظن ديودوروس انه بهذا التقسيم ينهي النزاع المستمر بين الفرس والبيزانطيين ويريح نفسه من الصراع الدائم على ارمينيا ، ولكن القياصرة الوثنيين لم يفكروا في ما

فكر فيه ديودوروس المسيحي ! فان اولئك السياسيين الدهاة لما تلوا عروش آسيا وجعلوا كل مملكة ولاية رومانية أبقوا على عرش آرمينيا لتكون سداً منيعاً بينهم وبين البرابرة واثقين من ان الارمن يضحون بكل غال ورخيص في سبيل استقلالهم الذي لا لا ينشدون في الحياة شيئا مثله ، وهي لعمري حماية منيعة للرومان من الاقوام البربرية، ولهذا فانهم ـ عند اقتضاء الضرورة ـ لم يتأخروا عن ارسال أفواجهم الى الفرات ضد مطامع البرتويين والساسانيين . ولكن ديودوروس المسيحي لم يتورع من تسليم ارمينيا المسيحية حليفة الرومان القديمة الى الساسانيين، وبجرة قلم نقض العهود وسحب جيوشه الحامية ! وباضاعة استقلال ارمينيا فتح طريق بيزانطية امام جيوش الساسانيين والعرب والسلجوقيين والعثمانيين .

وبعد هذا التقسيم قامت المنافسة والمنافرة بين الملكين الارمنيين المستعمرين (بفتح الراء) ثم مات ارشاك الثالث، وتحول امراؤه الى الجانب الفارسي، فقسمت بيزانطية القسم الارمني التابع لها اجزاء جعلت ادارتها بيد اليونان .

وأراد خسروف الرابع الذي نصبه شابوه الثالث توحيد المملكة بواسطة تيودوروس غير ان شابوه رفض ذلك حذراً من ان تعود حرب الثلاثين ثانية ، ولكنه وافق على بسط سلطانه على المنطقة اليونانية ايضا (عام ٣٩١) .

ثم اتهم الملك خسروف الرابع من قبل فرام خلف شابوه بتحيزه للروم وصداقته لهم ، وكان قد غضب عليه ايضا لتعيينه ساهاك البرتوي بطريركا على أرمينيا بدون طلب موافقته ، فاستقدمه الى قطيسفون وسجنه في قلعة «لاتذكر» .

ونصب فرام على عرش أرمينيا وراماشابوه شقيق خسروف الرابع ، فوحدهذا من بدء حكمه الامراء وأنشأ العلاقات الودية مع جاراته ، ونبه شأنه وقوي نفوذه وذاعت شهرته في الآفاق لذكائه ودهائه فاحترمه الجميع ، حتى كان الامبراطوران يحكمانه في فض النزاع عندما يقع بينهما . وبمساعداته ورعايته المترجمين الارمنيين العظيمين الذين اخترعا الحروف الهجائية الارمنية وهما ساهاك البرتوي وميسروب ماشدوتس ، ترجمت الكتب المقدسة من اليونانية ، وبذا نال مجداً أبديا وذكراً دائما بين جميع طبقات

الامة الارمنية .

وتخلف بعد ورامشابوه شابوه الفارسي وذلك بعد وفاة خسروف الرابع الذي بعد ان أطلق سراحه قدعاد الى بلاده وتولى الحكم بتوسط البطريرك ساهاك لدى فرام .

كان يزدجرد الاول ( ٣٩٩ ـ ٤٢٠ ) يرى الثقافة اليونانية قد طغت على جميع طبقات الامة الارمنية فيتألم لاخفاق الثقافة الفارسية، ولذلك وطد العزم على أن ينصب ابنه شابوه ملكا على أرمينيا ليختلط مع الامراء والشعب فيتأثرون به وعندها تقوى رابطتهم بفارس ، فأقامه على عرشها (٤١٥-٤١٩) .

ولكن شابوه لم يتمكن من استمالة قلوب الشعب لا الى وثنيته ولا الى عنصره الارشاغوني ، وزاد في كرههم له سفالة أخلاقه . وبعد اربع سنوات عاد الى قطيسفون لوفاة والده يزدجرد ، ولكن رجال البلاط قتلوه حين وصوله .

لما غادر شابوه أرمينيا عمها الاضطراب والفوضى (٤١٩ ـ ٤٢٠) فكان السلب والنهب والقتل والسطو أموراً عادية في الحياة اليومية ، ودامت الحال كذلك ثلاث سنوات حتى أرسل البطريرك ساهاك رسوله الى ملك الملوك يطلب تنصيب ملك على أرمينيا .

كان كسرى ايران اوانئذ فرام الخامس ( ٤٢٠ ـ ٤٣٩ ) فأقام على العرش الارمني أرداشيس بن ورامشابوه وكان يناهز اذ ذاك الثانية عشرة ، بيد ان هذا الشاب كان غراً سفيهاً طائشاً نزقا ميالا الى اللهو والشهوات غير لائق للملك، واذ كان استقلال القوم وحريتهم مدار البحث كان هو منهمكا باهوائه ، ولذلك اتفق الامراء والأعيان فطلبوا من ملك الملوك أن يرسل اليهم مندوباً فارسياً سامياً ، ذلك انهم كانوا يرون الملوكية مجرد اسم . ولما كان الملك محروما من كل صلاحية فقد رأوا أن وجود شاب سفيه على العرش لا نفع له . وذهب تحذير البطريرك صرخة في واد ، وكان ينصح علية القوم بقوله « خروف مريض خير من ذئب سليم ، لأن صحة الذئب مضرة بنا » . وهكذا أرسل الأمراء المتهورون القصار النظر المنصرفون الى تأمين منافعهم الشخصية رسولا الى فرام

يطلبون خلع الملك ارداشيس محتجين بسفاهته وبخيانته لمصالح الدولة، كما اتهموا البطريرك الذي عارض فكرتهم بالميل الى اليونان . فاستدعى ملك الملوك الملك والبطريرك الى قطيسفون عام ٤٢٨ وبذلك غربت شمس استقلال ارمينيا عدة قرون . وكان ارداشيس آخر ملوك ارشاغونيان .

# الحروب الدينية في القرن الخامس

## ٤٤٩ - ٤٩١

ان ثبات الأرمن وتمسكهم بدينهم كان يذكي الحقد في قلب الملك الفارسي يزدجرد *Hazguerd* ، وكان يطلب اليهم بكل وسيلة نبذ هذا الدين والعود الى دين آبائهم ، ولذلك اضطهد الأمراء والروحانيين وأقلق راحتهم .

تألم ابناء أرمينيا أشد الألم لهذا الازعاج وخاصة بعد ضياع استقلالهم وتقسيم بلادهم بين قطيسفون وبيزانطية ، وكان الأرمن نظراً الى مسيحيتهم يأملون وينتظرون العون من الروم كدولة مسيحية تؤازرهم على نيل استقلالهم ، ولكن 'خاب فألهم ، فان بيزانطية لم تعر قضيتهم اي اهتمام ، وكان الفرس على الرغم من عدم اهتمام بيزانطية بهذه الرابطة الدينية ، يسعون جادين الى فصل الارمن عن الروم ، فكانوا يلحون على الارمن أن يتركوا دينهم المسيحي ويضايقونهم لاعتناق الدين المزدي الفارسي . وعلى ذلك أرسل يزدجرد انذاراً الى الارمن بان يتركوا النصرانية حالا ويعودوا الى الوثنية ، لكن هؤلاء أبوا هذا الجحود وربأوا بانفسهم عن عبودية فارس ، فعقدوا مؤتمراً دينيا عام ٤٤٩ وقرروا مقاومة يزدجرد الفارسي بحد السيف دفاعا عن دينهم القويم .

يقول المؤرخ يغيشه وهو ممن شهد المعركة : فعندما تسلم البطريرك هوسيب انذار يزدجرد وكتاب مهر نيرسيح ، رأى من الضروري عقد مؤتمر من الامراء ورجال الدين للنظر في مآله وتوجيه 'جواب عنه ، وعقد المؤتمر في ارداشاد وقد ضم ١٧ مطرانا و ١٨ اميراً مع وارطان ماميكونيان وواساك سوني ، وبعد المداولة والمذاكرة قرروا باجماع الآراء ارسال الكتاب التالي الى يزدجرد :

« ان ديننا الاغر المبين الذي ترونه أنتم واهياً ومجموعة من الخرافات يوصينا باطاعة الله وولي الأمر فينا ، ونحن اطاعة لهذا الامر واحتراما لدولتكم المعظمة ننفذ أوامركم لا كخدم سيئي النية ولا بخوف اورياء بل بكامل الرضا جهد مستطاعنا ، لا بالتضحيات المادية حسب بل بدماء مهجنا وأولادنا . لا يزعجنكم ضياع أرواحنا ولا تقلقنكم العقوبات التي ستنزلها بنا الآلهة ! لا تشغلوا أفكاركم بشيء من هذا ولا تتحدثوا به ، فليس بمكنة المرء مهما اتسعت حيلته ان يدفع المقدور . ليس بامكاننا الرضوخ لاوامركم في هذا الشأن ونبذ ديننا الحق الذي تغلغل في أعماق نفوسنا ولو كلفنا الامر اهراق دمائنا .

اما تعاليم دينكم التي أرسلتموها لنا فلا نريد قراءتها ولا سماعها، فهي لو صدرت الينا من أفواه كهنتكم ومنجميكم لامتهناها وسخرنا منها ، اما وهي صادرة من دولتكم المعظمة فاننا احتراماً لمقام هذه الدولة لم نفتحها ولم نقرأها . هذا ونحن مطلعون من قبل على عقائدكم الدينية التى أوصلها الى أسماعنا موابذتكم وكهانكم ، ومعلوم لدينا انها مجموعة أكاذيب وخرافات لفقها أناس قليلو الحظ من الذكاء ! ولو كنا قرأناها لهزئنا بها وبهزئنا بها نهزأ بالقانون وبواضعه ، وهو أمر نتحاشاه ، وانما نحن نزدري واضعي تلك التلفيقات فقط .

لم نر ان نجيبكم الى ارسال تفاصيل معتقدات ديننا ، انما نكتفي بان نعلمكم اننا لن نعبد الشمس ولا القمر ولا الرياح ولا النار كما تفعلون انتم ، لا ولن نعبد مخلوقا مما في السماء او على الارض ولن نتخذ من أحدها إلهاً ! انما نحن نعبد الاله الحقيقي الواحد الذى خلق السموات والارض وكل ما فيها، فهو الباري، المبدع جميع الاشياء والقوات التى تتخذونها أنتم آلهة ، وهو ملك الملوك ورب الارباب الذى يليق له المجد والسجود والعبادة ».

وحينما تسلم يزدجرد جوابهم السلبي قرر تضييق الخناق عليهم واكراههم بالعنف فدعا اليه أمراء وسراة الامة الارمنية بدعوى مشاورتهم ، فلبوا الدعوة وسافروا الى

قطيسفون ، فلما ان وصلوا قبض عليهم واعتقلهم ، ثم وعدهم باخلاء سبيلهم ان هم قبلوا الديانة المزدية فلم يجدوا سبيلا الا الامتثال ، وتشاوروا في الامر فقرروا ان يتظاهروا بانكار المسيحية حتى يرجعوا الى ديارهم فيعلنوها حربا شعواء دفاعا عن الدين الصحيح.

وفعلوا ، ثم عادوا الى الوطن ، فاستدعاهم القائد الباسل المحنك وارطان *Vartan* الذى كان قد خدم في حروب الفرس وأظهر بطولة نادرة ، ودعا أمراء البلاد وعظماءها من جميع انحاء القطر الى مدينة شهابيوان لاعلان الجهاد الدينى . وبعد المشاورة والمداولة وتقليب الامور والقاء الخطب الحماسية والدينية قرروا تشكيل جيش قوي امرع ما يمكنهم يجابهون به الطوارىء ، وعينوا وارطان ماميكونيان للقيادة ، فخطب في الامراء والجيش الخطبة الشهيرة الآتية :



وارطان ماميكونيان

« لقد دخلنا حروبا كثيرة أنا وأنتم ، وكنا غالبين فى أغلب الأحيان ومغلوبين نادراً ، ولكن كل تلك الانتصارات انما هي مفاخر دنيوية !

« كان يعتبر دنيئا ويقتل دون رحمة او اشفاق من يهرب من الجبهة ، وكان يمجد ويكرم من يحارب ببطولة وجرأة . كل منا يحمل ندوبا متعددة من معامع الوغى ، وكل قد أبدى شجاعة فائقة وأحرز مكافآت شتى ! ولكن هـذه الاعمال والمفاخر لا شيء بنظري لاننا انما قمنا بها في سبيل ملك دنيوي مائت مقره الارض ، فكم أحرى بنـا ان نعمل للملك الابدي السرمدي !

« يا رفاقي بالسلاح : كثيرون منكم أعلى مني نسبا وأوفر شجاعة ، ولكنكم اذ انتخبتموني قائداً لكم وآمراً عليكم بطيب رضـاكم فارجو ان ترعوني أسماعكم كبيركم وصغيركم .

« يجب علينا ان لا نرهب كثرة العدو ولا نولي سيفه ظهورنا ، فالرب نصيرنا وهو الذي سيمكننا من ظهوره فننال شرف الغلبة والنصر ، واذا شاءت ارادته الموت لنـا نخير الموت موت الشهداء لاظهار دين الله واعلاء كلمته تعالى ، انما يجب ان لا نمزج الدناءة بشجاعتنا .

« تذكرون انتصاراتنا - بعون الله - في بعض المعارك الاولية ! وها هوذا العدو الذي كان يطل علينا من بروجه العاجية قد تنزل ليكلمنا ، والخصم الذي رام ان يدنس باوامره كنائسنا أتى اليوم بنباله ورمحه وسيفه ليحاربنا .

« ان أسس ديننا موضوعة على صخرة ثابتة غير متزعزعة، لا هنا بل هناك في السموات ، ونحن في الارض باجسادنا ولكننا في السماء بايماننـا ، ولا يستطيع أحد ان يمد يده الى ذلك البناء المسيحي المتين !

« المسيح هو قائدنا الاعلى وهو لا ينسى شهادتنا .

« الخوف دليل على ضعف الايمان فواجبنا ان نقصي الخوف عن قلوبنا كما أقصينا عنها ضعف الايمان من قبل (١) » .

أما واساك امير مقاطعة سونباتس فقـد عارض قرار الامراء لانه كان مشهوراً بحبه للفرس وقد قبل دينهم الوثني . وأرسل تقارير سرية الى يزدجرد وأطلعه على جميع

١) المؤرخ يغيشه المذكور

حركات الارمن العدائية ، ثم عاد الى مقاطعته وأعلن رسمياً اعتناقه الدين المزدي ، واستشار الموابذة (١) الوثنيين آملا بذلك نيل عطف يزدجرد فينال التاج الذي وعده به ، وكان واساك *Vassague* أنانياً طموحا الى العظمة مهما كانت السبل الى نيلها ، ولذلك قايض الفرس ببيع دينه في سبيل امتطاء غاربها .

أراد وارطان ان يخفي حقيقة مقاصده ويسوف ليستفيد من الزمن ، فاظهر ليزدجرد الصداقة والولاء ريثما يتم تعبئة قواته ، واطمأن يزدجرد فملا وطلب من الروحانيين ان يكفوا عن الوعظ والدعاوة ، ولكنه كان مصراً على تحويل الارمن عن دينهم ، فرأوا الجهاد ضربة لازب ، وطلب وارطان المعونة من البيزنطيين ولكنهم رفضوا طلبه مدعين أنهم عاهدوا الفرس على الحياد حين تشن حرب ضدهم . فتحول الى الكرج والاغوان المسيحيين مستعيناً ، فلبت الامتان طلبه وأبرمت بينهم اتفاقية ، ثم ألب القبائل البربرية بجبال القوقاز . وكانت كل حركات وارطان هذه تبلغ يزدجرد بواسطة جاسوسه واساك الخائن الذي كان يكتب اليه بالتفصيل عن كل كبيرة وصغيرة ، فاصبحت الحرب قاب قوسين او أدنى .

<u>حرب آفارابر ( *Avaraire* )</u> : كان قواد يزدجرد إذن مطلعين على جميع حركات الارمن ، فسدوا جميع دروب جبال القوقاز للحيلولة دون نزول برابرتها الى الجنوب ، وبذلك منعوا مساعدتهم للارمن .

ساق وارطان الى الجبهة جيشه البالغ ٦٦٫٠٠٠ جندي ضد ٣٠٠٫٠٠٠ من جند الفرس ، وفي اليوم الاول من تموز عام ٤٥١ م وقعت الواقعة بين الجيشين فدامت عدة ايام . وبخيانة ودسائس الامير واساك المارق انسحبت احدى فرق الجيش الارمني فوهنت قوة وارطان وقد كانت بالاصل تساوي خمس قوات الفرس عدداً ، ولكن القتال ظل منتشبا عنيفا ، واستشهد أثناءه البطل وارطان ، ثم انكسر جيشه وغلبت الارمن وقد استشهد منهم ١٠٣٦ جنديا ووقع من اعدائهم ٣٥٠٠ صريع .

قبض يزدجرد على الامراء المحاربين وعلى كبار الروحانيين ، وبعد محاكمتهم قضي

---

١) الموابذة : جمع موبذان وهو كاهن بيت النار

عليهم بالقتل ما لم يجحدوا دين المسيح ، ولكن فرداً منهم لم يقدم على ذلك، وأبوا إلا التمسك بدينهم السماوي، فبذلوا أعناقهم مختارين وراحوا بين صفوف الشهداء المكرمين وأعدم يزدجرد ايضا الامير الخائن واساك الذي باع وطنه لانه لم يتمكن من اقناع الارمن باعتناق دين البطل .

استشهد كبار القوم من الارمن ، اما أبناؤهم الصغار فانهم ظلوا يناجزون الفرس ويكافحونهم مدة ثلاثة اعوام، وخاصة البطل الجيد واهان ماميكونيان الذى ثبت فى الجهاد وأوقع في الفرس خسائر فادحة ، ودام النضال بعد واهان متقطعا مدة عشرين عاما حتى سنة ٤٧١ م .

وفى سنة ٤٨٤ قام نزاع بين الفرس على العرش وذلك بعد موت عاهلهم بيدوس وكان هذا قد رأى ان الارمن أقلقوا راحته وأضعفوا سلطانه ، ففاوضهم فى عقد معاهدة تضمن لهم الحرية الدينية التامة، وتم ابرام هذه المعاهدة فى نافاسارك Nevaccrk متضمنة البنود التالية :

١- الدين المسيحي هو الدين الرسمي لارمينيا ، وليس للملك أي حق فى التدخل او الامر بالارتداد عنه ، ولا تشجيع الفرس على ذلك .

٢- وجوب المساواة في انتخاب موظفى الدولة على أن يفضل العضو النافع للمصلحة العامة .

٣- على الملك أن لا يصغي للمنافقين والدساسين ، وأن يأخذ الامور بالمشاورة والمحاكمة .

كانت المعاهدة ظفراً معنويا مجيداً للارمن ضمن حريتهم وحقوقهم في زمن كانت القوة والحكم فيه للظافر .

وحارب الارمن البيزانطيين أيضاً حين أرادوا حملهم جبراً على قبول قوانين المجمع الخلقيدوني . وفى عام ٥٦٥ أراد الفرس أن يكرهوا الارمن على التمجس (١) ولكنهم ناوأوهم . وكان القائد البطل وارطان (الثالث) ماميكونيان يهيب بالارمن أن يتعاونوا

١) التمجس : الدخول فى دين المجوس

مع البيزنطيين .

وأراد أحد قياصرة بيزنطية وهو المدعو موريك Morique ان يخمد ثورات الارمن بالاتفاق مع كسرى الفرس على ابعاد امراء الارمن من بلادهم الى بلدان اخرى فيتم له بذلك محو أمتهم ... ولكن بعض الامراء مثل واهان ومعباد الباقرادوني، وطاويد ساهاروني وتيودوروس رشدوني تصدوا له وبوأوا خطتـه الفشل وثبتوا في كفاحهم حتى عام ٦٤٠ وهو تاريخ اول دخول العرب الى أرمينيا .

وهكذا فمنذ تقسيم أرمينيا سنة ٤٢٨ حتى دخول العرب ٦٤٠ ، خلال مائتين واثنى عشر عاما نجد الارمن قد عصوا على المستعمرين تسع مرات بل اكثر ، بالرغم من حروبهم الدينية المتوالية وضياع استقلالهم القومي ، وقد ازدهرت الآداب خـلال هذه الحقبة من الدهر ، فكانت مبدأ ظهور الادب الارمني الذي أنار المستقبل البعيد .

## الفصل السادس

# غزو العرب لأرمينيا

حينما كانت الامبراطوريتان العظيمتان - البيزنطية والساسانية - تلفظان أنفاسها الاخيرة من جراء نزاع أمرائها واختلاف الآراء بين الاحزاب السياسية فيها ، كانت الجزيرة العربية تتمخض عن أمر سيغير وجه التاريخ ، فلقد انبثق فيها فجر الاسلام ، فوحد صفوفها تحت رايته ، وجعل من أممها المتنافرة أمة قوية متحدة اكتسحت الممالك وثلت العروش . فتح العرب في أول الأمر العراق وسوريا وشمال ما بين النهرين بين عامي ٦٣٣ و ٦٣٤ ، وبعد استيلائهم على الاقطار المجاورة للدولتين الكبيرتين ، غزوا فارس نفسها فاحتلوا مدنا وولايات كثيرة، وكان على عرش ايران آنذاك يزدجرد الثالث ( ٦٣٢ - ٦٥٢ ) ففر من جبل الى آخر حتى وصل الى مروى ، وهناك قتله شخص مجهول ، فختمت بذلك حياة الدولة الساسانية .

ووجه العرب قواتهم الى الروم عام ( ٦٧٢ ) ولكي يدكوا صرح دولتهم سددوا ضربتهم الى العاصمة ، فحاصروا القسطنطينية ستة أعوام ولكن دون طائل ، وفي أثناء الحصار قتل القائد العربي ايوب (١) فعاد العرب الى ديارهم .

كانت الغزوة الاولى لارمينيا عام ٦٤٠ بقيادة عبد الرحيم ، فلما دخلها فرض الجزية على أرمن مدينة دارون ، ثم سار نحو باسين ووانانت حيث جبى الجزية كذلك ثم عاد الى دياره مع ١٨٫٠٠٠ من جنده .

ووقعت الغزوة الثانية في جهة كوغتان ونخجوان وذلك للقبض على القائد بروكوب وعند وصول العرب الى ناحية غوكوفيت هاجمهم الأمير الارمني تئودوروس رشدوني ، وبعد ان أنزل فيهم خسائر فادحة ، تحصن في قلعة كارني ؛ اما البقية الباقية من الجيش

١) عمر الاتراك في استامبول جامعاً فوق مرقد ايوب .

العربي فبدلا من ان تحاصر تئودوروس، هاجمت بروكوب ونهبت جيشه ثم عادت الى الجزيرة .

اما الغزوة الثالثة فكانت سنة ٦٤٢ حيث أغار العرب هذه المرة من شمال دارون على وان ومنها على ادبوويت وغوكوفيت ، وبعد ان سلبوا ونهبوا ساروا الى دوفين عاصمة ارمينيا ، فلما علم الارمن باقترابهم من ضواحي المدينة ، دمروا الجسر القريب منها ليوقفوا زحفهم ، غير ان أحد الأمراء المدعو وارديك وكان أمير موكس ، خان أمته ودلهم على طريق آخر الى دوفين قربهم من أسوارها. قاومت العاصمة مقاومة عنيفة نظراً لمناعتها الطبيعية وتحصيناتها، ولكنها كانت مقاومة يائسة لان الهجوم عليها كان شديداً لا هوادة فيه ، ولما رأى العرب شدة مناوأة الارمن أضرموا النار في جميع اطراف الاسوار ، فاختنق بدخانها حماة الاسوار ، ودمر العرب الحاميات بهجمات متوالية ، وارتقوا الاسوار بواسطة سلالم كثيرة ، ثم فتحوا الابواب وولجوا المدينة ، فأسروا ٣٥٫٠٠٠ من سكانها وساقوهم الى بلاد العرب .

وكانت الغزوة الرابعة هي الاخيرة ، فجاء العرب ارمينيا ( سنة ٦٥٢ ) من ثلاث جهات ، دخل القسم الاول من جيوشهم ولاية وان ومنها انتشروا في أقضية دارون وغوكوفيت وطفقوا ينهبون ويقتلون حتى وصلوا الى آرزاب ، فتصدى لهم تئودوروس رشدوني فأباد نصفهم وأسر النصف الثاني . اما القسم الثاني من الجيش العربي فانه قام بالهجوم على دايك وتوغل القسم الثالث في اطراف نخجوان .

أيقن الارمن ان الاستمرار على الدفاع ضرب من المستحيل ، وقد دالت دولة الساسانيين وانحلت امبراطورية الرومان ، فقرروا قبول السيطرة العربية ، وبارشادات الامير تئودوروس رشدوني اتصلوا بامير العرب طالبين عقد الصلح عام ٦٥٣ ، فاعطاهم الامير العربي الضمانات التالية خطيا : «يكون الصلح بيني وبينكم مستمراً ما أردتم ،ولا أجبي منكم الجزية مدة ستة أعوام ، واعتماداً على قسمكم فانتم أحرار بدفع هذه الجزية حين تشاءون وكما ترغبون وتريدون ، غير انني أريد منكم ١٥٠٠٠ من فرسانكم ، وعندما تدفعون الجزية فانني أطرح منها مصاريف الفرسان، لن أرسل بخيلكم الى سوريا

ولكنني أرسلها الى أماكن أخرى على أن تكون مستعدة للحركة . لن أرسل الى قلاعكم مقرئي القرآن ، كما انني لن أبعث ضابطا عربيا ولا فارساً واحداً، ولن أسمح أن يدخل بلادكم عدو ، وعند مجيء أي مغير فاني أرسل اليكم نجـدات قوية بقدر ما تريدون ، وأقسم بالله انني لا أحنث لكم بهذا العهد » .

ويصف البلاذري «المؤرخ العربي» العهد المذكور كما يلي : احتل حبيب بن مسلم أرضروم من الطرق الجنوبية لارمينيا ، وبعد أن ضم أخـلاط ارجيش وغيرها من الولايات الاخرى تحت طاعته ، حاصر دوفين عاصمة أرمينيا ودخلها ثم أعطى الامان التالي لسكان المدينة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا كتاب من لدن حبيب بن مسلم الى المسيحيين والمنجمين واليهود في مدينة دوفين والى حاضرهم وغائبهم ، كونوا آمنين فانه لا يوجد عليكم أي تهديد على حياتكم ولا على أموالكم ولا على معابدكم ولا على كنائسكم ولا على أسوار مدينتكم ، واننا مستعدون لرعاية واحترام هذه المعاهدة طالما تدفعون الضريبة عن أموالكم المنقولة وغير المنقولة ، والله شهيد على ما أقول ، وكفى بالله شهيداً ».وختم حبيب بن مسلم هذه المعاهدة بختمه الخاص .

حين بلغ نبأ عقد هذه المعاهدة مسامع الروم أرسل القيصر مندوبا خاصاً الى الارمن بعرض عليهم حمايته فرفضوا ، وحينذاك أغار القيصر غوستاف على أرمينيا بجيش يبلغ ١٠٠٠٠٠ جندي، فاستقبل البطريرك نيرسيس الثالث هـو وبعض الامراء الموالين للرومان قيصر التهدئة خاطره، فمكث الشتاء كله في دوفين ثم عاد الى القسطنطينية في موسم الربيع . أما تئودورس رشدوني فانه بعد رحيل القيصر طـرد الروم من البلاد بمعاونة العرب وأكـد لهؤلاء اخلاصه ، ولذا فان العرب سلموا ادارة أرمينيا والكرج وبلاد الاغوان للامير تئودورس (٦٥٤-٦٥٨) .

## المعارك الدامية بين الأرمن والروم وبين الأرمن والعرب

اعتزل تئودورس رشدوني منصبه نظراً الى مرضه ، واعتكف في جزيرة أغطامار (١) فاودعت ادارة أرمينيا الى موشيغ ماميكونيان (٦٥٨-٦٦٠) .

١) جزيرة في بحيرة وان

وكان الحاكم على أرمينيا الغربية - التي هي تحت نفوذ البيزنطيين - هامازاسب ماميكونيان ، فاجتمع الامراء التابعون له وموشيغ ماميكونيان في مؤتمر لتأمين سلامة المملكة وراحتها ، وقرروا الحلف والائتلاف ، ودام السلام في البلاد أربعة وعشرين عاما ( ٦٦١ - ٦٨٥ ) وصارت جميع أرمينيا مربوطة بالحكم العربي تحت ادارة كريكور ماميكونيان ، غير أن السلام اختل من جراء غارات الخزير عام ٦٨٥ ، وبعد مقتل كريكور بيد هؤلاء تولى دفة الامور آشود باقرادونيان ( ٦٨٥ - ٦٨٨ ) وفي عهده أرسل يوستنيانوس قيصر الروم جيشاً عظيما ليثأر من الارمن والعرب ، وبعد التخريب والتدمير انسحب جيش الروم ، فعقبته عصابات العرب وعاثت في البلاد فساداً ومات آشود متأثراً من جراحه أثناء مناضلته العصابات العربية ، فتولى زمام الحكم سمباد باقرادونيان واضطر الى محاربة الروم والعرب ، وكانت أعنف حروبه مع القائد العربي محمد عام ٧٠١ ، وكان محمد هذا قد آذى الارمن ايذاء شديداً ، وتعين بعده عاملا على أرمينيا عبد الله عام ٧٠٣ ، ففاق سلفه ظلماً وعتواً ، وهاجم الأرمن بثمانية آلاف مقاتل ، وعلى الرغم من قلة عدد الجيش الارمني البالغ الالفين فقد هزم الجيش العربي وأباده ، ومكافأة لسمباد فقد عينه قيصر الروم حاكماً لارمينيا عام ٧٠٣ .

لما سمع الخليفة عبد الملك بابادة جيشه من قبل الارمن ، أمر محمداً بغزو أرمينيا وإبادة جميع سكانها ، ولكي يهدئ الارمن من غيظ محمد ، أرسلوا اليه بطريركهم اسحق الثالث ، ولكن البطريرك توفي في خران قبل أن يصل الى محمد ، فعلم الارمن بالخطر المحدق بهم ولذا فانهم وضعوا العريضة المرفوعة الى القائد بين أنامل البطريرك المتوفى ، ثم وقفوا في طريق محمد ، فلما أن أخذ العريضة من يد البطريرك الميت سكنت ثائرته وترك الشر المبيت .

بعد وفاة عبد الملك تولى الخلافة ابنه الوليد ( ٧٠٥ - ٧١٥ ) فعزم على الثأر من سمباد باقرادونيان ، لان وجود هذا كان يهدد مصلحته في البلاد المحتلة ، فاستمد سمباد العون من قيصر الروم ، ولكنه غلب ففر من أمام العرب وجمع قاسم عامل نخجوان جميع أشراف القوم في كنيسة نخجوان وهرام بعلة المشاورة معهم ، غير انه

كان يضمر الشر اثئاراً من سمباد الباقرادوني ، فأحرقهم جميعاً في داخل الكنيسة وذلك عام ٧٠٥ م .

## السلم المؤقت

### عسف وعصيان

لما سمع الوليد بتعسف عماله وظلمهم عزلهم عن مناصبهم ، وعين بدلهم العامل عبد العزيز (٧٠٦) ، وفي عهده نشر السلام والامن ظلالها على ربوع أرمينيا ، فعمرت البلدان والمدن المهدمة حتى أن دوفين عمرها عبد العزيز على نفقته الخاصة .

وعلى عهد عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠) عاد جميع الأسراء الى ارمينيا ، وعمها السلم في زمن أخلافه ايضا ، حتى ان مروان بن محمد آخر خلفاء أمية في الشام منح اشود الباقرادوني لقب أمير الأمراء لانه عاونه في غزوه بلاد الهونيين .

تولى مروان الخلافة بعد مقتل الوليد ، وبعد ان تعاقب بعده خلفاء كان عهدهم قصيراً (٧٤٥ - ٧٥٠) فعين اسحق بن مسلم عاملا على ارمينيا ، وعند غياب اشود في سوريا ، عين كريكور ماميكونيان قائداً عاما ، ثم عين بعده موشيغ ماميكونيان للقيادة عينها .

وبعد انقراض دولة الأمويين ومجيء العباسيين الى الحكم عام ٧٥٠ تكررت التعسفات في ارمينيا . ان مؤسس الدولة العباسية ابا العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح كان قد أرسل أخاه أبا جعفر عبدالله بن محمد عاملا على ارمينيا فشدد هذا على الأرمن . وبعد ان غادر ابو جعفر ارمينيا عين مكانه يزيد فنصب اسحق الباقردواني قائداً على جيوش ارمينيا ، وقد آذى يزيد الأرمن وأثقل كواهلهم بالضرائب وأرهقهم بمطاليبه حتى كثرت عليه الشكاوي والاحتجاجات فعزله الخليفة وأبدله ببكر بن مسلم .

ولم يكن هذا باقل شراً من سلفه ، فعصى الأرمن لأنهم ضاقوا ذرعا بهذه الاضطهادات وأصدر أرداوازت ماميكونيان امره بالتمرد وهجم على عامل كري فقتله ونهب جميع أمواله مع خزينة الدولة ثم هرب الى الكرج ، واقتدى موشيغ ماميكونيان بارداوازت وبالاتفاق مع عامة أسراء الأرمن قتلوا جميع عمال وموظفي العرب في كافة

الانحاء وطهروا البلاد من المتعسفين .

واخيراً وباتفاق آراء الأمراء هجم الأرمن على أرضروم وحاصروها ، وفي الحين ذاته هاجم العرب الأرمن من جنوب ارمينيا وسحقوهم وشجعهم هذا الانتصار فتقدموا نحو ارضروم ، وعلى مقربة من قضاء باكربوانت أبادوا عدداً كبيراً من عصاة الأرمن بينهم من مشاهير الأمراء ~~سمباد البلقرادوني~~ واسحق الباقردواني وموشيغ ماميكونيان وواهان كنوني و ٣٠٠٠ نسمة من الاهلين .

## آخر عمال العرب في ارمينيا

عصى الأرمن على العامل العربي هول متفقين مع ايراني يدعى سيفاطا صاحب مقاطعة عظيمة وكان هذا قدار تبط بالمصاهرة مع الأسرة الباقرادونية ، وكان يرمي الى قتل هول ليتولى هو حكم ارمينيا ، فسار سيفاطا على هول ومعه سمباد الباقرادوني وساهاك سوني وكافة الأمراء وحينما رأى هول هذه الحركات العصيانية طلب توسط البطريرك لكي ينصح المتمردين بترك عصيانهم ، ولما تأكد ان توسطه لم يجد فيهم ، هجم بالفي جندي فتغلب عليهم وهزمهم جميعاً بعد ان وقع منهم قتلى .

ولما تخلف جعفر المتوكل أرسل أبا شيت عاملا على ارمينيا لجبي الجزية بواسطة باقراد باقردونيان واشود ارزروني ثم عاد الى مقر الخلافة . وخلف ابا شيت ابنه يوسف فاستدعى يوسف بالحيلة باقراد باقرادوني اشود ارزروني لنزهة ثم اعتقلها ، اما باقراد فقد أرسله مقيداً الى الخليفة واما اشود فقد فر .

وأجل يوسف تطبيق منهاجه الرعب الى فصل الربيع ، وقضى موسم الشتاء في مدينة موش وصمم اهالي ساسون بدلالة هونان على أخذ الثأر لأميرهم فهجموا بقوة عظيمة على موش فابادوا جيش يوسف وقتلوا العامل وهو في مخبئه عام ٨٥١ .

اغتاظ الخليفة من فعلة الساسونيين فأرسل بوغا الى ارمينيا لتأديبها والتنكيل بها وتدميرها والقبض على اشود وارساله الى مقر الخلافة ، فتحصن اشود ارزروني واتباعه في قلعة نكان من ناحية طورناوان واسبوراكان فحاصرهم العرب حتى سلم اليهم بعض

الاتباع نفوسهم ، ثم لما تأكد اشود عجزه عن الدفاع من جراء تسليم أتباعه سلم هو ايضاً الى بوغا فقيده مع عائلته وأرسلهم جميعاً الى الخليفة فسجنهم في سامراء (٨٥١) .

وكان مع الامير اشود ابنه كريكور ، وواهان الارزروني مع ولده كاكيك، وموشيغ ، والاميرة هرانوش وبعض النبلاء ، ولم يخفف بوغا من عسفه ومظالمه ، فاضطر الامير الارمني سمباد باقرادوني ان يتودد اليه ، وقدم له الطاعة ووعده بان يكون دليلا له في غزواته علّه يخفف من اضطهاداته ، ولكنه لم يفلح في تحويله عن جوره ، وكلف الارمن جميعا باعتناق الدين الاسلامي ، فلما أبوا قبض على أمرائهم وأعيانهم وأرسلهم جميعا الى الخليفة جعفر ، فأمر بسجنهم في سامراء ، وظل في ارمينيا اشود بن سمباد باقرادوني وأخوه موشيغ والعباس شقيق اشود موالين للعرب .

وظل السجناء في محبسهم ستة اعوام ثم أخلي سبيلهم بعد ان نالوا عقابا صارما، ولم يسمح لسمباد باقرادوني والاميرة هربسما ارزروني بالعودة الى الديار عقاباً لرفضهما اعتناق الدين الاسلامي ، وظل المذكوران متمسكين بدينهما ثم استشهدا في سبيله .

## علاقات الارمن بالعرب

## ٦٤٠ - ٩٥٣

بعد ان ثبت العرب سيطرتهم شرقا وغربا ، وبعد ان وطدوا اركان امبراطوريتهم دخلوا ارمينيا عام ٦٤٠ ، فدب الخوف والهلع في قلوب السكان وقاوموهم ، ولكن العرب دمروا المدن والقصبات خلافاً لرغبة الخلفاء ، وظلت الدولة البيزانطية مكتوفة اليدين حيال هذا الامر لا تحسب حسابا للخطر الذى سيحيق بها بعد انقراض ارمينيا، ولم تغن طلبات حكام الارمن وأمرائهم فتيلا ، بل لقد انتهز الروم هذا الموقف الحرج وأرادوا ان يضطروا الارمن على قبول عقائد المجمع الخلقيدوني ليعاونوهم ضد العرب، وهكذا استولى العرب بعد مدة وجيزة على ارمينيا .

كانت سياسة عمال العرب تستند على التخويف والارهاب ومحو الامراء ورؤساء القوم لتبقى الامة بدون رأس ، وفرضوا الضرائب الباهظة لافقار الامة فتبيد وتضمحل .

وكان أثقل العمال العرب عليها عبد الله ( عام ٦٩٤ )، فان هذا العامل استعمل ألوان القسوة وأنزل الكوارث برأس هذه الامة ، فـكان من جراء شدتها ان أعلنت ارمينيا العصيان بقيادة موشيغ ماميكونيان وعاونه أمراء الاسرة الباقرادونية والارزرونية ، ولكن الدائرة دارت على الارمن .

وانه لمن الواجب ان نعترف بان العرب لم يتبعوا سياسة دمج الامم بعنصريتهم .

وفي العصر العباسي وعلى عهد هرون الرشيد خصوصا ، اتسعت الامبراطورية العربية وبلغت أوج علاها ، وبحصافة هذا الخليفة اتبع سياسة رشيدة ملائمة للامم التي تحت سلطانه ، فخمد شعور النقمة وقل العصيان ، وكانت ارمينيا مشمولة بهذه السياسة فعاش أهلها في سلم ورفاهة برهة من الزمن ، ولكن بعد الرشيد عادت الاضطهادات واستمرت ، فعصى الارمن عام ٨٤٩ للتخلص من هذا النير ولكنهم أخفقوا .

اما الأمراء الباقرادونيون فلم يقاوموا العرب كما قاومهم غيرهم من الامراء فبادوا بسيوفهم ، بل انهم كانوا شجعانا بعيدي النظر ذوي سياسة رشيدة ، ومنذ ان دخل العرب ارمينيا سعوا الى اكتساب ودهم ولم ينحازوا الى البيزانطيين، فنجحوا في سياستهم وفازوا بصداقة الشرق .

وكان رجل النهضة الجديدة من الباقرادونيين اشود الاول وهو ابن سمباد خوسدو وانوغ ، فقد وضع أسس بناء الدولة الباقرادونية الارمنية .

في اوائل النصف الاول من القرن التاسع ظهر وهن محسوس في قوى الدولة العباسية ، واستفاد الارمن من هذا الوهن فوسعوا حدود بلادهم الى موش واراضي بتليس . وفي أبان حكم اشود الاول كان اصحاب المقاطعات العظيمة يستطيعون عند الحاجة تجنيد ٤٠٫٠٠٠ الى ٥٠٫٠٠٠ جندي من قارص وآني واردهان وارتوين وغيرها . وقد قطع الارمن شوطاً كبيراً في سبيل الاستقلال الناجز ، وكان اشود مصمما على ان يبلغ مأربه دون سفك دماء او احداث أزم سياسية . لذلك طلب موافقة الخليفة على استقلاله رغماً عن انه كان يستطيع نيله بالقوة ، ولكنه آثر حقن الدماء كما ذكرنا .

## الفصل السابع

# الملوك الباقرادونيون

### اشود الأول

### ٨٥٩ - ٨٩٠

لهذا الملك صحيفة ناصعة في تاريخ الأمة الارمنية ، فقد فتح عهداً جديداً في حياة أمته ، وكان من حكامها الافذاذ في الحكمة والفراسة والتبصر والقوة الشجاعة وحسن الخلق والذكاء ، وهو اول الملوك الذين أصغوا الى رغبات الشعب . ووقى نفسه الغوائل بتركه الانحياز الى الروم ، ومال من صميم قلبه الى سياسة العرب بالملاينة والموالاة ، فكسب محبتهم ومحبة الأمراء الذين حقق رغباتهم الوطنية فأيد الجيم عرشه وجمع عليه قلوب الكهنة بتقواه ، والتف حوله الشعب لكرمه واحسانه واحلاله النعيم والرفاهة في البلاد ، وأحبه العرب لكياسته وسياسته الرشيدة .

وبهذه الخصال كان اشود فريد عصره ، بل كان المبدع لذلك العصر الرغيد على امته . كان اشود بادىء ذي بدء يشغل وظيفة امير الجيش ، لكن هذه الوظيفة كانت دون مقامه وكفاءته وشجاعته الفطرية ، فاختمرت في رأسه فكرة تأسيس دولة ارمنية ، وكان يرى انه يستطيع ذلك بموالاة امير المؤمنين فسعى جهده الى صداقته والوفاء له .

اشود امير الامراء : وجزاء لصدق اشود نحو الخليفة محمد جعفر المتوكل بالله منحه لقب « امير الامراء » بتوسط وزيره علي الارمني (١) وذلك عام ٨٥٩م.

وهب اشود بعد نيله هذا اللقب لاحياء الدولة ، فوحد صفوف الامة واستعمل اللين واستعمل الرهبة تبعاً للظروف ، وأنشأ الجيش وألقى مقاليد اموره الى اخيه العباس وجبي الجزية من الدول المجاورة ، وحالف اميري الاقطاع سونياتس وارزرونياتس

١) سبق لنا الكلام عن علي هذا في توطئتنا نقلا عن « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » - راجع ص (٨-١٠)

فأصبحا نصيرين له فى كافة اعماله الهامة .

غزو شهاب لأرميفيا ، واعلان اشود ملكا : لم يكتف اشود بلقب « امير الامراء » بل كان يطمح الى اعلان ملوكيته ، وسنحت له الفرصة بعصيان الامير الفارسي شهاب على الخليفة .

دخل شهاب ارميفيا بثمانين الف جندي ، فقابله اشود باربعين الفاً بقيادة اخيه العباس ، فقهره ورده على اعقابه مدحوراً . وفي غمرة السرور بهذا الانتصار المبين طلب الامراء الى الخليفة بواسطة عامله عيسى تمليك اشود - ولم يمانع الملك او يرفض مطلبهم ، بل انه كان يريده كما رأينا - ووافق الخليفة جعفر المتوكل بالله على ذلك وارسل التاج الملكي بيد عيسى ، وجلس اشود على عرش ارميفيا عام ٨٨٥ ، فهنأه امبراطور بيزانطية واسيل ارشاكوني وارسلا اليه هدايا نفيسة .

وبعد ان توج اشود ، نقل العاصمة الى مدينة باكاران التى تقع على ضفة نهر اخوريان وضمت ارميفيا الجديدة تحت انتدابها مملكتي الكرج والاغوان .

سن آشود القوانين على غرار الملوك الارشاغونيين ووضع الاساليب الفنية للجيش ، وصرف همه الى اعلاء شأن شعبه ، وكانت سياسته سلمية يحل بحسن التفاهم المسائل الخاصة ، اما الامور التى تهدد سلامة الوطن فكانت تبوء بالفشل بحزمه وقوته ، وكان يخرج بنفسه للتفتيش على الشؤون الادارية ، وقد عمل كثيراً على اصلاحها .

اما سياسته الخارجية فقد كانت مثالية سلمية ، فعقد المعاهدات التحالفية والتجارية مع جاراته ، وزار القسطنطينية دون ان يتطرق الى الخليفة أي شك فى مآل زيارته لاعتماده الشديد عليه ، وأمد القيصر ليون بجيش تحت قيادة ماغريك حين حرب الروم والبلغار(١) .

وتوفى آشود في عودته من القسطنطينية وهو فى بعض الطريق داخل حدود مملكته عام ٨٩٠ بعد ان خدم بلاده أجل خدمة .

---

١) المؤرخ البيزانطي قسطنطين بورفوروجين .

## الملك سمباد الاول
## ٨٩٠ـ ٩١٤

كان عهد الملك سمباد مليئاً بالوقائع الحربية والاضطرابات الداخلية المقلقة، ولكنه تغلب في جميعها .

عصيان العباس : لما توفي آشود كان سمباد غائباً عن العاصمة ، فانتهزها عمه العباس فرصة وأعلن العصيان مدعياً بحق وراثة العرش ، وقبض على امير الكرج ادرنيرسيح - وكان صديقاً للملك وقد جاء الى ارمينيا لتعزية سمباد بوالده - فكان اعتقاله خطراً يهدد الامن الداخلي ، وحصل التصادم بين الطرفين ، وتوسط البطريرك في اخلاء سبيل ادرنيرسيح حفظاً للسلام .

وعندما رأى الملك سمباد اتساع الخرق بادر الى عمه بقوة كبيرة للمحافظة على تاجه ، فحاصر هذا العم العاصي في قلعة كان قد لجأ اليها ، ولما لم يعد بامكان العباس ان يقاوم ، فقد دخل على الملك طالباً العفو والابقاء على حياته ، ففعل سمباد ، وفك عقال امير الكرج ، ثم عاد العباس فحرض الشعب والاكليروس والبطريرك على الملك ، ثم عاد فاستماحه العفو وتوفي عام ٨٩٣ .

الافشين في ارمينيا : بعد ان قضى سمباد على ثورة عمه ، اتبع سياسة والده ، وتبادل الهدايا مع ليون القيصر البيزنطي ، فهاج الخليفة واعتبر ذلك عملا عدائياً نحوه وأوعز الى الافشين عامل اذربيجان فاستعد بجيش يبلغ ٣٠ر٠٠٠ للهجوم على ارمينيا ، وعندها فسر سمباد سياسته مع البيزنطيين وارسل الى الخليفة المقتدر بالله معتذراً بانه فعل ما وجده متبعاً من قبل ومذكراً اياه بخدماته القيمة ، وعاد الافشين بجيشه الى مقره نظراً لما وجده من قوة جيش سمباد واقتناعا بما اعتذر به .

عد سمباد اسراع الافشين بالرجوع الى مقره مقتنعا ببيانه ضعفاً منه ، ورأى لذلك ان الفرصة سانحة لتطبيق منهاجه وتحقيق مطامعه ، فحاصر مدينة دوفين وفتحها، ثم قبض على اميري حاميتها احمد وأمية فارسلها مقيدين الى ليون القيصر وذلك عام ٨٩٥ . ووسع حدود بلاده من البحر الأسود حتى حدود اذربيجان الجنوبية وما وراء

القوقاز حتى جنوب واسبوراكان وعبر نهر غور ووصل الى تفليس ، وضم هذه الاقاليم الى نفوذه بغير ما امتشاق حسام، الا ان غرور سمباد هذا كان وبالا على أمته فأدى الى خسائر فادحة بالأموال والارواح ودكت مدينة دوفين حتى أساسها .

الحرب مع الافشين : ان فتح دوفين وتدميرها شكل خطرين على سمباد : اولها اضطراره الى اعلان الحرب على العدو وثانيها فقدان وسائل التموين والأمن السياسي ، هذا فضلا عن غضب الافشين الذي لم يبده لسمباد علنا بل اذاع انه مسافر لحرب أحد الاعداء باسم من الخليفة ، ولم يلبث ان ظهر الأفشين في نخجوان من حدود ارمينيا ثم توجه بجيشه نحو دوفين فأسرع سمباد بتنظيم جيشه بمساعدة قواده ووزعه على عدة جبهات لمجابهة العدو ومكث هو قرب جبل اراكاز .

اراد البطريرك مصالحة الطرفين حقنا للدماء ، فذهب الى الافشين للتوسط فاستقبله مظهراً له -وهو يخادعه- حسن نواياه، ثم قال له يجب ان تجتمع بالملك اولا ، فلما تقابل البطريرك والملك شك هذا في صدق الافشين فرجم البطريرك ، ولما رأى الافشين خيبة مكره قيد البطريرك وسجنه ثم سار الى سمباد ، وعند وصوله الى قرب جبل اراكاز استراح ثلاثة ايام ثم بدأت المعركة فحمل سمباد على الافشين وكسره وعندها استولت الدهشة عليه فأنفذ حالا رسولا الى الملك يطلب الصلح فقبل طلبه حبا بالسلام ورغبة في انقاذ البطريرك ، غير ان الافشين لم يراع شروط الصلح وحجز البطريرك عنده ثم حمله معه الى اذربيجان ، وبعد شهرين أخلى سبيله مقابل فدية .

الاختلال الداخلي - الحرب مع احمد امير العراق الشمالي : ان دسائس كاكيك(١) الارزروني صارت تبوء بالفشل بسبب توطيد الملك العلاقات الخارجية ، وسلكت الأمة الارمنية سبل القوة والسلطة ، فاضطرمت نيران الحسد في قلب الامير الارزروني . ولما عصى اشود الارزروني امير مقاطعات واسبوراكان على خاله سمباد قدم الطاعة للافشين واقتدى به ايضا أمير مقاطعات سونيك ، غير ان الاخير ندم على فعلته وعاد الى ولائه لسمباد ، اما اشود ارزروني فانه لم يذق ثمرة عصيانه لان حماه كاكيك

---

١) امير مقاطعة واسبوراكان الارمنية الذي كان له طمع في تاج ارمينيا دائما .

الارزروني سجنه مع أخويه واغتصب منه الامارة ، وكان سمباد يرى كل هذا ويسكت مضطراً، واعتماداً على اطاعة كاكيك لسمباد فقد غض هذا الطرف عنه وتركه يشبع نهمه الى العظمة .

وكان مما يسترعي انتباه الملك هذه الغارات المتوالية واستمداد احمد امير الاقسام الشمالية من العراق فقد قبض على بعض اصحاب المقاطعات وضبط املاكهم وتقدم شيئاً فشيئاً نحو الحدود .

استعد سمباد للتنكيل باحمد ، فتحرك الى شرق دارون بينما كان مقر احمد في غرب المدينة . وكان كاكيك ارزروني يبيت الشر لسمباد ، فاشار عليه أن يسير بجيشه نحو دارون كأنه خبير بامور التعبئة ، فسار حسب مشورته واتجه بجيشه نحو الجنوب وكان الخائن كاكيك قد اطلع احمد على تدبيره .

سارت جيوش سمباد بدلالة كاكيك ارزروني في طرق وعرة بين الصخور والأشواك والأدغال وفي الاراضي القاحلة الخالية من الماء ، ولما أدرك جيشه نهر طوخ كان التعب قد أضناه ومشقة السفر قد أنهكت قواه ، فوصل الى الماء خائراً .

وفي صباح اليوم التالي ، بينما كان الجيش الارمني يقاتل بشجاعة امتثالا لأوامر الملك بالرغم من تعبه ، أمر كاكيك فرقته بتقويض الخيام والنكوص الى الوراء مظهراً الدهشة من عظمة جيش احمد ، فأقلقت سمباد هذه الخيانة غير المنتظرة وأمر جيشه بالانسحاب نحو باقريفانت ، فسر احمد ذلك كما سر كاكيك وعاد الثاني الى وان . وبينما كان يجول على فرسه وقد تزيا بالزي الملكي قتله احد أخوي صهره آشود بسيفه انتقاما (١) وبعد مقتل كاكيك انتقلت ادارة المقاطعة الى اشود كوركين .

<u>الأفشين ينتهز فرصة القلاقل الداخلية</u> : كان الأفشين قد علم بانخذال جيش سمباد امام جيش احمد، وعرف بخيانة كاكيك وسمع بالحوادث الدموية بين الامراء ، فرأى ان الوقت قد حان ليضرب ضربته، وتمهيداً لذلك سافر الى حدود الكرج لكي يضم

---

١) كان امراء الاسرة الارزرونية طوال حياتهم السياسية في ارمينيا سبباً في نحوسها وتفرقها وكانوا ابداً شراً على الملوك .

اليه بعض الامراء ، ولكنه أخفق . ثم توجه الى قارص وحاصر قلعتها التي كانت فيها العائلة المالكة مع آمر حاميتها . ولما أدرك الامر عجز قوته عن مقاومة العدو وبعد ان توثق بقسم الشرف من ان يبقي الافشين على حياة المحصورين ، سلم اليه القلعة .

في ذلك الحين، كان الملك قد تحصن في ناحية دابوتس تسور ، فأرسل الافشين اليه آمر القلعة ليخبره بعقد الصلح على ان يزوجه من ابنة أخيه شابوه وان يبقي ابنه اشود رهينة عنده وبذلك يسرح العائلة المالكة الاسيرة .

وقائع مختلفة : بعد ان عقد الصلح مع الأفشين ، عقد سمباد التاج الملكي على مفرق صديقه ادرنيرسيح امير الكرج لاخلاصه في جميع مواقفه ، فشك الافشين في هذه الحادثة ، اذ ربما جمع سمباد حوله قوات كثيرة للعصيان على الخليفة ، فسافر الى تفليس بسرعة فائقة ومنها الى شيراك (ولاية قارص) ، فتحصن سمباد في قضاء دايك من اعمال مملكة ادرنيرسيح ، ولما تأكد الافشين ان منازلته صعبة جداً ، اذاع انه انما يرمي بسفره الى مقابلة ودية مع سمباد ، ثم سافر اخيراً الى اذربيجان .

وعند سفر الافشين ذهب الملك الى حصن آني حيث كان مرافق الافشين ، وتوثقت الصداقة بينهما حتى ان المرافق لشدة حبه أخلى سبيل ولي العهد آشود الذى كان رهينة عند الافشين ، وعصى المرافق فكان عصيانه سبباً في العداوة بين الملك والافشين اذ تأكد ان عصيان مرافقه انما كان بتحريض من سمباد، فامتلأ حقداً وغيظاً وقرر ان يثأر من سمباد ، ولكنه اثناء الاهبة والاستعداد توفي عام ٨٩٩ .

النزاع بين العامل يوسف وبين سمباد (١) ثم مصالحتهما : رأى سمباد ان حكمه سيكون لعبة بيد العامل ، ولذلك قرر توطيد العلاقات عاجلا مع الخليفة ودفع الجزية اليه رأساً ، فاقتنع الخليفة بهذا العرض ولم يجد فيه أي محذور ، ولكن يوسف العامل الذي خلف الافشين لما سمع بمراجعة سمباد للخليفة وقطع علاقته به ( أي بيوسف ) دخل الحدود الارمنية بافواج كثيرة ، فاسرع سمباد بسد بعض المضائق لمنع يوسف من التقدم ، فاضطر هذا الى تعديل الخطة وقرر العودة الى دوفين عن طريق شيراك ،

١) هو يوسف بن ابي الساج .

ولكن جيش سمباد تعقبه وقطع عليه الطريق وطوق جيشه ، فتملكت الدهشة يوسف ورأى الخطر محدقا به فلم يتأخر عن طلب الصلح وأغلظ الطرفان القسم بان يبقيا مخلصين حتى عام ٩٠٥ .

ولما مضى الشتاء أرسل يوسف الى سمباد جياداً عربية أصيلة مطهمة بلجم مصنوعة من الذهب مع تاج مرصع وحلل ارجوانية واستبرق ، كما أهدى الى ولي العهد جواداً عربياً ومهازاً مرصعا ولقبه بلقب « أمير الامراء » . وبعث الى البطريرك اوهانيس بهدايا ثمينة للكنيسة على بغل عليه سرج مذهب ، فنالت هذه الهدايا تقدير سمباد وبعث الى يوسف بهدايا تقابل هداياه أضعافاً مضاعفة .

عصيان بعض الولاة على سمباد : كانت الصداقة بين سمباد ويوسف نعمة على البلاد ، فأخذت تسير في معارج الرفاهة والسعادة فعمرت المدن والقصبات ، وتوسعت التجارة ونمت ثروة المملكة فرتع الشعب في نعيم السلام . وكانت الصداقة بين سمباد وقيصر بيزانطية وطيدة ايضا وكانت الهدايا تتبادل بينهما ، فظلت المملكة الارمنية في أمن وهدوء برهة من الزمن .

غير أن الحالة لم تدم على ذلك ، اذ عصى ملك البكاريين - وكان تابعاً لتاج ارمينيا - طامعاً فى أن يوسع حدود ملكه بالأراضي الارمنية ، غير ان سمباد وحليفه ادرنيرسيح ملك الكرج أخمدا العصيان حالا وطلب قسطنطين ملك البكاريين الصلح فذهب اليه ادرنيرسيح ليعينا شروطه ، وثقلت هذه الشروط على قسطنطين فرفضها ، فقبض عليه ادرنيرسيح وجاء به الى سمباد فقيده وسجنه فى حصن آني ، واقتسم هو وصديقه ملك الكرج ولاية بكاريا ولكن البكاريين غضبوا وتمردوا ، فاضطر سمباد الى ارجاع قسطنطين ، فغضب ادرنيرسيح لذلك وقطع علاقاته الودية ولكن سمباد أقنع صديقه بحسن نواياه .

العصيان العام بين أمراء المقاطعات : تمرد العامل يوسف وعصى دار الخلافة عام ٩٠٨ ، واستعان بالملك طالباً الامداد ، وفى الحين ذاته تلقى سمباد طلباً من الخليفة بان يسير للتنكيل بيوسف ، فارسل سمباد جيوشه الى واسبوراكان لمعونة الخليفة . ثم

بعث الى يوسف يطمئنه بقـوله : ان هذه الجيوش هي لمناصرتك،وان كانت في الظاهر لمساعدة الخليفة ، بيد أن يوسف كان في شك من الأمر وزاد الدساسون والمفسدون في شكوكه ، فصالح الخليفة ، ثم قرف سمباد أمامه مبيناً غدره ، ففرض عليه الخليفـة ضعف الجزية السنوية المقررة .

لم ير سمباد بداً من الرضوخ لأمر الخليفة ، فطلب من الاهالي خمس ما يملكون لسداد هذه الضريبة الباهظة .

ان مطاوعة سمباد لأمر الخليفة دون اعتراض أو مقاومة ضيقت على الامراء واحفظتهم ، فصمموا على اغتيال الملك ، وكان أدرنيرسيح طامعاً بالعرش ،فاتفـق معهم بعد أن تعهدوا له بالتاج الارمني ، وذاع خبر المؤامرة بين طبقات الشعب فأسرعوا متطوعين الى الالتحاق في صفوف الملك، فحمل بقوة عظيمة على الامراء المتآمرين وهم في شيراك ( قارص ) ، فطارت قلوبهم فرقا وهلعاً لهذه الحملة المفاجئة وفروا الى حصون يوتس ، ولجـأ ادرنيرسيح الى حصن آني ، وعند دخوله بعض المقاطعات وصلت حملة سمباد فارتعب منها وفشلت مؤامرته ، وترامى على قدمي الملك معترفاً بجرمه مستميحـاً العفو ، فعفا عنه حسب مشورة البطريرك وأخذ ابنه البكر رهينة عنده ، ثم سمل عيون الامراء الخونة وأرسل بعضهم الى قيصر البيزنطيين والبعض الآخر الى غيره .

وكان تتويج كاكيك الارزروني ملكا على ارمينيا بواسطة العامل يوسف سبباً في اراقة الدماء ، فالاسرة الارزرونية الارمنية خانت وعارضت اصحاب العرش الارمني دوماً طمعاً بنيل التاج ، ولم يكن كاكيك باقل من آبائه شراً فكان سبب حـلول الكارثة بامته . كان كاكيك قد طلب من الملك ولاية نخجوان كأنها ارث اجداده ، ولكن الملك كان قد وهبها الى الامير سيسا كان الذي كان صادقا وخادما اميناً للعرش في كل زمان ، ولذلك لم يعر طلب كاكيك أي التفات .

أما كاكيك هذا فقد انتهز فرصة الخلاف بين سمباد ويوسف، فحمل الى الاخير هدايا ثمينة ليساعده في قضيته ، وصادف طلبه هوى في نفس يوسف ليدوم الفسـاد والشقاق بين الملك وأمرائه ، فتوج كاكيك ملـكا وبذلك نالت الاسرة الخائنة مطمعها

الفاسد عام ٩٠٩.

أرسل سمباد البطريرك الى يوسف طالباً منه المحافظة على السلام وعدم الاخلال بالامن لمنفعة اشخاص معينين ، غير ان يوسف قيد البطريرك وسجنه ودعا اليه كاكيك لمحاربة سمباد معاً .

وهجم جيش سمباد باديء ذي بدء على مقاطعة سونيك فلاقوا مقاومة عنيفة وغلبهم جيش العامل فسلموا انفسهم ولكن يوسف قتلهم جميعاً وأحرق بلدانهم ودمرها . وظل يوسف في نخجوان خمسة عشر يوما ليجس وضع سمباد ثم كلفه دفع جزية سنوية صفقة واحدة كاملة غير منقوصة ، فاضطر الملك الى ذلك تأميناً للسلام وحذراً من العواقب الوخيمة لانه لم يكن يأمن جانب الامراء والولاة ، وكان مقدار هذه الجزية المدفوعة ستين الف قرش .

ان صدوع سمباد باوامر العامل نم عن ضعف وخور ، فتعقبه يوسف حتى حدود الكرج لافناء جيشه ، ولكنه لم يفلح فعاد الى مقره . ثم سلح كاكيك ومونه وسيره ليحمل على سمباد في قرية بنج وفيها دارت رحى الحرب ، وكان مع الملك موشيغ واشود وحارب الثلاثة ببطولة وبسالة نادرة ، الا ان موشيغ قتل فترك فوج العوديين ساحة الوغى وعادوا الى ديارهم ، فاضطر فوج الامير اشود الى الانسحاب وعندها تقدم يوسف يخرب البلاد الارمنية .

تسليم سمباد نفسه بعد تقهقره وغلبه : بالنظر الى خيانات بعض امراء الاقطاع ، وعصيان البعض الآخر ، كانت قوة سمباد تضعف يوما بعد يوم . وكان يوسف دائباً على أعماله التدميرية في البلاد ، فلم يجد الملك سبيلا إلا مراجعة الخليفة المقتدي بالله ، فارسل اليه كريكور احد امرائه موضحاً له الوضع السيء في البلاد مستمداً عونه ، فاصغى المقتدي الى الشكوى وأراد ان يخفف الآلام عن الارمن ، ولكن الثورة التي حدثت في مصر كانت تهز عرش بغداد ، فلم يذق الارمن ثمار السلم في أواخر حياة سمباد . وفي ذلك الحين مات ليون قيصر الروم ، فلم يبق لسمباد ملاذ ، فقد أهمله الامراء وأعرض عنه خليفة بغداد وخلا عرش بيزنطية ، فتحصن في قلعة الازرق مع

قوانه الامينة المخلصة ، وحاصر يوسف القلعة المذكورة بعد ان دمر القرى والقصبات التي مر بها ، ودافع سمباد عن نفسه فيها سنة كاملة كان يوسف خلالها يؤذي الشعب بالقتل والنهب والنفي ، ويحل بالعمران كل تدمير انتقاما من سمباد ، وكان يضع الارمن من جنوده في الطليعة ليقتلهم اخوانهم ، ولذلك كله قرر سمباد تسليم نفسه ليخفف الآلام عن شعبه ، وبعد ان اطمأن الى قسم يوسف، فتح باب القلعة ونزل اليه مستسلماً فاحترمه اولا ولكنه سجنه اخيراً .

لما رأى كاكيك ارزروني الدمار الذى أنزله يوسف بامته ، ندم على خيانته لسمباد فانتدب أحد قواده ليتقدم الى الملك بخضوعه ، لكن الخيانات المتوالية التي اقترفتها الامرة الارزرونية حملت سمباد على ان لا يطمئن الى وعوده ، ولما يئس كاكيك من قبول عذره وخدمته ، انسحب من صفوف يوسف وعادالى مقاطعته ، فثارت الشكوك في صدر هذا وظن ان انسحابه انما هومن تدبير سمباد فسجنه عام ٩١٤ . وعامل يوسف سجينه أقسى معاملة فسامه صنوف العذاب واحتقره وأهانه ، ولم يجد العطف الانساني الى قلبه سبيلا في معاملة هذا الملك ، وأخيراً صلبه فاستنكرت ذلك محافل دار الخلافة وشنعه مؤرخو زمانه (١) ، واستمر هذا الوحش الانساني بعد صلب الملك على الظلم والعسف بشعبه .

## الملك آشود الثاني الحديد

### ٩١٤ ـ ٩٢٩

هذا الملك هو ابن سمباد الاول الذي قتله يوسف عامل الخليفة ، وكان آشود شجاعا مغروراً بنفسه، نشيطاً قوي الارادة ، بعيد النظر واقعياً ، اذا قر قراره على أمر لم يثنه عنه ثان ، ولم تكن كثرة جموع العدو ترهبه ، وبالرغم من أن عهده كان مليئاً بالوقائع الحربية ، فلقد كان مظفراً في جميعها ، ولم يهن للقحط ولا للاختلال الداخلي ، ولرباطة جأشه وحديد عزمه دعي « آشود الحديد » .

(١) دائرة المعارف الاسلامية : يصف ابن حوقل هذا الحادث الفظيع بانه « ظلم وعصيان لله ورسوله » .

كان أول همه الاثثار ممن قتلوا أباه تلك القتلة المفجعة ودمروا معـالم العمران في بلاده الحبيبة الى نفسه ، فشكل الجيش حالا وهاجم به بسرعة فائقة ، فاحتل كافة القلاع والمدن المهدمة وأوهن قوى يوسف وقهر جيوشه وقبض على القواد المجرمـين فمنهم من قتل ومنهم من شنق .

دهش العدو لهذه الحملة المفاجئة الصارمة ، وأعجب به الامراء النافرون فاجتمعت قلوبهم حوله ، وانتخب ملكا بارادة الشعب ووسط معالم أفراحه ، وسمع كاكيك ارزروني ملك واسبوراكان الأرمني بنبأ اشود الحديد فامتلأ غبطة وبايع له وتعاون معه .

نجا العامل يوسف من هذه الحملات بنفسه بعد ان ناءت عليه وأثقلت كاهله ، ولكنه بعد سنوات قليلة اذ سمع بالمنازعات بين الأمراء عاد فساق جيوشه على ارمينيا ، وظلت المصادمات بينه وبين الأرمن سبع سنوات لم يجن منها غير اراقة دماء الابرياء ، وكانت فظائع يوسف ومظالمه مما يعجز عن وصفه البيان حتى ان كل بلد احتله عمه القحط وتعطلت زراعته وتجارته وسارع اليه الدمار . وأثناء ذلك كله لم يغمد آشود سيفه بل كان يطهر به البلاد من عصابات العدو ، ويسعى الى اغاثة الملهوفين من رعاياه .

كان البطريرك إبان هذه الحوادث مقيما في بلاد الكرج ، وحين عودته من مقره في دارون حرر كتابا الى قيصر بيزانطية فيه يطلب المؤونة والامـدادات لاصلاح حالة البلاد البائسة ، وكان القيصر ارمني الاصل فدعا الملك والبطريرك الى القسطنطينية ، وعاد الملك ومعه القوة والمؤونة .

وحينما رأى يوسف عجزه عن تمزيق جيوش آشود بالقوة عمد الى زرع الفتنة بين الملك والامراء وبذلك يشوش البلاد داخلياً ثم ينـال مأربه بالسيف . كان ابن عم الملك (١) رهينة عند يوسف منذ سنين خلت ، واذ اراد ان يذكي نار العدوان بين ابني العم توجه ملكا عام ٩٢١ وأرسـله الى وطنه ، فغره منصبه الكاذب وجعل عاصمته دوفين وجمع قوة كافية لمحاربة ابن عمه الملك الشرعي ، ودامت الحرب بين الطرفين سنتين . ثم ان الملك الشرعي أراد خضد شوكة خائن البلاد ليكون عبرة لغيره ، ولما رأى اشود

---

١) هو آشود بن شابوه ابن عم آشود الثاني ملك البلاد .

عزم ابن عمه طلب الصلح فصالحه وعفا عنه، وبعدئذ الامراء ثاروا فى هذه الفترة من الزمن على ملكهم فتحولت البلاد الى مسرح للنضال . ولكن الملك اشود بحزمه وحسن تبصره وعتانته وارادته الجبارة أدبهم جميعاً فرداً فرداً وكسا المملكة برود السلام .

هذا ، ولما أدرك يوسف وهن ادارة العباسيين أعلن عصيانه على الخليفة وسرعان ما قبض عليه اشود الثاني فاهلكه ، فسر الخليفة ذلك وأنعم على اشود بلقب « شاهنشاه » لمعاونته بتأديب يوسف ، ثم عين العامل بشيراً خلفاً له ، وكان بشير هذا رجلا مشاغباً وتصادم بآشود الذي كان ميالا الى الهدوء والسلام وهو بعد في بحيرة سيفان بالجزيرة المسماة باسمها ، فكسر اشود شوكته ولاحقه وزيره كيورك مارزبدوني حتى حدود البلاد وطرده . ثم صار بشير بعدها صديقاً حميما للارمن .

وفى عهد ملوكية آشود رفعت عن الارمن الجزية التى كانوا يؤدونها للخليفة .

وعاش آشود الثاني الحديد أواخر حياته فى هدوء وسلام وطمأنينة اذ لم يعد يتجاسر أحد ان يصول أو يعتدي على البلاد لانه ادب العصاة فى الداخل وصافى شقيقه العباس الذى كان ولياً لعهده لان اشود لم ينجب ولداً ، ومات قرير العين ناعم البال بسلامة البلاد واستقرارها .

## الملك العبـــاس الاول

## ٩٢٩ _ ٩٥٣

ذكرنا ان آشود الثاني مات بدون خلف ، وبموافقة رجال الدولة وموافقة ملك واسبوراكان الارمنى الجبار كاكيك الارزروني نصب العباس الاول على العرش .

كان العباس ذا نفوذ وبعد نظر ، راعياً للامور ، سموحاً مع الامراء مع شجاعة وارادة ، وقد نضج بتجاربه وبحياته السياسية ، لذلك كان محبوبا لدى الجميع : الامير والفقير ، العالم والجاهل وقد أبدى المقدرة وحسن الادارة والحنكة السياسية في حكمه .

كان ملوك باقرادونيان حتى حكم العباس يسعون فى تأسيس دولة مركزية رأينا انها كانت سبباً فى المنازعات بين الامراء والخروج على العرش ، أما العباس فقد تبع

السياسة اللامركزية فأعاد الاساليب والتقاليد القديمة وغض الطرف عن ادارة الامراء واكتفى بنفوذه المعنوي عليهم ، فالتف هؤلاء حول عرشه وأحبوه . وكان بارعا في سياسته الخارجية فقد عقد معاهدتين سلميتين مع عاملي اذربيجان ودوفين اللذين قدرا سيف الارمن قدره ، واتفق معهما على تبادل الاسرى، وبذلك عاد المئات الى اوطانهم ورتعوا في ظلال الامن والحرية .

وبفضل العباس ونشره الامن والسلام ارتقت الزراعة والتجارة وتقدمت اقتصاديات البلاد وفاض النعيم . ثم باشر بتعمير البلاد فنقل العاصمة الى قارص وفتح الطرق وعبدها وبلطها ، وعمر الاديرة والقصور الملكية في قارص وفي انحاء البلاد خصوصا ارضروم ورشدوني وناريك ، ولا تزال آثارها قائمة الى اليوم .

حين كان العباس منصرفا الى اعمار بلاده أراد بير ملك الكرج الاستيلاء على ارمينيا ، وعلى حين غرة عبر نهر كور بجيش عظيم ، فأرسل العباس اليه رسوله ناصحا بالكف عن هذا التحرش السخيف ، ولكن بير أصم مسمعيه عن النصح ورد عليه بقوله: « أتيت لتكريس الكنيسة التي عمرتها حديثا بحسب المراسيم الدينية الكرجية » فاغتاظ العباس بحق ، وجابه جيش الكرج مع وزيره كيورك مارزبدوني وجيشه ، وكر على الكرج كرتين فاندحر جيشهم ووقع ملكهم أسيراً بيد العباس ، فساقه الى كنيسة الارمن الجديدة وقال له : « انظر الى هذه الكنيسة الفخمة الجميلة ، فانك لن تعود تراها عوض » ثم سمل عينيه واقتلعهما من محجريها وأخذ فدية كبيرة ثمنا لحريته ثم أرسله الى وطنه ، وكان ملك الكرج هذا شقيق قرينته ملكة ارمينيا .

وعلى عهد العباس حدثت بعض الخلافات والمجادلات الدينية ، ولكن العباس لم يتدخل فيها باعتبارها تعود الى السلطات الروحانية والبطريرك الذي هو المسؤول الاول عن فض الخلافات التي حدثت بين الطارين .

لقد أدار العباس المملكة ربع قرن بسلام ورفاهة ، ومات عام ٩٥٣ ، فعز موته على شعبه واصدقائه فقد فقدوا فيه خير نصير للسلم وحسن الجوار .

## آشود الثالث الملك الرحيم

### ٩٥٣ - ٩٧٧

آشود الثالث الملك الرحيم هو نجل العباس، صاحب العلوم اليونانية ورب الدهاء البشري ، كان أديباً رحيماً ذا مبادىء عالية وأخلاق متينة ، صارماً نحو أعدائه رفيقاً باصدقائه ويجمع الى ذلك كله كفاءة ومقدرة في الحرب والسياسة والادارة ، وبهذه الشمائل والصفات ، ذاع صيته وعلا شأنه وأحبه شعبه وأحبته جميع شعوب القوقاز . اما لقب «الرحيم» فقد أطلقه عليه الشعب جزاء وفاقاً لانه وزع ثروته على الفقراء والمساكين .

تولى الحكم بعد أبيه ، ولكنه أدار البلاد قبل ان يعقد له التاج .



الملك آشود الثالث الرحيم

تشكيلاته : شكل آشود جيشاً من ١٠٠ر٠٠٠ الف جندي من المشاة والفرسان ونظمه تحت قيادة الامير كور ( Kore ) ، وبهذه القوة نال عطف الشعب وأرهب

الاعداء والمغرضين . طهر المملكة وحدودها من العصاة والطامعين وجعلهم أصدقاء له وأقر السلم فى البلاد بجيشه الباسل الذى كان يحرس الحدود ، وبولاء الشعب الذى محض مليكه الحب الخالص والوفاء الشديد .

وبعد ان أنهى آشود تشكيله هذا ونظم الادارة فى المملكة ، توج ملكا على عرش ارمينيا سنة ٩٦١ ، وذلك في مدينة آني عاصمة الملوك الباقرادونيين ، وحضر التتويج الامراء وحكام المقاطعات ، وحضره كذلك ملك الأغوان مع اربعين من المطارنة .

وكان موشيغ شقيق آشود والياً على ولايه وانانت ، بيد انه لم يرض بالولاية بل اعلن ملوكيته عليها وتوج نفسه ملكا فى مدينة قارص ، ولقد كان بامكان آشود ان يمنعه بكل سهولة ، ولكنه آثر السكوت عنه ليستفيد عند الحاجة بملوكيته هذه المزعومة وذلك درجاً على سياسة والده .

<u>تأديبه حمدون وتقدير الخليفة المطيع بالله له</u> : كان حمدون قائد القوة العربية فى اذربيجان قد خرج على الخليفة ووضع يده على أذربيجان وقسم من العراق ودمر البلاد التي احتلها ، وغره نصره بان يتحرش بارمينيا ، فارسل قائده الى آشود مطالباً بالجزية ، إلا ان هذا رفض وقال انه لا يعرف العصاة على الخليفة ، فأغار حمدون على أرمينيا ، ولكن غارته كانت وبلا ، وثبوراً عليه ، اذ قهر آشود جيشه وقبض عليه وأمره ثم أطاح برأسه بسيفه ، وبلغ النبأ الخليفة فسر وكافأ آشود بتاج مرصع أرسله هدية ولقبه بشاه الارمن شاكراً له صنيعه .

<u>مجيء قيصر الروم الى أرمينيا</u> : وفي عهد آشود الثالث كان القيصر على الروم اوهانيس جمشكى وهو أرمنى الاصل وقد جول في الشرق وقام ببعض الغزوات واقترب من حدود ارمينيا ، وقبل ان يدخلها أنذره آشود بواسطة رسول بان عمله هذا يعتبر تحديا وخرقا لاستقلال البلاد ، وساق عليه جيشه البالغ ٨٠٫٠٠٠ ، ولكنه قبل الهجوم أرسل وفداً يطلب الى القيصر الانسحاب ، فقابل هذا الوفد مقابلة حسنة ولاطفهم وأجاب آشود انه لا يقصد غزو ارمينيا ، لكنه جاء لتصفية الحساب مع العرب ، وطلب

اليه القيصر الامداد لهذه الغاية ، فأمده بقوة مكونة من ١٠٫٠٠٠ جندي فسار مواصلا غزواته .

اعمال اشود وآثاره : عمرت العاصمة وزينت وكذلك المدن المهمة الاخرى على عهد اشود ، وازدهرت العلوم والمعارف بفضل الجامعتين اللتين عمرهما وهما «ديرهاغباد» و «صناهين» فمنها انبثق نور العرفان ومنها نشأ رجال العلم والادب في مختلف الادوار ، ودأب الملك ومعه الملكة على تأسيس المستشفيات والمدارس والأديرة ودور العجزة وما الى ذلك .

اصبحت آني « *Ani* » عاصمة اشود الثالث محط انظار الأمم بحضارتها وعمرانها ومركزاً للثقافة الشرقية بين الأمم التي عاصرت ارمينيا . وظهر الفن المعماري فيها بأجمل مظاهره ، وكان هذا الفن أول ظهوره يسمى « الفن المعماري البيزانطي الارمني » ولكن بعد الدراسة والتنقيبات التي قام بها العالم الأثري الشهير البروفسور نقولا مار ، أكد بتقرير خاص ان الاسلوب المعماري الارمني أسلوب قائم بذاته خاص بالارمن دون غيرهم ، فأطلق عليه بعدها اسم « الفن المعماري الارمني » وقد كان لهذا الفن أثره في الريازة القوطية والبيزانطية والرومانية الغربية بسبب هجرة الارمن واستيطانهم هذه البلاد .

ازدهرت البلدان في عهد اشود في جميع النواحي وخاصة دوفين وواغارشاباد وارضروم وقارص وغيرها ، وغدت هذه المدن مراكز تجارية هامة ، ونمت العلاقات التجارية بين ارمينيا والهند والبلاد العربية والبلاد البيزانطية .

ويقال ان العاصمة آني كانت تحتوي على الف كنيسة وكنيسة (١) وكلها آية في الفن المعماري البديع ، وان كاتدرائية أياصوفيا البيزانطية في القسطنطينية - تلك الكنيسة التي حولها الاتراك العثمانيون الى جامع - كان بناؤها على غرار كاتدرائية آني ، وقد أصلحت ورممت بعد حين من قبل المعمار الارمني الشهير ديرطاد من سكان آني عاصمة الباقرادونيين .

مات الملك اشود عام ٩٧٧ بعز مطمئن البال لحال أمته في مدينة آني قاعدة ملكه

---

١) يقول *Charles Texie* : اذا نظر المرء الى خرائب هذه المدينة العظيمة وفكر في ما بذل في انشائها من جهود ومبالغ طائلة استطاع ان يتصور اية كارثة منيت بها الامة والمسيحية بخرابها .

آني (١) : مدينة توجد أطلالها على الضفة اليمنى من نهر اربانشاي ( ويسميه الارمن اخوريان ) على بعد عشرين ميلا من ملتقى هذا النهر بنهر الرس وأصل اسم هذه المدينة غير معروف ، وان كان بعض الباحثين يرده الى اسم معبد للآلهة اناهيد من آلهة الفرس في وثنيتهم ( Anaitis عند اليونان ) على انه من المحقق ان هذه الجهة كانت عامرة قبل العهد المسيحي ، فقد اكتشفت مقابر وثنية حول المدينة وقريباً جداً منها .



مدينة آني ( منقولة من تاريخ باصاجيان )

وقد ذكرت آني بوصفها قلعة منذ القرن الخامس الميلادي ، وانما اختيرت قلعة لموقعها الحصين في حاق جبل زمجوتساور الذي يجري فيه نهر آني من تلال الاجه متجهاً الى منحدر نهر اربانشاي . وفي القرون التالية كان لأسرة كامسارا كان المالكة حصن في آني ، اكتشفت أسسه المبنية من قطع كبيرة من الحجر موضوعة على الصخر ، وجدت اثناء الحفريات التي أجريت في القلعة المذكورة ، ويبدو ان أقدم جزء من هذا كان كنيسة ربما بنيت حوالي القرن السابع قبل بناء الحصن ثم اندمجت بعد ذلك فيه واتخذها آل كامسارا كان كنيسة خاصة .

منذ القرن الثامن الميلادي دخل اقليم آني وسائر البلاد الارمنية في حكم

١) نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية

الخلفاء ، وفى غضون هذه المدة أفلحت أسرة باقرادوني فى توسيع ممتلكاتها شيئاً فشيئا وفى ركز سلطانها على اساس متين ، وحاول أمراؤها ان يتصلوا بالخلفاء مباشرة دون وساطة حكام ارمينيا المسلمين ، وفي عام ٨٧٧ نادى أشراف ارمينيا بالامير اشوط ( *Achot* ) أميراً لأمراء ارمينيا الكرج وأيد الخليفة هذا التنصيب ولكن الحاكم « يوسف بن أبي الساج » صلب سمباد ( ويسميه مؤرخو العرب سنباط بن اشوط) سنة ٩١٤ . ويصف ابن حوقل هذا الحادث في تاريخه ( طبعة ده غويه ص ٢٥٢ ) بانه « ظلم وعصيان لله ورسوله » كما ذكرنا ويقال ان مملكة الباقرادونى كانت تشمل فى عهد سنباط كل الاقليم الممتد من الجنوب الى حدود بلاد الجزيرة (الاصطخري طبعة ده غويه ص ١٨٨ و ١٩٤ ) . وقد أفلح اشوط الحديد ابن الملك القتيل في استرداد جزء من مملكته واستعان في ذلك بالبيزانطيين ، ولما كان حاكما لأرمينيا فقد اتخذ اللقب الفارسي شاهنشاه أي ملك الملوك وهو لقب منحه سبوك خليفة يوسف اسلافه ومنافسه اشوط بن شبوه .

ومنذ منتصف القرن التاسع اشترى الباقرادونى فى عهد ( اشوط مساكر ) اقليم آني من آل كماراكان ، ولكنها لم تصبح العاصمة إلا ايام اشوط الثالث (٩٥٣_٩٧٧) والسور القائم الآن بناه سنباط الثاني ( ٩٧٧_٩٨٩ ) وقد عين موقع السور القديم الذى بني سنة ٩٦٤ بالتنقيبات التي أجريت عام ١٨٩٣ ، وتدل المقارنة بين مساحة البقعة التى يحيط بها كل من السورين على ان عدد السكان زاد زيادة كبيرة في أثناء عشرات قليلة من السنين .

ولا شك ان حياة التمدن لم تكن فيها بعد مقصورة على المساحة الضيقة التى تقع داخل الأسوار ، وقد بنى الباقرادوني بعض القناطر على نهر ارباتشاي لتحويل الطريق التجاري بين اطرابزنده وفارس الى طريق آني القصير بدل طريق دبيل الذى كان يسلك من قبل . وبلغت دولتهم أوج قوتها فى عهد كاكيك ( *Gagik* ) الاول (٩٩٠ _١٠٢٠ ) وينبغي ان تبلغ المدينة ذروة تقدمها في هذا العصر ايضا ، واصبحت آني منذ عام ٩٩٣ مقر جثالقة ارمينيا . وتدل النقوش العديدة على ان كاكيك كان يلقب

باللقب الفارسي شاهنشاه كما توجد ترجمة هذا اللقب بالارمنية « اركايتس اركا »، وكان يسمى « ملك الارمن والكرج » . وقد أظهرت الحفريات التي أجريت في ١٩٠٥-١٩٠٦ بقايا كنيسة شيدها كاكيك عام ١٠٠١ ، ووجد بين الأنقاض تمثال للملك يمثله لابسا عمامة اسلامية ، وتوجد العمامة ايضا في صورة بارزة ( bas-relief ) لسلفه سنباط الثاني وهي محفوظة في دير هغباط .

وقد أفلح اشوط الحديد ابن الملك المقتول في استرداد جزء من مملكته واستعان في ذلك بالبيزنطيين ، ولما كان حاكما لارمينيا فقد لقب باللقب الفارسي « شاهنشاه » اي ملك الملوك وهو لقب منحه سبوك خليفة يوسف لسلفه ومنافسه اشوط بن شبوه .

وأسرعت المملكة في طريق التأخر في عهد الملوك الذين خلفوا كاكيك وصارت منذ سنة ١٠٤٤ جزءاً من الامبراطورية البيزنطية ومع ذلك شجع الحكام البيزنطيين على ترقية مدينة آني ، وتدل بعض النقوش الارمنية على ان الحاكم البيزنطي ( أرون ) أنشأ قنطرة معلقة يجري عليها الماء من تلال آلاجة الى المدينة .

وانتهى حكم الروم على يد السلطان ( إلب ارسلان ) الذي فتح آني ودمرها عام ١٠٦٤ ، ويقول ابن الأثير ( طبعة تورنبرج ج ١٠ ص ٢٧ ) ان مدينة آني كان بها في ذلك الحين خمسمائة بيعة، وفي عام ١٠٧٢ أي بعد وفاة الامبراطور (رومانوس ديوجينيس) بعام ، باع السلطان مدينة آني لبني شداد المسلمين الذي يحتمل انهم من أصل كردي وقيل انهم كانوا حكاما لكنجة منذ القرن العاشر . ولبثت المدينة حتى القرن الثاني عشر مقراً لفرع من تلك الأسرة عدا فترات قصيرة وكان بها في ذلك العصر مسجدان بقي أحدهما الى الآن واستعمل منذ سنة ١٩٠٧ متحفا للآثار التي تكشفها الحفائر . اما الثاني فقد تهدم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وهناك أبنية مسيحية شيدت في ذلك العصر نفسه . وكان بنو شداد يعاملون رعاياهم المسيحيين بالحسنى ، واذ كانوا أصهاراً للبكرادونية، فقد اعتبرهم النصارى ملوكا شرعيين من اهل البلاد وأصلحت أسوار المدينة في عهدهم وأقيم عليها بعض الأبراج .

وفتح الكرج آني لأول مرة سنة ١١٢٤ في عهد داود الثاني وهـو الذي وطد

سلطان ملوك الكرج وصارت المدينة بعد اخراج بني شداد منها نهائيا جزءاً من مملكة الكرج ، ولكنها بقيت في حوزة الزخارية يدفعون عنها الجزية ، وامتدت اسوار المدينة في ايامهم حتى بلغت شواطيء اربانشاى المنحدرة ، وتدل الأبنية الدينية لذلك العصر على ان حكام الكرج كأسلافهم اليونان كانوا يميلون الى المذهب الأرثوذكسي اليوناني وكان ذلك سببا في انتشاره اذ ذاك ، وهذا أمر أغفلته الأخبار المروية عن الارمن . ولم يضطهد المسيحيون ايام بني شداد ويشهد احد المسلمين المعاصرين لهم ( ابن حوقل طبعة ده غويه ص ٢٤٢ وما بعدها ) ان ملوك الكرج كانوا يحمون الاسلام من كل أذى ولم يفرقوا في حكمهم بين المسلمين والكرج .

وحاصر خوارزم شاه جلال الدين مدينة آني عام ١٢٢٦ فاخفق في ذلك ، ثم فتحها المغل الاكبر على انها كانت تعد بعد ذلك ( الاقليم الخاص *Khass Indju* ) الذين حكموا فارس ولكنها لم تستعد ما كان لها من شأن .

وتقول الاخبار المأثورة عن القدماء ان زلزالا دمرها آخر الامر في عام ١٣١٩ ولكن وجدت نقوش ونقود لعصر بعد هذا التاريخ . وتوجد نقود نحاسية ضربها في آني إيلخان سليمان ( ١٣٣٩ - ١٣٤٤ ) وهي تسمى عند الترك ( نقود القرد *Maimun Sikkeci* ) وعليها صورة فوقها شمر . وضرب ( الجلاير *Dgalair* ) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر والقره قوينلو في القرن الخامس عشر نقوداً عليها اسم آني وربما كانت دار السكة التي ضربوا فيها النقود في قلعة مهزرت على بعد ميلين من آني . ومن المستحيل ان نستطيع تحديد الوقت الذي هجر فيه أهل آني مدينتهم ، وتدل الحفائر على انه بعد تهدم القصور والكنائس بنى السكان البؤساء الهمج مساكنهم على أنقاضها . وكان من اليسير ان يتبين الانسان في وضوح هذه البيوت وغرفها المختلفة والشوارع التي فتحت في عصر متأخر وكان لا يزيد اتساعها على ( ١٢ او ١٤ ) قدما ، وكان هذا واضحاً حتى قبل عمل الحفائر في الوقت الذي زار فيه المدينة ( كربورتر *Ker Porter* ) نوفمبر ١٨١٧ .

واسم آني يطلق الآن على قرية تركية قرب اطلال المدينة البائدة ، والقرى المجاورة

لمدينة آني لا يوجد فيها مسجد تقام فيه صلاة الجمعة ، ولذلك كان الناس حتى عهد قريب يذهبون الى مسجد تلك المدينة الذي لم يصبه ما أصابها من دمار وتقدم فيه الصلاة مرة كل عام حتى في هذه الايام ورغم ان المسجد فقد حرمته الدينية بعد ان وضعت فيه الآثار التي تستخرج من الحفائر بما فيها تمثال الملك كاكيك وكثير من الاحجار المنقوش عليها الصلبان .

## الملك سمباد الثاني
## ٩٧٧ - ٩٨٩

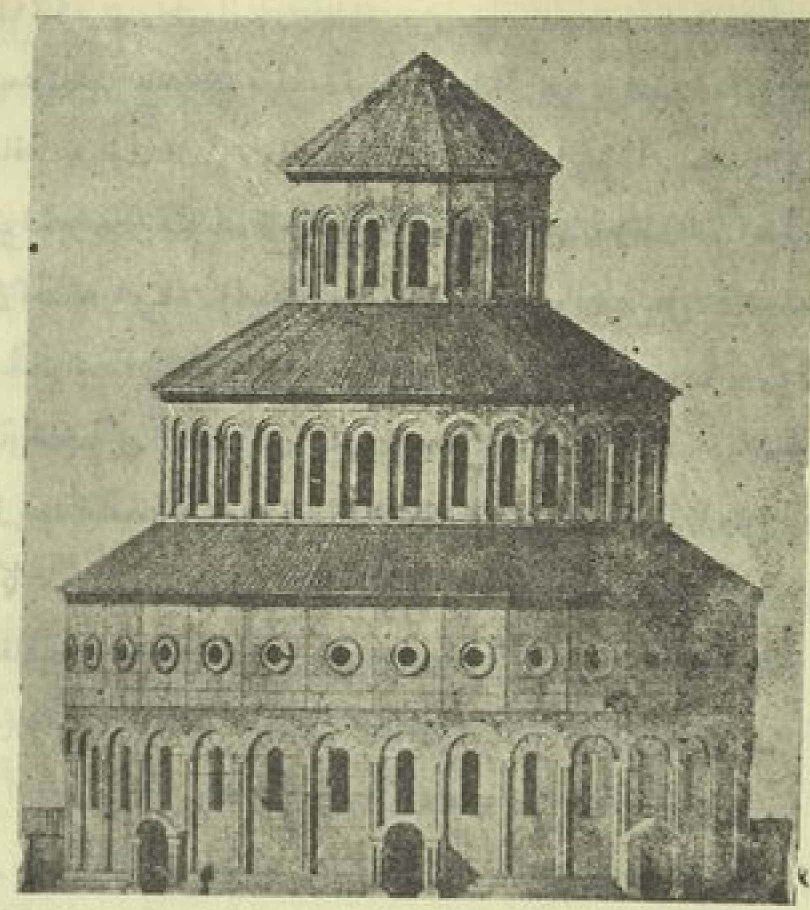
كان هذا الملك مثقفاً ، وسار على سياسة أبيه فعمر البلاد وحصن حدودها لمنع غزو الطامعين فيها . كانت الخلافة العباسية في دور النزاع ، وقد انقطعت حملات عمال العرب فكانت المملكة ترتع بالرفاهة واليسر ، ولم يكن على الملك الجديد الا العمل على اعمار البلاد وتقويتها ماديا ومعنويا . وعرف هذا الملك كيف يستفيد من الوضع فكان أول ما قام به هو تحصين اسوار آني بالقلاع المضاعفة حسب فن التعبئة في زمانه (١) وشيد البنايات الفخمة العديدة وزينها بانواع الزخارف الرائعة وجعل فيها مئات الغرف والصالات الواسعة الجميلة المزينة بالصور البارزة (*bas - reliefs*) ولما رأى السائح الانكليزي كير بيرتر (*Ker Porter*) خرائب مدينة آني قال : « كانت الابنية الضخمة تشبه المدن لسعتها ، وحتى في حالة خرابها فان الجمال باد للعيان فيها .

وبينما كان الملك سمباد الثاني منشغلا بتعمير كنيسته الكاتدرائية أراد عمه موشيغ ملك قارص ان يغتصب عرش البلاد ، ولكن سمباد وقائده العام واساك باهلاووني قابلا المتجاسر وطرداه ، ثم رجع سمباد لاستئناف تعمير الكنيسة .

وتوفي عام ٩٨٩ قرير العين ناعم البال .

---

١) دائرة المعارف الاسلامية



صورة الكاتدرائية (آني)

## الملك كاكيك الاول

### ٩٨٩ _ ١٠٢٠

مات الملك سمباد الثاني دون ان يعقب نسلا ، ولذلك جلس على العرش اخوه كاكيك الاول الذي بلغ في الاسرة الباقرادونية أوج العظمة عسكريا وسياسيا . ففي اول سنة ملوكيته استرد مع قائده وهرام باهلاووني بعض القلاع التي كان العدو قد استولى عليها ، واتفق مع داود كوراباغاد الكرجي فأجليا الجيش العربي وهزماه حتى مدينة ارجيش . وبشجاعته وحكمته كانت سطوته تزداد يوما فيوما ، وأحبه الامراء وكبار القوم ووضعوا بين يديه خدماتهم ، وأرسل اليه الخليفة كتابا ملقبا اياه « شاهنشاه

الارمن (١) » .

وبعد تأمينه حدود أرمينيا ضد الهجمات الخارجية ، انصرف الى الاعمار ونشر العلم والثقافة ، وبلغت التجارة والزراعة على عهده شأواً بعيداً . خفض الضرائب وبنى المؤسسات الخيرية واهتم باصلاح الطرق والمعابر ووثق العلاقات السياسية والتجارية مع البلدان المختلفة ، وكانت الملكة كادراميقية ساعده الأيمن في اعماله هذه ، فارتفع مستوى الحياة العامة وصارت كل مدينة مركزاً تجاريا هاماً تقريباً ، واكمل الملكان الكاتدرائية الفخمة في آني ، وكان سلفها قد باشر بينائها كما رأينا .

وازينت العاصمة في عهدهما بالبدائع الفنية وتجلى فيها الانتظام والجمال باجلى معانيها ، كما عمرت الأديرة والكنائس والأبنية الفخمة والمسارح والبساتين والمؤسسات العلمية والثقافية ، وبلغ عدد سكانها مليون نسمة .

## الملك اوهانس سمباد

## ١٠٢٠ ـ ١٠٤٠

كان هذا الملك كابوسا ثقيلا على صدر أمته ، وكان عهده سلسلة من المصائب والويلات ، وقد سجل عليه التاريخ لطخة عار لم يرو مثلها . فهو في اول حكمه ضعيف الارادة واهي العزم ، وهو بعد ذلك خائن لوطنه خيانة عظمى بتلقين البطريرك بدروس وستبقى خيانته هذه لعنة عليه فقد أثرت على مقدرات باقرادونيان بصورة خاصة وعلى مقدرات ارمينيا بصورة عامة ، وأنزلت فاجعة كبرى بالوطن .

جلس اوهانس على عرش ارمينيا بحكم حقه الشرعي ، فهو الابن البكر لكاكيك ولكنه لم يكن كفوءاً لمنصبه لضعف ارادته وجبنه وجهله بفنون الحرب والادارة . ويؤيد هذه الصفات فيه جميع مؤرخي الارمن الذين يقولون باجماعهم انه لم يكن يملك حكمة في تصريف الامور .

اما شقيقه آشود النجل الثاني لكاكيك ، فكان على عكس اخيه عالماً ذكياً شجاعاً ذا شخصية لامعة وقوة بدنية فائقة ممتازاً بعقله وصحته ، وبينما كان اوهانس لا يفكر

---

١) دائرة المعارف الاسلامية

بين الشقيقين ، فآشود يريده – وهو على حق – لمؤهلاته ومقدرته ، واوهانس يتمسك به بحكم حق وراثته ولو كان غير كفء له ، وقد أيد آشود الكثير من الأمراء والملوك الصغار من الارمن .

قبع اوهانس الرعديد في العاصمة المحصنة وهو قانط ، وكان سفير الكرج وقتئذ فيها ، فأوغر صدر اوهانس وأغراه بالقبض على أخيه المتمرد ، ولكن اوهانس كان يعرف أخاه حق المعرفة فقال للسفير « لا تحتقر الشبل قبل ان تراه ! » ، ورغماً عن هذا التحذير فقد تقدم السفير من آشود قائلا « اني أريد الشخص المدعو آشود بن كاكيك الاول ان يظهر أمامي ! » ، فما كان من آشود إلا ان هب فهجم على هذا المتجبر المغرور فانتزع الرمح من يد السفير وعاجله بضربة واحدة شقت رأسه الى صدره .

وصل جيش آشود الى ابواب العاصمة ، ولكن الأمراء والملوك توسطوا فكفوا الأخوين القتال وأوقفوا الحرب الاهلية على ان تبقى العاصمة وضواحيها بيد اوهانس ، وتعلن ولاية آشود على المملكة ، غير ان آشود لم يرتح لهذا الحل فتشبث مراراً عديدة بقتل أخيه .

سيل السلجوقيين : في السنة الثانية لعهد اوهانس سمباد ، خرجت من اواسط آسيا موجة من القبائل السلجوقية تزحف كالسيل العرم تخرب البلدان والممالك وتذر وراءها دماراً يجثم على أنقاضه الموت ، وكانت هذه القبائل تحت قيادة « سلجوق » الذي بدل بغزواته الخاطفة وجه الشرق واستولى على فارس وآسيا الوسطى .

قاوم سنكريم ملك واسبوراكان الارزروني وابنه داود هذه العاصفة الهوجاء وتغلبا عليها زمناً ، غير انها عصفت بها بقوة شديدة ، فانسحبا بحسب تدبير القائد العام شابوه ، وبعدئذ دخلا لائذين ببلاد ارمينيا .

وتراجع السلجوقيون امام واساك باهلاووني القائد العام لاوهانس سمباد ، وهنا ظهر زيجبون الملقب « الذئب السبعي » من صفوف السلاجقة فضربه واساك على أم رأسه وجندله على الأرض صريعاً . فلما رأت الشرذمة السلجوقية ذلك ولت الأدبار لائذة باذيال الفرار ، وصعد واساك الى الجبل ونام وهو يعتقد انه آمن على نفسه ،

وأثناءسباته مر به قوم من التتر يقطعون الجبل فرأوه يغط في نومه ، فأسرعوا الى حجر كبير رموه على رأسه فأخمدوا أنفاسه (١٠٢١) .

ان خوف ملك واسبوراكان من التتر وفقدان ثقته باوهانس سمباد ملك ارمينيا جملاه يبيع بلاده الى قيصر الروم ويأخذ بدلا عنها ولاية سيواس (١) ، ولكن عمله هذا يعد خيانة عظمى للوطن لا تضارعها الا خيانة اوهانس سمباد والبطريرك بدروس ذينك الشخصين اللذين باعا البلاد لتأمين منافعهما وحفظ نفسيهما . وبعد اكمال معاملة المبادلة غادر سنكريم واسبوراكان مع أولاده وامرأته وكثير من أتباعه (١٠٢٢).

خيانة اوهانس لوطنه ، بيعه العاصمة من الروم : عام ١٠٢١ عصى الكرج على قيصر الروم ، فتحرك القيصر واسيل الثاني نحو الشرق وهزم جيوشهم واضطرهم على عقد الصلح ، وكان عصيانهم بهم اوهانس قدأمدهم بالأمل، فما ان انكسروا حتى قرر مدفوعا بعامل جبانته وخوفه من القيصر ان يبيع العاصمة وضواحيها - وكانت هذه وحدها تحت حكمه - من القيصر ليأمن غضبه ويؤمن راحته ومنافعه وكان المحرك لهذا الملك الأرعن هو البطريرك بدروس ، وقد حرر ورتب بنفسه قرار البيع وفاوض القيصر هكذا سلم اوهانس سمباد ملكه والعاصمة آني الى البيزانطيين ، وبعد موته تعهد قيصر مقابل هذه التضحية بحماية المملكة والدفاع عنها ... وظل البطريرك بعد المعاهدة الشائنة مدة سنتين في سيواس عند سنكريم الملك الأرمني الذي باع واسبوراكان (٢) من القيصر ايضاً ! وبعد مضي هذه المدة وبمساعدة اوهانس استطاع ان يعود الى العاصمة ، ولكن الفتنة نشبت بعد عدة أشهر بين الملك والبطريرك وأمر الملك بتوقيف البطريرك في ديرصناحين ولكن بعد مدة وجيزة خوفا من حرمه من الكنيسة أخلى سبيله فاضطر البطريرك على الهرب الى واسبوركان التي صارت ملكا لبيزانطية ومن هناك فر الى سيواس .

كان البطريرك عالماً بجريرته ، لذلك فانه كان يغيب عن المملكة دوما خوفا من

---

١) كيترنيوس المؤرخ الرومي

٢) واسبوراكان هي ولاية وان الحالية

الامراء وكبار القوم ، وكان الملك اوهانس يبتعد عن البطريرك خوفاً من الشعب ، ولكنه كان امام الأمر الواقع اذ ان شروط بيع آني عاصمة ارمينيا كانت موقعة بختم الملك وكانت لدى القيصر ايضا .

ويرى يغيشه نوريان ان اعطاء الملك العاصمة الى قيصر الروم انما كان بسبب بغضه أخاه اشود ، وانه أراد بذلك حرمانه من وراثة ملكه .

بعد موت واسيل الثاني خلفه قسطنطين التاسع ، واذ كان هذا على فراش الموت أمر ان يحضر أمامه كاهن ارمنى يدعى كيراكوس كان وكيلا للبطريرك في القسطنطينية ، واذ حضر سلمه القيصر معاملة شراء آني قائلا له : « انا الآن اعاني السكرات ، ولا أريد ان أمضي الى ربي وأنا غاصب مال الغير ، فرد هذا الصك الى ملك الأرمن ليحكم البلاد أولاده وأحفاده » . ولكن القسيس خان وطنه إذ أخفى السند وحفظه لديه ثم باعه من القيصر ميخائيل ، وظلت هذه الورقة المشؤومة تنتقل من يد الى يد حتى وصلت الى القيصر مونوماخوس عام ١٠٤٤

مات الملك اوهانس ومات ولي العهد شقيقه ، وبقى وارث العرش نجل اشود وهو شاب لم يتجاوز الستة عشر ربيعاً (١٠٤٣) .

## دور انحطاط الاسرة الباقرادونية

الحالة الداخلية بعد موت اوهانس سمباد : في اواخر حياة هذا الملك كانت الاحوال الداخلية في البلاد مختلة جداً ، وكان الامراء وكبار القوم منقسمين الى حزبين ، واتسع الخرق والخلاف بعد موت الملك ، فتشكلت في العاصمة هيئة ثلاثية لحكم البلاد قوامها البطريرك بدروس ، وويست سركيس ، وكريكور باهلاووني ، ولم تكن آراء الثلاثة متفقة نظراً الى اختلاف منازعهم ، وكان المعارض لهم شخصية كبيرة ذات نفوذ في الامة والجيش وهو وهرام باهلاووني القائد العام للجيش .

وكان البطريرك وويست سركيس يهدفان الى تسليم الملك للاروام ، وكان ويست يضمر في نفسه ان يكون حاكم ارمينيا تحت سيطرة بيزانطية ، ولكن كريكور باهلاووني

وسائر الأمراء كانوا يخالفون هذا الرأي ويرون ان يتقلد الحكم الملك الشرعي .

اخفق مجلس الوصاية الثلاثي واشتدت الخلافات بين اعضائه ، واثناء ذلك طالب الاروام بالعاصمة بحسب بيع الملك المتوفي ... وفشل الجيش الذى ارسله القيصر لفتح العاصمة لشدة مقاومة المعارضين ، فأردفه بجيش ثان قوامه ١٠٠٫٠٠٠ جندي ، فاحتل بعض البلدان وخرب ودمر، وحاصر قلعة آني ، فاشتد الحزب الارمني الوطني حماساً وتجمهر امام قصر القائد العام مطالبا بالدفاع والقتال ، فأصاخ القائد الى مطلبهم ونظم بالدرعة الممكنة جيشاً استقبل به العدو واضطره بشجاعته النادرة على الارتداد والهزيمة تاركا وراءه ٢٠٫٠٠٠ قتيل ، وحينما رأى ويست سركيس الخائن خيبة آماله بعجز الروم عن احتلال آني اختبأ مع اتباعه فى القلعة الداخلية خوفا من غضب الوطنيين .

## الملك كاكيك الثاني
## ١٠٤٣ - ١٠٤٥

خذل حزب الروم ، فاستدعى الوطنيون الأحرار ولي العهد كاكيك ليقبوأ العرش ، واضطر البطريرك الى الموافقة ، وعلى ذلك جاؤوا بكاكيك وتوجوه ملكا فى كاتدرائية العاصمة ، وبعد انتهاء المراسيم اقسم البطريرك والامراء الحاضرون يمين الولاء للعرش .

شخصية كاكيك : كان كاكيك حكيما حازما ، مجداً في اعماله ، عالماً ذكياً مثقفاً بالعلوم وبالفلسفة اليونانية ، متصفاً بالخصال الحميدة والفضائل، شديداً في الحماس الوطني وكان عالي الهمة ، سامى النفس ، ولكنه رغماً عن كل هذه الشيم المحمودة لم يجد له مجالا لنفع امته وبلاده ، وعلى العكس كان شؤماً على الامة الارمنية وأتعس ملك ارتقى عرشها .

كاكيك الثاني وويست سركيس : كان الحزب الموالي للاروام قد انسحب وتحصن فى القلعة الداخلية للعاصمة آني، وبعد ان توج الملك بعدة قصيرة ذهب هو بنفسه منفرداً الى القلعة دون ان يصطحب حاشية او مرافقين وأمر ان يخرج سركيس من القلعة ،

ولكن الخائن كان قد رحل الى سورمالي المدينة المحصنة لمفاوضة سرية مع قيصر الروم وأخذ معه الخزينة الملكية، فلما علم الملك بنواياه قصده مع مفرزة من الجنود فقبض عليه وقيده ثم جاء به الى العاصمة وسجنه في قلعتها .

سنتان من حكم كاكيك الثاني : جلس كاكيك على العرش سنتين كانتا من أسعد السنين وأرغدها على الشعب الارمني ، وكانت الاعمال التي قام بها انه هدأ الخواطر وأدب العصاة ونظم الشؤون الداخلية ، وكانت هذه غاية مناه ومنى كريكورباهلاووني . وبعد ان استقرت الاحوال الداخلية حمل على التتر الذين كانوا قد اقتربوا من حدود البلاد واصطدم بهم على مقربة من نهر هرازطان فضيق عليهم الخناق وبدد جموعهم واضطرهم على التقهقر والهرب ، وهكذا أمن الحدود فيئس الاروام ونعم بال الأمة. على ان الملك الشاب أخطأ في عفوه عن سركيس الخائن واعادته الى منصبه القديم محافظا ( أمينا ) للعاصمة حيث انتهز هذا الفرصة وتعلق الملك فنفذ به مآربه السافلة في قتل الابرياء الأمر الذي أغضب الأمراء الوطنيين .

حملة الاروام الثانية: باغراء سركيس المارق للقيصر موناماخوص *Menamakhesse* أرسل قيصر وفداً خاصاً يطالب بالعاصمة بحسب المقاولة المعقودة مع الملك اوهانس سمباد فاستقبل كاكيك أفراده بترحاب وحسن ضيافة وبين لهم عدم امكان تسليم الوطن الى غير اصحابه ، وبسبب هذا الرفض أرسل القيصر قائده ميخائيل آسد لمحاربة الارمن ولكنهم غلبوه ، فأنفذ قائداً غيره اسمه نيقولا وجهزه بقوة عظيمة . وحرك أبا سوار العامل العربي لمدينة دوفين على الارمن ، ولكن جيوش ارمينيا غلبت في الجهتين وانهزمت الروم شر هزيمة عام ١٠٤٥ (١) .

كاكيك الثاني في القسطنطينية : بعد ان خاب قيصر بالسيف عمد الى المكر والخديعة ، فدعا كاكيك الى القسطنطينية مظهراً له الولاء مدعياً انه يريد توثيق أواصر الود والصداقة بين البلدين ، وكرر دعوته ثانية وثالثة وكاكيك لا يعيرها التفاتا حتى أقسم قيصر بحضور حفل من الناس يميناً انه لا يريد بكاكيك سوءاً وبالوفاء له وقد

١) كيترنيوس

أقنع البطريرك وسركيس الخائن ، أقنعا الملك الشاب بعد جهد جهيد بالذهاب الى القسطنطينية ، فسار اليها على الرغم من التماس القائد العام للجيش بالامتناع ومن مخالفة الحزب الوطنى ، وهكذا فاز الثعلبان الماكران ـ البطريرك وسركيس ـ بمأربهما الاثيم .

سافر الملك ليفوز لقومه بالسلام والوئام، ولكنه لم يعد اليهم عوض ! فقد استقبله القيصر الخبيث عند وصوله خير استقبال مظهراً له الولاء وحسن النية بادىء الامر ، ولكن لم يمض يومان حتى سفر عن حقيقته وطلب اليه تسليم العاصمة ، فرفض الملك الارمنى هذا الطلب رفضاً باتا ، فشدد عليه قيصر وضايقه ولكنه أبى إلا الاصرار على الرفض مدفوعا بوطنيته الخالصة ، وعندها أمر القيصر باعتقاله ونفاه الى احدى جزر بحر مرمرة .

لما ذاع خبر نفى الملك وسجنه قلق الامراء وكبار الأمة ، فعقدوا بالطرق السلمية جلسات تشاورية فى شأن هذه الأزمة السياسية الكبيرة . اما البطريرك وسركيس فقد ارسلا الى القيصر مفاتيح المدينة الاربعين ، فلما ان تسلمها أراها الى الملك فعلم بالخيانة المدبرة وقال يخاطب القيصر : « لقد حكمني الرب ، وحكمكم ايضاً ، وكل يعمل على شاكلته » .

دام الاحتجاج والشكوى والرفض ثلاثين يوما والتهديدات تتوالى تترى، حتى اضطر الامراء الى التسليم بالأمر الواقع، فالملك سجين خارج الوطن بعيد عن المساعدة وداخل الوطن بعض الأبناء الخونة وخصص القيصر مدينة بيزو باقامة كاكيك الملك ( ١٠٤٤ ) .

انتصر الاروام بغير ما سفك دماء، فصارت ارمينيا ولاية من ولايات امبراطوريتهم ونظراً الى تعصبهم المذهبي ، فقد زادوا بالامة عسفاً وأثقلوا كاهل الشعب بالضرائب الباهظة ، حتى ضاق ذرعا بهذه الأعباء الثقيلة ، وهاجر من استطاع نازحا الى بولونيا او رومانيا او كيليكيا او غيرها من بلاد المعمورة ... وفي هذه الأثناء بدأ الغزو السلجوقي الثاني ، فترك الروم البلاد وانسحبوا الى وراء حدودها ، فأضحت البلاد خراباً يباباً .

الغزوة السلجوقية الثانية : حين لجأ الملك الى كابادوسيه(١) ، وأخلى الاروام البلاد لسكانها ، ابتدأ الغزو السلجوقي الثاني لأرمينيا . وكان ابراهيم اخو الملك طغرل بك خلال سبع سنوات خلت ( ١٠٤٨ ـ ١٠٤٤ ) ينهب ويخرب المدن التجارية العظيمة ويحرق المباني الفخمة والآثار الرائعة ، وبعد عام حضر طغرل بك بنفسه الى ارمينيا وانتشرت شراذمه فيها . وفي ولاية فانات(٢) قاوم ملك قارص العدو مقاومة شديدة دفاعا عن وطنه ، ولكنه لم يستطع ثباتا امام القوة الهائلة ، واستشهد من أولاد الأمراء ثلاثون شابا وعدد كبير من أبناء الشعب، ولقد جرح طاطول الفاناتي ابن أمير آصوران فلما وقع طاطول المذكور أسيراً بيد السلجوقيين أرسلوه الى سلطانهم طغرل بك، فنظر طغرل اليه فاعجبه وقال : « اذا عوفي الفتى فسأهب هذا الرجل الحياة » ، أما طاطول البطل الجسور فأجابه : « اذا كان الجرح من ضربتي فانه لن يبرأ » . ومات الفتى فبتر طغرل الذراع الايمن لطاطول وأرسلها الى آصوران قائلا : « لم يمت ابنك بيد دني» .

وعثا(٣) طغرل بك في البلاد ، فنشر الدمار والموت فى كل مكان ، ولكنه أعطى من جيشه خسائر كبيرة لان معظم المقاطعات قاومته مقاومة عنيفة نظراً لبربريته ، ولم تنج من تخريباته إلا آني عاصمة الباقرادونيين .

توفى طغرل ( ١٠٤٣ ) وخلفه آلب أرسلان فأمر بتخريب سور المدينة آني بالمجانيق ، فدافع عنها باكاراد وكريكور يشد أزرهما السكان . ولما رأى آلب أرسلان امتناع دخولها ، انسحب عنها ، فظن أهل العاصمة أن عمله هذا هو خدعة عسكرية ، فاضطربوا وتشوشوا ودخل بعضهم القلعة الداخلية وفر البعض الآخر من الابواب الخلفية للاسوار ، فلما رأى العدو المنسحب هذا الاختلال فى الصفوف ، دخل المدينة وبشر السلطان بفتحها وهكذا احتل البرابرة الطغام عاصمة أرمينيا عام ١٠٦٤ فدكوها الى القاع وتركوها أطلالا ينعب عليها البوم .

أدرك البيزنطيون اخيراً ـ وبعد فوات الأوان ـ غلطهم الفظيع ، وعصف هذا

---

١) كابادوسيه هي ولاية قيصرية وانقرة وتوابعها
٢) فانات هي ولاية قارص وتوابعها
٣) عثا ، يعثو : بالغ فى الفساد او الكفر او الـكبر

الخطأ بدولتهم فرقها شذر مذر ، اذ انهم بتخليهم عن أرمينيا حفروا القبر لامبراطوريتهم الشرقية فبسقوط الدولة الارمنية اصبح طريق القسطنطينية مفتوحا امام الاتراك .

أواخر حياة كاكيك الثاني : كان الملك في منفاه بكبادوسيه واقفاً على حالة بلاده المنكودة . وذهبت جهوده في انقاذها أو تخفيف آلامها ادراج الرياح ، فقد كان يجول في انحاء بلاد الروم وبح صوته وهو يعتلي المنابر يخطب منذراً بسوء المنقلب الذي ستصير اليه الروم ما لم تمد الى ارمينيا يد الغوث ، ولكن امراء بيزانطية أصموا مسامعهم عن نداءاته الحقة ! هدمت قلاع الدفاع في ارمينيا واجتيحت المدن واخربت وقتلت البقية الباقية من امراء الباقرادونيين مقاتل شنيعة شتى ، فذهبت نفس الملك حسرات وانقلب ثائراً منتقما لا يشفي غليله غير الدماء ، فشكل عصابة من شباب الارمن كان يطوف بهم مدن الروم فيؤذيهم ويقتل امراءهم وقوادهم ، وقبض يوماً على مطران الروم ومعه كلبه فوضع المطران الحقير والكلب في كيس وانشأ يضربه ضربا مؤلماً حتى أماته والكلب جزاء لخيانته .

وطارده الروم واخوان مانداليان ، ثم قبضوا عليه بخديعة،فشنقوه في قلعة كزيسترا وذلك عام ١٠٧٩ ، فتسلم احد الارمن وهو المدعو بنيك جثته ونقلها الى بيزو حيث دفنها في الدير الذى كان قد عمره الملك المنكود .

## اعمال ملوك باقرادونيان وآثارهم

أبدى ملوك باقرادونيان وامراؤهم ارادة وجلداً تجاه الظروف الصعبة التي واجهوها من الامبراطوريتين العربية والبيزانطية ، فلموا شعث الامة واستردوا استقلالهم القومي وأنشأوا للامة كيانا وأعادوا لها شرفا ومجداً كان مضاعا ، وفضلا عن ذلك فقد تركوا تراثا من المدنية والثقافة والفن إن يكن القوم البرابرة هدموه فان آثارها الماثلة حتى اليوم امام العيون لهي خير شاهد على ما بلغته الامة من حضارة .

المدن والمهن الصناعية : لم تتكون المدن الاوربية الكبرى الا في القرن السادس عشر وما يليه بينما نجد المدن الارمنية التجارية الكبرى قائمة منذ القرن التاسع ونرى الصناعة

فيها راقية .

كانت العاصمة آني متقدمة غنية مزدحمة بالسكان حتى ليقال انهم بلغوا مليونا ولئن كان العدد مغالى فيه فانه لمن الثابت انها كانت كبرى مدن زمانها ، يدلنا على هذا كثرة كنائسها ، فقد عدت الفا وواحدة وقصورها الشامخة ومعاهدها ومدارسها وأسواقها وغير ذلك ، وتأتي المدن الآتية بعد آني في مركزها التجاري وصناعتها، وهي ارضروم وارزن وباكاران ونخجوان . وقد تمركزت المهن والصناعات في هذه المدن كالمنسوجات الحريرية ومعاملها والصياغة الدقيقة والحفر على الآنية والاسلحة ومعاملها وفن العمار والاواني النحاسية الظريفة الى غير ذلك من الصناعات الراقية كنسيج السجاد وكان سجاد الارمن يهدى من خليفة الى خليفة .

التجارة : كانت تجارة المملكة على عهد باقرادونيان قد خطت أوسع الخطوات وأرقاها وقد فتحت الامبراطورية العربية اسواقها للتجارة الارمنية فاستفاد الشعب الارمني من جراء ذلك فائدة كبرى ، اما المدن التي اشتهرت بالتجارة فهي آني ودوفين وقارص وارضروم وارزون ووان ونخجوان ، ولقد امتازت بينها ارزون بان كانت مخزنا للذهب والفضة فاشتهرت بغناها وثروتها ، اما سيواس وبايبرد فكانت مكتظة بالسكان ، ومن جميع هذه المدن التي ذكرت كانت تحمل التجارة الأرمنية الى الهند وايران والمدن العربية كبغداد ودمشق والقاهرة .

العمران : يعد الفن المعماري في عهد الملوك الباقرادونيين خير تراث خلفته ارمينيا وهذه آني بخرائبها لا تزال شاهداً على ما بلغته الريازة الأرمنية من شأو بعيد ، فالفن المعماري الارمني يعد من أعظم مظاهر عبقرية هذا الشعب العجيب ، ولقد سجل علماء الآثار في تنقيباتهم اعجابهم الشديد بالآثار الأرمنية في دقتها واتقانها ، فهذا العالم الافرنسي الأثري تكسييه *Texie* يصرح بعد دراساته العميقة بان الفن المعماري القومي هو وليد الفن الأرمني ، ويضيف بروسة *Brosset* ان الريازة الارمنية بديعة للغاية ! ، ويدعي شواغي *Shoukhi* في كتابه الأثري ان طرز بناء الكنائس في روسيا وبسارابيا ورومانيا والصرب ماخوذ او مشتق من الطراز الارمني ، والعالم

الأثري الشهير استرجيكوفسكي *Stert chekovski* بعد تتبعاته العميقة أثبت ان الريازة الأرمنية هي ام الريازتين البيزانطية والقوطية ، ويثبت شارل ديل **Charles Dill** ان فن العمار الارمني كان له أثره العظيم على الشرق المسيحي وروسيا والقسطنطينية ويخلص من هذا الى ان تراث ارمينيا المجيد لخير دليل على حيوية أمتها .



(كاكيك الأول الباقرداني)

وصلت ارمينيا في عهده اوج عظمتها

(دائرة المعارف الاسلامية)

## الفصل الثامن

# الدولة الارمنية في كليكيا

## ( ١٠٨٠ - ١٣٧٥ )

### ﴿ الباب الاول ﴾

### أسرة روبينيان

### ( دور الامارة )

### كليكيا Cilicie

السكان : بالنظر الى الموقع الجغرافي لكيليكيا وأهميتها الزراعية والتجارية، فقد كانت مطمع الغزاة كما كانت ممراً بين عالم وآخر ، وقد امتزج بسكانها الاصليين دخلاء وأجانب ، فكان شعبها قبل الحرب العالمية الاولى خليطاً من الارمن والعرب والترك والكرد والروم .

وقد تعاقب عليها انواع من الحاكمين ، فخضعت للآشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب والبيزانطيين والارمن ، واخيراً للاتراك . وفي عام ١٩٢٢ حين ترك الافرنسيون فجأة هذه البلاد منسحبين كان عدد الارمن فيها يربو على ٣٥٠,٠٠٠، وقد اضطروا الى مغادرة وطنهم الى البلاد السورية خوفاً من اضطهاد الاتراك لهم بعد خروج الافرنسيين الغادر .

الحدود : تكاد حدودها تكون طبيعية، فمن الشرق جبال آمانوس ، ومن الشمال والغرب جبال طوروس ، اما من الجنوب فالبحر الابيض المتوسط تمتد سواحله من مدينة طرسوس الى جنوب اسكندرونه . وتبلغ مساحتها ٣٩,٠٠٠ الف كيلومتر مربع بطول ٤٠٠ كيلومتر من الشرق الى الغرب وعرض ١٠٠ كيلومتر من الشمال الى الجنوب. ولقد توسعت الحدود وبالتالي المساحة حسب قوة الحكام ، فقد جاء وقت كانت فيه كليكيا الارمنية تضم أهم اجزاء ولاية حلب وقسماً من قونية وسيواس وخربوط وولاية أطنه

باجمها ومرعش . وكانت أهم مدنها طرسوس ومرسين وآياس ومامبسديافكه ومرعش وعينتاب وزيتون وهاجين واسكندرونة وانطاكية وبوراس، وبعضها اليوم قرى بسيطة ولكنها كانت على عهد الحكم الارمني مدناً عامرة وموانيء تجارية هامة .

الوضع الطبيعي : تتكون كليكيا من جزءين هما كليكيا الجبلية وكليكيا السهلية ولكن معظمها جبال شاهقة اذ تشغل جبال طوروس ثلثي سطحها متصلة في شمالها وغربها بآمانوس كما يربطها بغربي الاناضول ممر كولك بوغازي . ومن أنهارها الشهيرة جيحون وسيحون اللذان يستمدان أمواهها من جبال طوروس ويصبان في البحر الابيض المتوسط . وتحتوي اراضيها على معادن كثيرة كالذهب والفضة والحديد والرصاص والكروم والكبريت ، ولكنها مطمورة في اماكنها لا يستفيد منها اصحابها في الوقت الحاضر شيئاً ، ولارضها قوة انباتية هائلة فتنمو فيها الغلال والقطن والكروم والفستق والبرتقال وقصب السكر وغير ذلك .

## اعلان استقلال الارمن في كيليكيا

### دور الامارات

كان في كيليكيا منذ الأزمنة الغابرة سكان من الارمن ، فان ديكران الكبير كان قد ضم هذا القطر الى امبراطوريته ، فجاءها الأرمن سواحاً وموظفين وعسكريين وتجاراً ، وعاد بعضهم الى بلاده واستوطن البعض كيليكيا . وعلى عهد سقوط ارشاغونيان وبعد ذلك ايضاً هجر الكثير من أبناء أرمينيا بلادهم ونزل الكثير منهم الاراضي الكيليكية وشادوا مساكنهم في جبال طوروس ، ولكن الهجرة الكبرى اليها كانت خلال غزوات البيزانطيين والسلجوقيين وبعد انتهاء حكم باقرادونيان .

في القرن الحادي عشر كانت كليكيا تابعة للنفوذ البيزانطي ولم يكن عدد الأرمن فيها بأقل من عدد الأروام ، وظهر آنذاك بعض الأمراء الارمن فسيطروا على كافة البلدان وكانت بعضها تابعة الى الروم وبعضها مستقلة ، وأقام هؤلاء الامراء القلاع والاستحكامات لحماية أنفسهم واتخذوا القوة الكافية لها ، ومن أبرز هؤلاء المستقلين

كوغ واسيل ، وأوشين ، وآبيراد .

وكان للارمن فى كيليكيا منذ العهد البيزانطي مراكز حربية هامة كطرسوس ولامبرون والفرات الشمالي ، والى جانب ذلك فقد أسس الاكليروس الارمني الاديرة والمعاهد العلمية والدينية ، وهكذا فحين كانت دولة باقرادونيان تحتضر كانت دولة ارمنية تنشأ في سلسلة جبال طوروس وآمانوس .

روبين الاول

١٠٨٠-١٠٩٥

هو من أقارب الملك كاكيك الثاني القتيل آخر ملوك باقرادونيان ، وقد انتقل الى كيليكيا في جملة من هجر اليها ، فلما قتل كاكيك رأى واجباً ان يؤسس للارمن دولة جديدة ، وقد آزره الامراء فى هذا المطلب .

اتخذ روبين قرية كوروموزول الجبلية المحصنة الواقعة قرب مدينة هاجن قاعدة لاعماله ، وسرعان ما التف حوله قواد الارمن فشكلوا جيشاً صارع الجيش البيزانطي فأعلن الاستقلال وتشكيل الدولة الارمنية التي دعيت باسمه « دولة روبينيان » .

وكان لحركة روبين هذه أهمية عظمى اذ لم يكد ينتهي الحكم الارمني فى الاراضي الارمنية حتى تأسست دولة ارمنية فى بقعة غير ارمينيا، فانتعشت الروح القومية الوطنية وجاش في قلوب القوم حب الاستقلال فثاروا على الروم وأسسوا حكومة ارمنية في اراض بيزانطية وبذلك ثأروا لملكهم القتيل ولدولتهم المضاعة ممن تسببوا في نكبته ونكبتها .

وهكذا خاب فأل الروم، وقد أرادوا بالأرمن أمرين أولهما محو استقلال بلادهم وثانيها الفتك بهم واضاعة قوميتهم ، ولقد أدركوا النجاح فى غايتهم الاولى بدسائسهم ومكائدهم، بيد ان نجاحهم كان وبالا عليهم، اذ انهم بقصر نظرهم أضاعوا امبراطوريتهم. اما فى الغاية الثانية فقد خاب مسعاهم ، اذ تشكلت دولة أرمنية فى نفس أراضيهم بين سمعهم وبصرهم .

وفي هذه الارض الجديدة عاش الارمن حياة جديدة وأظهروا حيوية قوية ، وتنورت أفكارهم اكثر من قبل بتماسهم مع الاوربيين ، فظهرت فيهم ثقافة جديدة وأساليب معيشية حديثة ، وازدهرت التجارة الارمنيـة على سواحل البحر الابيض المتوسط ، تلك السواحل التي حرموها في بلادهم الاصليـة ، وعلا كعبهم في العلوم والآداب حتى عد عهدهم هنا عصراً ذهبياً للادب الارمني .

وتوفي روبين عام ١٠٩٥ بعد ان احتل كثيراً من القلاع والمدن ووضع حجر الاساس لدور مجيد في تاريخ الامة الارمنية .



تمثل الصورة جنديا أرمنياً فارساً يلبس فراجة من الجوخ الابيض، وعلى صدره صليب أحمر هو شارة الفروسية . وكان مرتب هذا الجندي اثنتي عشرة ليرة شهريا . ( نقلا عن تاريخ ساهاك موسيسيان )

---

## قسطنطين الاول

## ١٠٩٥ - ١١٠٠

هو نجل روبين الاول وولي عهده ، وسع نفوذه بقوة سيفه واحتل مدناً عديدة وقلاعا بيزانطية محصنة أهمها قلعة واهكا (فكه) فقد كانت محصنة وكانت مركزاً حربياً هاماً ،

وقد فاز بها بسرعة بعد ان حاصرها وغلب الروم فيها .

اضطرب البيزانطيون من هذه القوة الجديدة التي تهدد كيانهم ، وساق القيصر جيشه تحت قيادته على قسطنطين الارمني ولكنه فشل ، واذا بضربة ثانية تحل به بنزول قوة جديدة في بر الأناضول عام ١٠٩٨ ، وكانت تلك القوة جيوش الصليبيين .

كانت غاية الجيوش الصليبية استرجاع القدس المدينة المقدسة من يد حكامها المسلمين ، وقد نزلوا كيليكيا وقد أضناهم التعب والجوع ، فلقوا فيها امة صديقة مشفقة آوتهم وأطعمتهم ومونتهم ليتابعوا سيرهم في سبيل غايتهم المقدسة ، وطلبوا معاونة الارمن ، فلم يقصر قسطنطين في المساعدة ماديا وعسكريا وسير معهم جيشاً أرمنياً ، وبعد ثمانية أشهر احتلوا مدينة أنطاكية بعد حروب دامية .

وواصل الصليبيون سيرهم نحو القدس واحتلوها عام ١٠٩٩ وأسسوا امارات أنطاكية وطرابلس واورفه .

واذ كانت غاية قسطنطين أمير الارمن أن يحصن امارته ضد المماليك في مصر وضد بيزانطية ، فقد اتفق مع الصليبيين وحالفهم ، وهم بدورهم اذ أرادوا تثبيت أقدامهم في الشرق ، أسسوا علاقات ودية صميمة مع الارمن وارتبطوا مع أميرهم برابطة القربى اذ زوجوا أمير اورفة من ابنة قسطنطين وملك القدس بازدين من ابنة شقيق الامير ومنحوا الامير قسطنطين لقب بارون .

## الامير طوروس الاول

## ١١٠٠ - ١١٢٣

هو من اشهر أمراء الارمن في كليكيا ، وسع حدود الامارة الى البحر الابيض المتوسط وأخذ من الاروام مدينة آنارزابا مع قلعتها وطردهم منها ومن ضواحيها .

واذ كان طوروس منصرفا الى اعمار بلاده وتنظيمها ، غزا الفرس كليكيا من جهة طوروس وآنارزابا فدمروا وأسروا ثم دخلوا منطقة الامير لوغ واسل ، فهجم هذا عليهم وردهم على أعقابهم واسترد المنهوبات والاسرى وأعادها للامير طوروس .

نكل طوروس بالفرس ، وظهر بعد ذلك الملك شـاه سلطان (١١٠٧-١١١٦) والسلجوقيون في آسيا الصغرى ضد طوروس، فأرسل شقيقه الامير ليون ومعه الاميران ديكران وابلازا لمقابلة العدو ، فاستشهد الاميران الاخيران في الحرب ، وامتلأ ليون غيظاً ونقمة ، فجاهد جهاد الابطال حتى فاز بالعدو وطرده من البلاد ، وبعد هذا الظفر أشهر طوروس سيفه في وجه البيزانطيين فوسع حدوده الشمالية الى كابادوسيه، ثم سار للاخذ بثأر الملك كاكيك الباقرادوني المقتول بيد الاخوين مانداليان في قلعة كزيسترا، فحاصر بجيشه القلعة، ولكيلا يضيع الوقت ترك سرية منه تكمن وأمر فرسانه بالانسحاب فظن المحصورون ان العدو غادر المكان وخرجوا من قلعتهم ، ولكن السرية الكمينة ظهرت عليهم فجأة من مكمنها فبغت المحاصرون وهربوا فدخلوا القلعة وأوصدوا أبوابها، إلا ان جند طوروس تسربوا من اسوارها ، وأراد المحصورون الفرار من الابواب الخلفية ، ولكن الجيش الارمني كان قد سدها .

وبعد ان احتل طوروس القلعة اسرع اليها وأخذ الاخوين مانداليان وطالبها برداء الملك كاكيك الذي قتلاه وبسيفه ، ولكنهما أبيا وأنكرا لئلا تثبت عليهما جريمتهما وعندها أمر الامير بضربهما بالعصى ، ، وأخذ الرداء والسيف وخزينة القلعة ، فما كان من أحد الاخوين الا ان رمى بنفسه من النافذة ، فلما رأى الاخ الثاني ما جرى لاخيه تطاول على الامير وأهانه ، فأمر الامير بقتله ضربا بالعصي وقال له : « لا يستحق الاروام أن يموتوا بالسيف » وحمل طوروس الخزينـة وخرج الى قلعة واهـكا ومعه الاخ الثالث من مانداليان .

وبعد هذه الوقائع ظل الامير عشرة اعوام ينظم بلاده وجيشه ، وذاع صيته في اوروبا حتى صارت تسمى كيليكيا « بلاد طوروس » !

## الامير ليون الاول

### ١١٢٣-١١٣٧

خلف الامير ليون اخاه طوروس بعد وفاته ، لان نجل طوروس مات مسموما . ونهج ليون سياسة اخيه تجاه الاروام فكان من ألد اعدائهم وكانت حياته كلها

حربا ونضالا ضدهم وأخذ من مدنهم مامبسديا واطنه وطرسوس ووصل بحدود البلاد الى أواخر سواحل البحر الابيض المتوسط وانشأ العلاقات السياسية والتجارية مع اوروبا .

ليون الاول امير انطاكية : كانت المصالح السياسية قد عكرت صفاء العلاقات الودية بين ليون والصليبيين ، فليون كان قد خلص انطاكية من أيدي السلجوقيين وسلمها الى روجر ، ولكن روجر هذا كان قد غصب قلعة سرروند كار عام ١١٣٥ . وخلف ريموند روجر ، وخوفا من ليون دعاه بصورة ودية الى انطاكية ولكنها كانت خديعة منه اذ سجنه فيها ، واضطر ليون ان يعطيه مدينتي مامبسديا واطنه وستين الف قرش فدية وترك أحد أولاده رهينة عنده .

فلما عاد ليون الى بلده نظم جيشه وغزا به انطاكية ، فعمد أميرها الى عقد اتفاقية عسكرية مع الفرسان الأوربيين فى الشرق ، ولكنها لم تجده ولم تصد قواته التى راحت تحتل المدن وتنهبها ، واخيراً وسط المتفقون ابن اخت ليون كونت اورفه فاقنع هذا خاله بالصلح والاتفاق مع امير انطاكية فأعاد اليه المدن التى احتلها ، كما ارجع ذلك اليه ولده الرهين على ان يتعهد لقاء ذلك بحماية امارة انطاكية من الاروام الذين كانوا يحسبون جميع هذه الاراضي ملكا للتاج البيزانطي .

قيصر الروم اوهانس كومينوس فى كيليكيا : كان هذا الملك ( ١١١٨-١١٤٣ ) قد شكل جيشاً عظيما سار به لاستخلاص الاراضي التى احتلها الاوروبيون خصوصاً انطاكية واورفه ، فطلب أميراها العون من ليون الذي حاصر قلعة سلفكه بجيش مكون من الأرمن والاوربيين ، وعد الملك عمل الأمير هذا اهانة لشرف امبراطوريته ، فسار الى ارمينيا ودخلها من مضيق « كولك بوغازي » دون أية مقاومة فاحتل طرسوس ومامبسديا واطنه وحشد قواته امام مدينة انازربا الحصينة فقاومه الأرمن مقاومة عنيفة وحطموا المجانيق التي نصبها امام القلعة وصبوا عليها حمم النار فاحترق معظمها ، فصمم القيصر على الانسحاب ولكن ابنه اقترح عليه ان يغطي القسم الخشبي من المجانيق بالكيل ليحول دون اشتعالها ففعل وخاب الأرمن فى حرقها ، وتمكن العدو من دخول

القلعة من أقسامها المهدمة وهناك نشب قتال فظيع بين المهاجين والمدافعين حتى ان نساء الأرمن وفتياتهم اشتركن في القتال وتراشقن مع الاروام بكل الوسائط دفاعا عن قلعتهم .

احتل القيصر قلعة انارزابا ثم سار الى قلعة الفكه ( واهكا ) وكانت محاطة ومحصنة بالصخور الضخمة حتى ليصعب الاقتراب منها ... وفي ذلك الحين نشب بين الامراء الخلاف والتفكك في الأراء حتى قطع ليون الأمل من عونهم ، فانسحب الى جبال طوروس وسلم أمر الدفاع عن الفكه الى قواده ، وكان القائد قسطنطين من أقارب الامير فاستبسل في الدفاع وجاءته امدادات من اميري انطاكية وأورفه ، فلما عاين قيصر قوة الجيش المتحالف المدافع عن القلعة فكر في خدعة يمزق بها حلفهم ، فترك قسما من جيشه مستمراً على الحصار وانسحب بالباقي ليهاجم انطاكية التي كانت في حوزة الامراء اللاتين ، وانطلت حيلته اذ انفصل الجيش اللاتيني ولحق بقيصر للدفاع عن المدينة فضعفت بذلك قوة حامية القلعة ، وعندها ، وبعد ان أتم قيصر فتح انطاكية بخسائر كبيرة عاد الى القلعة فافتتحها ، ووقع القائد قسطنطين اسيراً في يده فقيده وأرسله الى القسطنطينية ، ولكنه هرب من السفينة التي أقلته ، ثم وقع مرة اخرى بيد القيصر بعون بعض المنافقين .

استسلم الامير ليون بعد حصار شديد وضغط عنيف لنفاذ ذخيرته وذلك عام ١١٣٧ ، فارسل الى القسطنطينية مع ولديه روبين وطوروس ، وعذب هناك بغرز سفافيد محماة بالنار في جسمه ، ومات حزنا وكمداً عام ١١٤١ .

## الامير طوروس الثاني

## ١١٤٥-١١٦٨

ظلت ارمينيا بعد موت الامير ليون الاول ثمانية اعوام ١١٣٧ - ١١٥٤ تحت نير الروم الذين كانت صدورهم تغلي حقداً على الارمن ، وقد استعملوا ما أمكنهم من الوسائل الدنيئة لايذاء الشعب الارمني حتى انهم رغماً عن مسيحيتهم أحرقوا الكنائس والأديرة !

وبعد انقضاء هذه السنين الثقال رأى الامير طوروس الذي كان قد نقل اسيراً مع والده الى القسطنطينية ان أوان الثأر من الأروام قد حان ، فهرب من معتقله وتزيا بزي تاجر وركب سفينة وصل بها الى جزيرة قبرص ومنها أبحر الى انطاكية حيث لقي استقبالا حاراً من الامراء والبطريرك الذين سهلوا له الامور وأمدوه بالأسلحة والذخائر ومكنوه من الوصول الى كيليكيا باسم مستعار ، وهناك أفضى بحقيقة شخصه الى كاهن ارمني فذاع خبره بين الارمن في جميع انحاء البلاد فالتف حوله الامراء وكبار القوم والاكليروس وساعدوه .

هيأ طوروس عشرة آلاف مقاتل وهجم بهم على القلاع الجبلية فاحتل واهكا وسمانا كلا واربوتز . وبمدة وجيزة رفرف العلم الارمني على أطنه وانارزابا وتل حمدون وماميسديا وصار الاروام القاطنون في هذه المدن مأكلا لسيف طوروس ، وهكذا عاد لكيليكيا زهوها ونالت استقلالها بعد ثماني سنوات قاتمة . وجزاء لفتوحات طوروس وبقرار بالاتفاق من الامراء والشعب ارتقى طوروس أريكة آبائه فأبدى كفاءة وشجاعة نادرتين رفعت اسم روبنيان بين الاصدقاء والاعداء ، وكان شقيقاه مليح واسطيفان قد لجآ الى بلاط الكونت جوسلين فمادا اليه للاشتراك معه ومعاونته في مساعيه الوطنية .

غزو انرونيكوس لأرمينيا : حين علم مانوئيل الاول قيصر الروم ( ابن اوهانيس كومينوس بفرار الامير طوروس منه وارجاعه استقلال ارمينيا أرسل انرونيكوس ابن أخيه الى كيليكيا عام ١١٥٢ لتأديب طوروس والتنكيل به . فهجم القائد المغتر بقوته الهائلة على ماميسديا حيث كانت قوات طوروس محتشدة وحاصر المدينة وضيق عليها من كل جانب وقطع كل منفذ لها الى الخارج فعزلها ، وظل المحصورون مدة بغير مؤونة، فأوعز طوروس اليهم أن يستسلموا امتثالا لأمر قيصر ، ولكن القائد الرومي طلب اليه أن يسلم نفسه قائلاه لقد أمر القيصر بالقبض عليك وتغليل يديك ونقلك الى القسطنطينية ».

فاغتاظ الامير الارمني لهذا الجواب . وفي احدى الليالي ، وقد اطمأن انرونيكوس الى قوته ، واذ كان منصرفا الى مسراته بالفتح والنصر منتظراً تسليم امير كيليكيا انتهز

طوروس الفرصة وهجم بكل قواه على الجيش الرومي فادهشهم وردهم على اعقابهم ، ثم طاردهم ، ففر اندرونيكوس بفلول جيشه والجيش الارمني يتعقبهم حتى اسوار انطاكية، وعاد الارمن الى الوطن ومعهم الغنائم الحربية الكثيرة وقد أسروا الكثيرين من امراء الروم .

أرسل القيصر مانوئيل رسله ليفتدي امراءه المأسورين فقال له طوروس : « لو علمت ان امراءكم يسوون شيئا لما بعتهم ، أما اذا كان قيصركم ينتفع بهم، فليدفع الثمن اللازم ويأخذهم » . فدفع المندوبون الى طوروس فدية امرائهم عنا باهظا ، فلما قبض الامير المبلغ فرقه بحضور المندوبين على جيشه وقال لهم : « انني اكافيء افراد جيشي بهذا الثمن كي يقبضوا على امرائكم ويأسروهم مرة اخرى »،وكان بين الأسرى الاميرلاميرون الذى ساعد الاروام فأخذ طوروس فديته عشرين الف ليرة .

الامير طوروس الثاني والسلطان نور الدين : في هذه الاثناء كان نور الدين سلطان حلب قد نقض الاتفاق مع الفرسان الاوربيين واحتل منهم مدنا كثيرة فاذهل المسيحيين في سوريا وروعهم وهدد الامبراطورية البيزنطية وفلسطين .

وبناء على طلب ملك فلسطين بغدوين الثالث ( ١١٤٢-١١٦٠ ) سار الامير طوروس لمساعدة الفرسان الصليبيين على عرقلة اعمال نور الدين ووقف تقدمه ، ولقد كان لعون الامير هذا صدى عظيم في اوروبا ، شعبها ومؤرخيها ، فاعتبروا طوروس اشهر وأقوى شخصية أرمنية .

الامير طوروس ومقصود الثاني : لما ارتد جيش الروم عن كيليكيا خاسئا مدحوراً لم يعد احد يجسر على التحرش بها او غزوها ، بيد ان قيصر أعدو الارمن اللدود ارشى السلجوقيين وحركهم على الارمن ، فتذرع سلطان قونية مقصود الثاني بوسيلة واهية للعدوان . وفي عام ١١٥٧ أرسل جيشه الى كيليكيا بقيادة الامير يعقوب فانكسر القائد شر كسرة امام جيوش طوروس والصليبيين، وبين جبال آمانوس والبحر ترك السلجوقيون ضحايا بشرية هائلة ، وبعد مدة قصيرة أرادوا حصار تل حمدون ، ولكن وباء عظيما تفشى فيهم فأضاع كل أمل بالفوز ، وفي تلك الاثناء مات مقصود ،

فعقد ابنه قليج ارسلان الصلح مع الامير الارمني ، فصار طوروس صاحب كيليكيا وايساوريا حتى عام ١١٥٦

الامير طوروس ورينو دي شاديليون : حينما فشلت مؤامرة القيصر ومقصود على طوروس ائتمر به مع عدو آخر هو امير انطاكية القائد العسكري الشهير رينو دي شاديليون اذ أطمعه بالوعود الخلابة ، فوجد طوروس نفسه فجأة امام خصم جديد ، فسارع اليه ولقيه قرب الاسكندرونة في حرب دامية ، ورده على اعقابه ، الا انه اضطر أن يعطي بعض القلاع لانفصالها عن القيصر ، فاتفق شاديليون مع الفرسان الاوروبيين ضد قيصر وصالح طوروس ، ثم سار الى قبرص التي كانت ملكا للروم ودمرها .

القيصر مانوئيل الاول في كيليكيا : أذاع قيصر انه سيعبر آسيا الصغرى لغزو فارس ولكنه قطعها للثأر من الامير طوروس وكان تحت قيادته ٥٠٫٠٠٠ جندي، فحل في سواحل بامبوليا ومنها تقدم بقطعات صغيرة الى طوروس ، وما سمع هذا بالخبر من أحد الزوار الاوربيين وعرف قصد قيصر ومطامعه حتى نقل في الحال حرمه وخزائنه وتحصن مع امرائه وكبار قومه في قلعة حصينة من جبال طوروس ، وأعطى القيصر المجال ليحتل لامور واناززابا وتل حمدون ، واذ تيقن القيصر ان كيليكيا قد خرجت نهائيا من يد الاروام وان سحق اميرها ليس بالامر الهين ، فقد توسط بملك القدس باغدين وتصالح مع طوروس ودعاه الى المركز العام لقيادته فأكرم وفادته وحالفه محالفة ودية حقيقية ووقع بخاتمه الذهبي براءة رسمية يعترف فيها باستقلال الأرمن في كيليكيا ويلقب طوروس بامير الامراء « بانس باستوس » .

الامير طوروس المنتقم : لم يكن طوروس يكن العداوة للقيصر حتى حدث ان اخاه اسطيفان قاد جيش طوروس وغزا به منطقة مرعش لتأسيس امارة خاصة جديدة، وضيق الخناق على الاروام ، فأكل الحسد قلب حاكم طرسوس الامير اندرونيكوس لنجاح اسطيفان ودعاه عنده ضيفاً ، ولكنه غدر به واغتاله بالماء المغلي ، فلما سمع طوروس بهذه البربرية التي كانت اموراً عادية عند البيزانطيين ، اضطرم حقداً ، فأمر

بقتل سائر الاروام الموجودين في انحاء كيليكيا ، وعندها صارت الحرب واقعة لامحالة لو لم يتوسط ملك القدس آموري ، وتأثر الامير طوروس بهـذه الحوادث فاعـتزل الامارة ، حتى توفي عام ١١٦٩ .

## الامير مليح

## ١١٦٩ - ١١٧٤

قبل ان تدرك الوفاة الامير طوروس نصب ابنه الصغير روبين خلفاً له وهو لما يبلغ سن الرشد ، وعين وصياً له توماس بايل الذي كان سفير الارمن لدى امير انطاكية ولكن امارة روبين الثاني لم تلبث ان سارع اليها الزوال لقساوة عمه مليح .

عقيدة مليح الدينية : لم ينل مليح في صغره تربية صحيحة بل ظل مهملا ، وعاش في حياته متأرجحاً متردداً ، وتقلب بين الديانات والمذاهب ، فدخل في صفوف فرسان الهيكل وارتدى البستهم ، ثم تنكبهم واعتنق الاسلام ، وسار على رأس شرذمة تركمانية رحالة فغزا بلاده وتآمر على حياة اخيه طوروس ، ولكن الأخ عفا عنه تكرماً ثم حمله هدايا ثمينة وطرده من البـلاد ، فاتصل مليـح بنور الدين سلطـان حلب وصار مشاورا له .

وحينما سمع مليح وكان لدى نور الدين ، بوفاة أخيه ، دخل بجيوشه كيليكيا وأساء المعاملة فكرهه الأرمن ، وبواسطة امير انطاكية وملك القدس طردوه من البلاد ، فطلب العون من نور الدين ، فتحرك هذا وغزا حـدود المحالفين ليشغلهم عن معاونة الأرمن ضد مليح ، وهكذا اضطر هؤلاء الحلفاء الى التخلي عن الارمن والعودة الى بلادهم ، فدخل مليح بلاد قومه بجيش نور الدين فخرب ودمر وسجن معارضيه وآذى الاكليروس ، واعلن نفسه صاحباً للامارة وجلس على أريكتها قسرا عام ١١٦٩ ، وكان عهده سلسلة من المظالم والاضطهادات والجنايات .

رجع جنود السلطان نور الدين محملين بالهدايا ، وقبض مليح على امراء الارمن وسجن الذين رآهم خطرا عليه ، وفر توماس بايل الوصي على المملكة الى انطاكية آملا

تحريك الصليبيين ، واودع الامير روبين نجل طوروس في روم قلعة عند بطريرك الارمن ولكنه قتل خفية ، وربما تم قتله بايدي رجال مليح .

مليح والامراء اللاتين : كان مليح يكره فرسان الهيكل اللاتين ولذلك فانه طردهم من البلاد وصادر املاكهم وعقارهم ولكي ينال رضا السلطان نور الدين حارب هؤلاء الفرسان وكان يبيع الصليبيين الذين يأسرهم رقيقاً الى المسلمين وفي ذات يوم ارسل ملك القدس رسول شرف ، وبالقرب من ماميسديا قبض مليح على هذا الرسول وعراه من ثيابه وتركه . وهكذا لم يترك مليح سيئة إلا ركبها ، ولا جريرة إلا اقترفها ، حتى اشتهر بقساوته وجرائمه ، واغتاظ منه الأمراء الاوروبيون واتفقوا ضده بتوسط آموري ملك القدس الذي عاد الى بلاده .

هذا ، وقد احتل السلطان نور الدين صديق مليح بعض القلاع من حكومة القدس .

مليح والاروام : كان مليح يحمل في قلبه عداء قديماً للاروام ، لذلك اتفق مع سلطان قونيه السلجوقي ومع نور الدين سلطان حلب فغزا بلاد بيزنطية ، وانتصر قائدا الروم يروناس وغلامانوس ودخل القيصر بجيشه كليكيا ، ولكن الجيوش السلجوقية غزت بلاد الروم فاضطر قيصر الى الرجوع وعقد الصلح مع مليح عام ١١٧٣ .

وتبرما بعسف مليح وخوفا من مظالمه قتلته حاشيته في مدينة سيس .

## الامير روبين الثالث

## ١١٧٤ ـ ١١٨٥

روبين هو نجل اسطيفان أخي طوروس الثاني ، وقد اعتلى أريكة الحكم بقرار من كبراء الأمة . كان سليم النية ذا أناة وروية في أموره ، وقد أراح المملكة وأزال الآثار السيئة التي تركها عمه ، وكان أول وآخر أمير لم تطأ اقدام العدو ارض كليكيا على عهده .

طلب الخونة الذين عاونوا مليحاً اجراً على معاونتهم ، ولكن روبين أغرقهم في

النهر فنالوا جزاء وفاقا لغدرهم .

كان روبين أميراً عادلا محباً للسلام ، فسعى لتدعيمه مع جيرانه ، ولكن أمله في نيل السلام خاب بسبب عداوة بيموند أمير انطاكية ، وكانت أسرة روبينيان لا تنتظر مصافاة أسرة لامبرون الارمنية لان افرادها كانوا مأجورين للاروام وكانوا يسهلون السبيل امام قياصرتهم لاحتلال كليكيا لان قلعتهم كانت الطريق الوحيد اليها ، وكان روبين قد اغتاظ لطلاق امرأة من روبينيان من احد أمراء لامبرون فاتخذها ذريعة لكسر شوكتهم فحاصر قلعة لامبرون . واضطر أمير القلعة الى طلب مساعدة أمير انطاكية ، لكن هذا الأمير لم يكن في وسعه محاربة روبين فلجأ الى الخديعة ودعا أمير كليكيا الى انطاكية بحجة التشرف بمقابلته وتكريمه ، فلما أجاب الدعوة قبض عليه وسجنه ، وعندما سمع ليون أخو روبين بهذه المكيدة حاصر قلعة لامبرون وأرغم أميرها على التوسط عند صديقه أمير انطاكية لاطلاق سراح روبين ودفع ليون ٣٠٫٠٠٠ قرش ذهبي فدية لأخيه . وفي اواخر حياة روبين تنازل عن الامارة وترك السلطة لأخيه ليون ، ولما توفي دفن في دير ترازارك .

## ( الباب الثاني )

## ( دور الملكية – اسرة روبنيان )

### الملك ليون الثاني

### ١١٨٦-١٢١٩

ليون الثاني من أعظم شخصيات التاريخ الأرمني لا في كيليكيا وحدها بل في ارمينيا كلها. كان عسكريا بكل معنى الكلمة جريئاً وسياسياً محنكا، وكان شديداً قاسياً على أعدائه شفيقاً محباً لشعبه. وهو ابن اسطيفان وشقيق روبين الثالث وكانت والدته ريتا من أسرة بابيرون امرأة فاضلة ذات خصال حميدة ووطنية صادقة فتربى في كنفها تربية فضلى.



( الملك لئون الثاني )

امتاز ليون بذكاء فطري وقاد، وبفضل حكمته وجهوده ارتقت العلوم واتسعت المعارف في بلاده، وأحاط علماً بعطالب زمانه وازينت نفسه بخير الشيم فرتعت البلاد في عهده كما في عهد أخيه في بحبوحة الرخاء والنعيم اغترب في صباه عن البلاد طوعا لازالة الشك

عن نفس اخيه الذي كان يرتاب بنية ليون في غصب عرشه، وفي القسطنطينية انشأ علاقات ود صميمية مع رجال الحكم ومع أرباب الفلسفة والعلم، وأكمل دراسته فأضاف العرفان الى تربيته الحسنى ونمت قوة ادراكه، وكان خير ظهير له في أعماله أخوه الأصغر.

كان الملك ليون طموحا الى أعلى درجات المجد شأن جميع القواد العسكريين الارمن، وقد وصفه مؤرخو زمانه كما يلي: « كان ليون حكيما عبقريا ذا أخلاق فاضلة، بشوشاً في حديثه جريئاً خفيف الحركة عسكريا شجاعا ».

تولى العرش وعمره ٣٨ سنة، وكانت مراميه الادارية والعسكرية ماثلة في قريحته وقرر ان يرفع الامارة الى ملوكية وقد تم له ذلك - وان يوسع حدود الامارات الى أقصى ما يمكنه، وان يجعل الامارات المسيحية السورية التي كانت تابعة لارمينيا الباقرادونية تحت نفوذه فتكون سداً منيعا في وجه السيل المغولي الجارف، ولنيل مآربه ربط أسرة روبينيان بسائر الملوك والأمراء المسيحيين، فافترق عن زوجته الاولى وتزوج من أميرة قبرصية، ثم زوج شقيقته من الامير جيبولي، كما زوج ابنته (من زوجته الاولى) من الامير الافرنسي جان بيني، وأعطى ابنة أخيه الى ازنيق تيودور مؤسس امبراطورية فيكية، وهكذا انشأ علاقات طيبة مع جيرانه وارتبط بهم باواصر القربى فأمن نفوذه.

ليون العسكري العبقري: أخذ ليون مذ تولى الحكم بتنظيم جيش قوي للدفاع عن حدود المملكة ولهذا زاد في عدد سرايا وأفواج الخيالة والمشاة، وهو الذي رتب للجيش الرتب والدرجات. وهو أول من أقام العرض العسكري وجعل الجوائز. ولتوسيع حدود البلاد احتل حالا ٧٢ قلعة وأناط الدفاع عنها بامراء العائلة، ولكي يضمن الدفاع الجدي فقد وزع الاراضي والعقار على الأمراء وجعلها ملكا يتوارثه أولادهم وأحفادهم. جعل آس كودي قائداً عاما لجيشه، وعين امراء العائلة لحراسة المدن الساحلية اياس ولاموس وكوريكوس، واما الحدود الشرقية فقد عهد بالدفاع عنها الى الامراء تلباخير وابلاسدا واهكاو مرعش، وجعل لحماية القسم الغربي اميرين لمقاطعتي سيكونوري وابساورا، اما مضائق كيليكيا فيحميها امراؤها، وهذه المضائق هي كماما وكابان

وكولاك وبيزانطي .

زحف امراء البلاد الاسلامية المجاورة الى كيليكيا : زحف رستم سلطان قونيه السلجوقي على كيليكيا ، فلم يذهل ليون هذا الهجوم المباغت بل نظم جيشه باقصى سرعة وقابل العدو ، واثناء النضال قتل رستم فاختل جيشه وولى الأدبار ، وادهش هذا الظفر المريع جيران ليون الطامعين وكان قد اغاظهم توسعه من قبل ، فاتفق سلطان حلب وسلطان دمشق وتعرضا لكيليكيا ولكنهما لقيا حربا عوانا فقشت جيشاهما وبجهد سلما على نفسيهما فعاد كل الى بلده .

ليون السياسي : وفضلا عن عبقرية ليون العسكرية ، فقد كان سياسيا نير البصيرة بعيد النظر ، مطلعاً على اوضاع الشرق عالماً بقوى الدول واعتباراتها . كان يعلم العلم اليقين ان اوربا بعيدة عنه فلا امل له بمساعداتها ، اما السلجوقيون فهم اعداؤه ، وسلطانا دمشق وحلب يضمران له السوء ، وقد يحالفان السلجوقيين عليه فيهددان كيان دولته بل والدولة البيزانطية ايضا ، ولذلك يمم وجهه شطر الروم فحالفهم ، ذلك خير السبل لسلامة مملكته التي كانت بين عدوين لدودين ، فتناسى مساوىء الاروام في سياستهم تجاه الارمن على عهد باقرادونيان وتناسى تعصبهم المذهبي ومد اليهم يده لان مصلحة الامتين كانت تقضي عليها بان يكونا قوة متحدة وجبهة واحدة في وجه العواصف التي ينتظر ان تعصف بها بين آن وآخر فتزعزع اركان دولتيهما ، وارسل لهذا الغرض وفدا ارمنياً خاصاً للمداولة في الامر ونسيان الماضي الأليم ، فعقد حلفا لمجابهة الطوارىء ، ولكن الروم عادوا الى غلطتهم القديمة ولم يقدروا الواقع قدره ، وبدل ان يعينوا حليفهم ليون فقد كانوا يحركون ملوك المسلمين عليه .

صلاح الدين الايوبي : حين عاد الوفد الارمني من القسطنطينية ، ظهرت شخصية عظيمة غيرت مقدرات الامم وبدلت معالم الشرق الاوسط ، ذلك هو صلاح الدين الأيوبي الذي نشأ وربي في كردستان وأظهر براعة حربية نادرة ، فشكل جيشا عظيما في مصر وساقه بسرعة فائقة واستولى به على فلسطين وأسر ملكها واغار على سوريا والعراق فأسس دولة عظيمة تمتد من ضفاف النيل حتى شط دجلة .

الحرب الصليبية الثالثة : كان استيلاء صلاح الدين على القدس سببا في حرب صليبية ثالثة ، فحين رفرف العلم الاسلامي على المسجد الاقصى ، امتلأ ملوك اوربا غيظاً وحنقاً، وقرروا ان الواجب يقضي عليهم بانقاذ المدينة المقدسة من أيدي المسلمين ووقف التوسع الاسلامي في الشرق ، وسرت هذه الفكرة سريعاً في المحافل الاوروبية وبين شعوبها ، فتشكل الجيش الصليبي تحت قيادة فردريك امبراطور المانيا وريكاردوس الانكليزي (قلب الاسد) وفيليب اوكست ملك فرنسا .

في مبدأ الامر عبر امبراطور المانيا من مقدونيا الى آسيا الصغرى وتغلب على سلطان قونية السلجوقي ثم اقترب من حدود كيليكيا الارمنية ومنها واصل سيره الى انطاكية والقدس . واذ كان ليون قد يئس من عقد محالفة تعاونية مع قيصر الروم فقد قرر اعلان ملوكية كيليكيا بمساعدة امبراطور المانيا فينبه شأن امارته في الخارج بواسطة هذا الاعلان . وحينما حضر الوفد الموفد من قبل الامبراطور الالماني ليطلب المعاونة المادية لجيشه كانت الفرصة سانحة لليون ليخرج آراءه الى حيز العمل وينال مآربه ، فامد الجيش الامبراطوري بالمؤن ووسائل النقل والعتاد الحربي وكل ما وسعه تقديمه ووعد ان يقدم الجنود مستقبلا لتأمين النصر ، فطابت نفس الامبراطور وعقد لليون التاج الملكي وابرم معه ميثاق تحالف .

بعد ان استراح الجيش الصليبي برهة (١) من الزمن استعاد فيها قوته ونشاطه دخل ايساوروس ، وحينئذ خرج ليون لاستقباله يصحبه البطريرك والمطران نيرسيس اللامبروني وبعض الأمراء ، وفي الطريق بينما كان الامبراطور يسير مع جيشه غرق في نهر غاليقانتوس وهكذا حرم ليون رؤيته .

اعلان الملكية وتتويج ليون الثاني : بعد موت الامبراطور فردريك لم يقطع ليون علاقته بالمانيا ، وقد أرسل في الحال وفدين أحدهما الى هنريكوس السادس الامبراطور الجديد والآخر الى البابا ، فلقي الوفدان لدى البلاطين خير استقبال وضيافة ، وأرسل البابا مع وفد خاص التاج الملوكي ، اما هنريكوس فقد أرسل علماً ثميناً يحمل رسم الأسد

١) البرهة قطعة طويلة من الزمان

تلميحاً الى معنى اسم ليون ( *Lion* ) .

أقيمت حفلة التتويج في كاتدرائية القديسة صوفيا بمدينة طرسوس في ٦ كانون الثاني ١١٩٩ بحضور البطريرك و ١٥ مطراناً وممثل البابا ومترابوليد ( مطران ) الاروام وبطريرك السوريين و ٣٩ من أمراء الارمن وفرسان الصليبيين ووفود الدول الاجنبية منها وفد امبراطور المانيا ووفد خليفة بغداد الناصر ووفود الامراء الاوروبيين، وقد أرسل امبراطور الروم الى الملك ليون تاجاً مرصعاً مع كتاب تهنئة خاص راجياً ان يكون هذا التاج رمزاً لتوطيد العلاقات الودية التي لم تكن وثيقة الى ذلك الحين . وبعد انتهاء مراسيم التتويج وقبول التهاني من الوفود نقل ليون عرشه من طرسوس الى سيس ، وهب يعمل لاعمار البلاد وتنظيمها وتأسيس المدارس والمعاهد وترقية التجارة والزراعة ووضع قوانين خاصة للبلاد وأنشأ علاقات دبلوماسية مع الدول .



مدينة سيس وقلعتها عاصمة ملوك روبينيان

( نقلا عن سيس ماديان )

---

قضية تاج انطاكية : كانت قضية تاج انطاكية سبباً في نضال دام اثني عشر عاماً فقد جعل الملك ليون امارات انطاكية تحت نفوذه ، وارتبط مع صاحبها بالمصاهرة اذ زوج ابنة أخيه من ولي عهد انطاكية ، وقد توفي هذا قبل والده بيموند ، ولكنه في

اواخر ايامه اخذ العهد من والده بتولية حفيده روبين، فلما مات بيموند وجلس حفيده روبين وكان نفوذ ارمينيا يقض مضاجع الامراء المجاورين ، حركوا شقيق ولي العهد المتوفي - أي عم روبين - على المطالبة بالعرش ، وهكذا بدأ النزاع على التاج الانطاكي.

كان الابن الثاني لبيموند هو جوان الاعور ، وقد اتفق مع كونت طرابلس والفرسان الاوروبيين على احتلال انطاكية ، ونظراً الى عدم تمكن روبين من المقاومة هرب من انطاكية فأجاره الملك ليون لقرابته وحماه في كليكيا ، ثم سار الى انطاكية فدحر العدو وأرجع روبين الى عرشه . وما ان رجع ليون الى قاعدة ملكه حتى حرك كونت طرابلس عليه أمبرقونيه وانتهز فرصة انشغاله به فسار هو الى انطاكية واحتلها، واجتنابا للحرب على جبهتين استأجر ليون ٢٠٫٠٠٠ فارس لمناجزة السلجوقيين ، إلا ان الفرسان خانوا الملك وفروا بالدراهم التي استأجرهم بها ، وعندها اضطر الى تحويل قسم من جيشه الى آل سلجوق فحمل عليهم حملة شعواء ففر سلطانهم وتقهقر جيشه ثم سار ليون الى جبهة انطاكية، ولكن البابا اينوكنديوس توسط وارسل كردينالين للنظر في القضية ، فانحاز الكردينالان الى اللاتين وحرما ليون ، ولكنه لم يقم وزنا لحكمها وحاصر انطاكية واحتلها بمساعدة الحكام المرتشين ، ولقد اراد البابا ان يحيل القضية الى هيئة اخرى ، لكن الملك لم يلتفت الى ذلك بل أجلس روبين على العرش بالمراسيم الدينية المعتادة في كنيسة القديس بطرس ، ثم سلمه العلم الانطاكي .

حركات جديدة : لم ينثن عزم الامراء المغلوبين عن الكيد لروبين وحاميه ليون وأخذوا يتشبثون بمساعي جديدة ، فحرضوا عز الدين فطلب الجزية من ليون ، وحيال هذا الامر المفاجيء اشمل ليون وفد السلطان ريثما نظم جيشه المضني وأتم تعبئته ، ثم سار به على السلطان السلجوقي فدحر جيشه ، وعاد الى عاصمته بالغنائم الكثيرة والاسرى فعرضها على وفد عز الدين ثم أخلى سبيلهم فعادوا الى بلدهم وكان ذلك عام ١٢١٢

وبعد حين من الزمن تعرض السلطان عز الدين لكيليكيا وحاصر قلعة كابان ، وكان الملك ليون مريضاً ، فرأى عز الدين الفرصة مؤاتية للثأر ، لكن الملك غادر فراشه وترأس جيشه فدخل به قونية ودمر القرى وأحرق المدن فأدهش السلجوقيين واضطر

عز الدين على رفع الحصار عن كابان خوفا من خراب بلاده، وعقـد الصلح مع ملك الارمن.



نقود الملك ليون الثاني الذهبية

وعلى أحد وجهيها صورة الملك لابساً حلاه الذهبية جالسا على اريكة تنتهي كل من قائمتيها الاماميتين برأس اسد ، وعلى رأس الملك تاج مرصع يعلوه صليب ، وعلى كفه الايمن كرة فوقها صليب، وفي يده اليسرى صولجان وقد كتب حول الصورة « ليون ملك الارمن». اما الوجه الثاني فيمثل اسداً على رأسه تاج وفي يده اليمنى عصا تنتهي من اعـلاها بصليب وقد كتب حول الصورة « ليون ملك الارمن باذن الله » .

وقد صار رسم الاسد المتوج شعار ملوك الارمن في كيليكيا .

ان وزن السكة ٧١ غراما من الذهب .

( نقلا عن كتاب ساهاك موسيسيان )

لكن المؤامرات لم تزل مستمرة ضد الملك فأنهكته الحروب والمواقع ، وأجهدته الادارة والتنظيم ، فقرر أن يأخذ قسطا من الراحة ورحل الى قبرص لزيارة حميه . واذ هو يعود بعدها الى بلاده تعرض له اعداؤه بسفنهم الكثيرة وهو في عرض البحر ، فعاد الملك العبقري الى قبرص وجهز سفناً كثيرة بالجند والعتاد وصادم الاعداء المتآمرين فتفوق عليهم وأغرق سفنهم بقوادها وجنودها وطارد الفارين .

بلغ الخبر كيليكيا ، فأخذ الشعب ينتظر مليكه بشوق عظيم ، وما ان ألقى المراسي على ساحل الوطن حتى استقبلوه استقبالا حاراً حافلا يليق بمكانته وشجاعته المنقطعة النظير.

في غيبة الملك عصى زعيم امراء لامبرون الامير حيتوم على العرش فظهر شغب في البلاد ، فما ان دخل ليون البلاد حتى قبض على رأس الفتنة حيتوم وسجنه مع ولديه اوشن وقسطنطين ، واحتل قلعة لامبرون وأودع ادارتها الى والدته الملكة « سيدة نساء الارمن » .

وفي أواخر ايام الملك ليون كانت حدود كيليكيا الارمنية جبال طوروس الى نهر سالامونت شمالا والبحر الابيض الى عينتاب وروم قلعة واياس جنوبا ونهر الفرات شرقا وغاليكاتنوس غربا ، وكان الشعب على عهده غنيا مرفها تجارته واسعة وحالته الاقتصادية حسنة ومركزه الديبلوماسي ممتاز ، وكان الجيش القوي يحفظ حدود المملكة دوما ، وتوفي ليون عام ١٢١٩ في سيس عاصمة بلاده فدفن قلبه في دير اكنير وجسمه في سيس .



اناء لتفوير الميرون المقدس في سيس مصنوع من الفضة الخالصة من قبل صناع الارمن القدماء

## حيتوم الاول البابيروني

### ١٢٢٦ - ١٢٧٠

أزمة العرش : لم يخلف ليون ولداً ذكراً، ولكنه أعقب ابنة اسمها ايزابيل من امرأته الثانية ، لذلك تحذراً من التنازع على العرش بعد وفاته تبنى روبين أمير انطاكية الارمني الأصل وجعله ولياً لعهده، ولكنه لما رأى رخاوته في امارته وتيقن عدم صلاحه للعرش استرد قراره وعين ايزابيل ابنته ولية على ان ترتقي العرش تحت وصاية اوشين بايل صاحب قلعة كابان والأمير البابيروني قسطنطين .

اما اوشين بايل فقد قتله احد الرعاع ، واعتلت ايزابيل أريكة الحكم تحت وصاية الأمير قسطنطين ، فتأججت نيران الحقد في صدر روبين أمير انطاكية واستعان بالصليبيين ، فدخل بمعاونتهم كليكيا حيث قابلهم الوصي بجيوشه الارمنية فردهم على اعقابهم وأفنى جيشهم وأسر الأمير روبين وأعدمه الحياة ، ولما رأى ان الازمة لن تنتهي زوج الملكة من فيليب نجل كونت جوان وأقسم هذا يميناً بالولاء للعرش واحترام العادات والتقاليد الارمنية .

ولكن فيليب لم يبر بيمينه إلا زهاء سنة ، ثم استهان العقائد الارمنيـة وأثار الجدل المذهبي بين الشعب ووضع يده على خزائن الدولة وبعث بها الى انطاكية ، فقبض عليه الوصي قسطنطين وسجنه في قلعة سيس ، وبعد سنتين مات مسموما (١٢٢٥) .

ولم يكن هيناً بقاء قضية العرش بغير حـل ، فأشار البطريرك على قسطنطين ان يزوج الملكة من ابنه حيتوم ، وقر الرأي على ذلك . ولكن الملكة رفضت القرار ولم تصغ الى نصائح أولياء الامور ورجال الدولة ، بل فرت الى سلفكه عند والدتها ، واذ ان القضية لم تكن تتعلق بمصلحة الملكة بل بالمصلحة العامة ، كان واجباً حـل الازمة ، فحاصر الوصي سلفكه ، وأعاد الملكة ايزابيل فتزوجت رغما عنها من حيتوم نجل الوصي (عام ١٢٢٦) وبهذا الزواج انتقـل تاج روبنيان الى أسرة بابيرونيان وهم سـلالة ارزرونيان الارمنية .

وهكذا صار حيتوم بن قسطنطين البابيروني أول ملك من أسرة بابيرونيان، وكان شخصاً حسن الصورة قوي البدن ، شجاعا جسوراً سياسياً محنكا وذا ارادة وعزم مكين ، دام ملكه ٤٤ سنة اقتفى فيها في سياسته أثر حميه العظيم ليون وقام بالواجب الوطني خير قيام في ظروف صعبة ، فرحل الى البلاد البعيدة لتأمين استقلال المملكة واشترك في حروب دامية وغزوات مستمرة لشرف بلاده ومجدها .



نقود حيتوم الذهبية

نقلا « من تاريخ هاير ساهاك موسيسيان »

سياسته الداخلية : أزال كل اسباب المنافرة والخلاف اللذين يخلان بالوحدة القومية ويوجدان قلة الثقة وعدم الرضا ، ووكل قيادة الجيش العامة الى أخيه سمباد ومنح أخاه الثاني ليون رتبة مارشال ، ولفض النزاع بين العرش وأسرة لامبرون محى من هذه الأسرة خاله قسطنطين « الفارس المتوج » وأعاده الى ملك اجداده ، فنال بسياسته هذه حب الجميع ورضاهم وفرض عليهم طاعته ، فرتعت البلاد بفضل سياسته الحكيمة اربعة واربعين عاما في ظلال الراحة والسلام .

سياسته الخارجية : كانت هذه السياسة مبنيـة على مبادىء السلام ، فعـاش مسالماً جاراته حارساً حدوده حافظاً مجد دولته وشرفها بين الأمم ، وعقد معاهدة سلم مع علاء الدين السلجوقي أمير قونيه ، وتذكاراً لذلك ضرب سكة يحمل أحـد وجهيها رسمه هو والوجه الثاني اسم علاء الدين بحروف عربية .

وفي عهده جاء الى قبرص لونو ويكوس ملك فرنسا مع صليبيين آخرين ، ففكر حيتوم الاول فى مبدأ الأمر في ان يعقد حلفاً مع هذا الملك ، ولكنه عدل عن فكرته لسببين :

أولا - ان الدول المسيحية تولد بينها نفار وعداء شديد ، وأوهت المنازعات قواها ففقدت كل أمل فى الاتحاد ، ولم يكن بامكان الصليبيين وقف تيار الفتح الاسلامي فى الشرق ، وقد حكم عليهم بالانقراض والفناء يوماً ما .

ثانياً - سيل التتر الجارف الذى كان يسوق امامه الدمار الى العالم ويهدد بتبديل وجه آسيا واوروبا ، ولم يكن فى مقدور الاوروبيين صده او ايقافه .

ولذلك وجه حيتوم وجهه الى الشرق والى المغول خاصة لتأمين مستقبل مملكته .

غزوات التتر في الشرق : ابان كانت كليكيا الارمنيـة تتوسع يوما بعد يوم ويقـوى شأنها حربياً واقتصاديا وزراعياً ، أخذت قبائل بوذية همجية تتقدم نحو الغرب وتنشر الموت والدمار أينما حلت ، تلك هى قبائل التتر الـتي كانت تعيش جنوب سيبريا وشمـال الصين الغربية . ففي عام ١٢١٦ ضم جنكيزخان أشتات هذه القبائل تحت لوائه واستولى بها على الصين جميعها والهند وبلاد فارس ، ووطئت اقدامها بلاد البرنويين ، ففر ملكها جلال الدين .

وامتد سلطان جنكيز من آندوس الى بحر الخزر ، فان قسما من جيشه وصل الى نهر آخور وقد ترك وراءه خرابا شاملا وظل يتقدم حتى وصل الى جنوب روسيا حيث اتصل بالقسم الثاني من الجيش ، وفي خلال ذلك مات جنكيزخان .

حاول جلال الدين بن خوارزمشاه الملك البرنوي اعادة ملكه ، ولكنه لم يفلح تجاه الجيش التتري البربري ، فتوجه الى لرمينيا العليا الباقردونية حيث صب جام غضبه على

الأرمن الهادئين الوادعين العزل من السلاح ، ولقد بذل عطا بك حاكم ارميفيا جهده في الدفاع عن السكان ولكنه خذل امام جيوش جلال الدين واحتل هذا ولايةوان وحين رأى حيتوم فظائع الفرس في ارمينيا المسالمة جرد جيشاً بالاتفاق مع حكومتي الاناضول وسوريا فسحق به قوات جلال الدين وأراح ارمينيا العليا من مظالمه ، فهرب جلال الدين الى الجبال الشرقية الأرمنية حيث قتل بطعنة خنجر .

على ان ارمينيا العليا لم تكد تتنفس الصعداء بقتل جلال الدين وفناء جيشه حتى اجتاحتها عاصفة هوجاء بظهور اوقتاي خان بن جنكيز مع قبائله الوحشية المتعطشة الى الدماء ، فقد دخل امراؤه بجيوشهم ارمينيا فقتلوا ونهبوا وسلبوا وأبادوا الحرث والنسل وتركوا المملكة أخربة تبكي من بناها ، ولم يعد فيها للحياة من أثر . وبعد ان عاث الطاغية جارماغان في ارمينيا العليا فساداً ولى وجهه شطر آني عاصمة باقردونيان وطلب تسليمها ، ولكن الأرمن الذين اعتصموا بها فراراً من فظائعه امتنعوا ، فحاصر التتر المدينة وسهل عليهم فتحها لتردد الأهالي بين الدفاع والتسليم ، ودخل جارماغان فاعمل السيف سواء في الممتنعين والمستسلمين، فخلت آني هذه المرة من سكانها وهوت عماراتها وبدائع فنها الى القاع واندثرت المدينة أبديا ، وكان ذلك عام ١٢٣٦ .

ظلت ارمينيا تحت سيطرة المغل (١) قرناً كاملا ، ولم يبد التتر اي اضطهاد ديني وما زرعوا بذور الفتنة او التفرقة او الخلافات المذهبية ، بل ان البعض منهم تزوجوا من أميرات أرمنيات فخفت وطأتهم على الأرمن .

الملك حيتوم والتتر : كان الخطر المغولي يقترب من كيليكيا الارمنية ، فقد هزم جيش قونية السلجوقي وهرب سلطانها من امام جيش جارماغان فلجأ هو وعائلته الى بلاط حيتوم ملك الارمن .

وخولط الطاغية جارماغان في عقله، فتولى القيادة بازوخان واستمر في الغزو ، فتجسم امام حيتوم الخطر المحدق ببلاده وقرر محالفة بازوخان فارسل اليه وفداً يطلب عقد معاهدة محالفة وصداقة ، فرضي بذلك وشرط على الملك ان يسلمه سلطان قونيه ،

١) المغل والمغول هم اقوام التتر.

فغضب السلطان من هذا الطلب والاتفاق مع امير لامبرون الأرمني تعرضا لكيليكيا ولكن جيشها دمرته القوات الارمنية . اما السلطان فقد قتل في المعركة واما الامير الخائن الارمني اللامبروني فقد استماح العفو وقدم الخضوع للملك فعفا عنه ، ولكنه عاد فخرج عن طاعته فقبض عليه حيتوم وأعدمه الحياة .

ولم يكتف حيتوم بمعاهدة الصداقة مع امير الجيش التتري ، بل أراد ان يوثق علاقته بهذه الأمة الخارقة القوة ، فأرسل في سبيل ذلك شقيقه القائد العام للجيش الأرمني ، فرتب أمر زيارة مليكه للملك المغولي مانكوخان في عاصمة التتر قره قروم ، وسار حيتوم يقطع الابعاد النائية ماراً بالاقطار الاسلامية - وفي ذلك من الخطر عليه ما فيه - حتى وصل الى العاصمة المغولية ، فلقيه الامبراطور بكل حفاوة واجلال ، وابرما معاهدة صداقة دائمة وتحالف عسكري ، وذلك عام ١٢٥٤ في قره قورم .

وبموجب معاهدة قره‌قورم هذه تعهد امبراطور التتر بما يلي :

١- ان لا يشن غارة البتة على مملكة كيليكيا الارمنية .

٢- أن يساعد ملك الارمن ويمده بالمعونة حين يتعرض لبلاده عدو .

٣- أن تودع البلاد التي اغتصبها السلجوقيون الى الارمن وتلحق بكيليكيا الارمنية.

٤- أن يعفى جميع المسيحيين الداخلين تحت سيطرة سلطان التتر في جميع انحاء الشرق من الضرائب .

٥- أن ترفع الضرائب الثقيلة المفروضة من قبل ولاة التتر على ارمينيا العليا .

ويتعهد ملك الارمن لقاء ذلك بمعاونة التتر وامدادهم بالجيش والمؤونة وبجميع الطرق والمعابر عند الحاجة .

احتلال الشرق الاوسط بالجيش المتحالف : عقيب المعاهدة التترية الارمنية تقدم الجيش المغولي الى الشرق الأوسط ، ورأى حيتوم بصفته حليفاً ان الفرصة سانحة لتخليص القدس من يد المسلمين ، فكون لذلك جيشاً قوامه ٤٠٠٠٠ من المشاة و ١٢٠٠٠ فارس .

في مبدأ الأمر غزا القائد المغولي ومعه حيتوم بلاد قونية السلجوقية ، فاحتل ارضروم وارزنجان وسيواس وقيصرية ، وبعد قرض الدولة السلجوقية يمم شطر بغداد

فسحق الخلافة العباسية وقتل المستعصم بالله آخر خلفاء العباسيين، وأباح المدينة لجنده فعثوا فيها فساداً ونهبوا وقتلوا من السكان خلقاً كثيراً !. وبعد احتلال العراق واحلال الدمار في دياره، توجه السيل العارم نحو الغرب فاحتل اورفه ودمشق وعموم بلاد الشرق خلا القدس، اذ حين اقتربوا منها جاءت الانباء بوفاة مانكوخان امبراطور التتر، فاسرع هولاكو بالرحيل الى قرهقورم لتولي العرش، وبقي الجيش التتري بدون راس. واختل نظامه على الرغم من كثافته، فلم يعد جمعه يجدي نفعاً. ولما رأى حيتوم هذا الاختلال وتأكد انه لا يجني من جيش المغول ثمرة تركه وعاد الى بلاده.

غزو المماليك لكيليكيا الارمنية: انتهز سلطان المماليك المصري فرصة طول غياب حيتوم ملك الارمن، وكان ناقماً عليه محالفته التتر واشتراك جيشه في غزو الشرق، فغزا كيليكيا وسحق الجيش الارمني الذي كان يقوده طوروس وليون ابنا حيتوم، فاستشهد طوروس في ساحة الوغى ونقل ليون اسيراً الى مصر في ٢٤ آب ١٢٦٦، وسقطت المدن تترى بيد المماليك: آمودا وقلعة فرسان الهيكل وسيس وماميسديا واطنه وطرسوس واياس المرفأ الارمني، فغادروها خراباً واعملوا السيف في سكانها. وبعد خراب كيليكيا دخل الطغاة سوريا وكان التتر فيها بغير قائد فأفنوهم، ثم فتحوا انطاكية في ١٩ آب ١٢٦٨ وقضوا على بقايا الصليبيين فيها وتركوا المدينة اطلالا وانقاضاً لا ديار فيها ولا نافخ نار، وحينما وصل حيتوم الى بلاده كان المماليك قد انسحبوا منها ليستعدوا لحملة ثانية عليها. فلما رأى الحالة التعسة التي صارت اليها البلاد طلب الى بيبرس ملك مصر عقد الصلح ومبادلة الاسيرين الامير ليون ابنه وشمس الدين سنقور الاشقري. ووصل الامير ليون دمشق وهناك أقسم على الانجيل أن يبقى اميناً للمعاهدة المعقودة بين الطرفين.

وكان الملك حيتوم قد سئم السياسة فتنازل عن العرش لابنه ليون، واعتكف في دير حيث قضى نحبه عام ١٢٧٠

## الملك ليون الثالث

### ١٢٧٠ - ١٢٨٠

هو من اشهر ملوك بايرونيان . كان على جانب عظيم من الذكاء، وكان تقياً ورعاً، رؤوفاً بالشعب ، ذا وقار وجلال ، جسوراً في الحروب ، سياسته بين السيف والحكمة . وامتاز بولوعه بالأدب حتى خص رجالا من اشهر ادباء عصره برواتب من خزينة الدولة .

أنشأ عدة مؤسسات خيرية ومعاهد علمية أشهر كلية اللاهوت ميدزكار *Midzkar* ونشر العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ، ولقد استنسخ كثيراً من الكتب المخطوطة وخاصة الكتب المقدسة ، ومعظم ما تبقى من المخطوطات الثمينة لتلك الازمنة انما يعود الفضل فيه اليه .

اتصف بشجاعة فريدة ورباطة جأش نادرة صمد بها للخطوب والكوارث الشديدة التي ملأت حياته ، وأقساها ان رأى بلاده يحتلها الاعداء وجيشه مغلوبا وشعبه مضطهداً ورأى القحط والوباء والموت تفتك بوطنه فتكا ذريعاً وتختطف والديه وزوجته الملكة كيرأنا .

وتوالت الويلات عليه دهراً فلم تفل عزمه بل تحطمت على صخرة رجولته ، ولم ينس فنه ، ومارس كل ما أوتيه من مواهب ومقدرة في سبيل نفع دولته وفتح الخزائن للبائسين وعمر المدن المخربة حتى صارت الثغور مثل طرسوس واياس مراكز تجارية هامة في الشرق الاوسط ، وبهذه الشيم العالية والاخلاق الرضية جلب قلوب الناس، حتى الخونة الذين كانوا يتآمرون عليه قدموا له الطاعة والولاء ، فعفا عنهم واكتفى باخذ قلاعهم ، فكان عمله هذا حسنة نحو مسيئين نفست عن صدورهم وسرت عنها كوامن احقادها .

<u>غزوة المماليك الثانية</u> : نسي امراء الارمن لطف مليكهم وعفوه عنهم عندما علموا بان المماليك قادمون لغزو بلادهم ، فدخلوا في حمايتهم خوفا وهلعا وتجنبا لمناجزة جيوشهم العظيمة ، وهكذا تخلوا عن ملكهم ابان الحاجة اليهم ! وساق سلطان مصر بيبرس جنده دون مبرر على كيليكيا وكان الجيش خليطا من العرب والمماليك فوصلوا الى مامپسديا في

أولى حملاتهم ، ولكن سكان العاصمة سيس أبدوا مقاومة شديدة يائسة ، واستلمت طرسوس واحرقت كاندرائية القديسة صوفيا والبلاط الملكي ، وسلبت الخزينة الخاصة، وقتل ٢٠٫٠٠٠ نسمة وأسر ١٠٫٠٠٠ فنقلوا اجمعين الى مصر ، وكانت مدينة اياس ضمن هذه المدن التي أصابها الويل والثبور فذبح سكانها الابرياء ، وبارح جيش المماليك كيليكيا بمنهوبات وغنائم لا تحصى وكان ذلك سنة ١٢٧٤ .

السلطان بيبرس في كيليكيا الأرمنية : عاد بيبرس الى كيليكيا ثالثة ، ولكن امراء الارمن كانوا متحدين مع ملكهم هذه المرة ، فلقي جيشهم عم الملك الذى كان القائد العام وسار الملك ايضا بجيشه وراء بيبرس لحصاره بينما استدرجهم الشيخ سمباد القائد العام الى المضايق حيث أنزل بهم ضربة قاصمة وأوقع فيهم مذبحة عظيمة،حتى ان كثرة القتلى عاقت حركة الفارين ، فعزز بيبرس جيشه بقوة ثانية ولكن أصابه خلال ذلك سهم فهرب مع بقية الجيش الى دمشق حيث قضى متأثراً من جرحه عام ١٢٧٦ . بيد ان هذه الحرب كلفت الارمن غاليا لانها أفقدتهم ٣٠٠ فارس *chevaliers* مع القائد العام سمباد الذي اصطدم بشجرة حين كاد يقود حصانه ، صدمة أودت بحياته .

وأراد ملك التتر آبازخان ان يكافىء الملك ليون ويشجعه فأهداه البلاد المفتوحة ليلحقها بمملكته ولكن ليون رفض هذه المكافأة التى تزيد في عدد اعدائه .

حرب بعيسيا ( حمص ) ١٢٨١ : بينما كان السلم شاملا كيليكيا اذ نشبت حرب عظيمة بين التتر والمماليك ، فقد اراد الملك آبازاخان التتري طرد المماليك من سوريا ، فأرسل اليها تحت قيادة اخيه مانكو تيمورخان جيشاً مكونا من ٥٠٫٠٠٠ فارس ، ودخلها كذلك الملك ليون بجيشه الأرمني البالغ ٢٥٫٠٠٠ جندى والتقوا بالمماليك فى ارض حمص فى ٢٩ تشرين الأول ١٢٨١ ( وكان آنئذ الملك المنصور يحكم مصر ) فنشبت حرب شديدة دامية طويلة ، ودحر الملك ليون مع القائد التتري اشماخ خان الجناح الأيسر من جيش المماليك ، فلما رأى السلطان تفوق عدوه رشا احد القواد التتر بالمال فنزل حالا عن جواده وتبعته جنوده ، وكان نزوله هذا اشارة الى التسليم ، فاختل نظام الجيش ، وتشجع الملك المنصور وأغار على التتر فأثخن فيهم وطاردهم حتى أفنى معظمهم وانسحبت

البقية الناجية من سيوف المماليك الى الفرات، اما الجيش الأرمني فقد ظل وحيداً فاضطر الى الانسحاب ، وبقي يومين يناجز الاعداء حتى شق مع مليكه ليون طريقاً للعودة بعد ان أعطى خسائر كبيرة ، وكان ذلك عام ١٢٨٢ .

غضب آبازاخان من انسحاب الجنود وفرارهم، وقصاصاً لهم وتحقيراً لشأنهم أمرهم ان يرتدوا البسة النساء طول حياتهم ، وأعدم أخاه مانكوتيمور مع سائر القواد . ثم ان اتصال التتر المستمر بالمماليك رغبهم في الاسلام يوما بعد يوم ، وكان لهذا نتائج وخيمة على الأرمن .

معاهدة الصلح : أدرك ليون الثالث ضرر محالفته للتتر ، فعقد معاهدة مع مماليك مصر لمدة عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة ايام ، ولكن شروط المماليك كانت ثقيلة ، وهي كما يلي :

١ـ ان يدفع الارمن مليون آقجة من الفضة سنويا .

٢ـ ان يخلي الملك الارمني سبيل جميع التجار والمواطنين المسلمين المعتقلين في كيليكيا ويعيد اليهم أملاكهم ، ومقابل ذلك يطلق سراح جميع الارمن الاسرى ، ولكن لا تعاد اليهم أملاكهم .

٣ـ وعلى الملكين المتعاهدين ان يسلما الهاربين من الطرفين كل الى الآخر على ان يبقى في مصر الأرمن الذين اعتنقوا الاسلام ، وللمماليك حق شراء الرقيق من كيليكيا .

ووقع ليون المعاهدة مرغماً ، ولكنه منع بيع الرقيق للمماليك

## الملك حيتوم الثاني

## ١٢٨٩ ـ ١٣٠٥

كان حيتوم الثاني ملكا عادلا سليم القلب رفيع الخلق ذا بيان ومنطق ، وكان جنديا باسلا ويسميه الاوربيون « الترس المسيحي للشرق » .

ان سلامة قلبه وطيب نفسه جعلاه ضعيف الارادة رخو الادارة ، وكانت هاتان

الحلتان شائبتين لخصاله الممدوحة .

حينما اعتلى حيتوم العرش كانت حالة المسيحية في الشرق متضعضعة، فمماليك مصر قد استولوا على اورفه والقدس وانطاكية ، ثم طمعوا في كيليكيا فكانت دوما في خطر من غزوهم وخصوصاً عندما تولى حكم مصر الملك الاشرف الذي كان عدو الارمن الالد. كانت سياسة المماليك تهدف الى التوسع والاغارة على البلاد المسيحية ، وكان النهب والسلب والقتل والتخريب وأخذ الامرى ديدنهم ، وقد فرضوا سلطانهم على البلدان المسيحية ، فمنذ عام ١٢٨٩ حتى ١٢٩١ كانت امارات طرابلس وصور وصيدا وعكا وبيروت تحت نفوذهم ، وقد هدموا قلاع الدفاع الارمنية في سوريا على الرغم من المعاهدة المعقودة بين الارمن وبينهم ، وهددسلطانهم مملكة كيليكيا . وتجاه هذا التهديد الذي لم يكن له مبرر طلب الملك حيتوم العون من البابا ومن ملك الافرنسيين لان الحركة الصليبية في الشرق كانت قد خمدت ، وكان الملوك الاوروبيون الصليبيون قد عقدوا المعاهدات التجارية مع مماليك مصر وأمنوا وضمهم ، فلم يجدوا مبرراً لان يحاربوا لحساب غيرهم ، وذهبت تحريضات البابا سدى لان ملوك اوروبا لم يريدوا ان يثيروا حروبا صليبية جديدة .

وكانت محاولات حيتوم هذه سبباً في استعجال السلطان غزو كليكيا ، فوصل عام ١٢٩٢ الى ضفاف الفرات وحاصر مدينة روم قلعة التي كانت مقراً لبطريرك الارمن وهي محصنة باربعة اسوار ، ومحافظها آنذاك ريموند خال حيتوم ، وظل على حصارها ثلاثة ايام حتى دخلها عنوة فقتل سكانها حتى النساء والاطفال ، ونقل البطريرك أسيراً الى دمشق .

أدرك حيتوم الثاني جسامة الخطر الذي يحيق ببلاده من المماليك، ولما علم باحتلال السلطان روم قلعة أرسل وفداً سلم اليه مدن بهسني ومرعش وتل حمدون اتقاء للحرب وتخليصاً للبلاد من الخراب والدمار وبعد مدة ظهر القحط والوباء المظيم في بلاد المماليك فأوقعا فيهم الكوارث والويلات ، وحسب عضد الدين سلطان مصر الجديد ان سبب هذه المصائب هو المظالم التي أنزلوها بالارمن ، فعقد الصلح مع ملكهم وأعاد

اليه الاسرى والاسلاب المقدسة التي اخذوها من دير البطريركية في روم قلعة .

أراد الملك حيتوم الثاني ان يودع السلطة الى أيد قوية ، فتنازل عن العرش عام ١٢٩٤ الى شقيقه طوروس واعتزل في دير الفرنجيسكيه ، ثم خرج من عزلته هذه بعد عام نزولا عند رغبة أخيه طوروس وكبار رجال الدولة واجابة لاسترحامهم ، ووضع نصب عينيه تقوية كليكيا واقرار الامن فيها بالصداقة مع الدول المجاورة ، فرحل الى قازان خان ملك التتر واستقبله هذا بكل حفاوة ، ولما سبق ان كان بين الدولتين حلف فقد جدد حيتوم المعاهدة ، وبموجبها ألغى ملك التتر أوامره بتحويل الكنائس في البلاد التي تحت سيطرته الى جوامع ، اذ كان التتر قد اعتنقوا الدين الاسلامي بعد بوذيتهم . ولما عاد حيتوم الى بلاده وجد وفداً بيزانطيا ينتظره طالبا يد شقيقته الاميرة رتيا لشريك العرش ميخائيل بالهئولوغ ، وكانت غاية الروم من هذه الخطبة تقريب الكنيسة الارمنية الى كنيستهم .

اغتصاب عرش حيتوم : أرادت امبراطورة البيزانطيين وهي أخت حيتوم ان توطد العلاقات بين ارمينيا وبيزانطية فدعت أخاها الى القسطنطينية فلبي الدعوة وذهب مع شقيقه طوروس ، فانتهز أخوه الثاني سمباد فرصة غيابه فاغتصب العرش ١٢٩٧-١٢٩٨ ولتقوية مركزه شد الرحال الى ملك التتر وتزوج بأميرة من أسرة جنكيزخان . وبعد عام عاد الملك الشرعي مع اخيه طوروس ، فتولتها الدهشة عندما جابهها الامراء بعدم قبولها في البلاد ، فألح حيتوم على ان يعاد اليه حقه المغصوب، الا ان الغاصب سمباد قبض عليه وعلى اخيه طوروس قرب قيصرية بمساعدة قوة من التتر وسجنها في قلعة بارتمر ايبرت ، وبعد عدة ايام خنق اخاه طوروس وكوى عيني حيتوم بالحديد المحمي، وكان احد أمراء العائلة المالكة وهو قسطنطين اخو حيتوم قد ساعد اخاه سمباد على الاغتصاب ، الا انه لما رأى قساوته مع اخيه غضب فقبض عليه وسجنه واطلق سراح الملك السجين ، ثم جلس هو على العرش فكان الغاصب الثاني له ، ولما رأى لاشين سلطان مصر هذا الاختلال والتطاحن طمع بارمينيا ، فأوعز الى بدر الدين بكتاش والي دمشق والى الملك المظفر أميرها ان يغزوا كليكيا ، فسار الاول يقود ١٠٫٠٠٠ جندي

بطريق مضيق باكراص فوصل الى الاسكندرونة ، وسار الثاني من ضفاف جيحون الى الشمال فالتحق ببدر الدين ، ودخل الجيشان الموحدان مضيق سيس في ١٧ نيسان ١٢٩٩ ، وسارا بكامل قواتها الى اطنه ثم توجها الى تل حمدون ونهبا كل ما صادفا في طريقهما ، ودخلا ارمينيا التي تركها اهلها في ١٨ حزيران ١٢٩٩

اختبأ الاهالي غير المسلمين في قلعة النجم وتحصنوا في مدينتها الصغيرة ، وبعد دفاع ومقاومة عنيفة مدة ٤١ يوما رأى قسطنطين الغاصب عجزه عن مقاومة جيش المماليك فطلب الصلح لقاء تسليم عشر قلاع . ولم يبق قسطنطين في الحكم مدة طويلة ، اذ ان الملك الشرعي شفيت عيناه من الحرق الذي أصابها ، فعاد الى عرشه بطلب والحاح كبار رجال الدولة والعائلة المالكة ، وعارضه الشقيقان الغاصبان باصرار وعنت ، الا ان حيتوم تغلب عليهما بواسطة فرسان الهيكل ، وقبض عليهما فطردهما من البلاد ونفاهما الى القسطنطينية فماتا فيها غريبين .

حرب حمص : بعد ان استرد حيتوم عرشه عصى القائد التتري وجيشه على ملك التتر بالاتفاق مع سلطان مصر ، أما حيتوم فانه بموجب حلفه طارد القائد التتري حتى قبض عليه وارسله الى مليكه قازان خان . وأراد نزار محمد سلطان مصر الشاب ان ينال الشهرة والمجد ، فرتب غزوة على التتر والارمن لنيل سوريا وفلسطين والعراق ، وتحرك من حمص بمائة الف مقاتل ، وكان حيتوم يقود الجيش التتري الارمني ، والتقى الجيشان وتناجزا قرب حمص وذلك عام ١٢٩٩ ، فانتصر الجيش المتحالف واحتل دمشق وحمص وانطاكية ، وأعاد ملك التتر الى حيتوم تل حمدون مع العشرة القلاع التي كان اعطاها للمماليك قسطنطين المغتصب .

وفي تلك الاثناء ، شبت نيران القلاقل والاضطرابات في مملكة قازان خان ، فاضطر جيشه الى ان يعود الى بلاده لتهدئة الحال قبل ان يتم القضاء على جيش المماليك ، وترك البلاد المفتوحة ، الى اصحابها ، وبهذا العصيان تفككت الامبراطورية ، وباشر ملوك التتر بتأسيس امبراطورية من جديد .

لم ينس سلطان مصر فوز حيتوم عليه ، وفي سنة ١٣٠٢ حين رفض اداء الجزية

الى مصر أرسل نزار محمد جيشا عظيما الى كيليكيا فر من مضيق باكراس وغزا سيس ، وبعد ان نهبها عاد الى حلب ، وأراد قازان خان ملك التتر مع حليفه الملك حيتوم ان يقطعا دابر غزواته فلم يستطيعا ، لذلك أعلن قازان الحرب على نزار ، وفي عام ١٣٠٣ تقابل الجيش التترى الارمنى مع المماليك في سفوح جبال قبا كيلو ، أما قازان خان فقد مكث في نينوى وأرسل قائده غرطلوز الى الحرب . وكان الظفر بادىء الامر فى جانب الجيش المتحالف ( الارمني التترى ) ، الا ان هذا الجيش أسرع الى منابع الماء لينقع غلته ويطفىء أواره ، فانقلب الامر وقتل الكثير من جيش الارمن والتتر ، أما البقية فانها غرقت حين عبورها الفرات ، فذعر قازان خان من هذا القلب وأمر أن يبصق فى وجه قواده . أما حيتوم الذى تظاهر بقوة جيشه فانه اخذ مبلغا كبيراً من المال وممونة عسكرية من قازان خان ، ثم عاد الى بلاده .

# دور انحطاط دولة كليكيا الارمنية

## ١٣٠٥ ـ ١٣٧٥

### أسباب الانحطاط

ان اسباب انحطاط دولة كليكيا الارمنية كثيرة ينحصر أهمها فيما يلي :

١ـ ضعف الامبراطورية التترية حليفة الارمن ، تلك الامبراطورية التي كانت قبل جيل تسيطر على اكثر العالم المعروف يومذاك ، فصارت تهن الآن يوما بعد يوم امام الأمبراطورية المصرية حتى غدت مهددة من قبلها ، واذ رأى قربانغاندخان الخطر المحيق بأمته وعلم ان لا قبل له بدفعه ، نبذ دينه البوذي واعتنق الاسلام ، ثم وجه السلاح الى حليفته السابقة ارمينيا دون ما رحمة او اشفاق .

٢ـ ارتحال الفرسان الشجعان عن البلاد ليأسهم من جدوى قوتهم .

٣ـ ضياع قلاع الدفاع فى الحدود .

٤ـ التدهور الخلقى ، والتفرقة فى الصفوف بسبب الخلافات المذهبية ، وقد كان ذلك كثيراً ما يؤدي الى اصطدام مسلح دام .

٥ـ اتساع رقعة امبراطورية المماليك التي عاصرت الدولة الارمنية اتساعا بلغ من سواحل النيل حتى خليج البصرة ، فصار الحكام المسيحيون فى شرقها ووسطها بين فكيها وكانت حكوماتهم تلفظ آخر انفاسها ، ولم يبق منها اخيراً إلا الدولة الكيليكية المسيحية فقط ، فكان القضاء عليها أمراً سهل المنال .

وكان من مصلحة الارمن آنئذ ان ينفضوا يدهم من علاقاتهم باوروبا، لان سلاطين المماليك كانوا يرون في هذه العلاقات السياسية خطراً على كيان دولتهم ، كما ان دول اوروبا كانت ترى في ارمينيا منفذاً للتدخل فى الشؤون الشرقية والمصرية ، فرأى المماليك ان يدمروا كليكيا الارمنية فيقطعوا بذلك دابر سياسة اوروبا .

لم يفطن الارمن الى الألاعيب السياسية وأحابيلها وظلوا ينتظرون العون من

اوروبا ولكنها أغمضت عيونها وصمت آذانها . واخيراً أدرك الارمن بان منافعهم ليست في اوروبا البعيدة بل في مصافاة الجار القريب وصداقتـه والولاء له ، ولو ان الواجب كان يقضي على اوروبا ان تعطف على ارمينيا وتعدها بالثقافة والحضارة . أدركوا الخطر بعد فوات الأوان بعد ان درست الامارات اللاتينية وتجرد الغربيون عن عواطف الفروسية القديمة التي كانت تهيب بهم الى اغاثة الملهوفين ، وتخلوا عن القضيـة المسيحية في الشرق ! .

## الملك لئون الرابع

## ١٣٠٥ ـ ١٣٠٨

تنازل الملك حيتوم الثاني في سن الشيخوخة عن العرش لحفيده لئـون الرابع وتوجه ملكا ، واعتزل نهائيا ، الا انه وعد ان يكون له مرشداً وناظراً في المسائل الهامة تحت اسم « الجد الوصي للملك » .

اما الملك الجديد فهو ابن طوروس الثـاني من مركريت لوسينيان ، جلس على العرش وهو في السادسة عشرة من عمره ، ولم تتح له الفرص اظهار عبقريته ، لان دور الفوضى كان قد بدأ يضرب اطنابه في كليكيا ، حتى ان الملوك لم يجدوا الوقت الكافي للقيام بمراسيم التتويج .

وبالرغم من وجود المعاهدة بين الارمن والتتر كانت غزوات المماليك تتوالى يوما بعد يوم ، وتذرع والي حلب بامتناع ليون الرابع عن دفع الجزية فارسل قائده قوش تيمور الى كيليكيا لغزوها ، فلما سمع حيتوم الثاني بخبرها وهو معتزل في الدير أشهر السيف وغادر ديره وسار الى ساحة الوغى ليحارب الى جانب الملك الشاب ، وبمعـاونة الجيش التتري للارمن انكسرت المماليك وتقهقروا الى حلب سنة ١٣٠٥ .

ورأى حيتوم الثاني ان صلاح الارمن يتوقف على اتحادهم بالكنيسة الكاثوليكية فعقد لذلك مجمعاً روحانياً عاما حضره ٤٠ مطرانا والكهنة والامراء ، وانعقدت جلسته في سانتا صوفيا كاتدرائية العاصمة ، فقرر الاتحاد وأيد هـذا الاتحاد الكاثوليكوس (١)

---

١) الـكاثوليكوس *catholicos* هو الرئيس الاعلى العام للطائفة ويسمى في عرف العرب «الجاثليق»

كريكور السابع الآناوارزائي ، ولكن السواد الاعظم من الشعب رجالاً ونساء خالفوا القرار واستنكروه لانهم رأوا فيه خطراً على كيان الامة ، وأعلنوا التمرد والعصيان .

مقتل حيتوم الثاني وليون الرابع : كان لقرار المجمع نتائج سيئة أفقدت كيليكيا سلامها ،فلقد تمكن القسم الثائر المتهور الهائج من عرقلة تطبيق القرار في جميع انحاء المملكة الا العاصمة سيس ، فما كان من الشعب الا ان رفع الشكوى الى القـائد التتري بلاركو الذي كان يمثل ملك التتر في العاصمة، وصادف هذا هوى في نفس بلاركو لينتقم من ليون الرابع وحيتوم الثاني ، ومن حيتوم على الاخص لانه كان قد منعه انشاء جامع في سيس .

ثم ان بلاركو طمعاً في ان ينال ملوكية ارمينيا دعا حيتوم وليون الى قلعة انارزابا بحجة التداول في الامور الهامة ، فذهبا ومعهما ٤٠ اميراً من أمراء البـلاد ، ودخلوا خيمة القائد ليلا وكانت محاطة بجنود مدججين بالسلاح ، وما استقر بهم المقام حتى نهض بلاركو وصاح باعلى صوته « الله اكبر » وكانت اشارة للجند فدخلوا الخيمة حيث أصدر اليهم أمره بنذالة بربرية فذبحوا الجميع مع الملك الشاب والوصي حيتوم والمارشال اوشين وذلك عام ١٣٠٨ .

## الملك اوشين الاول

## ١٣٠٨ ـ ١٣٢٠

اوشين هو الاخ الرابع لحيتوم الثـاني ، وحينما سمع بمقتل أخيه والملك الشـاب بواسطة رسول أرسله والي آنارزابا بادر في الحال مع فوج المغول وتعقبهم الى خارج حدود البلاد ، وبعد عودته أعلن ملوكيته وتوج في كاتدرائية طرسوس سنة ١٣٠٨ .

وكان يحمل فكرة أخيه حيتوم في الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية ، فأراد تنفيذ قرار السينادوس اي المجمع الروحاني العام ، ولكن شعوب الارمن عارضته ، ونظراً الى ما رآه من عاقبة أخيه فقـد اضطر الى اخذ العصيان بنظر الاعتبار وتسكين الخواطر وتهدئة الافكار لتأمين سلامة المملكة من طمع الطامعين ، وفي الحين ذاته لجأ الى الصرامة

مع اولئك العصاة ، وقد كان استعمل الرفق بادىء الأمر ، ولكنه عاد فسجن ونفى المعارضات والمعارضين وبالرغم عن هذه الصرامة لم تلن قناة الارمن ولم يرضخوا الى مطلب الملك بالانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية ، وكان مطران القدس قبل خمسة أعوام قد اعترض على قرار السينادوس ، فراجع الآرمن نزاراً ملك مصر وطلب اليه براءة سلطانية بعدم اطاعته للبطريرك ، وأعلن المطران بطريركيته على كرسى القدس عام ١٣١١ رامياً بذلك الى استقلال الأرمن عن حكم البابا .

تأكد للملك اوشين سلامته من غزوات القاهرة وقونية ، ولكنه كان يحس في نفسه ان هناك كميناً يتربص ببلاده الدوائر ، فأرسل رسلاً ثلاثة الى اوروبا ليبينوا لملوكها وضع المسيحيين الخطر فى الشرق طالباً الامدادات العسكرية والمالية ، ولكن الغرب لم يحفل بطلبه ، ولم يرسل البابا الا ٣٠٫٠٠٠ قرش ذهبي معتذراً بانه لا يستطيع اعلان حرب صليبية ولا انقاذ المسيحية فى الشرق ، فيئس اوشين من اوروبا واستمد لمواجهة الخطر معتمداً على قوته الخاصة .

وكان واقشي وهو أمير قوي من أمراء الاناضول قداستفاد من خذلان الاوربيين للارمن فجمع قوة من القرمانية والسلجوقية وغزا مدينة طرسوس ، فأرسل عليهم اوشين الامير اوشين بايلي صاحب قلعة كوريكوس فرق الغزاة وطرد فلولهم بسيفه الى خارج الحدود عام ١٣١٩ .

وفى عام ١٣٢٠ أرسل نزار الملك الجالس على أريكة مصر ثانية جنداً من المماليك الى شرق كليكيا ، ولما اقترب من العاصمة سيس نهب ضواحيها ، فلما وصلوا قرب ميناء اياس استقبلهم الجيش الأرمنى ومزق صفوفهم ، فاضطر المغلوبون الى ان يرجعوا القهقرى الى بلادهم ، ولكن الملك اوشين لم ير ظفر جيشه اذ أدركته المنية فى عاصمته أثناء الحرب .

## الملك ليون الخامس

## ١٣٢٠ - ١٣٤١

ليون الخامس هو نجل اوشين ، جلس على العرش فى سن العاشرة ، وكان الملك اوشين قبل وفاته قد جعل اوشين بايلي وهو خال الملك وصياً عليه ، وكان الوصي مشهوراً

بشجاعته متجبراً معتداً بنفسه يحب المجد والسلطان ويفرض الطاعة العمياء ، فكان أبرز شخصية يمكن الاعتماد عليها للوصاية . وبعد وفاة الملك اوشين استعمل بايلي كل صلاحياته وقواه لمطامعه الشخصية فابغضه الجميع ، فلقد أعدم ونفى كل من خالف أوامره ، وعلم ان عمة الملك ليون الخامس سعت لاغتياله فخنقها ودس السم لأبنيها هوكوس وهنريكوس اما ابناها الآخران فطردهما الى خارج البلاد ، وفي عهد وصايته انحطت القيم الاخلاقية واختلت الامور فكانت المؤامرات والاغتيالات السياسية والتسميم أموراً عادية يومية وكان الابتذال والسفاهة وقلة الذوق صفات غالبة . ولكن الى جانب هـذه الرذائل والانحطاط الخلقي فان بايلي عمل لاصلاح الادارة وقام بالتنظيمات العسكرية في بلاده التي كانت آنئذ محاطة بالاعداء ، ولكن أعماله جاءت متأخرة عن الزمن فقـد عم البلاد الخراب .

سنة ١٣٢٢ اتفق نزار سلطان مصر وتيمورطاش التتري وآرمان التركماني فسيروا جيـوشهم على كليكيا المحرومة من كل عون وحليف ، وتقدمت هذه الجيوش فقتلت ونهبت وسبت ودمرت المدن العامرة ، ولم يكن ممكناً آنذاك الدفاع الجامع بسبب المنافرات الحزبية والمذهبية وانشغال الأمراء بها ، ولكن زمرة من الشباب الوطني تبرعوا من تلقاء أنفسهم فشكلوا فرقا للدفاع ، وتفرقوا عصابات ألحقت بالعدو أضراراً فادحة جداً ، فقد سدوا المضائق ونصبوا الكمناء في طرق العدو واكثروا فيه القتل تاركين جثث القتلى على شطوط الأنهر ، كما انهم هجموا على المعابر فانزلوا بالعدو أضراراً بالغة .

وكادت العاقبة تسوء للغاية لو لم يتداركها البابا وملك التترمع ملوك اوروبا فعقدت معاهدة بوقف الحرب لمدة خمس عشرة سنة ، وبذلك قويت الاختلافات الداخلية اكثر من قبل .

لما بلغ الملك الصغير التاسعة عشرة من سنيه تخلص من وصيه باغتيـاله مع أخيه ، وبعد مقتل الوصي سار الملك على هواه فلم يراع قانونا او نظاماً ، وأوصلت اخلاقه السيئة كيليكيا الى حافة الهاوية ، وبينما كانت في حاجة الى ملك حكيم قدير يلم شعثها ويقيهـا

عوامل الفناء تولى أمرها على النقيض ملك جاهل غرير !

ان كل فعالية هذا الملك كانت منحصرة في مراجعاته ملوك اوروبا ، فيتحرك بهذا غيظ مماليك مصر كما شعروا انه بعد يده لتكوين جيش صليبي ، واخيراً هاجموا بلاده ضاربين بالمدنة المعقودة بين البلدين عرض الحائط ، فالتجأ ليون الى قلعة كبان ولم يعترض سبيل العدو المخرب أي مانع ، ثم أعطى ليون المماليك الاراضي الواقعة على الشطر الأيسر من نهر جيحون مع سبع قلاع و ١٦٫٠٠٠ ليرة جزية ، كما انه حلف لهم يميناً بعدم الاتصال بالأوربيين . على ان هذا الملك الغر الذي لم يدرك منافع بلاده عاد يخابر الاوروبيين الذين لم يكسبوه إلا تألب الأعداء ، فتقدم اليه مراراً أغوب الثاني بطريرك الأرمن عهدئذ بنصحه الخالص ان يكف عن استمانة اوروبا ويتقرب من ملوك المسلمين ويعاهدهم وخصوصاً سلاطين مصر ، ولكن نصحه كان نفخاً في رماد فان الملك الاحمق لم يرعو وظل على سياسته الخرقاء التي أضرت بصالح البلاد .

وفي أواخر ايام ليون الخامس ظهر شخص آخر أخل بالهدوء والأمن الداخلي وهو راهب يدعى اوهانس كوني أنشأ رهبنة على غرار الرهبنة الدومنيكية ، أطلق على رهبانها اسم *Uniteur* « اونيتور » ( الموحدون ) ، فحرفوا اللغة الارمنية وقربوها الى اللغة اللاتينية ، وأدخلوا التعاليم الكاثوليكية ، ومال الملك الى جانبهم وشجعهم وعاونهم ، وانقسمت الامة حزبين : الحزب الكاثوليكي ويرأسه الملك والحزب الارثوذكسي ويرأسه البطريرك ، وبناء على السلطان الملكي عزل ليون الخامس البطريرك ، فثارت الحمية في الشعب وغلت في صدوره مراجل الحقد فاغتال الملك ، وباغتياله انقضى حكم اسرة بابيرونيان .

# نهاية اسرة بابيرونيان

## ملوك لوسينيان على عرش كيليكيا الارمنية

### الملك كوئيدون لوسينيان

### ١٣٤٢ - ١٣٤٤

مات الملك ليون الخامس بغير خلف ، فانتهى به سلطان اسرة بابيرونيان . وكان قبل موته قد عين ولياً لعهد المملكة كوئيدون لوسينيان ابن عمته وهو ارمنى الأصل من جهة الأم لأن امه كانت ابنة ليون الثاني ، وهكذا انتقل العرش من اسرة بابيرونيان الى اسرة لوسينيان الافرنسية الأصل من جهة الاب .

كان كوئيدون منذ سنة ١٣١٨ حتى ١٣٤٢ في القسطنطينية عند خالته الامبراطورة مريم ، وقد نال ولاية سيرز واشترك في محاربات بيزنطية ، وحينما دعي الى عرش كيليكيا رفض ذلك اولا لانه كان يعلم ان المملكة قد وصلت الى راس الهاوية ، ثم ترك اخيراً البوسفور على كره منه بعد ان أحرز انتصارات عدة .

كان كوئيدون طيب القلب ، ذكياً شجاعا قوي الارادة ، طموحا متشبثاً ، وكان مغتراً بنفسه ، وبهذا الغرور وبغير ما روية وحسبان لضعف قوته العسكرية رفض اداء الجزية التى طلبتها دولة المماليك القوية قائلا « أنا لا أعطي جزية ولا هدية حتى تعاد الينا البلاد المغصوبة » وعلى الرغم من رغبة الشعب فى محالفة سلطان مصر ، فانه أراد أخذ حقه بالقوة خلافا لرغبانه ، وقرر المقاومة المسلحة ، ولقد أفلح ، فمع ان مدة حكمه كانت قصيرة فانه لم يترك من اراضي المملكة شبراً واحداً للمماليك .

وبما انه كان فرنسي الأصل فقد جلب معه الى كيليكيا الكثيرين من امراء الفرسان الافرنسيين وأناط بهم الاعمال الهامة وأقصى أبناء الوطن عن الوظائف ، وبدل اللغة الأرمنية باللغة الافرنسية في الامور الرسمية ، ولقد وجه كاسلافه النظر الى اوروبا رغماً عن ميل الرأي العام الى جاره ورغبته في صداقة مصر ، وقرر مقاومة المماليك بكل

وسيلة ، وأرسل الى باريس ولندن وفدين نظراً لقيام البابا بحروب صليبية ضد المماليك وضد القرمانيين التركمان، وبسبب سياسته السقيمة احتقره الشعب وكرهه الامراء كرهاً شديداً ، واغتيل عند دخوله اطنه ، وقتل معه أخوه بيموند وثلثمائة افرنسي ، وكان ذلك في ١٧ تشرين الثاني ١٣٤٤ .

## الملك قسطنطين الثاني لوسينيان

## ١٣٤٤ ـ ١٣٦٣

بعد مقتل كوئيدون لوسينيان بسبب سياسته البعيدة عن رغبات الشعب امتنعت الأمة الارمنية عن تمكين لوسيني آخر من ارتقاء عرشها لانها اعتقدت ان أي شخص اجنبي سيؤسس فيها دولة لاتينية ويدير الامور خلافاً لأماني الأمة ، ولذلك فبدلا من ان يقيموا وريث العرش انتخبوا قسطنطين بن المارشال بغدين، وكان هذا الملك الجديد ارمنياً ومربوطاً بالعائلة المالكة الارمنية بآصرة المصاهرة .

كان قسطنطين سياسياً حكيما تمكن من تهدئة الخواطر والافكار الهائجة عند الارمن باقصائه أقرباء كوئيدون خارج العاصمة ومصادرة املاكهم .

كانت حالة البلاد والدولة في أقصى درجات الحراجة بسبب الغزوات المتواصلة التي تشنها جاراتها ، ففي سنة ١٣٤٧ حاصر الاسطول المصري ميناء آياس الواقعة على البحر الابيض واحتلها ، كما ان تركمان قونيه احتلوا مدينة طرسوس، وفي ١٣٥٩ أرسل سلطان مصر ناصر حسن جيشه للاستيلاء على كليكيا فاحتل مدينة سيس وأطنه وطرسوس وسلم الادارة فيها الى ولاة مصريين ، ثم عاد السلطان الى حلب وأعقبه التركمان القرمانيون فحاصروا كوريكوس وقد دافعت عن نفسها دفاع الابطال كما كان الملك قسطنطين من جهته يدافع عن العاصمة . وفي ذلك الحين وصل من قبرص اسطول الملك بطرس الاول الى كوريكوس بقيادة روبيرت لوسينيان فانقذ المحصورين من يد الغزاة وكان ذلك عام ١٣٦١ .

## الملك قسطنطين الثالث

### ١٣٦٥ - ١٣٧٣

توفي الملك قسطنطين الثاني ولم يعقب نسلا ولا ترك وليا ، وفي عام ١٣٦٣ أي قبل تولي قسطنطين الثالث بسنتين حدثت بسبب العرش حروب داخلية بين محبي أسرة لوسينيان وبين الوطنيين ، وتغلب اخيراً الوطنيون فتبوأ قسطنطين الثالث نغريان العرش .

كان هذا الملك مستبداً ضعيف الارادة وقد ترك مقاليد امور الدولة بيد الملكة السابقة ولم يسع او يهتم بالمسائل الهامة ، فارتفعت في زمانه الشكوى وزادت الغزوات الخارجية على البلاد، ونفر الوطنيون من اوضاعه، فقتل بمؤامرة من البلاط عام ١٣٧٣.

كان قسطنطين قد عاد الى منهج بعض اسلافه في الملك فطلب معاونة بطرس الاول القبرصي واذ اراد هذا ان ينتفع من وجود دولة كليكيا المسيحية لمصالح دولته فقد قرر هذه المعونة ، ورحل في الحال الى اوروبا ليجمع ١٠٫٠٠٠ جندي من أشتات الأمم المختلفة ، ووصل الى رودس سنة ١٣٦٥ فهجم منها على الاسكندرية واحتلها لحرق ونهب ، ولكنه انسحب منها على أثر حملة المماليك العظيمة وعاد لتخليص ميناء آياس المحصورة من قبلهم ، بيد انه لم ينجح في انقاذها فتركها وسافر الى اوروبا لحشد قوة اخرى ، وفي ذلك الحين كان جيش المماليك من جهة وجيش التركمان من جهة اخرى قد دخلا البلاد واحتلا العاصمة سيس ، وقتل في الدفاع عنها القائدالبطل ليباريد وهو آخر قائد عام ارمني كان يحارب العدو وجهاً لوجه بمنتهى الشجاعة والحماس .

وبسبب ضعف الدولة الكيليكية وعجز الملك قسطنطين الثالث فقد كانت الغزوات تزداد عليها يوما بعد يوم من جميع الجهات ، وكانت جيوش الأمراء ورؤساء القبائل الاسلامية الموجودة في الاناضول وسوريا تدخل كليكيا تترى فتنهب وتقتل وتسبي دون أية مقاومة . واراد الملك بطرس الاول القبرصي ان يعين الارمن فدخل البلاد متخفياً ولكنه قتل في نيكوصيا بمؤامرة عام ١٣٦٩ .

## الملك ليون السادس لوسينيان
## آخر ملوك كيليكيا الارمنية

افضى مقتل قسطنطين الثالث الى قلاقل واضطرابات كانت القاضية على حياة الدولة الارمنية في كيليكيا ، فالوطنيون عارضوا اعتلاء لوسيني العرش كما سبق ان ذكرنا والحزب الموالي للوسينيان كانوا يأملون المعونة من ملوك لوسينيان الاصليين فى قبرص



لئون لوسينيان السادس
( نقلا عن تاريخ موسيسيان )

ودوروس(١) لتنصيب شخص من عائلتهم . وكان الوطنيون يرغبون فى ان يبوئوا العرش اميراً المانياً يدعى «Othen Bronswik» ، ونجحوا فى ذلك ولكنهم فشلوا في فسخ خطبته لتزويجه من اميرة ارمنية ، واتفق الحزبان اخيراً على ايداع العرش الى ليون السادس وهو آخر سلالة لوسينيان .

١) صور

كان ليون مسجونا مع سائر الامراء في قبرص ، سجنه الجنويون الذين احتلوا الجزيرة ، وكان في مدينة فاماغوستا حينما قدم اليه التاج الارمني ، ولكنه لم يكن يستطيع الخروج من السجن ولذلك شكلوا مجلس وصاية من الملكة مريم والكونتس فيمي اخت قسطنطين الثاني واسيل بن طوروس ، ولكن هذا المجلس خلال حكمه سنة واحدة زاد في نكبات البلاد ، فتفرقت قلوب الشعب وغضبت الاحزاب ونهبت خزينة الدولة ، واستعد الشعب للثورة والعصيان ، وصمم على قتل اعضاء مجلس الوصاية تخلصاً من الفوضى وانقاذاً للمملكة من طمع الاعداء ، وفي ذلك الحين وصل الملك المنتخب بعد ان دفع للجنويين الفدية التي فرضوها ، وكان وصوله في ٢ نيسان ١٣٧٤ يوم عيد القيامة ، فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل الشعب والجيش والبطريرك الوطني الذي كان يحث على الاستعانة بالمماليك هو وسائر اكليروسه ، وكان يوم وصول ليون يوماً مشهوداً ، وكان عيداً في يوم عيد !

كان هذا الملك نبيلا شجاعا قوي الارادة، شديد الولاء لوطنه ، فطناً ذا مقدرة عسكرية ، وعلى حين انه ترعرع ونما في قبرص ، وتربى التربية اللاتينية واحبها ، إلا انه كان يفضل اللغة الارمنية ويحب أساليبها وعقائد أهلها ، وقد وقف نفسه على مجد وعظمة الأمة الارمنية ، واتصف ليون بسلامة القلب والتسامح والتجرد عن حب الانتقام فلم يذكر انه سعى يوما للثأر من معارضيه ، وكان الى ذلك كله متديناً تقياً .

توج عام ١٣٧٤ في كاتدرائية القديسة صوفيا في العاصمة سيس من يد المطران ناربوني حسب التقاليد اللاتينية، ثم باركه مع قرينته الأميرة مركريت البطريرك الارمني الكيليكي ، ولكن هذا التتويج المضاعف أخمد حب الملك في قلوب الارمن الذين كانوا يكرهون ويجتنبون كل العادات والتقاليد الاجنبية ، وعدوا البركة اللاتينية امتهانا لتقاليدهم ومذهبهم ، ولذلك لم تتناقص العداوة المتأصلة بين اللوسينيين والوطنيين بل تفاقمت واصبحت البلاد على شفا جرف هار ، وأدت هذه القلاقل والمنازعات الى القضاء على الدولة الارمنية في كليكيا .

كان ضربا من المستحيل ان تقف الدولة الارمنية على رجليها ، فانها كانت تحتاج لذلك الى قوة تفوق طاقة البشر تنعش دولة متفسخة منحـلة متضعضعة أسسها عسكريا واداريا ومعنويا وماليا ، ولذلك فان ليون كان قد رفض أولا قبـول العرش الارمني ، ولكنه اخيرا قبل تحمل عبئه كواجب وطني يدعوه ان يشكل ادارة وقوة لمجابهة الغزوات المتكررة من قبل دولة المماليك التي لم ترع إلا ولا عهدا .



الملكة كورنا آخر ملكة للارمن
( نقلا عن تاريخ موسيسيان )

ومنذ دخول الملك كيليكيا عام ١٣٦٩ وجد سلطان المماليك اشرف شعبان يحكم قسما منها وكذلك داود بك الايراني التركماني وأبو بكر . وهذان الاخيران كان قد جرد كل منهما حملة ١٠٫٠٠٠ جندي فاحتلا قسما من البلاد حتى حدود العاصمة سيس الى آنارزابا واستوليا على عدد من القلاع المحصنة في البلاد ، وكان الاعداء يسمحون بتموين العاصمة لقاء خاوة بسيطة .

ورغما عن مسيحية ليون وتعصبه ، فقد مال الى مصافاة الملوك والحكام المسلمين

وجلب مودتهم ونجح في انشاء علاقات طيبة معهم ، وعقد معاهدة سلمية مع داود بك.

لقد ساء ليون أن وجد الخزينة الملكية خالية الا من التاج الملكي ، بينما كان من الواجب ان تحتوي على احتياطي قدره ١٠٠ر٠٠٠ دوكاد كان قد اودع حرصا من طمع الجنويين في البلاد ، واحل عذر مجلس الوصاية ومشايعيه ان المبلغ استعمل في دفع الغزاة عن البلاد ، ولكن الملك أثبت سوء تصرفاتهم في وجوه الانفاق بشهادة البطريرك والامراء والشعب ، ثم انه وبخ هؤلاء المتسببين في هذه التصرفات المشينة وحقرهم بابعادهم وسجنهم حتى اضطروا الى اعادة المبالغ الى الخزينة ، وبفرصة عيد تتويجه عفا عنهم ثم أعادهم الى العاصمة .

كان الملك الاشرف سلطان مصر محيطا بحالة البلاد الارمنية مطلعا على ضعفها وانحطاطها وفراغ خزينتها وعجزها عن الدفاع ، فأمر أبا بكر قائد التركمان التابع له ان يحاصر العاصمة ويفتحها ، فسار اليها على راس ١٥ر٠٠٠ جندي واحتل القسم الجنوبي منها . أما الملك ليون فانه تحصن في القلعة الداخلية مع حاشيته وحرمه وعدد كبير من سكان المدينة . وطال الحصار وضاقت بهم الحال فأصدر الملك الأشرف امره الى والي حلب ان يسير ويشدد الحصار عليها فاقبل هذا عليها بجيش عدده ١٥ر٠٠٠ ، وفي ذلك الحين حاول اغتيال الملك ليون السادس مراسله الافرنسي ولكنه نجا .

دافع المحصورون في القلعة بكل بسالة ، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود لهذه الاعداد المتزايدة خصوصاً وأن مؤنهم نفدت ، فارغموا الملك على فتح أبواب القلعة للغزاة ، ثم تلقى الملك رسالة من والي حلب عشق تيمور الذي كان قائما بالحصار فيها يطلب اليه ان يسلم نفسه ثم يفتديها ويرحل الى اية جهة كانت مع عائلته وحاشيته وامـواله المنقولة على شرط ان يعتنق الاسلام ، بيد ان الملك رفض الشرط الاخير فألغاه عشق تيمور وتمسك بالشروط الباقية . ولما نفد كل عتاد ومـؤونة لدى ليون وانطفأ في عينيـه نور الامل سار بنفسه الى عشق تيمور الذي استقبله بكل أدب ولياقة واحترام وكان ذلك عام ١٣٧٥

وكذلك أسدل الدهر الستار على المملكة الأرمنية ، وكان ليون آخر ملك نزل عن مسرحها ! ودخل ليون القاهرة صحبة عشق تيمور الذي قدمه الى الملك الاشرف غازان ، أما هذا فأخلف عهده ولم يطلق له الحرية للسفر الى أية جهة يشاء بل سمح له بالسكنى في القاهرة ، وخصص راتبا كبيراً له ولعائلته ولكل حاشيته . واستقبلت الجالية الارمنية في القاهرة مليكها الاخير، وأسكنوه قصراً فخما ظل فيه تحت نظارة سيف الدين طاش تيمور حتى مغادرته القاهرة .

ثم أخلى عشق تيمور سبيل حاشية الملك لتعود الى كيليكيا ، اما الملك ليون فقد ترك القاهرة سنة ١٣٨٢ بعد ان مكث فيها سبع سنين ، وتم ذلك بتوسط ملوك اوروبا وعلى الأخص ملك اسبانيا . وفي اوروبا استقبله ملوكها بالحفاوة البالغة والتبجيل لانه كان «ضحية للقضية المسيحية» ومنحوه جميعاً اوسمة مختلفة ، وصرح الملك الافرنسي انه اعظم شرف له ان يقدم وسامه لملك عظيم ، ودعاه ملك انكلترا « يا اخي المحبوب » وخصص له راتباً كبيراً . اما ملك كاستيليا فقد قدم له مدن مدريد وفيللا ريالة واندوخار ، وأهداه تشارلس السادس قصر سنت دوئين مع جميع مشتملاته من أثاث ورياش ، وبهذه الهدايا التي بذلت للملك الارمني غدا أغنى شخص في اوروبا، ولكن هذه كلها لم تبهره بقدر ما كان يشغل فكره احياء دولته وتجديد مجد أمته ، وكان دوماً يعد نفسه ملكا ضعيفاً مغدوراً !

خطب ليون السادس عام ١٣٨٥ في مجلس الشيوخ ( اللوردات ) الانكليزي بمناسبة وساطته للمصالح الانكليزية الافرنسية ، وكان خطابه بليغاً أوضح فيه المنافع التي تجنيانها من اتحادهما والفوائد والخدمات التي تقدمانها الى وطنيهما ، وكانت النتيجة ان اتفقت الدولتان « لمجد الله ، ولشرف ملك الارمن » وعقدتا بينهما معاهدة لمدة اربعة أعوام .

لم يتمكن هذا الملك المكلوم الفؤاد ان ينسى آلامه او يتغلب على أحزانه ، فمات كمداً عام ١٣٩٣ في باريس في قصر تورنيل قصر الملوك الافرنسيين .

....

لقد كانت الدولة الارمنية الصغيرة منذ تأسيسها حتى سقوطها مطمح انظار الامبراطوريتين الاسلامية والبيزانطية ، ولقد ناضل ملوك روبينيان رغما عن قلة عديد جيوشهم ما امكنهم النضال لتأييد دولتهم وتثبيت مكانتهم ، وقد نجحوا في توحيد كيليكيا وتقويتها ، فشادوا اثنين وسبعين قلعة ، وأنشأوا خطوطا دفاعية .

وقدازداد الارمن ثقافة بتماسهم مع الصليبيين، وعلى الرغم من احاطتهم بالأعداء من كل جهة ، فقد ارتقت تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم وفنونهم ، وعمروا الكنائس والأديرة العديدة وأسسوا المعاهد والمدارس ، أما سبب سقوطهم وانقراضهم ، فهو عدم تمشيهم مع السياسة الشرقية الاسلامية ، والدسائس التي بثها أهل اوروبا بين طبقات الشعب الارمني .

## النتائج السيئة للسياسة البيزانطية

ان الجدل والمنازعات المذهبية كانت سبباً في قيام العداء والكره بين البيزانطيين والأرمن ، ولم تكن هذه العداوة جرما حسب بل أدت الى انقراض الدولتين معاً .

كان على بيزانطية ان تسعى الى تقوية الدولة الأرمنية وادامتها حليفة لها فتلك الدولة التي تحكم من دجلة الى البحر الاسود ومن الفرات الى بحر الخزر ويبلغ سكانها عشرة ملايين نسمة كانت مستعدة ان تجيش عدة فرق عسكرية تحفظ بها حدودها وحدود الروم ، ولقد شعر اكاسرة فارس وقياصرة بيزانطية الوثنيون باهمية ارمينيا لمنافعهم العامة ، ولكن القياصرة المسيحيين غفلوا عن هذا السد الارمني المنيع الذي يقف بوجوه السلجوقيين ويصدهم عن بلاد الروم ، ولم يقدروا ان خراب ارمينيا سيؤدي يوما ما الى دمار امبراطوريتهم حتما ، اذ يفتح الطريق الى القسطنطينية ، وها هم الاعداء يقفون فى قونية التي لا تبعد كثيراً عن العاصمة البيزانطية . وهكذا فرطوا في حق العنصر الارمني القوي الشجاع الجرىء ، فعاد عليهم تفريطهم بالخسران والوبال، فاقتحم العدو كل الموانع وتقدم بسرعة الى القسطنطينية لتلقى على يديه مصيرها المحتوم ، وحينما

كانت ارمينيا تنوء تحت النير التترى السلجوقي كانت المجادلات الواهية في العقائد المذهبية تدور في بلاد الروم فتحرك في نفوسهم الكره المقيت للارمن ويسمى كل من الطرفين لغصب تاج الطرف الآخر ، فتناول الاعداء رأسيها وما زال يضرب احدهما بالاخر حتى سال تحت قدميها قليب (١) من الدم غرقا فيه معاً ، وزالت ارمينيا وانقرضت الدولة الرومية بعد ان بلغت أوج المجد مائة وسبعين عاما تحت ظل عشرين قيصراً من أصل أرمني .

---

(١) القليب : البئر

## الفصل التاسع

# الارمن تحت نير القبائل المغولية

## ١٠٤٥ — ١٣٨٧

بعد انقراض دولة باقرادونيان، اصبحت ارمينيا جزءاً من الامبراطورية المغولية العظيمة التي امتد سلطانها على معظم آسيا وبعض اوروبا، ولقد لقيت ارمينيا على أيدي التتر مصيراً سيئاً لقيت مثله الهند والصين وفارس وروسيا وبولونيا وبلغاريا وغيرها. فالدور الذي لعبه المغول كان من الأدوار الخطرة لا على حياة ارمينيا وحدها بل على حياة جميع الأمم التي قدر ان يطأ المغول بلادها، وقد دخل الزعيم المغولي جنكيزخان ارمينيا فأحل فيها دماراً شاملا وأدخلها في حكمه بعد ان عاشت حرة مستقلة الفاً وخمسمائة سنة.

ان الأمة الارمنية تمكنت بسجيتها الخاصة من مقاومة المظالم، وباخلاقها ومتانتها النادرة من تحمل الآلام والبقاء في الحياة، فالنوائب التي عصفت بها لم تعصف بأمة اخرى إلا أبادتها، ولكن هذه الأمة النشيطة الحية صمدت لها وحفظت حياتها تجاه زعازعها.

كانت ارمينيا حتى عام ١٣٨٧ تحت حكم المغول منقسمة الى مناطق ثلاث: تركانية، وفارسية، وكردية. وتفككت هذه التشكيلات حين ظهور لنكتيمور (تيمورلنك)، ففي اواخر القرن الرابع عشر طغت على العالم موجة مغولية اخرى لم تقل هولا واتساعا عن تلك التي بدأت على يدي جنكيزخان وكان زعيم الحملة تيمورلنك الذي أحيا الامبراطورية التترية، وقد اشتهر هذا العسكري العبقري بظلمه وقسوته وفاق بها اي حاكم آسيوي جائر، ولقد جمع تحت لوائه القبائل التترية التي كانت تقيم بين حوضي النهرين العظيمين آموداريا وسرداريا، وشكل امبراطورية عظيمة (١٣٧٠ - ١٤٠٥).

كون جيشا عظيما خرج به من دياره، وكانت فريسته الاولى بلاد فارس، فاحتل

أصفهان وذبح فيها ٧٢ الف نسمة ونصب واليا عليها أحد اولاده ، ثم توجه بقواته الى مغول روسيا فأخضعهم وتقدم نحو موسكو ظافراً وجعل جميع المملكة تحت حكمه ، وانتعشت وأزينت مدينتا كاش وسمرقند بالغنائم والاسلاب التى استولى عليها ، وتأسست في سمرقند كلية للعلوم وللفنون الجميلة .

ووصل تيمورلنك بفتوحاته المتوالية الى سواحل نهر الكنج وأهرق دماء السكان كالسوائم وشكل من جماجم الناس أهراما عالية ونشر فى طريقه الخراب والدمار . اغتصب من سلاطين المماليك سوريا وفلسطين والعراق ، أحرق دمشق ودمر بغداد ودفن تحت أنقاضها مائة الف من الناس .

اما قائد الموجة المغولية الثانية فقد دخل ارمينيا عام ١٣٨٧ فأجرى سيل الدماء في مدنها المختلفة ، وخاصـة سيواس التي كانت أعظم ضحايا هذا الطاغيـة ، وقد آذى الاسراء وقتلهم بعد التعذيب الفظيع ، اما النساء فربطهن باذيال الخيـل الوحشية وترك الخيول تجررهن بصورة همجية على الاحجار والصخور فتتمزق أجسادهن حتى يلقين حتوفهن ، وجمع الاطفال الابرياء فجعلهم تحت أرجل الانعام تطحنهم طحناً ، ودفن أربعة آلاف نسمة وهم أحياء ، ولم تكتف يدا هذا المجرم بهذا التفنن في صنوف القتل ، بل ترك البلاد التي وطئتها قدماه خرابا يبابا .

وتعقب الطاغية اللعين الجلائريين آل آق قويونلي وقره قويونلي ، فاتجهت القبيلة الاولى برئاسة اوزون حسن الى ارمينيا فأفنت الاسراء الجدد وأصبح أفرادها أصحاب البلاد عام ١٤٤٩ .

## الحروب في الاراضي الارمنية

أراد اوزون حسن أن يستولي على آسيا الصغرى مدفوعا بنشوة النصر ، ولكنه وجد أمامه محمد الثاني ( الفاتح ) فاتح القسطنطينية وطرابزون ، والتقى الجيشـان قرب ترجان فمزق جيش محمد جيش اوزون واحتل الاقسام الغربية من ارمينيا سـنة ١٤٧٣ وهي اول دخول العثمانيين فيها .

وأدى نزاع آل قرهقويتلي على العرش الى ضعفهم ، فظهرت الأسرة الصفوية الفارسية التي تخالف بمذهبها الشيعي العثمانيين السنيين ووقعت الحرب بين الطرفين في الاراضي الأرمنية فأحاق الهلاك والدمار بالمدن والقصبات مراراً وعم القحط البلاد ، واحتلت روسيا قسما منها وضمتها الى اراضيها .

وبعد اربعين عاما من موقعة ترجان تعرض اسماعيل الصفوي للعثمانيين منتهزاً فرصة القلاقل والاضطرابات الداخلية ، وكان الفرس قد احتلوا بعض الولايات العثمانية . فما كان من السلطان سليم الاول الا ان سار الى الفرس بذاته يقود جيشا يبلغ ١٤٠٫٠٠٠ وفي اراضي خوي بصحراء جالديران انكسرت الجيوش الايرانية وهرب الشاه اسماعيل من ساحة الحرب ، ودخل سليم الاول العاصمة تبريز ونهب خزينة الدولة وارسل ارباب الفن من ارمن وفرس الى القسطنطينية . وبهذا الفوز انتقل الى الاتراك القسم الغربي والجنوبي من ارمينيا اي من ارضروم الى بحيرة وان ، ولما جاء مراد الثالث الى الحكم اجبر اسماعيل الصفوي لا على مغادرة ارمينيا باجمعها حسب بل بلاد الكرج واذربيجان ايضا .

ان الترك امة جريئة محاربة ، ولكنهم لا يحسنون الحكم والادارة ، وقد أخفقوا في توجيه دفة الامور وتأمين السلام والرفاهية بين الشعب ، وبرم الشعبان الارمني والكردي المنهوكان بنير الولاة الطامعين المرتشين ، وقررا ارسال وفد مكون من بطريرك الارمن ومن وجوه الاكراد الى عاصمة ايران يكلفها فيه باحتلال البلدين ويمدها بالمساعدة ماديا ومعنويا .

## الشاه عباس الاول ومنهاجه

## ١٥٨٥ - ١٦٢٩

الشاه عباس الأول انموذج للحاكم الصفوي ، مستبد ، طاغية ، مغرم بالحرب... وقد كان ذا فطنة ودهاء سياسي ،وهمة عالية .

كان همه الثأر من العثمانيين الذين كانوا السبب في تأخر الفرس ، فاحتل منهم ارمينيا ونقل الكثيرين من الارمن الى بلاد فارس لتعمير المملكة وترقيتها وأعطاهم

امتيازات خاصة ، ولقد اغتنم فرصة نقمة الشعبين الارمني والكردي ففتح لها ابواب بلاده ، وبجيش عظيم استولى على اذربيجان وولايات قارص وارارات الارمنية .

هز خبر الحرب الفارسية التركية المحافل العثمانية في الآستانة ، وكان السلطان احمد الأول قد تبوأ العرش حديثاً ، فنظم جيشاً لجباً بقيادة سنان باشا وسيره على فارس ، وأدرك الشاه انه لا قبل له بمجابهة هذا الجيش ، فقرر ان يسلم البلاد للعدو أطلالا وخرائب .

وبدلا من ان ينصرف الشاه عباس الى الحرب فانه اهتم بنقل الارمن الى ايران وكان معجباً بذكائهم وفعاليتهم ومهارتهم الفنية والصناعية خصوصا ، وصرف مبالغ طائلة لجلب قلوب الارمن . وحين وصوله الى جلفا أضافه أمير ارمني يدعى خاجيك ، فأكل مع الارمن وشرب معهم حتى انه تناول لحم الخنزير وجرع المسكر وصلى امام صور القديسين ، واسترحمه كبار الارمن ان يعدل عن منهاجه في نقل الارمن الى فارس ، ولكن محاولاتهم ذهبت ادراج الرياح .

لم يغير الشاه عباس منهاجه ، وطفق يحرق المدن والقصبات والقرى مع الكنائس والاديرة من قارص الى نهر اراس ، وينقل الارمن الذين فيها الى ايران .

ان عمل الشاه هذا كان ناشئا عن حبه وتقديره للارمن ، ولكن أسيء استعماله فعاد عليهم بالخسارة ، اذ انه عين آمر غو نا للقيام بالتسفير فطبق الأمر بغلظة وقساوة وضيق عليهم الخناق نظراً الى سرعة الحركات الحربية العثمانية واقتراب العثمانيين من بلادهم .

وبلغت الشدة والقسوة منتهاها في اولئك الفرس الذين يسوقون الارمن ، وحلت الفاجعة الكبرى حين بلغوا نهر اراس من قلة وفقدان وسائط المرور ، فلقد امتنعوا عن عبوره سبحا ، فكانت السيوف تنزل على اعناقهم وغرقت عشرات الالوف منهم وهم يشهدون مصارع بعضهم ، وكانت سرعة جريان مياهه تدفعهم الى اعماق البحر ، وتمت هذه الهجرة سنة ١٦٠٥ .

واستوطنت ٢٥٫٠٠٠ عائلة ارمنية قرب اصفهان ، وامتد غيرهم مسافات بعيدة في

داخل البلاد وقاموا بخدمات واسعة فى رفع حضارة وتربية تلك الربوع . ولأجل ان يطيب الشاه خواطر الارمن القاطنين فى بلاده منحهم امتيازات واسعة وأسس مدينـة جلفا الجديدة عام ١٦٠٥ ذكرى للمدينة القديمة التي خرج الارمن منهـا الى فارس ، وحضر بنفسه مراسيمهم الدينية واعيادهم ، وأسعفهم بكل احتياجاتهم العامة والخاصة . وفى عام ١٦١٤ نقل كرسي البطريركية من اجيازين الى اصفهان - وكان الكاثوليكوس آنذاك ملكيسيديك - ليزيد ارتباط الارمن بوطنهم الجديد ، ولكن البطريركية عادت بعد زمن طويل الى مقرها الأصلي اجيازين على عهد الشاه اسماعيل سيف .

أدرك الشاه عباس انكسار خواطر الارمن لخروجهم من بلادهم بتأثير ضغطه ، فاراد ربطهم بوطنهم الجديد بأي ثمن ، وقد علم اثناء تجـوله بينهم متنكراً ان فكرة العودة قد اختمرت في رؤوسهم ، ولذلك بذل الجهد فى تطييب خواطرهم فمنحهم الحرية التامة دينيا وسياسيا كما سمح لهـم بالاختلاط فى جميع المناسبات من اعياد وضيافات واحتفالات . ولا تزال حتى اليوم مدينـة جلفا عامرة بالكنائس والأديرة والمـدارس والمؤسسات الخيرية الادبية المتعددة ، ونفوسها في ازدياد مطرد .

## أمارات الارمن فى قرهباغ

بعد هزيمة الشاه عباس امام سنان باشا ، ونقل ٢٥٫٠٠٠ عائلة ارمنية الى اصفهان واسكانهم واعطائهم الامتيازات الواسعة ، شبت الحرب مرة اخرى بين الفرس والاتراك عام ١٦٢٠ وبعد الاصطدامات العنيفة بين القوتين العظيمتين ترك الاتراك لفارس الحوض الذي بين نهري آراكس وكور الى ارمينيا الشرقية ، وبقيت ارمينيا ثمانين حولا بسلام وخلال هذه المدة عالجت جروحها وعمرت خرائبها ، وأدار الشاه عباس البلاد الارمنية المحتلة وهو الاداري الحكيم والسياسي المحنك ، وسلم مقاليد الامور الى أمراء الارمن فى الولايات الثلاث عودي وآرتساخ وسونيك واشتهرت هذه الولايات باسم «قرهباغ» وقد قسمها بين خمسة ملوك صغار ، وكان الملك مستقلا ، وابنه الاكبر هـو الوريث الشرعي الذي يخلف والده ويدعى « بك » والبكوات كانوا يؤلفون طبقـة النبلاء فى

البلاد . اما الملك فهو المدبر والآمر والحاكم والقاضي ، وكل ملك عنده قوة مسلحة محدودة مع قلعة محصنة صعبة البلوغ في قمم الجبال .

ان الحروب المتوالية مع الاتراك وسوء الادارة بعد الشاه عباس الاول أوهت قوة ايران وفسختها أجزاء يحكم كلا منها وال يسمى « خان » وكان بيد هؤلاء الخانات مقدرات المملكة يتلاعبون بها حسب هواهم ، وفقدت ايران الادارة المركزية ، وكانت كل ولاية تحت رحمة « الخان » الذي تجرد من كل صفة انسانية واتصف ببربرية القرون الخوالي . وكذلك كانت ثمار مساعي الفرد الارمني تغصب من يديه ، وكان هذا الفرد وماله وامرأته واولاده ملكا للخان يتصرف به كيف يشاء ، ولم يحدث خلال حكم الصفويين أي اصلاح في الزراعة او المشاريع العمرانية او الحالة الاقتصادية ، وكيف يكون ذلك والشعب مضنى مرهق والخان هو الكل في الكل ، لا يمر الشعب بخاطره سرأ ! وساءت الاحوال وانفرط عقد الهدوء والسلام وعم الخراب والسلب في كل مكان .

لذلك قرر الملوك الصغار في قرهباغ عصيان الفرس والعمل على التخلص من ادارتهم السيئة القاسية ، اما شبيبة قره باغ الجسورون الاحرار المتعطشون الى الحرية والاستقلال فقد خاضوا غمار الحرب بكل شوق وشجاعة وبهمة لا تعرف هوادة ولا وهناً ، مطمئنين لقواهم معتزين بصلابة أجسامهم معتمدين على أرواحهم الوثابة الى المعالي ليرفعوا عن رقابهم نير الخانات البرابرة الثقيل الذين نزلوا بهم الى مصاف الارقاء ، واذ أراد القرهباغيون تأمين مساعدة الاوروبيين لهم فقد أوفدوا الى اوروبا الشاب الوطني الغيور النشيط اسرائيل اوري ، وكاد هذا الشاب ينجح في مهمته ولكن الأجل المحتوم وافاه وهو في عنفوان شبابه . فحينما رأى الأرمن عجز اوروبا عن امدادهم بسبب معارضة ذلك لرغبة روسيا قرروا العصيان متوكلين على الله وعلى قواتهم الوطنية المسلحة ، وحدث ان بطرس الاكبر دخل جبال القوقاز ، وان أمير الأفغان خلع الشاه حسين وضربت الفوضى أطنابها في ايران ، فانتهزها القره باغيون فرصة سانحة واتفقوا مع ملك الكرج فاختانده السادس فكونوا جيشاً من ٤٠٫٠٠٠ جندي سار لاستقبال الروس في

سواحل كور ، على ان القيصر بطرس بدافع من سياسته الخفية عاد بعد احتلال دربند الى عاصمته وترك الأرمن لاعدائهم ، ولكن غدر روسيا لم يمنع ملوك قرهباغ من تنفيذ مقرراتهم وتسجيل صفحة رائعة من صفحات البطولة فى تاريخ امتهم تحت لواء البطل طاويد بك .

طاويد بك : هو من أسرة أمراء اوربيليان القدماء ، كان منذ غضارة شبابه قد استنكر ادارة الخانات وفظائعهم ، فنزح الى بلاد الكرج وذاع صيته فى مدة وجيزة كأمير عسكري ومدرب جرىء ، وكان حب الوطن يملك قلبه ونشدان الحرية والاستقلال يملك كل شواعره ، وكان يحمل بين جنبيه روحا تصبو الى الانتقام لقومه ممن ساموهم الهوان . كان أول نجاحه على العصابات والقبائل الوحشية التي فى حدود مملكة سونيك فنبه شأنه وذاع صيته سنة ١٧٢٢ فى جميع انحاء بلاد قرهباغ . كون جيشه من ٧٠٠٠ جندي باسل كلهم ملتهب وطنية وحماساً ، وكان أركانه مكونا من القائد ميخيتار والقس الجرىء آواديك والامير طوروس ، لم يدخلوا بتاتا حروبا ولكنهم كانوا يخلون الساحات الكبيرة من السكان والحيوانات والمؤونة ويتحصنون فى القلاع ، فيمل العدو من انعدام المأوى ويخور من الجوع ، وتأتي القوات الوطنية فتطحنه طحناً وتحتل مواقعه بسهولة وكان الوطنيون يهاجمون العدو من عدة جهات بشكل عصابات فيفككون قواه بهذه الحركات المزعجة ويغلبونه . ولقد جعل طاويد بك قيادته في قلعة هاليتزور *Helitzor* المحصنة ومنها أدار جيشه وساق قواته .

انتهز العثمانيون فرصة الفوضى الداخلية في ايران فأرسلوا جيشاً قويا الى قرهباغ بقيادة حاجي مصطفى باشا حاصر قلعة هاليتزور ، فدهش الأرمن من عظمة الجيش ، وفى مدة قليلة انقطع أملهم من امكان مقاومته ، ولم يدخلوا في حرب معه ، وتحصن الجيش الارمنى فى قلعة اخرى ، ولكن طاويد بك ظل محصوراً مع حاميته البالغة ٤٥٠ جندي في هاليتزور ، ودافع عن مركز قيادته دفاعا مجيداً رغماً من تضييقات الجيش التركى العظيم بمدافعه الجبلية المديدة التي كانت تمطره قذائفها بغير انقطاع ، وفي خلال هذا الوضع الحرج لاح بريق أمل للارمن حينما قام القس آواديك ومعه ميخيتار بهجمات

خاطفة كالبرق قلق منها الجيش التركي وصار صعباً عليه اعادة الهاربين الى جبهة القتال، واختلت الصفوف فانقلبت هزيمة شاملة، وغنم الارمن من الاتراك في هزيمتهم هذه ١٤٠ علماً تركياً وغنائم كثيرة. ثم نظم مصطفى باشا جيشاً آخر أقوى مما سبق وحاصر قلعة هاليزور، وكان طاويد بك أثناء الليل الحالك قد حشد عددا كبيرا من الافراس فصارت تصهل، وارتبكت خيول الجيش التركي من صهيلها وصار الهرج والمرج في الثكنات، وعندها خرج طاويد بك وجيشه من مخابئهم فاطبقوا على العدو وطحنوا قواته وكان ذلك عام ١٧٢٦.

بعد نحو عام وفي اوائل ١٧٢٧ كان نادر علي حارس الشرف والمجد وهو أمير نابغة اختتم حكم الأسرة الافغانية، فاجلس على العرش الايراني الشاه طهماسب الثاني ولي عهد الصفويين الشرعي وكان الشاه الجديد عدواً لدوداً للاتراك، ولتأييدولائه للارمن لانتصارهم في قره باغ، أصدر الارادة الشاهانية بمنح طاويد بك لقب «أمير الامراء» واسند اليه ملوكية قره باغ وضرب السكة باسمه عام ١٧٢٨ وبذلك نالت قره باغ الاستقلال الذاتي وكان ذلك حين وفاة طاويد بك.

وخلف طاويد قائده ميخيتار، ولكن استقلال الارمن اصدقاء الفرس لم يكن في مصلحة الاتراك، فحاصروا هاليزور مركز قره باغ بقوة عظيمة، وفي ذلك الحين ظهر خلاف بين امراء الأرمن الموالين لميخيتار وبين الامراء المعارضين له. وقرر هؤلاء سراً تسليم القلعة للاتراك لقاء اخلاء سبيلهم بعد ان أمنهم الاتراك مقسمين بالله على الابقاء على حياتهم، ولكنهم حنثوا بيمينهم وقتلوهم جميعاً، ولجأ ميخيتار الى حصن خنتسوريك *Khintzoregue*، ولكن بعض الخونة قتلوه، وقدموا رأسه للباشا في تبريز، اما الباشا فقد أسف وقدر شجاعة ميخيتار وعاقب الخونة الذين غدروا به بقتلهم، وهكذا غابت شمس الحرية عن سماء قره باغ.

<u>معاهدة قوربجان</u>: اضطر طهماسب الثاني الذي غلبه الاتراك قرب همدان في سهل قوربجان الى عقد معاهدة معهم، فعقدت عام ١٧٣٢، وما كانت في مصلحة بلاده ودولته فبموجبها امتدت الحدود التركية الى ضفاف نهر آراز ورأى نادر علي عدم ملاءمة المعاهدة

لمصلحة الفرس ، فخلع طهماسب عن العرش وتوج ابنه المولود الجديد عباس الثالث وأخذ الوصاية المطلقة عليه لنفسه ، ثم تكررت الحرب مع الاتراك واضطر الوصي المطلق على العرش ان يسوق جيشه نحوهم ، وفي سواحل اخوريان تصادم معهم فارجم الجيش التركى البالغ ٨٠ الف جندي وسحقه ، واسترجع نادر علي الولايات الارمنيـة المغصوبة من ايران ، وبعد هذا الظفر اللامع جمع نادر علي كبار الايرانيـين والارمن مع جيشه في سهل موغان عام ١٧٣٦ ، فخلع الامير الصفوى الأخير عباساً الثالث وأعلن ملوكيته على ايران. وصلى بطريرك الارمن ابرهيم وهو صديق نادرعلي على سيف الشاه الجديد وعلقه بيده في حزامه ، فأيد نادرشاه الامتيازات التي منحها للارمن سلفه عباس الاول وأعاد منصب الملوك الخمسة في قره باغ .

أعلن نادر علي الحرب على الأتراك سنة ١٧٤٣ واحتل أرمينيا التركية ، وبقرب مدينة يريوان عاصمة أرمينيا الحالية سحق الجيش التركي نهائياً واحتل أرمينيا الشرقية وألحقها ببلاد ايران، وعقد معاهدة الصلح مع السلطان محمود الاول عام ١٧٤٦ ، وهكذا انضم القسم الشرقي الصغير من أرمينيا الى ايران ، أما القسم الكبير الواسع منها فظل تحت حكم الاتراك بموجب المعاهدة المعقودة بين الطرفين .

# ارمينيا في حكم روسيا القيصرية

منذ عام ١٦٥٩ تأكد لدى الأرمن أن الامبراطورية الروسية ستتوسع ويعظم سلطانها ، ولذلك رأوا ان عليهم خطب ودها فقدموا الى قيصرها اليكسي اريكة (١) ذهبية مرصعة صنعها ارمني متفنن وكان بطرس الاكبر يسعى الى ترقية بلاده على غرار الامم الغربية الاوروبية ، فدعا الى روسيا تجار الارمن وارباب الصناعة وهم انعشوا التجارة والصناعة والزراعة في تلك البلاد التي كانت على حالتها الآسيوية القديمة ، وأسس سفر فاسيليان الارمني بأمر من بطرس الاكبر معملا لتربية دود القز وغرس على ضفة نهر تارك ١٠٠ر٠٠٠ شجرة توت ، ثم أنشأ غيره من الأرمن معامل الحرير ، ودربوا السكان على نسج الاقمشة الحريرية .

ثم دخل الى روسيا بدعوة من القيصرة كاترينة الثانية مئات الالوف من الارمن من جهات القرم وفارس ومن الهند الشرقية ، وفيها انصرفوا الى الصناعة والزراعة ، وكان من اشهر الذين أموا هذه البلاد المتفنن الشهير والمثري الكبير لازاريان زعيم الجالية الارمنية في ايران ، وقد أنعمت عليه القيصرة بلقب « نبيل » يتوارثه ابناؤه واحفاده .

أنشأت الجاليات الارمنية مدينه غريغوريبولي ومدينة نخجوان الجديدة على شاطيء نهر الدون ، ومدينة آزدرخان قرب مصب الفولكا ، وسكن معظمهم في موسكو وبتروغراد وبسارابيا .

<u>معاهدة كلسدان :</u> وعلى عهد الامبراطورة كاترينة ومن جاء بعدها من القياصرة منح الأرمن امتيازات واسعة لربطهم بالوطن الروسي قلباً وقالباً ، وبهذه السياسة أحب الأرمن روسيا وعدوها بلادهم ، وحينما رأى القيصر بولس الأول ولاء الارمن لامبراطوريته سار لاحتلال قره باغ عام ١٧٩٧ فتم له ذلك بغير سفك دماء ، ولكن ميرزا عباس ولي عهد ايران سار اليها بجيوشه بيد أن الروس غلبوه فاضطر الى طلب الصلح ، فعقدت بين الطرفين معاهدة كلسدان سنة ١٨١٣ وبها غنم الروس ما وراء

---

١) ظلت هذه الاريكة تستعمل في مراسيم تتويج القياصرة حتى فناء اسرة رومانوف بيد البلاشفة .

القوقاز باجمعها الى امبراطوريتهم .

كان ميرزا عباس شخصاً منتقماً حريصاً على الشرف طموحاً الى المجد ، فحرض التتر ومسلمي القوقاز على العصيان، وفي سنة ١٨٢٦ تحرش بواسطة جيش لا بأس به بالولايات التي افقدته اياها معاهدة كلستان ، وكان نيقولا الاول على منهج اسلافه من حيث التوسع نحو الجنوب ، فمشى الى عباس ودعا الارمن والكرج لعونه تحت قيادة الجنرال ماداثيان فلبوا النداء لانقاذ ارمينيا القوقازية من الفرس . وبثلاث حملات سحق ماداثيان جيش العدو البالغ ٨٠٫٠٠٠ وذلك قرب شمكور وشوشي ودخل قره باغ منتصراً . أما الجيش الروسي الرئيسي الذي كان تحت قيادة الجنرال باسكيويج فقد دخل ارمينيا الايرانية يرافقه المطران الارمني نيرسيس اشداراكي الذي كان فارساً مغواراً وقد حمل الصليب بيده خلال الواقعة وقاد الجيش الارمني المتطوع الذي يعد ٩٠٫٠٠٠

استقبل أرمن ايران هذا الجيش بحفاوة وحماس لانهم كرهوا ادارة الولاة الظلمة الذين خدمهم الارمن خدمة صادقة فقابلوهم بشر الجزاء ، ورأوا ان تقسمهم ربح الحرية انما سيكون به ، فدخل الجيش المتطوع ماراندا واورمية وتبريز رافعاً اعلام الظفر عام ١٨٢٧

معاهدة تركمان جاي : انسحب الشاه فتحي علي امام هذه القوة المظفرة وعقد معاهدة تركمان جاي سنة ١٨٢٨ وبموجبها ترك الولايات الارمنية التي تحت حكمه الى روسيا القيصرية وتعهد للارمن بتأمين المرور الى ارمينيا القوقازية فدخلها منهم ٤٠٫٠٠٠ شخص جلهم من اذربيجان فعمروا في سهل ارارات بلاد ارمينيا التي خربها الفرس عند غلبهم ، وكان الباب مفتوحاً امام القيصر نيقولا ليحارب الاتراك ، اذ لا عدو آخر يعرقل اعماله .

وأعلنت الحرب على تركيا سنة ١٨٢٨ ، وكانت ساحات القتال هي الولايات الارمنية الشمالية فاحتل القائد باسكويج بجيشه ومدافعه قارص وآخلكلك وبايزيد والاشكرد وحسن قلعة وبايبورد ، وبعد هدنة قصيرة ركز جيشه امام مدينة ارضروم عاصمة ارمينيا الغربية ، ولقي الجيش التركي المؤلف من ٥٠٫٠٠٠ جندي فسحق قواته بموقعتين وأجبر

الاتراك بعدها على تسليم قلعتي ارضروم وبايبورد في ١٦ تموز ١٨٢٩، ولم يبق للاتراك في ارمينيا غير وان وبتليس وموش وارزنجان فقط .

معاهدة ادرنه : اما في الجبهة الاوروبية فكان الجيش الروسي قد وصل الى السواحل الجنوبية الغربية من البحر الاسود ودخل مدينة ادرنه وترك مدينة سيلستره المحاصرة خلف الجبهة وانفتح طريق الآستانة امام الجيش القيصري ، فطلب السلطان محمود الثاني الصلح وعقدت معاهدة ادرنه في ٤ ايلول ١٨٢٩ ونالت اليونان استقلالها . وخيبت هذه المعاهدة آمال الارمن فانهم لم ينالوا شيئاً ازاء خدماتهم الفعلية الصادقة وظلت اكثر البلاد الارمنية تحت النير التركي ، وهكذا خدعت السياسة الروسية الارمن ، ونتيجة لهذه الخيبة ترك ٩٠,٠٠٠ ارمني ساحة القتال ودخلوا الى ارمينيا القوقازية تاركين بايبورد وبايزيد وآلاشكرد وقارص .

بعد الحرب ومعاهدة ادرنه نقل بأمر من الجنرال باسكوويج المطران الباسل آشداراك الى بسارابيا لمطالبته روسيا بحقوق الارمن وبانجاز ما قطعته من عهود بتشكيل دولة ارمنية مستقلة واكتفت روسيا بتلقيب القيصر بلقب « ملك ارمينيا » وتسمية الولايات الارمنية « المملكة الارمنية » .

وظل الارمن تحت الحكم الروسي مطمئنين ناعمين ، وانصرفوا الى اشغالهم وصناعاتهم الخاصة ، فارتقت بواسطتهم التجارة والصناعة في البلاد وفتحوا المدارس والكليات وأنشأوا المشاريع الخيرية ، وقطعوا أملهم من الاستقلال تحت النير القيصري الثقيل ، ولكنهم لم ينسوا اخوانهم القاطنين في ارمينيا الارمنية وهم يئنون تحت كابوس الادارة التركية الغاشمة .

وسنت الحكومة القيصرية قانونا خاصاً للارمن دعته « بولوزهنيا » به ألغت جميع الامتيازات التي منحها اياهم بطرس الاكبر وكاترين الثانية ، ومنحتهم حق تشكيل مجلس روحاني « سنهادوس » .

# ارمينيا تحت حكم الاتراك العثمانيين

دخل الاتراك ارمينيا في اواخر القرن الخامس عشر كما ذكرنا ، وبحروبهم مع الفرس والسلاجقة والمصريين استولوا على القسم الأعظم من ارمينيا العليا والصغرى وكليكيا وبسطوا سلطانهم على أغلبية الأمة الارمنية . وكان السلطان محمد الفاتح قد أدرك ذكاء العنصر الارمني ومهارته ، فنقل الى القسطنطينية الألوف منهم لينافسوا الاروام في الحرف والصناعات والتجارة والفنون فترقى وفتح ابواب عاصمة الامبراطورية أمامهم بلا قيد او شرط وفضلهم على الاروام وبذل لهم الوعود ، فتوافدوا على الاستانة افواجا حتى أوفى عددهم على ربع مليون فيها عدا الذين سبق ان سكنوها من قبل ، وعدا الذين حملوا فيها بصورة مؤقتة ، فصارت القسطنطينية المركز السياسي والأدبي والاقتصادي لدى الارمن وعاشوا فيها عيشاً طيباً ، اما الذين كانوا في الولايات والاقضية الاخرى فكانت حالتهم سيئة لمجاورتهم القبائل الهمجية ، وقد غض الولاة الطرف عن المظالم والاضطهادات التي كانت تنزلها بهم فكان الارمن هناك هدفاً لمطامع القبائل التركية والكردية والشركسية .

نعم أرمن العاصمة برعاية السلطان ومساعدته فكانوا من أرقى العناصر وأصدقها خدمة وأشدها ولاء واخلاصا واكثرها نفعا ، واذ استولوا على الاسواق المالية والتجارة والفن والصناعة ، واشتهرت منهم أسر عديدة قدمت للامبراطورية أجل الخدمات ، امثال باليان ودوزيان وداديان وبزجيان ، واشتهر الأمير ارتين قزازيان بانه كان اقرب الاصدقاء للسلطان محمود الثاني .

واذ أراد السلطان ان يزيد تعلقهم بعرشه فقد جعل ازاء بطريركية الأروام في القسطنطينية بطريركية ارمينية منحها نفس الصلاحيات والامتيازات ، واحضر مطران بروسه الأرمني الى العاصمة ونصبه بطريركا ، وهذا البطريرك يواكيم هو أول من جلس على كرسي البطريركية في الاستانة ، وكان ذلك عام ١٤٦١ . وظل سلاطين آل عثمان على حبهم وولائهم للارمن الى عهد عبدالحميد الثاني .

وبينما كانت الجالية الأرمنية في العاصمة ترقى سلالم المجد في العاصمة ، كان الأرمن في الولايات في بؤس وضنك ، وضاق عيشهم جداً بعد الحروب المتوالية بين الترك والفرس وتعرضوا لغارات جيرانهم من القبائل البربرية ينهبون ويسلبون ويعيثون في الأرض فساداً من العراق حتى ماوراء القوقاز ، ومعظمهم بقية الجلائريين والسلجوقيين المتعطشين الى ولوغ الدماء .

وأعقب الغزوات المتكررة البلاء العظيم وعم القحط والنهب وتحكم الموت في رقاب السكان الآمنين فهوت اقتصاديات البلاد من حالق الى الحضيض فبطل الاستثمار وتعطلت حركة السفر والرحيل لفقدان الامن والتجأ الناس الى المواقع الحصينة الصعبة المنال، واستنفدوا مؤنهم التي ادخروها فوقعوا بين فكي الجوع حتى اضطروا الى اكل الميتة من الحيوانات والوحوش والبشر ، وانشأ يقتل بعضهم بعضاً ليسدوا بلحمه رمقهم ، وكانوا يسيرون فاقدي الشعور كالمجانين من قرية الى أخرى ينشدون القوت مهما كان نوعه ، ويسقط معظمهم على الطرق موتى من جهد ومسغبة . واشتد القحط اوائل القرن السابع عشر (١٦٠٨) فبادر الجيش العثماني فطهر البلاد من العصابات الشريرة وجلبت الحكومة الاقوات من الخارج فزال شبح الجوع عام ١٦١٠ ، ولكن اعوام القحط أخلت البلاد من سكانها بسبب البؤس والمجاعة والظلم وفقدان الامن العام فنزح المتمكنون منهم وهم يعدون بالالوف الى القرم ومولدافيا وازدرخان وغيرها تاركين البلاد التي سكنها آباؤهم وأجدادهم خمسة وعشرين قرنا .

# التاريخ الارمني الحديث

## جلوس السلطان عبد المجيد

كذلك كانت الاحوال خارج العاصمة حين جلس السلطان عبدالمجيد على العرش وهو ابن محمود الثاني، وقد اثر على نفسه شاب تركي حر ذو فكر نير يدعى رشيد باشا، فاراد ان ينهي الاضطهادات التي تحل بالمسيحيين من رعاياه وان يقطع دابر الفوضى ويؤدب أربابها الذين أخربوا البلاد وأخلوا بالامن وسلبوا السكان الوادعين الراحة والسلام .



السلطان عبد المجيد

( الملك المصلح )

وفي الثامنة عشرة من عمر السلطان الشاب العادل المنصف ناشر الامن والسلام كتب الخط الهمايوني (١) المشهور في ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩، وتلاه رشيد باشا من شرفة بلاط كلخانه في طوب قبو بحضور السفراء والوكلاء والاعيان والرؤساء الروحانيين

١) الخط الهمايوني فرمان يحوي بعض الامتيازات التي يمنحها السلطان للشعب .

وكبار المملكة ومراة الجاليات الاجنبية ، وتلي كذلك في جميع محافل الآستانة معلنا الحرية والعدالة والمساواة بين الرعايا ، ولكن هذه المبادىء السامية طبقت في العاصمة فاستفاد منها سكانها وسكان الولايات القريبة، اما بقية الولايات فبقيت الحالة فيها على ماهي.

أفاد الارمن من عدالة السلطان وحسن نيته فسنوا قانونا لادارة أمورهم الداخلية يمنحهم حق تشكيل مجلس نواب من ممثلي الارمن في الولايات والعاصمة عدد أعضائه ٢٢٠ وينتخب فيما بينه مجلساً تنفيذيا يعمل تحت سيطرته ، ويشرف المجلس العام على المجلس المدني ومجلس المعارف ومجلس الاوقاف والمجلس الروحاني ، وكان هذا يعني قيام دولة داخل دولة ، ولكن السلطان عبدالمجيد صادق برضا على تنفيذ ذلك ، وكانت مصادقته فى ٢٧ تشرين الاول ١٨٦٢ .

ولقد حدد هذا القانون صلاحية البطريرك وأودع كل الحقوق الى مجلس النواب ، وجعل للمجلس التنفيذى الحق فى تنظيم الميزانية وتصديقها من قبل المجلس العام وسن القوانين والأنظمة الداخلية والاشراف على الدخل والصرف ، وكان البطريرك رئيساً لمجلس النواب والمجلس التنفيذي، وقسمت البطريركية الى دواوين متعددة كالديوان الروحي وديوان السياسة وديوان التركة وديوان النيابة البطريركية والديوان الخاص وديوان المالية وديوان الاقامة والسفر وغيرها، ولكل ديوان مديره وموظفوه المسؤولون وكان القانون الأرمني الداخلي هذا نافذ الحكم كسائر قوانين الدولة .

## السلطان عبد العزيز

بعد وفاة السلطان عبد المجيد خلفه السلطان عبد العزيز ، فأمل بعض المغرضين ان يلغى الخط الهمايوني الذي منحه سلفه والترتيبات التي اتخذها ، وأعماهم تعصبهم وجهلهم باحكام الدين الحنيف ، فقامو ليتصيدوا فى الماء العكر ، ولكن عبد العزيز الذي ورث الاخلاق العالية والشيم الحميدة من أبيه وجده كان محيطاً بالطرق القويمة التي توصل امبراطوريته الى ميناء السلام، فسار على سياسة سلفه ، وبعد ستة أيام فقط من توليه الحكم أصدر خطاً همايونياً به يؤيد سابقه ويوصي رئيس وزرائه بالحرية والعدالة والمساواة التامة بين رعايا الدولة بدون تفريق بين عنصر أو مذهب أو

دين ، وأكد له قائلا «لا أريد ان أرى تفريقاً بين رعاياي» وآمر ان تشمل الانعامات السلطانية الجميع بالتساوي وبدون أي تمييز .



السلطان عبد العزيز

السلطان المخلص لشعوب الامبراطورية العثمانية

---

ولم ترق هذه المبادي الانسانية الذين في نفوسهم مرض ، وكانت مقاليد الامور بايديهم ، فكان من الصعب عليهم جداً التخلي عن امتيازاتهم والتساوي بالأرمن والبوشناق والاروام والعرب والكرد والارناووط وغيرهم ، وفي أحد الأيام قام ستمائة ملا بمظاهرة ضد السلطان مؤتمرين بتحريض رئيس الوزراء ووزير الداخليـة وبفتوى شيخ الاسلام، وحاصر الجيش قصر دولمه بغجه، ودخل رديف باشا رئيس المجلس الحربي على السلطان عبد العزيز وبلغه بخلعـه عن العرش قائلا له « لقد أفسدت ودمرت الامبراطورية العثمانية بتباعدك عن أحكام الشريعة الاسلامية » فقال السلطان «الحكم لله» ونزل عن عرشه ، وبعد خمسة أيام وجدوه ميتاً في فراشه بسم دسه له حسين عوني

باشا في لفافة التبغ ، ولتضليل الامر واثبات انتحاره وضع الى جانبه مقصاً ملوثا بالدم ، وكان مصرعه في ٢٩ أيار ١٨٧٦ ، فحز الألم في نفوس الارمن لانه أثبت لهم عطفاً أبويا بعدالته وعبادته الانسانية النبيلة .

عصيان زيتون : وفي عهده عصى جبل الزيتون في كليكيا اسوء ادارة المتصرفين في مرعش وتطبيقهم مناهج ظالمة كانت الحكومة تغض الطرف فيها بل انها أصغت للافتراءات واقتنعت باقوال الوشاة وقررت سوق جيش على العصاة ، فسار القائد عزيز باشا بجيش يبلغ ٣٠٫٠٠٠ جندي وحاصر الزيتون في ٢٨ تموز ١٨٦٢ ، وفضلا عن هذا الجيش المنظم فقد ازدحمت اطراف المدينة بشراذم من الرعاع للنهب والقتل والاغارة وسبي العرائس والبنات وابتدأ الهجوم في ١٤ آب بجند عدده ١٠٫٠٠٠ فاستسلمت بعض القرى المجاورة لأنها رأت نفسها مهددة ، اما القائد العام لحامية الزيتون فلما علم بفظائع الجيش وزع قواته على السبل المجاورة للبلدة المحتلة من قبل الاتراك وأعطى اوامره بالهجوم ففتح ابطال الزيتون النار على العدو ونفروا نحوه ، فتشوش العدو لهذه الحملة المفاجئة والتحم مع المدافعين زهاء ثماني ساعات خسر خلالها ٦٫٠٠٠ قتيل ، وتفكك الجيش وولت فلوله الأدبار مع قائده ، ثم بدل عزيز باشا موقعه ومواضع مدافعه لتدمير الزيتون ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل ، وقرب دير العذراء تمكن من ان ينجو باهابه (١) وتنفس الصعداء عند وصوله مركز لواء مرعش ، وقد ترك حوله غنائم كثيرة من الحيوانات والاسلحة والمؤن والألبسة وغيرها .

حنق عزيز باشا لفشله الذريع ، وفي مرعش حاول تشكيل جيش آخر ، واذ هو في ذلك تلقى أمراً بعزله من منصبه ، وأرسل الباب العالي لجنة للتحقيق في اسباب هذه الموقعة الدامية ، ولكن هذه اللجنة شطت عن الحق وسجن عدة اشخاص من الزيتون ولما رأى الزيتونيون انحراف لجنة التحقيق أرسلوا وفداً الى الباب العالي لايضاح سبب العصيان كما ذهب وفد آخر الى فرنسا يسترحم نابليون الثالث بالتوسط ، فابرق نابليون حالا الى السلطان عبد العزيز ليوقف الحركات ويخلي سبيل المدافعين والسجناء

١) الاهاب لغة هو الجلد

فأصدر السلطان ارادته وشمل الزيتون الأمن العام والعدل في الادارة .

وبينما كان الدم التركي يهرق في جبال الزيتون لم تسفك أية قطرة من دماء الارمن من سكنة الالوية الاخرى لان السلطان لم يشأ ان يتحمل تبعة الارمن الابرياء خارج الزيتون .

وسار على منهاج عبد العزيز مراد الخامس الذي كان حراً بافكاره متجدداً مسايراً لروح العصر في ميوله ونزعاته ، فأعلن الحرية والعدالة والمساواة بين رعاياه ، فكان جزاؤه من المتعصبين المتزمتين الخلع ، واجلس مكانه عبد الحميد الثاني « السلطان الاحمر » .

## الارمن وعبد الحميد الثاني

بعد خلع السلاطين الاربعة ذوي الافكار الحرة والمبادىء العليا ، جلس على



السلطان عبد الحميد الثاني
( السلطان الاحمر )

عرش الامبراطورية العثمانية عبد الحميد الثاني الابن الثاني لعبد المجيد ، ولم يكن يشابه اسلافه في شيء خلقاً او علماً او اجتماعاً ، وكان منذ حداثة سنه يختلف الى المنجمين

وكاشف الطوالع . كان عصبي المزاج جبانا متهوراً منطويا على نفسه ، لم ير شخصا مثقفا بالعلوم والمبادىء الغربية الحديثة، وقد تربى على يد مربيات جاهلات في المابين الهمايوني.

خلع عبد العزيز وأحل عبد الحميد محله أملا في ان يكون متخلياً عن السياسة والادارة ، وقد كان لقلة تجاربه وعدم مخالطته الناس قبل ان يرقى العرش وفق رغبات المفرضين من رجال الدولة فترك لهم الأمور يصرفونها مثلما يشاؤون وتشاء أهواؤهم .

في تلك الاثناء رأت روسيا القيصرية ان تغتنم فرصة الاختلال الداخلي في البلاد التركية فتثأر لحرب القرم بحرب جديدة ، ولكن رجال الدولة أمثال مدحت باشا ورشيد باشا وعوني باشا ، اذ أرادوا اسكات روسيا ، سنوا الدستور التركي بمعاونة كريكور اوديان الذي درس القوانين الدستورية في اوروبا ، وأعلنوا المشروطية الحميدية الأولى متضمنة الحرية والعدالة والمساواة التامة بين رعايا الدولة مهما اختلف جنسهم ومذهبهم ودينهم ، ولم توافق هذه المشروطية أهواء عبد الحميد وتربيته الاوتوقراطية ، ولكنه كتم خبثه الى يوم مناسب فيه يقلب الامور ويكيد لمدحت باشا وأنصاره. واذ رأى سراي دولمه بغجه شؤما بسبب خلع سلاطينه ، عمر قصر يلدز وانكمش فيه محيطاً نفسه بشبكات جاسوسية كثيفة .

كان عبد الحميد مثالا كاملا للملوك المطلقين المستبدين البعيدين عن المزايا الخلقية والمبادىء الانسانية المتصفين بالظلم والقسوة بروح دنيئة وعقل شيطاني . لم يفكر يوما برفاهة الشعب او اعلاء شأنه ، ولا باعمار البلاد اقتصاديا وزراعياً وصناعيا ، بل على العكس فانه ضرج بالدماء كل من سولت له نفسه ان يخالف مبادئه الرجعية ويعمل في حقل المنفعة العامة والمصلحة الوطنية ، وامتلأت اطراف المملكة بارتال الجاسوسية من حثالات البشر ، وكان اول ضحايا المبادىء السامية مدحت باشا ورشيد باشا وعوني باشا وغيرهم .

كانت الشرطة والجاسوسية والعنف، هي القوى الحاكمة في المملكة ، ووجد الكذابون والمحتالون والمتملقون والسحرة والدجالون والنجمون والمنافقون سوقا رائجة وقربوا الى السلطان ، اما المخلصون ومحبو اصلاح ذات البين وذوو المنازع التجددية

فكان مقرهم غيابات السجون او قعور البحور او انقباذاً قصيا عن مواطنهم نفيا وتشريداً .

الحرب الروسية التركية (١٨٧٧) : كان القيصر الرومي الكساندر الثاني مقتنعا بقول أجداده المأثور « ان من يحكم على القسطنطينية فهو الحاكم على العالم » فانتهز فرصة ثورة الشعوب البلقانية وأعلن نفسه حامياً لهذه الشعوب الغارقة في بحور الدماء، وأشهر هو ورئيس الكنيسة الارثوذكسية اليونانية الحرب على آل عثمان عام ١٨٧٧ ، فانشبت في الجبهتين الشرقية والغربية واستمرت عدة شهور بغير ما توقف .



الجنرال لوريس مليكيان

الظافر على مختار باشا في جبهة ارمينيا سنة ١٨٧٧

في مبدأ الأمر لاقى الجيش الرومي مقاومة عنيفة من الاتراك ، ونال البطل العسكري التركي المشير عثمان باشا ظفراً امام مدينة بلونة ، اما في أرمينيا فابدى مختار باشا شجاعة كبيرة وأحرز فوزاً في جبل زيوبن، فاضطر الروس على الانسحاب ثم قووا جيشهم، فانقلب سير الحرب في مصلحة الروس، وتغلب الجنرال الارمني لوريس ملكيان

على مختار باشا واحتل اردهان وبايزيد ، كما احتل الجنرال الارمنى الآخر لازاريان قلعة قارص ، واشتهر الجنرال ديرغوكاسيان بخدعته في الانسحاب . اما في الجبهة الغربية حيث كان الجيش الروسي بقيادة نيقولا نيقولافيج شقيق القيصر فقد اتحد مع الجيوش الرومانية والصربية وعبروا نهر الدانوب فاحتلوا جميع البلقان وجمعوا القوى في أدرنه وواصلوا سيرهم الى الاستانة حتى وصلوا ايا ستفانوس احدى ضواحيها فانغلب الترك في كل الجهات ، وتأخرت انكلترا بمعونتها عن الاتراك واكتفت بارسال فيلق واحد من بحارتها الى السواحل الغربية من الاناضول .

وعقدت معاهدة اياستفانوس في القصر الصيفي للامير داديان الأرمني في ٣ مارت ١٨٨١ ، وبها نالت رومانيا وصربيا والجبل الاسود ( قره داغ ) استقلالها الناجز واستولى الروس من الأتراك على قارص واردهان وبايزيد وباطوم وأخذوا ثلاثمائة مليون روبل تعويضات حربية .

## حالة أرمينيا خلال حرب ١٨٧٨

كانت تركيا بلداً متأخراً في مضمار الحضارة محروماً من الطرق المعبدة ووسائل النقل البخارية التي هي في اوربا أشبه بشبكة ، وقد نقل ما يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ الف نسمة من الارمن بالعنف والعصي نقلوا على ظهورهم الأسلحة والمدافع والمؤن الى الجبهة وعاونوا الجيش التركي بكل طاقتهم وأخلصوا له ، وامتنع أي فرد منهم عن التطوع في الجيش الروسي المحارب ، وبالرغم عن هذا الولاء والطاعة العمياء والخدمات التي قام بها الارمن دون أي اعتراض او شكوى ، فان الاتراك أحلت بالارمن وبالمدن الارمنية الخراب العام ، وجعلتهم هدفا للانتقام والظلم والجور وجرعتهم العذابات التي لا توصف ألوانا ، فنهبت أملاكهم وسبيت بناتهم واحرقت ديارهم ودمرت القرى والمدن والكنائس والاديرة من قبل الجيش غير النظامي والقبائل المتوحشة البربرية من الاكراد والشراكسة واللاز ، وكانت السلطة الحاكمة تنشر الخوف والرعب ، فتلبد الجو بغيوم الارهاب ، وملك الهلع أفئدة الشعب الارمني ، فهرب من استطاع مخلفاً وراءه كل ما يقتنيه لائذاً

بيلاد يتنسم فيها ريح الامن والحرية وهجر الى القوقاز عشرات الالوف من الارمن وخلت بلادهم التي هى مسقط رؤوسهم ومناشىء آبائهم وأجدادهم منذ أزمنة سحيقة !

وكتب نورمان ( Norman ) مندوب جريدة التايمس اللندنية الى جريدته عام ١٨٧٨ يقول :

« ان يراعي لعاجز عن ان يصف المظالم والبلايا التي أنزلتها العشائر الكردية ، فالقضية جد مؤلمة لا تحتاج الى تنميق The subject is too painful to need any colouring

ثم يستطرد قائلا « ان تسجيل فظائع هؤلاء العفاريت يكفيهم عقابا ، ويكفي ان أقول لكم ان مدينة بايزيد نهبت نهباً بكاملها وأبيد سكانها عن بكرة أبيهم ، والبلدة مظلمة كئيبة بائسة ... ولقد كانت ولايات وان وبتليس والاشكرد مسرحا للاعمال الهمجية البهيمية ، والقرى والقصبات فيها مهدمة مهجورة خاوية على عروشها ، ان الاحياء من الرجال البائسين المتألمين لسبي نسائهم وفضح أعراضهم ، وهؤلاء الامهات اللائي قرحت أجفانهن الدموع التي ذرفتها لمقتل أولادهن ، ان مناظر اولئك وهؤلاء لتفتت الاكباد وقرى سهل الاشكرد البالغة ١٢٢ صارت طعاما للسيوف ومدينة بتليس ما فيها نافخ نار ..

« وفي ١٤ أيار هجم الاكراد باسر من رئيسهم اسماعيل على مدينة وان فنهبوها وقتلوا أهلها وأضرموا النار فى دورها ، وفى قرية اوكول أحرقوا الكنيسة التي كان قد التجأ اليها الاطفال والنساء والعجز وأعملوا السيوف فى من حاول النجاة .

« نشر الشيخ جلال الدين الخوف والذعر والدم والدمار والنهب والسبي من وان الى الحدود الشمالية بعصاباته البربرية ، ودنس هذا الطاغية الكنائس والأديرة واغتصب الصبيان والرضعان من حجور أمهاتهم ومن أحضانهن !

« نهبت فرسان العصابات الكردية التابعة الى علي خان دير بارطوغميوس وكان قد لجأ اليه من القرى المجاورة النساء والبنات والأطفال ، فسبت الفاتنات وقتلت سواهن . وقرب مدينة موش قامت العصابات الكردية من أتباع موسى بك بمثل هذه الفظائع وأضرابها وقد حلت أمثال هذه المصائب والفضائح بجميع سكان البلاد الارمنية ، ففى خارتس دخل

هؤلاء الفجار الى دار قسيس عاجز وبعد ان هتكوا عرضه امامه آذوه أذى أليماً ثم أذاقوه الردى ! لن أستطيع ان أعدد جميع الفظائع ! » هذا ما دبجه قلم Norman »



نيرسيس وارزابيدايان

البطريرك الارمني الشهم في الاستانة ١٨٧٨

هذه كانت أحوال الارمن أثناء الحرب الروسية التركية ، فسافر نيرسيس وارزابيدايان بطريرك الارمن في الاستانة الى اياستفانوس وقدم نفسه الى القائد الرومي الدوق الكبير نيقولا نيقولافيج وبسط له الاحوال السيئة التي صار اليها الارمن خلال الحرب واسترحمه ان يضمن لهم ما يصلح ويؤمن حياتهم دون ثلم العرض والشرف . فلبى طلب البطريرك وأدرجت المادة ١٦ من معاهدة سان استفانو وفيها اصلاح ما أفسدته يد العابثين وتأمين الحياة وضمان الشرف والعرض الارمني ، ووافق على ذلك السلطان عبدالحميد .

مؤتمر برلين (١٨٧٨) : أقلق انكلترا ظفر روسيا الحربي وزادها قلقاً ان هذا النصر

فتح أمامها طرق الهند والشرق ، فاضطرت اوروبا على تبديل معاهدة سان استفانو بغيرها في مؤتمر خاص انعقد ببرلين في ١٣ حزيران ١٨٧٨ اشتركت فيه المانيا وروسيا وتركيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا برئاسة بسمارك الالماني ، وانما كانت حقيقة هذا المؤتمر لاقتسام غنيمة روسيا في حربها، ولقد ألحقت اخيراً ولاية البوسنه والهرسك بالنمسا فاصبحت طرق الشرق مفتوحة امام الالمان .

وعمل الارمن على حمل المؤتمر لاقرار المادة ١٦ من معاهدة سان استفانو ، فصادق المؤتمر على مطلبهم وصارت المادة هي ٦١ من معاهدة برلين ، وصارت هذه المادة خير وسيلة بيد الامم المستعمرة يستثمرونها لمصالحهم ويهددون بها عبدالحميد بينما لم يفد



**خرميان هايريك**

ابو الارمن الحنون ورئيس الوفد الارمني الى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨
ثم بطريرك الاستانة ، واخيراً كاتوليكوس عام في اجيازين

الارمن منها شيئاً بل انها على النقيض حركت ضغائن السلطان الجائر فقرر ورتب أمر محو الارمن بكل الوسائل الممكنة كيلا تتكرر في ارمينيا وقائع البلقان ، ووهب جزيرة

قبرص الى انكلترا لحمايتها من التجاوز الخارجي ، عناً لغضها النظر عن المادة ٦١ التي ظلت حبراً على ورق !

واضطر البطريرك الى تكرار طلبه من الدول الموقعة على معاهدة برلين ولكنه لم يتسلم جواباً مقنعاً ، اما انكلترا برئاسة الكونت دزرائيلي فلزمت السكوت لتعهدها بحماية تركيا بموجب معاهدة قبرص ولم تطالب أية دولة من الدول الموقعة بتطبيق المادة ٦١ ولم تهتم بالقضية الارمنية .

ولما عاد خرميان هايريك « ابو الارمن » الذي كان رئيساً للوفد الارمني الى مؤتمر برلين قال : « لقد طبخت الحرية في برلين ، ولكننا لم نتمكن من أكلها بملعقة من الورق ، لا ترجوا يا اولادي أي أمل من الاجانب ودبروا أموركم بانفسكم » فكان هذا القول نذيراً للثورة عند الارمن .

بعد حرب ١٨٧٨ ، شرع السلطان عبدالحميد بتطبيق منهاجه الجهنمي ضد الارمن فالغى الامتيازات الممنوحة لهم من قبل أسلافه السلاطين ، وأغلق المسارح المحلية وجعل رقابة شديدة على الطباعة في العاصمة ، وشكل أفواجا من الاكراد تحت اسم « حميدية آلايلري » في الولايات الارمنية لمراقبة حركاتهم ولابادتهم تدريجياً حسب منهاجه ، وأثار القبائل المتوحشة ضدهم وأسكن العناصر الشركسية المتعصبة بين قراهم ومدنهم فكانوا كاشباح الموت عند الارمن ، وأثقلت كواهلهم بالضرائب الثقيلة والمطاليب التي لا تنتهي ولا يطيقها بشر ، وكان موظفو الحكومة من جهة والحميديون من جهة اخرى يمتصون دماء الشعب الارمني . وكانت الامبراطورية العثمانية على شفا الافلاس نتيجة للحرب ولسد عجز ميزانيتها رأت ان أيسر الطرق هي ان تسلب الارمن العزل حتى ضرورات عيشهم فكانوا كبقرة حلوب يكدحون في سبيل الرزق ثم ينفضون أيديهم منهم على مذبح الاطماع التركية الاشعبية ، وصار التجار الارمن منبعاً فياضاً تسيل منه الاموال الى خزينة الدولة .

هكذا كانت احوال الشعب الارمني بعد الحرب فضلا عن المظالم والاضطهادات التي وصف اليسير منها (نورمن) مراسل جريدة التايمس اللندنية كما أثبتنا في ما سلف ،

وها نحن نذكر ما جاء بكتاب القنصل الانكليزي في أرضروم كما جاء في الكتاب الازرق الانكليزي. يقول القنصل :

« ان عدم عصيان الارمن وقيامهم كفرد واحد في الولايات الشرقية ، وان عدم احتجاجهم على فداحة الضرائب المفروضة عليهم انما سببه صبرهم وخوفهم وعدم الاتفاق بين طبقاتهم » . هذا ما كتبه ايوارست *Ewarst* القنصل الانكليزي الى الكونت كرينوين *Grenwin*

## يقظة الارمن

هذه العوامل مجتمعة أيقظت الارمن ونفضت عنهم اثواب الخمول والتواكل ، فلقد بلغ السكين العظم ولم يعد في قوس الصبر منزع .

وكان اكبر مغذ للثورة خرميان هايريك رئيس الوفد الارمني الى برلين ، ثم مكرديج برتقاليان ورافي ، وكانت اخصب تربة لمنبتها ولاية وان ، ففيها ولدت الدعوة الى العصيان والثورة .

عمل خرميان في ديرواراك في جريدته « آرزيف واسبوراكانى » ، واشتغل برتقاليان بالتدريس في دار المعلمين بوان وكانت من المدارس الشهيرة وقد تأسست عام ١٨٧٨ ، وقد صارت هذه المدرسة عوداً يذكي نار الثورة وينشر مبادئها ، وكان برتقاليان يلهب تحت ستار التدريس حماس تلاميذه وينفخ فيهم روح التمرد دون ان يلفظ كلمة « الثورة » .

وقبل تشكيل الاحزاب الثورية ظهرت بوادر العصيان في كافة انحاء البلاد ولكن الحكومة طاردت القائمين بها حبساً ونفياً وشنقاً وتشريداً ، فتدرجت الحركات الفردية الى حركات اجماعية . وأنشأ برتقاليان مطبعة في مارسيليا كان يطبع فيها رسائله ويبعث بها الى بلاده فتثير الحماسة وتوقد النيران في نفوس تلاميذه القدماء في وان وارضروم فشكلوا عام ١٨٨٥ الجمعية السياسية « الاتحاد الوطني » .

وفي عام ١٨٩٠ وقعت أولى المصادمات بين الارمن من جهة والاتراك والاكراد من جهة ثانية بسبب المظالم والعسف في القرى الارمنية ، وقامت المظاهرات في قوم قبو بزعامة حزب الهنجاك في الاستانة وبمؤازرة حزب ارمناكان ، فتردد صداها بين طبقات



مكرديج برتقاليان

الشعب الارمني . وكان السبب المباشر لها هو تحري السلطات التركية مقر مطرانية الارمن في ارضروم بزعم وجود اسلحة مهربة ، وقد تحرت السلطات المكان وقت اقامة الصلاة من يوم الاحد فاتفق المصلون على منع الشرطة والجاندرمة وتصادم الطرفان وسقط من الجانبين عدد غير قليل من القتلى والجرحى ، وأعقب ذلك حبس الثوريين ونفيهم وتشريدهم وكان في عديدهم الثوري الشهير وارتكيس سرنكايان الذي صار في الاخير مبعوثاً ( نائباً ) في الاستانة عند اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ وقد قتل مقتلاً شنيعاً سنة ١٩١٥ من قبل الاتراك .

ان اولياء الامور في اواسط ارمينيا بذلوا جهد المستطاع بالطرق السلمية لاقناع الحكومة العثمانية باجراء الاصلاحات ولكن مساعيهم باءت بالخيبة ولم تجد محاولاتهم شيئاً. وفي عام ١٨٧٩ راجع الباب العالي وفد مختلط من المجلس الروحاني والمجلس الجسماني وقدم تقريراً مفصلاً بالوقائع المفجعة التي جرت في الولايات الارمنيسة ، ولكن الصدر الأعظم استقبلهم ببرود وقال لهم : « لا نجد مجالاً للاشتغال في الولايات الاسيوية » .

وعندما تلقى البطريرك ماتيوس ازميرليان هذا الجواب السلبي وهو رئيس المجلس العمومي الارمني أنشأ رثاء للمادة ٦١ من المعاهدة البرلينية وتلاه يائساً من اصلاح ذات البين ،



وارتكيس سيرنكوليان

المجاهد الكبير ، واخيراً نائب ارضروم في البرلمان العثماني ١٩٠٩

أما استيفان بابازيان وهو من ابرز الشخصيات العصبية القومية ، فقد صرخ من فوق منبر الخطابة قائلاً : « يصرحون ، ثم يؤكدون ان الباب العالي لا يجد مجالاً للاشتغال بالولايات الارمنية لانصرافهم بكليتهم الى القضايا البلقانية ! لأن في البلقان شعباً متمرداً مسلحاً يقوم بوجه السلطان عبد الحميد ، أما الشعب الارمني فشعب وديع مطيع اعزل ولذلك فهم يسومونه الخسف والعذاب ويسلطون عليه القبائل الوحشية الساكنة الى جانبه فتنهبه وتمتهنه وتقتل ابناءه دون عقاب او حساب ، وتغض الحكومة الطرف عن هذا الانتهاك ، ولئن كانت هذه الحكومة تعجز عن تأمين سلامة الارمن فلتعطهم السلاح ليدافعوا به عن انفسهم بانفسهم.. لقد عصى البلقان وخرج شعبه على السلطان فتمكن اهله من نيل الحرية.. أما الشعب الارمني فانه يطلب رحمة الحكومة.. والحكومة تأبى ان ترحمه. أين العدل أين المساواة؟»

كان هامازاسب باللاريان النائب الارمني في أول برلمان عثماني يعرض على الحكومة فظائع العشائر وغلوها في معاداة الارمن فيجيبه المسؤولون «هذه حكمة الحكومة» وما حكمة الحكومة إلا ان تضع هذا القوم بين شقي الرحى ظلماً، فلم يجد امامه سبيلاً للنجاة إلا العصيان فإما فوز واما موت شريف، وعزموا على ذلك حتى كان المثقفون والرؤساء يرون الشك والتردد جريمة.

ولم يكن العامل على اختمار هذه الفكرة واعتزام تنفيذها الاضطرابات وفقدان الراحة والأمان وحلول البؤس والشقاء والضيق المالي وتردي الحالة الاقتصادية مع زيادة الضرائب، لم تكن هذه العوامل حسب تعتمل في الارواح المتحمسة فتملأ الصدور غيظاً وحنقاً، بل هناك عامل تغلب على هذه باجمعها ذلك هو انقاذ شعب عريق في التاريخ ذي حضارة تمتد جذورها الى خمسة وعشرين قرناً وهب البشرية مجموعة من الفنون وافراداً أفذاذاً شعراء وأدباء وقادة بواسل.. عنصر كان في طليعة العناصر العثمانية حرثاً في حقول العلم والأدب والفن والتجارة والزراعة والعمران يتعرض اعداء ورحمة قبائل همجية لا نصيب لها من علم او أدب تفتك به وتجعل أعزة قومه أذلة.

ولم يكن للارمن مخرج مما يعانون إلا بالثورة، ثورة وموت عزيز خير من عيش ذليل، وهكذا عم الانتباه القوى جميع الطبقات، فأحس كل فرد بعزته وباتوا كبارود لا يحتاج إلا الى اشعال الفتيل، ونبتت البذور التي زرعها خرميان وبرتقاليان في ولاية وان فتشكل فيها حزب وطني دعي «ارمناكان» صرف جهده بادىء الامر الى المواعظ والخطب الحماسية عام ١٨٨٠ حتى هيأ الامة للحرية وشرح لها الوضع الخطر التي هي فيه وفتح المدرسة الاخوية وتحت ستار التعليم الديني أوضح للشعب أهمية الثورة الوطنية ضد المظالم الحكومية او الاهلية، واقتنى الحزب شيئاً من الاسلحة، واصطدم بعض الاحيان مع الاكراد وبعضها مع قوات الحكومة ثم حكم على افراد الحزب وأبعدوا عن الميدان، ولكن هيهات ان يقضى على اليقظة التي تركوها في نفوس الشباب فقد تغلغلت منهم في الصميم.

وقبل ان تتشكل الاحزاب الثورية العظيمة فقد تألفت جمعيات اخرى في غير ولاية وان، وكانت سرية تعمل للدفاع عن النفس والمكان، وأهمها وأوسعها جمعية ارضروم المنشأة سنة ١٨٨٠ وقد انضم اليها الافراد من جميع طبقات الشعب وتعاهدوا بالايمان المقدسة على الاخلاص لمبادئهم، وكان الفرد منهم يلوح في مظهرها هادئاً وهو

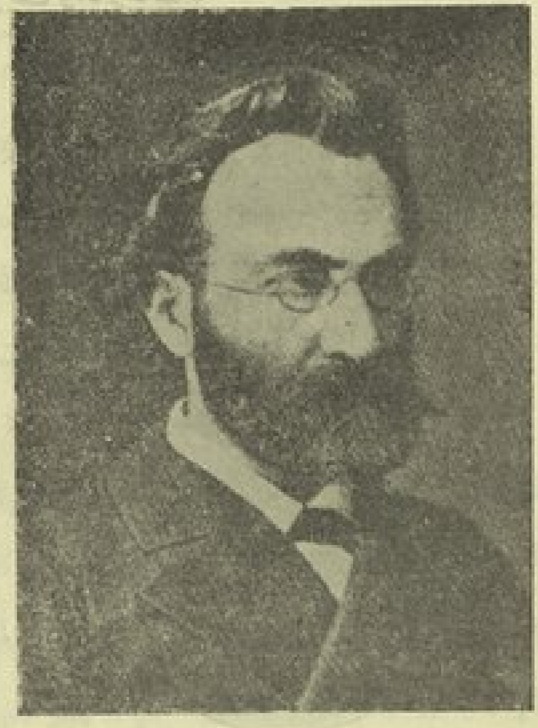
في مخبره متهيء للثورة في قلب ارمينيا العليا التي كانت تمتلك اسلحة كافية ، وتمرن الاعضاء على استعمال الاسلحة، ولكن الجاسوسية دلت السلطات المحلية على هذه الجمعية الخفية فالقت القبض على مؤسسها وحكمت عليه بالسجن والنفي وذلك عام ١٨٨٢ ، ثم أعلنت الادارة العرفية وحوصرت مدينة ارضروم وتحريت المنازل بحثا عن الاسلحة والعتاد وذاع لدى الاهالي والاتراك ان الجمعية تملك ٦٫٠٠٠ بندقية وستة مدافع ، وصارت الدوريات الخيالة تطوف في وان وغيرها من البلدان لوقايتها اعمال الثوريين .

وكان الشوق الى النضال يزداد يوما بعد يوم ، وقد زاد ضغط الحكومة ايضا وكثرت الاعتقالات فما بين سنتي ١٨٨٥ و ١٨٨٦ ألقت السلطات القبض على الكثيرين من المعلمين والمثقفين والكهنة والمطارين في مدن وان وارضروم وارزنجان وباش قلعة وغيرها ، فأبعد قسم منهم الى الاستانة وظل القسم الآخر سجناء في بلدانهم عدة سنين وتكررت عمليات التحري عام ١٨٨٦ في وان وارضروم فسجن المفتش العام للمدارس الأرمنية والمعلمين . وفي عام ١٨٩٠ اصطدم ٤٠٠ شاب ارمني مابين مسلح راجل وفارس مع العصابات الكردية فقتلوا قسما منهم وفر الباقون ، وكثرت المصادمات شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة حتى اختمرت فكرة الثورة في اذهان مختلف الطبقات ما عدا الأغنياء المرفهين في الاستانة .

كانت ارمينيا مقسومة بين الترك والروس ، الا ان الروح القومية لم يكن بينها من حدود ، فالحرب التركية الروسية واحتلال الأراضي الأرمنية من قبل قواد أرمن وسيل المهاجرين المنهزمين من مظالم الادارة التركية الى القوقاز والضيق والبلايا التي يعانيها الأرمن في تركيا منذ سنة ١٨٧٦ واحراق مدينة وان والقحط وتجوال خرميان هايريك في القوقاز وسفر الوفد الى برلين والمادة ٦١ المحرومة ، كل هذه محت الفوارق ورفعت الحدود التي فرضها المستعمر بين ارمينيا الشرقية وارمينيا الغربية واتحد الجميع على المبدأ القومي الجليل ، فكان شعور الأرمني الغربي عين شعور الأرمني الشرقي والأرمني الرافي والأرمني الأرزدوني وغيرهم .

وفي عام ١٨٨٠ وما تلاه من أعوام ظهرت لدى أرمن القوقاز حركة ونشاط فكري

غير معتاد لم يشهد مثله اي تاريخ ، وحدثت نهضة في كل ناحية من نواحي الحياة ، وخصوصاً في مضمار الأدب والصحافة ، وكانت مواضيعهم كليها تدور حول محور واحد



رافي « ماتزيني (١) الارمن »

لا ، ليست ارمينيا مقبرة
لا ، ولا ابناؤها امواتا
انها ستنهض وتتبوأ مكانتها تحت الشمس

(رافي)

وهو حرية الأرمن في تركيا ، ومثلت لذلك الروايات ونظمت القصائد والأناشيد ودبجت المقالات . واشتهر الاديب الروائي رافي *Raffi* الذي ظل يملأ الآفاق الارمنية مدى عشرين عاما ، وهو أديب مفتن ومفكر فصيح ذو بيان ، ضرب في رواياته الخالدة على وتر مشج كان يضرم ناراً بين الضلوع ويدر دموعا من المآقي لانه أبدع في تصوير مصائب

١) *Matzini* هو الاديب الثائر الذي نفخ بكتاباته روح الثورة في الشباب الايطالي لرفع نير الاستعمار النمسوي .

أمته وآلامها . والشاعر الوطني كمار كاتيبا *Kamar Katiba* شدد بقصائده الوطنية الملتهبة الاعصاب الواهنة المرتخية بتأثير المظالم العدائية المتواترة وأحيا القلوب الميتة من جراء التخويف والارهاب .



كمار كاتيبا ( شاعر الحماسية )

أنبقى سكوتاً على اغتصاب سيوفنا وتجريد فلاحنا من محراثه
وصنع السلاسل من سيوفنا ومحاريثنا
وتغليل ايدينا بها من قبل عدونا !

( كمار كاتيبا )

---

وكان الارزونيون وغيرهم يرددون فقرات خرميان هايريك، وعاليشان ، - الوطن والعصيان والحرية - ويكثرون من تكرارها واعادتها بنطق جذاب ويرسمون لها صوراً منقوشة مهيجة للشؤون والشجون .

وفي الحقيقة فان تأثير الادب في المبادي الثورية القومية كان عظيما جداً غمر قلوب جميع الشعب على مختلف طبقاته وملأها بالحسرة والشجاعة والتضحية وهيأها للاحتجاج والتمرد والثورة فزالت الشكوك وعفت آثار التردد ، وصارت الامة تردد مزامير الشعراء وتهزج بها وتغنيها فتمتلأ منها النفوس وتمتلك عليها القلوب .

الفصل العاشر

# اعمال النهضة الارمنية

في عام ١٨٨٠ تشكلت جمعية طلبة الكليات في تفليس وغايتها العمل على انقاذ الارمن من النير التركي ، وقد أطلقوا عليها اسم « جمعية الوطنيين » وأصدرت جريدة « بشير الحرية » واستصوبت في العدد الاول من صدورها حركات الثورة التي وقعت في ارضروم وحبذتها وأثنت عليها ، ولكن هذه الجريدة احتجبت في السنة نفسها بأمر الشرطة الروسية .

وكانت الجمعيات السرية تنشط في كل مكان ، ونشر الروائي الشهير رافي عام ١٨٨٤ روايته « كايزر » ( الشرارات ) وصارت القضية الارمنية تشغل افكار الجميع خصوصا الطلبة والمعلمين ، فكليتا نيرسيسيان وكيوركيان وسائر المدارس لم يكن لهام إلاها ولا حديث فيها إلا حديثها ، وكان كامار كاتيبا يحض الطلبة ويشوقهم الى مطالعة التاريخ الارمني بامعان .

وكانت الجمعيات تنشر المبادىء القومية وتحبب الثورة الى النفوس وتدعو الامة الى الوحدة والانسجام ، ثم اتحدت بالتدريج هذه الجمعيات الصغيرة المتفرقة فشكلت كتلة كبرى ، وكانت تفليس عاصمة القوقاز مركز النشاط والدعوة ومنها انتشر الهياج الى الألوية والاقضية ، وفي قرهباغ تألفت جمعية ووز ( القوة ) ، وفي باكو عاصمة اذربيجان جمعيات غيرها ، وفي يريوان عاصمة ارمينيا غيرها .

وبدأت الجمعيات الوطنية فعالياتها بارسال الجواسيس الى ارمينيا التركية ليتقصوا الاخبار والاحوال ويدرسونها لتستعد استعداداً تاما لاعمال المستقبل ، وكان هؤلاء الجواسيس يدخلون الولايات الارمنية متنكرين بازياء الاكراد والشركس والترك وبازياء الحجاج فيمكثون في الاديرة ويطلعون الناس على أعمالهم ويعظون الشعب فيزرعون في قلوبه بذور الثورة ويدعونه الى الارتباط باخوانه الذين هم خارج الحدود .

وفي تفليس كان كريستابور ميكائيليان يستقبل الشباب من مهاجري موش الذين فروا عبر الحدود ويلقنهم دروس العصيان ويدربهم كل يوم أحد على استعمال الاسلحة المختلفة وتمكن هؤلاء الشبان في زمن قصير من ان يؤدوا واجبهم الوطني في مناضلة العدو .



كريستابور ميكائيليان
(الزعيم الأكبر لحزب تاشنا كسيون)

---

كانت دائرة الاستخبارات الارمنية تعمل بنشاط وتذيع الاخبار التي تصل الى علمها من ارمينيا التركية على جميع الافراد الوطنيين فتغلي مراجل غيظهم للفجائع والفظائع التي تنزل برؤوس اخوانهم في القومية وتشدد من عزمهم على المؤازرة والانقاذ ، وملأت محاكمة الزعيم الكبير مومى بك وتبرئته في موش كأسات الغيظ وفعلت ارشادات رافي ودعاوات خرميان وبرتقاليان فعل السحر في النفوس ، وهكذا تضافرت الاحوال والظروف والزعماء فهيأت الامة الارمنية للقيام بعمل حاسم مريع ، واكتظت تفليس بالمفكرين الاحرار المتحمسين الذين نزحوا اليها من سائر انحاء البلاد للمداولة في كيفية العمل .

وفي عام ١٨٨٩ كانت الافكار على أتم الاستعداد لتشكيل حزب ثوري سياسي، وقد تألف باسم «ارمينيا الفتاة» ، وارسل هذا الحزب وفوده الى ارمينيا التركية لتبدأ بالعصيان ، وحدثت في السنة ذاتها مظاهرات من الأرمن في ارضروم لمقاومة الترك سفكت فيها الدماء .

كانت هذه الحركة هي الأولى من نوعها في البلاد الأرمنية التركية ، وانتهز الاوربيون هذه المناسبة فارسلوا مراسلي الصحف الى ارضروم لاطلاعهم على ماجريات الأحوال ، واتسع نطاق العصيان اتساعا عظيما فعم الألوية والأقضية وكل مكان، وكان المحرضون عليه يعلنونه قضية مقدسة ويطلعون الجهلة السذج على حالة اخوانهم التعيسة، واخذت الجمعيات السرية تتصل وترتبط ببعضها لتوحيد مساعيها وضم القوات المختلفة تحت لواء واحد ولتبادل الأفكار والاتفاق على تسيير الأمور . وكان اصحاب هذه الفكرة ومقترحوها ثلاثة هم كريستابور ميخائيليان وسيمون زاواريان وروشوم زوريان ، وقد ضموا اليهم الكثيرين من المفكرين واولاد الذوات من الأغنياء وارباب الصحف وممثليها ، واخيراً اندمجت الجمعيات السرية الموجودة في جميع انحاء القوقاز في جمعية « ناشناكسيون » ( اي جمعية اتحاد الثوريين ) ولم يتخلف عن هذا التوحيد إلا حزب « هنجاك » فقط .

وفي هذه الأثناء ظهر شاب من طلاب جامعة موسكو يدعى سركيس كوكونيان فألف فرقة مسلحة من ١٥٠ شخصاً من مشاة وفرسان فعبر الحدود واصطدم بالأكراد وعقبته السلطات الروسية وقبضت عليه وحكمت عليه بالسجن عشرين عاما باعتباره عاصياً على الدولة ، وكانت هذه اولى الحملات المسلحة التي نجمت عن هياج الأفكار العام .

## تكوين الاحزاب السياسية الثورية

ان انتشار الأدب الكفاحي باشعاره ورواياته ومواعظه واغنياته التحريضية أثرت في نفوس الشعب الكئيبة المخدرة ، فنهض نهضة منقبه محتجاً وخرج على السلطة الباغية المستبدة ، وفي أواخر القرن التاسع عشر تشكلت أحزاب ثورية متحمسة تملأ جوانحها

روح الانتقام والوطنية الخالصة والتضحية والمبادىء الانسانية النبيلة لانقاذ الشعوب المغدورة المغلوبة على أمرها الواقعة تحت استعباد السلاطين العثمانيين ، ولتنبيه أذهان الامم الحرة وتهيئتها بنشر الفظائع والاهوال التي تقع خلف ستار الرقابة من قتل واغراق وتعذيب وايداع الى غياهب السجون وما الى ذلك .

ان العوامل والمؤثرات التى أدت الى تأليف الاحزاب هذه لكثيرة ، ولكن أهمها ما يأتي :

(١) انتباه الشعب بانتشار الثقافة بين طبقاته (٢) نيل الشعوب البلقانية حريتها واستقلالها (٣) تفاقم الاضطهادات والمظالم بصورة مطردة وجلها كانت تنصب على رؤوس الشعب الارمنى (٤) ضعف السلطنة العثمانية والايذان بافول نجمها (٥) ضيق الصدور باعمال العنف والقسوة .

من جراء هذه العوامل حصل الهياج والغليان ، وبتطورات الافكار والاحوال نشأت الاحزاب السياسية المنتظمة بمناهجها الثابتة .

## حزب هنچاك

تألف هذا الحزب فى جنيف «١٨٨٧ - ١٨٨٨» ، ولكنه لم ينجح بسبب تمسكه بالادارة المركزية القوية وعدم انتظام تشكيلاته الداخلية ، وكان اختلاف الرأي والتقسم سائدين بين رؤسائه وبين أعضائه ولم تتفق آراؤهم قط فى خطة الحركة الثورية التي كان استعداد الشعب للقيام بها كبيراً ، وجرت جميع هذه الحركات دون أي تدبير او احتياط فعادت على الامة بالوبال .

فقد نظم الحزب المظاهرات السلمية في الآستانة عام ١٨٩٠ مطالباً بالاصلاحات في الولايات الارمنية ، فكان رد السلطان الاحمر عبد الحميد سفك دماء الابرياء . وفى عام ١٨٩٥ طالبوا بتطبيق المادة ٦١ من معاهدة برلين ، فنظموا المظاهرات امام الباب العالي ، ولكنهم لم يتخذوا أية استعدادات للمحافظة على الاهالي العزل ، فنجم عن ذلك ذبح ٣٠٠ الف أرمني فى أنحاء الاناضول .

وكان من رؤساء هذا الحزب همبارسوم بوياجيان ومهران داماديان اللذين أثارا جبل ساسون وكان منهم ايضا باراماز وكريكور يغيكيان وكان هؤلاء من أخلص أعضاء الحزب.



همبارسوم بوياجيان

وفي عام ١٨٩٦ قام ارمن زيتون باعظم عصيان وقد انتهى بنجاح باهر، فاراد عبد الحميد ان يطبق المذابح التي أجراها في اغلب الولايات الارمنية على ارمن زيتون ايضاً، ولكن آباخ ومليح وهراجيا واغامي دافعوا دفاع الابطال واحتلوا مركز قيادة الجيش التركي ودخلوا الثكنة العسكرية فحملوا جميع عتادها وأسروا عدداً كبيراً من الجنود وأفنوا غيرهم، وساعدتهم الطبيعة اذ ان ثلوجا هائلة تناثرت فاتلفت الجنود التركية البائسة، لان الجندي التركي كان في حالة يرثى لها من رثاثة اللباس ونقص الغذاء وسوء الادارة، وانتشر الوباء بين الجنود، ولكن ادهم باشا أصر على محاصرته للزيتون ثم توسطت الدول المعظمة فانسحبت بقية الجيش التركي، وظلت زيتون على وضعها القديم شبه مستقلة، ولكنها آلت الى الخراب ضحية لجمعية الاتحاد والترقي عام ١٩١٥.

هذا الحزب الحالي من المفكرين انقسمت صفوفه احزابا عديدة، ثم تشكل من

شتاتها الحزب الحر الديموقراطي .



مهران دامادیان ( من زعماء حزب هنچاك )

رنّ ، رنّ ، ايها الجرس(١)
وليملأ رنينك اجواز الفضاء
لتسقط الاغلال والسلاسل
ليشرق ضياء الشمس
مهران دامادیان

---

## الحزب الحر الديموقراطي

تألف هذا الحزب في القاهرة سنة ١٩٠٨ من أشتات حزب هنچاك، وهو حزب محافظ مكون من الاغنياء ورجال الدين ، وليس له ماض مؤثل . ولد في السلم وعاش في السلم وهو لا يزال الى يومنا ذا فعالية في جميع حقول الحياة العملية وبالأخص في الناحية الثقافية ، وله النوادي والصحف والمدارس والجمعيات الثقافية والرياضية .

وبناء على سيطرة حزب تاشناكسيون ونفوذه في حياة الارمن القومية ، فهو ( أي الحزب الحر الديموقراطي ) في معارضة دائمة له .

---

١) ان « هنچاك » باللغة الارمنية تعني « الجرس »

## حزب تاشناكسيون

هو أهم حزب ارمني تألف من صميم الأمة هو حامل بجل آمالها وآلامها ويمثل غاياتها القومية، وهو ناشر المبادىء الانسانية النبيلة والمدافع عن الحقوق الشعبية، يبذل كل رخيص وغال لنيل حرية الأمة واستقلالها مع احترام كلي لحقوق جاراته فردية كانت ام اجماعية، لا طمع له في ما هو من حق الغير، بل انه كثيراً ما قدم نفسه لرد الحق المسلوب الى اصحابه.

طالب بحقوق الشعب بكل صراحة بالسلم أولا، فلما لم تجد السلم عمد الى القوة، ولم يغفل خلال ستين سنة مضت على تأسيسه، ولن يغفل قط أمر السعي لنيل هذه الحقوق التي غصبها غشم المستعمرين وألاعيب الساسة الغربيين.

ونحن اذا بحثنا عن حزب تاشناكسيون فكأننا نبحث عن الأمة الارمنية، لانه هو يمثل أكثرية القوم من الشباب والمثقفين والوطنيين والمتجددين، ولا يخرج عن دائرة نطاقه إلا الأقلية من بعض الرومانيين والمترين والرجعيين والمأجورين !.



روستوم اوريان

من مؤسسي حزب تاشناكسيون ومدبر الحروب الدفاعية في باكو ١٩١٨

هو الذي ناضل عن الأمة في جميع الميادين سواء النضال السياسي ام النضال الدموي ، وبرز في مواطن الخطر فلم يتهاهل عن العمل والتفاني والتضحية لايفاء الواجب نحو الأمة واعلاء كلمتها وتبوئتها مكانة مرموقة. وقد تجلت شجاعته ومتانته في ظروف كثيرة كاحتلال البنك العثماني ومواجهة الهجمات التترية والتنكيل باصحابها ومقاومة مصادرة الاموال الوقفية من قبل حكومة روسيا القيصرية ومحاولة اغتيال السلطان عبد الحميد وغير ذلك. ولذلك فان صفوف الأمة الارمنية منتظمة في حزب تاشناكسيون وتاشناكسيون في صميم فؤاد كل ارمني .

لم يحنث يوما بيمين الاخلاص لامته ولا بدل ساعة من دهر مبادئه السامية ولا سعى لجر مغنم او منفعة شخصية بل قدم نفسه بكليته لقضية أمته .

تاريخ هذا الحزب انما هو تاريخ الحماسة الوطنية والعزة القومية ، وان أي أديب ليتمكن ان يتخذ من أعماله مواضيع تهز القلوب وتذكي الغيرة واي شاعر يستطيع ان يملأ قصائده بتمجيد جهوده ، لم يذق أفراده طعم الراحة بل قضوا حياتهم كادحين يلوذ بعضهم بقمم الجبال ويفر غيرهم الى بطون الغابات المظلمة ويعانق غيرهم ظلمات السجون لا وجلين ولا هيابين لأن في أعماق نفوسهم ايمانا وثيقاً بانهم يقضون واجباً مقدساً ( كما قال شوقي ) :

وان الذي يسعى لتحرير أمة — يهون عليه السجن والنفي والشنق

حقاً ان اليراع ليعجز عن وصف بطولة هؤلاء الكماة الصناديد ، فانهم دون ان يمدوا أيديهم الى نصير من الخارج استمروا في كفاحهم القوي حتى عمروا عشاً قومياً في زاوية من زوايا وطنهم في ٢٨ ايار عام ١٩١٨ .

تشكل هذا الحزب عام ١٨٩٠ بين امواج آلام أمته في أرمينيا الشرقية من اتحاد مختلف الاحزاب السياسية الصغيرة تحت زعامة وطنيين مخلصين أمثال كريستابور ميكائليان وسيمون زاواريان وروستوم زوريان ، وهو لا يزال الى يومنا اكبر وأوسع الأحزاب الأرمنية امتداداً يضم الألوف من الأرمن ويقبض على سياسة الامة بيد من حديد ، وهو مستمر على النضال بكل جد وثبات حتى تنال الامة غاياتها القومية .

وهو حزب اشتراكي دمقراطي وطني قائم على الأسس القومية ، فعاليته واسعة المدى وأعماله متشعبة تشمل كل مظاهر الحياة القومية داخل ارمينيا وخارجها .

اما منهاجه فكان كما يلي :



سيمون زاواريان
من مؤسسي حزب تاشناكسيون

(١) الدعاوة بواسطة القلم والكلام

(٢) تشكيل منظمات الحزب الداخلية

(٣) نشر مبادىء الحزب

(٤) نشر الادب والصحافة بين طبقات الشعب

(٥) الدفاع عن الاهالي العزل

(٦) المظاهرات المسلحة ضد الحكومة المستبدة التركية والروسية القيصرية

(٧) المؤامرات واغتيال الجواسيس والخونة الرجعيين

(٨) تأمين الاصلاحات الادارية وحقوق الأمة الارمنية في الولايات الارمنية .

وفي الوقت عينه فقد كانت له فعالية سياسية ودعاوة مستمرة في الصحف الاجنبية لكسب أصدقاء للقضية القومية، وقد تشكلت جمعيات من المحبين والمؤازرين لهذه القضية ومن نصراء للشعوب المظلومة تحت نير السلاطين العثمانيين يؤسسون علاقات ودية معهم ويشاركون في عقد مؤتمرات مع شعوبهم ويبذلون الجهود والمساعي لهم.

بعد المذابح الارمنية العامة التي جرت سنة سنة ١٨٩٥، احتل تاشنا كسيون البنك العثماني المركزي في الاستانة وذلك عام ١٨٩٦، وقد قام بذلك زمرة من شبابه الفدائيين المثقفين مثل الدكتور كره كين باصدرماجيان وبابكين سوني وخراجيا ترياكيان وغيرهم، وكانت الغاية من هذا العمل الجريء ارهاب عبدالحميد في عاصمة سلطنته.

## احتلال البنك العثماني في الاستانة

### عام ١٨٩٦

هم زمرة من أفراد الحزب المؤمنين بعدل قضيتهم تركوا جامعاتهم في اوروبا، ودخلوا الآستانة مع بعض اعضاء آخرين فكان مجموعهم تسعة وعشرين شابا قد لفوا اكفانهم حول رؤوسهم وتسلحوا بالاسلحة النارية ووضعوا الخناجر في مناطقهم وحملوا قنابل يدوية بايديهم، وبالرغم من رقابة الجاسوسية الحديدة النظر فقد ظهروا قرب البنك وكأن الارض انشقت عنهم، وبادروا اليه كبرق خاطف فقتلوا حراسه العسكريين واحتلوه بعد صدام دموي عنيف، ثم أغلقوا الابواب على منهل الثروة في الشرق والغرب.

ارتعب موظفو البنك البالغ عددهم ١٥٠ شخصا أغلبهم من الافرنج ومعهم ابن الوزير، فاخبرهم رئيس الحركة الدكتور كره كين باصدرماجيان بانهم ليسوا لصوصا ولا هم طامعون بالمال، ولكن لهم غاية سياسية من هذا العمل، وأمنهم على حياتهم ان ظلوا صامتين حتى يروا النتيجة.

دام احتلال البنك ثلاث عشرة ساعة جرت خلالها مصادمات، واستعمل الثوار قنابلهم اليدوية يلقونها من سطح البناية ومن شبابيكها فوقعت اضرار بالغة، ثم توقفت النار بتوسط السفير الروسي وطلب الافراج عن مدير البنك للنظر في مطاليب الثوار

وشروط اخلائهم البنك وبعد عدة ساعات عاد مدير البنك يصحبه ماكسيموس السكرتير الاول للسفارة الروسية في الاستانة حاملا الوعود بالاصلاحات في الولايات الارمنية ،



الدكتور قره كين باصدرماجيان
رئيس محتلي البنك العثماني

ثم هدد الثوار بذبح الارمن ثانية كالعام الماضي إن هم أصروا على عدم مبارحة البنك او دمروه بقنابلهم ، فلم تقنعهم الوعود ولكنهم اكتفوا بالاثر المعنوي الذى سيتركه احتلال البنك وإشغاله ، وغادروه برفقة ماكسيموس ومروا من امام الجيش الذى حاصر البنك اثناء احتلاله ، وتوجهوا الى الميناء فنزلوا في الباخرة التي أقلتهم الى اوروبا .

وحين احتل البنك العثماني ، وجهت الهيئة المركزية للحزب في الاستانة بيانا الى سفراء الدول المعظمة يحوي الاسباب الحقيقية لاحتلال البنك ، وهذه هي :

(١) احتججنا لدى الدول الاوروبية فلم تقطع عنا دابر المظالم التركية ، ورغما عن تكرار الاحتجاجات فقد رفض طلبنا رفضا باتا .

(٢) ان السلطان عبد الحميد بدلا من ان يلبي طلبنا بقيامه بالاصلاحات التي قدمناها

اليه فانه هدر دماء ابناء ملتنا وأباح حرماتهم .

(٣) ورأت اوروبا هذه الجنايات المتعمدة فصمتت صمتا عميقا .

(٤) وعوضا عن ان يمنع الاوروبيون أيادي السلطان عن التمادي في مظالمها ، فانهم يوصوننا - بغير خجل - بالرضا بالوضع الحاضر .

(٥) حرمونا حقوقنا الانسانية وامتهنونا ، ثم جرحوا عزتنا القومية والفردية ، وحينما رفعنا راية الاحتجاج أغرقونا في سيول من دمائنا .

(٦) لقد قررنا وأيدنا هذا القرار ، بان عزائمنا ثابتة لا تهن ولا تني حتى تنال مطاليبنا وتنفذ مآربنا ولو اضطرنا الامر الى سفك دمائنا .

(٧) قالت اوروبا « الحق للقوة » ونطقت بذلك دون أي اكتراث ، لذلك فنحن مضطرون للعمل على هدي العلم ضد أفانين السياسة وألاعيبها .

(٨) ان دماء الشهداء الثلاثمائة الف تصرخ في ضمائرنا ان طالبوا بالحق والحرية .

فلذلك نطلب :

أ - تعيين مندوب سام من الاوروبيين على الولايات الست الارمنية من قبل الدول المعظمة بالاتفاق .

ب - يعين هذا المندوب السامي الولاة والمتصرفين والقائمقامين ، على ان يصادق عليهم من قبل السلطان .

ج - تنظم تشكيلات الجندرمة والبوليس والموظفين تحت اشراف وقيادة ضابط اوروبي .

ذاعت تفاصيل هذه الحادثة بسرعة فائقة بواسطة مخبري الصحف الاوروبيين ، وكتبت جريدة « نوئه فرايه برءسه » تقول :

« عدد من الثوار الأرمن المسلحين بالمسدسات والقنابل اليدوية قتلوا محافظي البنك وحراسه فهرب بعض الموظفين من السطوح ولكن الأغلبية ظلت محصورة فيه . كان ثلاثة اربعة من الثوار يرتدون القبعات والرؤساء فيهم يتكلمون اللغة الافرنسية بجلاء حتى ليذهل المرء ان يعلم انهم أرمن وعندما دخلوا البنك اعلنوا صيانة الموظفين

وحفظ الدراهم ، وقالوا ان لهم مطاليب ان رفضت فأنهم سيدمرون البنك بقنابلهم » .

وكتب مراسل جريدة « اتوال بلج *Etoile Belge* » بعنوان « نجابة الأرمن الوطنيين » ما يلي :

« قد لا تصدقون ما اكتبه اليكم ، ولكن هو الحقيقة : فالثوار احتلوا البنك وحصروا في داخله موظفيه البالغ عددهم ١٥٧ شخصاً من عناصر مختلفة وأغلقوا الابواب ، ثم قال رئيس الثوار وهو يخاطبهم ( اي الموظفين ) : « لا تخافوا ، فليس عليكم ولا على خزائنكم من ضير إن اخلدتم الى السكينة ، فلا تبرحوا مقاعدكم (١) وإلا اضطررنا الى ابادتكم بقنابلنا » . ولم يكن هؤلاء الثوار في الحقيقة لصوصاً ولا سلابين. كانت حياة المحصورين في مأمن ، وكان معهم احد سكرتيري السلطان وهو ابن احد الباشوات الاتراك ، ولم يفقد من البنك ولا سانتيم واحد مما كان موضوعا على المنضدة وهو ١٠ آلاف ليرة ذهبية واوراق نقدية ، وقد سلمها زعيم الثوار بيده الى مدير البنك، واثناء الاضطراب من جراء احتلال البنك أمسي باب الخزينة العامة مفتوحاً فاسترحم المدير الزعيم ان يقفله ففعل !

« ولأجل تفصيل هذه الفعلة الجريئة لا نكتفي بوصفها في سطور قليلة ... فنريد ان نتأكد كيف تمكن هؤلاء الأبطال وعددهم ستة وعشرون لا غير من احتلال أهم مؤسسة في الامبراطورية العثمانية في رائعة النهار ، وبتضحية كاملة بالنفس صمدوا ثلاث عشرة ساعة دون ان يمدوا يداً الى سانتيم واحد .. واخيراً غادروا البنك بشرف وهم منتصرون ظافرون . ان اولئك الشبان الأبطال لهم رسل الحرية ، ولهم معنا في الباخرة ستة ايام ونحن نحدثهم ونستقصي منهم المعلومات الضافية ، وان ضباط الباخرة وموظفيها اجمعين لمعجبون بهم ، والكل يجلهم ويحترمهم » .

(ان المراسل الذي كتب هذه السطور هو طبيب الباخرة التي أقلت الثوار الى اوروبا ) .

غزو خاناصور : كانت عشيرة مازريك اكبر عامل في فاجعة الارمن في منطقتها

---

١) اي « لا تتحركوا وتبارحوا »

وقد تسببت في غزوهم ونهبهم وسلبهم وقتل أبنائهم على مرأى ومسمع من الحكومة العثمانية . فرأى تاشنا كسيون تأديب العشيرة ووضع حد لاعمالها البربرية والانتقام منها ، وتطوع ٢٥٠ منهم لذلك بينهم طبيب وقسيس فدائي وتاجر ثري بينهم الفارس



وارطان « فدائي بسيط في هذه الغزوة »
ثم قائد اللواء الخامس من المتطوعين (١٩١٨)

---

والراجل ، فوصلوا مساء ٢٥ تموز ١٨٩٧ الى قمة جبل آراوول في باش قلعة ، وفي فجر اليوم الثاني خطب القائد وارطان فيهم خطبته الحماسية ، ومنها : « بعملنا هذا سنبرق للعالم ونثبت له اننا مستعدون للنضال في سبيل انقاذ وطننا » . وخطب القسيس الفدائي وهو يحمل الصليب بيده اليسرى والسيف في يده اليمنى قائلا : « اليوم ، ولاول مرة فان صليب تاشناكسيون يدلكم على النضال . انظروا الى الغرب لتروا المقدسات مدمرة والمدن خربة والوطن خالياً خاويا ، وقد عقد الكل آمالهم على أعمالكم وجهودكم ولو كنتم في العدد قلة ، فان أجدادكم قد غلبوا بعدد قليل مثل طاويد بك الذي تغلب على سبعين الف فارس من الاتراك باربعمائة شخص ، وسار الى الامام » .

وأحاط الفدائيون فجر اليوم بمائتين وخمسين خيمة لعشيرة مازريك فأحرقوها وقتلوا أهلها وغنموا منهم أسلحة وعتاداً مع الفرمان والسيف المهدى من قبل عبد الحميد الى شرف بك الحيدي رئيس العشيرة ، ثم انسحبوا الى الجبـل ، ولم ينج من فتكهم من عشيرة مازريك إلا القليل ، وقـد علم الداني والقاصي بوجود يد منتقمة ومؤدب قاس لكل ظالم شرير ..

ان المخبرين في السفارة البريطانية بالاستانة يصفون الحادثة بما يلي :

« ان الثوار الارمن دخلوا الى باش قلعة من الحدود الايرانية بفرقتين كل فرقة مؤلفة من ٢٠٠٠ر٢ متطوع ، واشتبكوا بالحرب لمدة يومين مع الخيالة الحيدية الكردية وكانت النتيجة مجهولة . وفي فجر صباح الجمعة حملوا حملة مباغتة على شريف بك فقتلوه هو والكثير من أفراد عشيرته ، وعند وصول الجنود النظاميين انسحب الارمن الى الاراضي الايرانية » .

اما القنصل العـام فيكتب الى السلطات العليا ما أدرج في الكتاب الازرق الانكليزي كما يأتي : « ان الغزاة الارمن البالغ عددهم ٣٠٠٠ شخص برئاسة الدكتور اوهانيان هم طبقة أغلب أفرادهـا شخصيات مثقفة محترمة ، وقد سبق ان وصفنا الحكم الواقعة » .

## حروب ساسون الدفاعية

## ١٩٠٣-١٩٠٤

نظم الحزب حرب العصابات فانتشرت هنـا وهناك تغزو وتغير عـدة سنين عل عبدالحميد يرعوي ويفطن الى الحالة السيئة التي أفضت اليها البـلاد فيصلح ما أفسدته يداه ، ولقد اشتهر في هذه الحروب البطل الوطني الشهير انترانيك *Antranigue* وسيروب باشا وحرمه سومي وكيورك جاويش ومهاد وعرابو وكيري ووارطـان وابشنجان ونيكول دومان ومئات غيرهم. ولقد قاد الجنرال انترانيك عام ١٩٠٣ (وكان فدائيا بسيطا ذلك الحين في حرب ساسون ) وأبدى مهارة فائقة ودافع دفاع الابطال مقـاوما



المجاهد الاعظم الجنرال انترانيك

وكان ذلك الحين فدائيا بسيطا وقد منحته السلطات الروسية القيصرية رتبة جنرال عام ١٩١٨

---

ثلاثين يوما الجيش التركي الذي جاء لتدمير جبل ساسون فلا ينهض سكانه على أرجلهم عوض ، وجلبت هذه الحرب انتباه اوروبا بواسطة ممثلي تاشناكسيون الذين أذاعوا نبأها على العالم . ثم توسطت السفراء فاوقفت الحركات الحربية ، وعاش سكان ساسون الى عام ١٩١٥ ، ولقد كان الفضل الاكبر في وقف أعمال العدوان واقصاء الفاجعة الكبرى لدلكاسيه وزير خارجية فرنسا آنذاك فقد ضغط على عبد الحميد سياسياً ، نتيجة للبيانات الوافية والاحتجاجات التي أثارها النائب الافرنسي فرنسيس دي بره ساتسه في البرلمان الافرنسي .

## الحروب الارمنية التتارية

غضبت الامبراطورية الروسية ورجالها على الارمن منذ مؤتمر برلين ، فقد رجع الارمن الى هذا المؤتمر لادخال المادة ١٦ من معاهدة سان استفانو ، وأضاعوا برجوعهم هذا حقوقهم ذلك أنهم طالبوا روسيا وحدها بالاصلاح في الولايات الارمنية

في تركيا ، فعارضت روسيا ذلك وسعت الى عرقلة كل ما جاء في المنهاج الارمني وحجزه عن حيز العمل والتطبيق وصرحت انها « تريد ارمينيا بلا أرمن » ولذلك بذلت جهدها في اضعاف الارمن واذلالهم ، وقد حركت عليهم هـذه المرة التتر في باكو وتفليس وير يوان وكان هؤلاء حاقدين لافعال ناشنا كسيون ضد تركيا ، فحشدوا جموعهم ضـد الارمن « ذوي الثقافة الذين يملكون ثروة عظيمة في القوقاز ! » وكان الاعداء يتسابقون الى الانضمام الى جموع الاضداد.

كان الوالي ناكاشيتزه *Nagachitze* هو الذي اوغر قلوب الشعب التتري المتعصب الجاهل وجهزهم بالاسلحة والعتاد ، وكان السبب المباشر للمناوشـات ان جنديا ارمنياً في الجيش الروسي وكل اليه أمر نقل اللص التتري الشهير اشور بكوف من مكان الى آخر ، وفي أثناء احدى التنقلات هرب اللص فتعقبه الجندي وأرداه قتيلا ، فاتخذها التتر ذريعة وهاجموا الارمن وقتلوا منهم عشرة أشخاص أبرياء ، فحينها شعر ناشنا كسيون بهـذا العداء قرروا تطبيق شريعة موسى « السن بالسن » فشكلوا فرقة للدفاع عن الامة بقيادة الثوروي الشهير نيكول دومان *Nigol Tuman* .



نيكول دومان

ظلت المصادمات الدامية اربعة ايام بين الجارتين القديمتين اللتين اصبحتا بتحريض الوالي ناكاشيدزه عدوتين ، فوقع مئات القتلى والجرحى من الطرفين ، وعندما رأى التتار جلد الارمن ومتانتهم طلبوا الصلح فلم يرفض الارمن طلبهم وذلك حقنـا للدماء التي لم يجن الطرفان من سفكها شيئا، ولكن السلطات الغاشمة أفادت منها اضعاف الطرفين ليدوم سلطانها واستبدادها .

وقرر تاشناكسيون اغتيال ناكاشيدزه والي باكو هو واعوانه، ففي ١١ ايار ١٩٠٥ بينما كان الجنرال الوالي ممتطيا عربته سائراً بها بسرعـة في الشارع الرئيسي بباكو منهوا بحكمه وسطوته اذا انفجرت بغتة قنبلة يدوية بصوت مرعب، وعلا دخان كثيف في الفضاء لم ينكشف إلا عن جثة الظالم المغرور وقد تقطعت أشلاء وأوصالا ، فقد سقط الباغي بضربة ارمني فدائي رغما عن كل احتياطات الشرطة . وذهل التتر ومعهم القيصر وضاعت جهود الشرطة للقبض على الفدائي طيرو « Tiro » .



طيرو كانايان

كان عمره ٢٥ عاما حين ألقى القنبلة على والي باكو

عقدت الهدنة في باكو بين التتر والأرمن ، ولكن المصادمات ابتدأت في تفليس ويريوان وأقضيتها ، واضطر تاشناكسيون الى تكيل الصاع بالصاع ، فنظم قواته للدفاع ، ودفع بكل السلطات الدكتاتورية الى الفدائي الثوري الشهير نيكول دومان لتولي الادارة وقيادة الدفاع ، ودام النضال سنتين بغير ما جدوى ، ثم انتهى بطلب الصلح من قبل التتر .

كان مراسلوا الصحف الأجنبية يطيرون الى بلادهم يوما فيوما أنباء سير الحركات الحربية ، وكتب مراسل جريدة Ten:ps الباريسية يوما : «توجد هاوية سحيقة وبون شاسع بين العنصرين في نزعاتهما المتضادة ، فأحدهما يتابع المدنيـة والأفكار العصرية ، وثانيهما شاحط عن الميدان مسافات وابعاداً ، ويأخـذ العنصر الثاني على عاتقـه امر عقاب العنصر الأول الفعال الذي يحب المدنية والحـرية ويأبى الاستبداد وارهـاب رجال الدولة» .

وبهذه المناسبة كتب الصحافي الانكليزي الشهير ويللاري *Willty* في كتابه « السيف والنار في القوقاز *The Fire and Sword in Caucasus* » : ( ان الوقائع الدامية في القـوقاز لهي جـزء من النضال الذى تشنه الحضـارة على البربرية الآسيوية )

## كفاح تاشناكسيون

### ضد سلطات روسيا القيصرية

لم يرد تاشناكسيون الاشتبـاك مع السلطات الروسيـة مهما كان السبب حذراً من فتح جبهـة ثانيـة ولو ان السياسة الروسية لم تكن في صالح الارمن ثقافياً وادبياً ، فقد كانت روسيا تبذل جهدها لدمج الارمن بالكنيسة الروسية كي تسطو عليهم روحانياً . ولم يكن مجهولا لدى تاشنا كسيون الفرق الكبير بين عيشة الارمن الرفيهة في القوقاز وبين عيشة اخوانهم في تركيا ، فاولئك كانوا احراراً ناعمين بالنسبة الى هؤلاء لا يحل بهم القتـل والسلب والنهب ومصادرة الامـوال والاراضي

الشخصية ولهم حرية الحل والترحال حيثما شاءوا . ولكنهم اضطروا اخيراً الى النضال في هذه الجبهة ايضاً واشهار السلاح في وجه الحكومة القيصرية بسبب تغييرها سياستها وارهاقها الارمن بما لا قبل لهم باحتماله .

مصادرة املاك واموال المؤسسات الدينية الارمنية : كان استقلال الكنيسة الارمنية الارثودكسية ضيقاً محدوداً على عهد القيصر نيقولا الاول من جراء قانون « بولوزه ينا » المشؤوم ، وفضلا عن ذلك فان الحكومة الروسية وقفت عقبة كأداء في سبيل الاصلاحات في الادارة الارمنية التركية وشجعت السلطان عبد الحميد على المضي في اضطهاد الارمن ، كما غضت الطرف عن الامير لوبانوف الذى كان يسير على الخطة نفسها معهم .

وطفحت الكأس حين اصدر نيقولا الثاني ارادته بمصادرة الأوقاف العامة للكنيسة الأرمنية لان ذلك ضربة شديدة على المدارس الارمنيـة التي كانت تستمد نفقاتها من هـذه الاوقاف ، وظنت الحكـومة انها فازت بمآربها متناسية وجـود تاشناكسيون ، ولكن تاشناكسيون بدأ فعاليته حينما ابلغت الارادة القيصرية الى البطريرك الارمني ، فنشر الحزب على الشعب الارمني الاخطار التالي :

« لقد آن وقت الاحتجاج يا ابطال الامة ، وكفانا ركوداً وحذراً ! ليستقل البطريرك وليقطع علاقته مع الحكومة الروسية ، ولتغلق الكنائس الارمنية اعلاناً للحداد ، اما الشعب فليحتج لدى الحكومة المركزية بكل الوسائل الممكنة : بالمظاهرات ، بالمضابط وبالاحزاب ، وليستعد الشباب الناهض للنضال اظهاراً لغضب الشعب وغيظه . من واجبنا ان نبين للحكومة الغاصبة ان ليس في امكانها الاستمرار على التلاعب بمقدرات الشعب ، ومن واجبنا ان نظهر للملأ اننا غير هيابين ، واننا لسنا أرقاء عديمي الشعور والاحساس ، بل نحن قادرون على المقاومة والدفاع عندما نرى حقوقنا القوميـة تستباح وتهدر » .

وتشكلت لجنة الدفاع الملي الارمنية حالا واذاعت البيان التالي :

« هتكت الحكومة الروسية القناع فانكشفت مقاصدها الخفية نحو الملة الارمنية

ودمجها في الامة الروسية والقضاء على استقلالها وادارتها الداخليـة بكل الوسائل التي توصلها الى هدفها ، فالامة الارمنية مضطرة الى النزال غير المتعادل الذى فرضته عليها الحكومة الدنيئة . العدو قوي يمتلك الجنود والمدافع ، وهي مفقـودة لدينا ، ولكن سلاحنا هو حقوقنا ، وحقنا صريح تؤيده العدالة نفسها ، والعدالة هي اعظـم القوى التي تدمر اقوى الدول واعظمها بطشاً » .

رفض خرميان هايريك - بطريرك الامـة وقتئذ - الارادة القيصرية ، وتوالت الاحتجاجات والمظاهرات والمصادمات في المدن والقصبات وفي يريوان وباكو ، وأبى الشعب متمرداً تسليم الامـلاك التي قيمتها مئـات الملايين من الدنانير ، فغضب نائب الملك المقيم في تفليس من القوقاز وأنذر البطريرك بالاسراع في تنفيـذ ارادة القيصر وهـدده ، فكان جزاؤه ان اغتـاله شاب ارمني ثوري . وكان رئيس الوزارة ووزير الداخلية الفون بليفي ديكتاتور روسيا على ذلك العهد قد أخطر البطريرك بلزوم تسليم الأملاك ، فاغتيل هذا الطاغيـة أيضاً ، وأقامت النساء المظـاهرات واغلقت الكنائس والاديرة احتجاجاً وتعطلت العبادات فيها والصلوات عدا الايام التي كانوا يصلون فيها على أرواح الشهداء الذين سقطوا ضحايا هذه الثورة ، وكانت كل صلاة تذكي الحماس وتشدد العزائم .

واذ لم يرغب قيصر ان تذاع اخبار اضطهاداته في الغـرب في اوروبا ، فيسمى «القيصر الجاني» او «القيصر الاحمر» ، فبعد مصادمات باكو وتفليس ويريوان خففت حكومة روسيا غلواءها وأرخت الحبل ، وبعـد اغتيال كاليسين أرسلت الى القوقاز وورنقسوف واشكون نائبا جديداً عن الملك ، وبعـد شهرين فتحت أبواب الكنائس والاديرة ، وظلت الاملاك والاوقاف بيد الشعب الارمني صاحبها الشرعي ، فكان هذا ظفرا مجيدا لحزب تاشناكسيون .

قنبلة قصر يلدز

بعد انتهاء المحاربات التترية الارمنية التي أذكت روسيا اوارهـا ، رجـع تاشناكسيون الى الساحة الاصلية لاعماله والهدف الاول لحركاته الثورية أعني تركيا .

ان المحاولات والمراجعات السياسية لم تعط ثمارها المرجوة ، ولم يعد السلطان الاحمر النظر في سياسة الافناء ، وظلت حالة البلاد كما كانت في السابق ، فالظلم والاستبداد تجري أحكامها في طول البلاد وعرضها ، والامة تعطي الضحايا على مذبح الجور صباح مساء ، ولم يردع احتلال البنك الطاغية ، بل زاده تجبراً حتى انه بعد عام من الحادثة عزم على إبادة سكان ساسون عن بكرة أبيهم كأن لم يرو ظمأه الى الدم الارمني ، فنزل الحزب الى الميدان ، ورأى ان ينزل الضربة بعبدالحميد نفسه .

ولنجاح المؤامرة كان من الضروري الدخول عليه في وجره يلدز قصر السلطان الملطخة يداه بالدماء الأرمنية ، ودون الوصول اليه خرط القتاد نظراً لمناعة اقتحام شبكاته الجاسوسية العظيمة . لذلك دخل كريستابور ميكائليان زعيم الحزب الآستانة بجواز سفر الماني تحت اسم مستعار هو « صموئيل فاين » وبصحبته شخص بلجيكي يدعى زوريس وآخر الماني وثالث يوناني وامرأة تدعى روبينا وكلهم أشخاص مستترون تحت الاسماء يرتدون ازياء الامم التي انتسبوا اليها ، وكانت هيآتهم تنم عن ترف ووجاهة ويبدون كأنهم من الشخصيات البارزة الاجنبية الدبلوماسية ، وكانوا يدخلون كل يوم جمعة ساحة مراسيم يلدز كشاهدين لعظمة السلطان ، وبهذه الزيارات المتكررة تعرفوا المراسيم كلها من ركوب ونزول ومرافقة ومدة مكث ومراسيم بعد الصلاة حتى انتهاء « السلاملق » وضبطوا مواعيدها بالثانية الواحدة دون ان يلفتوا اليهم أنظار الشرطة لان أزياءهم وحركاتهم وسكناتهم والعربة الفخمة التى كانوا يمتطونها في روحاتهم وغدواتهم ، كل هذه تنفى الريب والشكوك عنهم .

وبعد الدرس العميق قرر هؤلاء الاشخاص نقل القنبلة الكهربائية في ذات جمعة عينوها وفي مراسيم السلاملق لازالة الشخص الذي أفنى بمحو أمة نبيلة تعشق الحرية وتساير الحضارة ، فقد رأوا ان من العار عليهم ان يبقوه حياً ، فالجزاء يجب ان يكون من جنس العمل ولا انتقام من قاتل الا بالقتل ، وبررت لديهم الغاية الواسطة .

وفي الجمعة المصادف ٢١ تموز ١٩٠٥ ، وفي الوقت المضبوط لمراسيم السلاملق أوصلوا القنبلة محمولة في عربة ارستقراطية مزينة ، وكانت مؤقتة بدقائق معين هو موعد

مرور عبدالحميد بها بعد انتهاء صلاة الجمعة .

خرج عبدالحميد من الجامع بعد اداء الصلاة وتحدث الى شيخ الاسلام جمال الدين افندي كالعادة ، وكان من حسن حظه ان طال كلامه نصف دقيقة أكثر من المعتاد ، ولم يكد يضع رجله على درجة المركبة حتى انفجرت القنبلة بدوي مريع اهتزت له أرجاء العاصمة وانتشر الهلع العظيم وبسط الموت ظلاله السوداء في ساحة المراسيم ولكن عبدالحميد نجا بتأخره هذه الثواني الثلاثين ولم يكن من عادته ان يتأخر ، ولكن هو القضاء يفلت منه من لم يحتم عليه !

يصف مراسل الصحيفة الالمانية الشهيرة « فرانكفورتير تسايتونك » « *Francfurthur Tsaitung* » هذه الحادثة فيقول :

« كاد السلطان ان يذوق الردى هو وأولاده وحاشيته لو تأخر انفجار القنبلة نصف دقيقة فقط ، وقد وقعت الحادثة على بعد خمسين متراً منه . سمع صوت هائل حين غادر السلطان الجامع ، وفي فترات متقطعة اشتمل المكان بدخان داكن كثيف ، وفي لحظة واحدة حدث التشوش في الجامع ، وأعقبت ذلك اعوالات وصرخات مختلطة صادرة عن المأخوذين والمرتعبين . وأخذ الرعب والرهبة عبدالحميد وحاشيته فاضطربوا ووجموا ، والسماء تمطر المكان أشلاء وأوصالا بشرية وحيوانية تتناثر هنا وهناك ، ولقد تحطم الزجاج في نوافذ المباني القائمة على مقربة من الجامع ، وهوت منارة الجامع الى الأرض » .

« ولما انجلت سحابة الدخان وبان المكان كان المنظر المكشوف مؤلماً جداً فان ٤٠ نسمة من البشر و ٥٠ من الخيل قد غدوا أوصالا مفككة ، وان ٨٠ جرحوا جروحا مختلفة بين خطير وخفيف ، وكانت عربة السلطان محاطة بعثات من الجنود ورجال الحاشية بسيوفهم المشهرة ، فكنا كأننا نشاهد عرضاً لرواية مفجعة » .

وكان بين المحتفلين النائب الايطالي ايرلو دوا فقال : « لقد حضرت مراراً تجربة المدافع الثقيلة الضخمة ، ولكني لم أسمع انفجاراً هائلا كانفلاق هذه القنبلة » .

اما جريدة « ني تسايد » الصادرة في فيينا فقد كتبت تقول :

«ان الجرائد التركية شبه الرسمية تقول ان ٨٠ عائلة و ٤٠٠ شخص قد شملهم الأسى ، والجرحى كثار ما بين اصابة خفيفة وثقيلة ، وقد فقد ١٧ من الجاندرمة و١٢ تركياً من الشخصيات البارزة ونمساوي واحد ، هذا الى جانب الكثيرين من الذين ماتوا بتمزق القلب ، وان عدد الخيل القتيلة ٧٠ والعجلات المدمرة ٣٢ ، ويقال ان القنبلة القيت بواسطة بالون صغير ».

وقالت جريدة «طان» الباريسية: «ان القنبلة الجهنمية كانت تحوي ١٥ كيلوغراما من المواد المتفجرة ، وان صوت انفجارها سمع على بعد عشرة كيلومترات».

اما بقية الصحف الاوربية فقد كان عدم اكتراثها للحادث ملموسا باديا للعيان نظراً لكراهيتها للسلطان الأحمر ، ولم تحرك قنبلة يلدز فيها اي شعور بالغيظ على الثائر المجهول ولا على الثوار الأرمن البتة ، بل على العكس فانها قدرت فاعليها وامتدحتهم نظراً الى الحالة التعيسة التي أوصل عبد الحميد ارمينيا اليها. قال السياسي الشهيرواندير ويلد البلجيكي « ان عبد الحميد شخص مستبد مطرود من دائرة البشرية ».

*un despote au ban de l'humanite.*

حالة عبد الحميد النفسية بعد القنبلة : ان حادثة القنبلة زادت عبد الحميد مخاوف فوق مخاوف، فكان لا يرى إلا ساهما سيء الخلق ضيق الروح ، فقد أثرت الحادثة تأثيراً عميقا في معنوياته . كتب السكرتير الأول تحسين باشا في مذكراته يقول :«كانت الجناية كأنها من فعل الجن ، وكانت التقارير التي تقدمها الهيئات التحقيقية ترعب عبد الحميد ، وقد ذكروا يوما ان الثوار سيدمرون البنك العثماني ونفق غلطه وجسر استانبول وغيرها .. وأخبروه ذات يوم ان الثوار درسوا خريطة قصر يلدز وانهم قد استعدوا لوضع القنابل بواسطة بالونات ، فذعر عبد الحميد وبدل منهاج عيشه واوقاته وساعات محادثاته ونومه.. الى غير ذلك ، اذ انه كان يخاف خوفا شديداً من الأرمن».

حام الشك بادىء الامر حول من في القصر لان المؤتمر (بكسر الميم الثانية) كان شخصا مجهولا ، ولان إحكام الجاسوسية كان يجعل مستحيلا ان ينفذ اليه شخص من الخارج ، ولم يخطر في البال ان غريبا يستطيع ان يلج ساحة القصر . ولقد شك عبد الحميد بولي العهد رشاد وسجنه في قصر جراغان ، فاحتج رشاد وهدد بمراجعة الدول

المعظمة ، واشغل امره الصحف الغربية ردحا طويلا من الزمن . ولم يستطع السلطان والمحققون كشف حقيقة المؤامرة ، فسائق العربة والراكب هلكا والعربة نفسها لم يبق



سيامانتو ( كورفير الارمني )

ناشر البطولة الفدائية

---

هناك تحت تلك الجدران الصخرية القاتمة كاسس متينة يجثم بين الظلام مخنوقين .
اولئك الذين في يوم من ايام البطولة والمجد والتاريخ مزقوا قوانين الشر لينبلج فجر الحق .
اولئك الذين ضحوا بانفسهم على مذبح المبادىء الوطيدة وهزوا سيوفهم البراقة ضد اسياف العدو لادامة حياتنا .

سيامانتو

---

منها أثر ، وكانت الشرطة تقدم كل يوم أرتالا من شباب الارمن لتخفف من غضب السلطان ، كما كانت تقدم شبابا من البلغار والترك والعرب والمكدونيين وغيرهم ، بل انها أوقفت عدة أشخاص من الاوربيين بحجة انهم من الفوضويين . ولقد وقع زوريس وهو رفيق كريستابور زعيم الحزب في قبضة الشرطة ، فاعترف باشتراكه في المؤامرة ولكنه أبى ان يبوح باي اسم إلا أسماء المقتولين في الحادث .

اما الساحة الثانية للمؤامرات فقد كانت مدينة ازمير ، ولكن الامر فيها افتضح بواسطة بعض جواسيس خونة من الارمن دفعهم المثري الشهير باليوبازيان ، وقد أوفاهم الحزب حقهم فكان جزاؤهم الموت .

وبعد التحقيق والمحاكمات الطويلة ثبت ان حادث يلدز كان مدبراً من تاشناكسيون وان منفذيه كانوا من الارمن ، فهيجت الحكومة العالم العثماني عليهم ، ولكنه احتقرها بهدوئه وصمته ، ولم يتجاسر عبد الحميد على اصدار أوامر المذابح ، فكظم غله في صدره لانه لم يجد من الجو الغربي مشجعا له على اراقة الدماء . وكان قبل عام أي في حرب ساسون وبواسطة تدخل الدول المعظمة قد توقف عن قراره بافناء ذلك الشعب الباسل وقد غضب وحرق عليهم الارم(١) غيظا وحنقا ، لانه تأكد ان الرأي العام كان ضده في الشرق والغرب .

وأخيراً حكم على زوربس البلجيكي بالاعدام ، ولكن الحكومة البلجيكية أوقفت تنفيذ الحكم وعاونتها فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة فانقذته من الموت .

## مفاوضات عبد الحميد مع تاشناكسيون لالقاء السلاح

عرفنا من شهادة أحد افراد الحاشية ان عبد الحميد كان يخاف الثوار الارمن جداً . فالعمليات الارهابية ومصادمات العصابات المتوالية واحتلال البنك العثماني وغزوة خان صور والاشتباكات اليومية مع الاكراد، ومع المخافر الحكومية في انحاء ارمينيا، كل هذه أقنعته بوجود قوة ساهرة رادعة ، فمال الى المفاوضة مع تاشناكسيون وأرسل لذلك مندوبا الى مقر الحزب في جنيف . وكان الواسطة بين الطرفين هو داديان ارتين باشا الذي كان يشغل منصب وكالة وزارة الخارجية للامبراطورية وهو من نبلاء الارمن العريقين ، فأرسل ابنه ديران بك داديان الى جنيف بأمر عبد الحميد ليطلب من تاشناكسيون وقف الاعمال المسلحة ويبلغهم وعد السلطان باصلاح حالة ارمينيا وتحسين وضعها الاقتصادي وتأمين سلامتها ، وان المدة لرؤية ثمار هذه الاصلاحات هي تسعة

---

١) الارم (براء مضعفة) الاضراس ، يحرق عليه الارم : يحكها بعضها ببعض من غيظه .

اشهر. فاجابت الهيئة المركزية قائلة : ان الحركات المسلحة الجارية ليست من ترتيب شخصين أو ثلاثة من المقيمين في جنيف ، وانما هي حركة الامة الرازحة تحت نير الاستبداد وكابوس المظالم ، فان رفعت عنها فهي الكفيلة بايقاف هذه الاعمال اليائسة .

وكرر عبد الحميد طلبه بواسطة مندوب آخر هو واغنياك عجميان وبذل نفس الوعود التي أبلغها بواسطة داديان بك ولكنه تلقى الجواب نفسه . وفي عام ١٨٩٧ أتى ديرطاد بك باليان يردد الوعود ثالثة ولكن تاشنا كسيون أجابه : قد مضى عام كامل على بذل الوعود ولم نلمس تحسناً في حالة الامة فكيف تتكرر المطالبة بوقف الحركات المسلحة ؟

وبعد اسابيع من هذا الجواب السلبي رجع ديرطاد بك بوعود جديدة أعطاها السلطان بواسطة ارتين باشا داديان ، بيد ان تاشنا كسيون ذكر بالشروط التي تعهد بها عبد الحميد بتوسط سفراء الدول عند احتلال البنك العثماني عام ١٨٩٦ ولم ينفذ حرفا منها .

وفي الاجتماع العام سنة ١٨٩٨ قرر الحزب عدم الاعتماد على التأمينات والمواعيد الكاذبة التي يبذلها عبد الحميد وقطع المفاوضات معه ، ولكن المندوب بقي ثمانية اشهر في جنيف يتابع القضية حتى حمل الحزب على ترك السلاح وعرض مراسلات استانبول المحتوية على الوعود الجديدة على الهيئة المركزية لتدرسها بعناية خاصة . وبعد التمحيص والمداولة قرر تاشناكسيون اربعة شروط وطلب تطبيقها عاجلا وذلك تحفظا واجتنابا لنقد المحافل الارمنية المحافظة ، وهذه هي الشروط :

( أ ) اعادة الارمن الهاربين الى وطنهم ، مع تأمين المحافظة على حياتهم .

(ب) اعادة الاموال غير المنقولة التي غصبت اثناء الهجرة في الحرب الى اصحابها .

(ج) اطلاق سراح جميع المجرمين السياسيين .

( د ) معاقبة المجرمين الذين اشتركوا في حوادث القتل والنهب والسلب ، ودفع تعويضات للقرى والقصبات المتضررة من حوادث عام ١٨٧٨

وكان طبيعياً أن يرفض عبد الحميد هذه الشروط ، الا انه أوصى أن يشمل طلبهم

بعنايته ويعتبر بصورة استرحام ، وبعد ذلك كتب ارتين باشا بنفسه الى « هيئة تاشناكسيون الموقرة » يقول : « ان صاحب الجلالة قد بين لي ولغبطة البطريرك مرات عديدة حسن رعايته وعطفه على الامة الارمنية » . وبعد انقطاع الأمل من هذه المفاوضات الجوفاء أوعز الحزب الى أرتين باشا بسد باب المفاوضة بصورة قطعية وذلك سنة ١٨٩٩

كان عبد الحميد يرمي من هذه المفاوضات الى غايتين: الاولى اشغال الثوار بالمماطلة والتسويف لاضاعة الوقت والاغفال وتخدير الاعصاب، والثانية سد أفواه الأجانب المطالبين بتنفيذ الاصلاحات التي تعهد بها السلطان بموجب المادة ٦١ من معاهدة برلين فأعلن سير المفاوضات في العواصم الاوروبية بواسطة بعض الصحف المأجورة مثل *Correspondence Plata* فقد كتبت ما يلي : « ان ثلاثة من أعضاء الهيئة المركزية أتوا الى الاستانة لمفاوضة الحكومات بخصوص الاصلاحات في المقاطعات الأرمنية ، وابتدأت المداولات مع ارتين باشا بك(١) وأشيع ان المندوبين الثلاثة تعهدوا باخماد الثورات » . ولكن جريدة تاشناكسيون الرسمية نفت هذه الاخبار التي لفقتها دوائر الحكومة التركية .

## فعاليات تاشناكسيون السياسية داخل البلاد وخارجها

## ١٨٩٠ - ١٩٠٨

### (١) محاولات توطيد العلاقات الودية بين الاكراد والأرمن

انها لمشكلة مؤلمة قديمة ، فقد بذل تاشناكسيون منذ بدء تكوينه أقصى جهوده لتدعيم أواصر الود والاخوة بين الاكراد والأرمن ، ولأول مرة (١٨٩٥-١٨٩٦) دعا الحزب عبدالرحمن بك بدرخاني القاطن في جنيف بسويسرة الى مركزه العام بواسطة روسدوم زعيم الحزب هناك ، ولكن الدعوة لم تسفر عن نتيجة لأن عبدالرحمن لم ينصع الى مطاليب الحزب إذ كلفه تاشناكسيون بالسفر الى الوطن على نفقة الحزب

١) هذا نفس التعبير الذي ورد في الجريدة

ليقوم بالنشر والخطابة بالدعاوة بين الطبقات الكردية للقضية الأرمنية وتفهيمهم حقيقتها وان يكونوا على حياد تام حين يقوم الأرمن بحركة مسلحة او بفعالية غير مسلحة ضد الحكومة المستبدة ، ولكن هذا الطلب لم يلق أذنا صاغية واكتفى البك بدرج بعض النداءات باللغة الكردية بحروف عربية في حقول « تروشاك » الجريدة الرسمية لتاشناكسيون مناشداً الاكراد العصيان على العدو الحقيقي ومحرضاً على الاتحاد والاشتراك بالمساعي الأرمنية ضد العدو المشترك وعدم الاصغاء الى التهييجات التي يقصد بها بذر الفساد بين الامتين ، وكان الحزب يبعث بهذه النداءات الى الاكراد في ارمينيا .

وفي سنة ١٨٩٦ ذهب كيري ( روبين سيثمانيان ) الى ديرسيم وجعل مسكنه بين اكرادها ، واقام يخطب ويلقي الاكراد ويدعوهم الى التمرد وتوثيق العلاقات الودية مع الأرمن والاتفاق معهم ، ولكن مسعاه الذى دام ثلاثة أعوام انتهى بسجنه ، وبعد اربع سنوات أعدم شنقاً ، وخاب فأل الحزب ، وقد زعم ان منطقة ديرسيم أخصب تربة لنجاح قضيته .

وبذلت المجهودات عينها في منطقة واسبوراكان ( ولاية وان وأقضيتها ) وفي دارون ( ولاية موش وأقضيتها ) لتمكين الصداقة وتأمين الحياد في القضية الارمنية فاذا لم يتمكن الاكراد من مشاركة الثوار التمرد والعصيان فلا أقل من ان لا يشاركوا الحكومة التنكيل بهم ، وكان للفدائي الشهير بطل الثورة كيورك جاوش مركز كبير عند الاكراد فسعى جهده في هذا المضمار ، ولكن المحاولة وئدت بموته .

وتفاوض تاشناكسيون مع رؤساء القبائل الكبيرة بمنطقة ديار بكر مثل ابراهيم باشاومع رؤساء عشائر بنجنار وسيلوان الذين كانوا يتنعمون بخيرات عبدالحميد وأهداهم الهدايا فقابلوه بمثلها ، ولكن الصداقة لم تتعد هذا الحد .

وجرت مكاتبات طويلة مع رئيس عشيرة سيورك وتبودلت بينها وبين الحزب رسائل ودية ووعود بسيطة ، ولكنها كانت أقوالا بغير أفعال .

وأخيراً تأسست العلاقات الودية مع قاسم بك شقيق موسى بك الشهير في ولاية موش ، وكان صاحب نفوذ عظيم في تلك المنطقة فأنمى هذه المودة وأدامها ، ثم أعلن

انتهاءه الى الحزب وتبودلت الهدايا والمخابرات بين الطرفين ، ثم أعقبتهـا مشاورات ومذاكرات وزيارات له في خيمته ، فرد الزيارة الى تكنات الفدائيـين مع مائة فارس ، وجرت بين الطرفين الأحاديث والاتفاقات وبقي في الضيافة يومين ثلاثة بغابة قزل اغاج. ولم يكن أمر هذا الاتفاق مجهولا لدى السلطات التركية ، فبعد يومين من هذه الزيارة أحاطت الجنود والمدفعية التركية بمخيمات عشيرة قاسم بك وأمطرتها وابلا من الرصاص والقنابل ، فدافع قاسم بك وبعض اعوانه ثم حاول الهرب لينجو بنفسه وأهـله ولكنه قتل هو وهم وبعض الفدائيين الارمن .

بعد الفشل الذي مني به الحزب بمقتل قاسم بك وتشريد عشيرته حاول تاشنا كسيون اجتذاب زينل اغا زعيم عشيرة دملق التي هي فرع كبير من عشائر درسيم ، وكان زينل هذا قد تربى في مدرسة ارمنية بخربوط وأحسن قراءة اللغة الارمنيـة ، وكان يرغب رغبة صادقة في توطيد العلاقات الودية الأخوية مع الارمن حتى انه حبذ المزاوجة بين العنصرين لدعم اواصر الصداقة ، فتعقبته السلطات التركية طويلا وتابعت جمعيـة الاتحاد والترقي هذا التعقيب حتى قتل زينل اغا بمؤامرة مدبرة في بينكول عام ١٩٠٨.

واستمر زعماء تاشنا كسيون امثال آرام باشا وايشخان وبابازيان وخرميـان على محاولاتهم لتكوين روابط الالفة مع الاكراد في كثير من مناطقهم مثل عشائر آل حيدران وجبران وحسنان وماخوران وغيرهم . وهكذا بذل الحزب جهد مستطاعه لنيل هذه الغاية وضم الاكراد الجيران القدماء الى الصفوف الارمنية بالدعاوة والخطب والملاطفة ، وقد نجح في جهوده احيانا ولكن الى مدة موقتة ، ثم انعكست الآية كلياً بمقتل الفدائي المفاوض الذي نزل ضيفاً على احد رؤساء القبائل .

ومن سوء حظ الارمن ان الاكراد لم ينتبهوا الى أهمية الصداقة الارمنية الكردية إلا متأخرين حينما أهوى السكين التركي من يد مصطفى كمال على اعنـاق الكرد عام ١٩٢٥ بعد عصيان الشيخ سعيد ، ولكن ذلك كان بعد ان أفنوا الارمن بايديهم وأخمدوا حركاتهم الثورية بسلاحهم الحاد ، فندموا ولات ساعة مندم .

كانت العشائر الكردية اكبر عامل في فشل محاولات تسوية القضية الارمنية

باشتراكها مع السلطات التركية في التنكيل بالثوار والاغارة على السكان الهادئين الآمنين نهباً وسبيا وتقتيلا ، وذهب سعي تاشنا كسيون هباء، وأضر الاكراد بجهالتهم بالقضية الارمنية ثم بقضيتهم هم من بعدها. وحينما اندلعت نيران العصيان في ساسون سارعت العشائر الكردية الكبيرة بعشرات ألوفها تنهب وتسلب وتقتل الارمن الذائين عن حياض حريتهم وذلك عام ١٩٠٤ ، وكانت الطامة الكبرى عام ١٩١٥ حين حلت بالارمن الفاجعة العظمى فساهم الجيران الاكراد بسفك دماء مليون نسمة من الابرياء بين اطفال وبنات وشيوخ وعجائز !

### (٢) الائتلاف الارمني المكدوني

يوجد شبه تام بين الاحوال الارمنية والاحوال المكدونية ، فالأخيرة كانت مقسمة بين دول وممالك مختلفة ، وكان القسم التركي المكدوني يئن تحت نير السلاطين وتطبق بحقه المظالم والاضطهادات إلا فرقا واحداً هاما ، فان عبد الحميد لم يجرؤ هناك على القيام بالقتل الاجماعي والمذابح العامة كالذي حدث في ارمينيا ، فالبون شاسع بين وضع مكدونيا الجغرافي ووضع ارمينيا ، ولذلك كانت حملات تركيا أخف وطأة على مكدونيا منها على ارمينيا .

ومع ان يقظة المكدونيين جاءت متأخرة عن الارمن، فان نهضة هؤلاء أيقظتهم، واحتلال البنك العثماني وحروب صماتيه (١) عام ١٨٩٦ شجعتهم على المطالبة بحقوقهم ، وهذا ما يعترف به الزعيم المكدوني الشهير بوريس صرافوف . وقبل هذه الوقائع كان بعض زعماء مكدونيا قد تقربوا من زعماء حزب تاشنا كسيون في الاستانة ، وتوثقت الصداقة بين الطرفين اثناء الحوادث ، وكان شهداء البنك العثماني وصماتيه مثلا يحتذى ومناراً يهتدي به الزعماء المكدونيون .

وكان اكبر تآلف في الافكار قد حصل في بلغاريا بواسطة الزعيم الثوري الأرمني روسدوم ، وذلك عام ١٨٩٨ في مدينة فليبه ، وبواسطة هذه الصداقة أنجز روسدوم في ارض بلغاريا مهمته في تهيئة المواد المتفجرة ، كما نال تاشناكسيون بواسطة الثوار

---

١) من ضواحي الاستانة وهي مأهولة بالسكان الارمن

المكدونيون مساعدات وامتيازات هامة جعلت مساعيهم حرة في أراضيها ، ووضعت المدرسة العسكرية تحت اشراف الارمن لتدريس الجنود المتطوعين وتدريبهم على الفن الحربي، وهؤلاء التلاميذ أفادوا القضية أخيرا فائدة جدية. وبمساعدة بوريس صرافوف فتح الحزب في بلغاريا مدرسة حربية في دومينجه قرب الحدود التركية البلغارية ولكن -للاسف- انكشف سر هذه المدرسة واضطرت بلغاريا الى سدها ، ومع ذلك فأنها خلال مدة عمرها القصير خرجت ثمانين ضابطاً أرمنياً تحت ادارة المقيد بوغوص بوغوصيان وكانت نفقات المدرسة تدفع من قبل الهيئة المركزية لتاشناكسيون في جنيف.

وبواسطة بوريس صرافوف أنشأ الحزب صداقة صميمة مع الوزراء وكبار الموظفين البلغاريين وأخصهم رئيس الوزراء بدكوف وسفير بلغاريا الى باريس صاووف. وكان بوريس اكبر شخصية شعبية في بلغاريا خاصة وفي البلقان عامة ، وحينما رجع من الحرب المكدونية التركية ومر من تحت أقواس النصر، هبت العاصمة لاستقباله وازدحم الناس لتحيته بعواصف من التهليل والتصفيق.

وكانت تربة أخرى قد نمت فيها الصداقة المكدونية الارمنية وهي مدينة جنيف بسويسرا ، وكان فيها الكثير من الطلاب البلغاريين وكثير منهم دائب على زيارة ادارة جريدة «طروشاك» وهي الجريدة الرسمية ولسان حال الحزب.

وكان صحافي بلغاري شهير هو سيمون راديف -وقد عين اخيرا سفيرا لبلغاريا في واشنطون - كان يكافح مع الارمن جنباً الى جنب لمنفعة الشعبين ، وكان كلا الطرفين (المكدوني والارمني) يحضان على المظاهرات والاحتجاجات ويساعد كل منهما الآخر، وكانت المظاهرات تجري أحيانا مشتركة لبسط قضية الامتين امام دول اوروبا. وفي باريس ولندن وميلانو أثناء المظاهرات التي يقوم بها الطرفان كان يعتلي منابر الخطابة افراد من الجانبين ، وكانت منظمة المظاهرات هي ادارة جريدة «برو ارمينيا». وفي عام ١٩٠٧ قدما الى مؤتمر «هاآك» اخطارا مشتركا حمله وفد خاص بواسطة المحامي الشهير فيكتور برار عضو المجلس النيابي الافرنسي.

بعد الثورة المكدونية مكث الزعيم جاقالاروف اشهراً عديدة في دار جريدة

«طروشاك» ، وتعزز الاتفاق الارمني المكدوني باشتراك دماء المنصرين في ساحة القتال ، فقد وقعت حروب بين الحليفين وبين الاتراك قرب أدرنه فقتل من الارمن والمكدونيين واسر منهم لنفاد العتاد الحربي.

واستاء الصدر الأعظم كوجك سعيد باشا من تفاقم العاصفة فقرر خنق الاتفاق الأرمني المكدوني في عقر داره ونصب المشانق في ادرنه، وشنق على اعوادها الرئيس العسكري بدروس سرمجيان واونينك طوروسيان من الأرمن وسرجانوف من جامعة جنيف وخريستو من البلغاريين . ولقد توجه سرمجيان من فوق درج المشنقة الى الناس والجناة فألقى فيهم هذه الكلمة الحماسية « بلى انني ثوري ! ولا يغيبن عن بالكم انني جئت هاهنا ممثلا للمبادىء الشريفة . اشنقوني ، ولكنكم لن تستطيعوا شنق المبادىء » ثم وضع حبل المشنقة في عنقه ورفس الكرسي برجله وراح شهيداً في سبيل الحق والحرية .

ووثقت هذه المشانق رابطة الأخوة بين الشعبين ، وكان للاعمال الاجرامية التركية صدى سيء في اوروبا وعطف الرأي العام الاوروبي على الارمن والمكدونيين وصارت القضية الارمنية المكدونية مشتركة في نظرهم . وبحسب المادة ٦١ من معاهدة برلين المتعلقة بقضية الأرمن والمادة ٢٣ منها المتعلقة بالقضية المكدونية ، دعا اتحاد الطلبة الأرمني للمدارس العالية المحامي الفذ والمدافع عن الحقوق الانسانية فيكتور برار، وفي قاعة « فيكتوريا هول » وبحضور ألوف من المدنيين اطرى بسالة أبطال مكدونيا وأرمينيا ، وأقام الطلاب المشتركون حفلة تأبينية بحضور زعيم الارمن اكنوني ، والقيت الخطب الحماسية وشاد الخطباء باخوة المنصرين المتحدين .

(٣) لفت نظر اوروبا الى حروب ساسون

ان مذابح ١٨٩٥ استرعت انتباه الرأي العام الاوروبي بواسطة الخطب والدعاوة التي قام بها تاشنا كسيون وبواسطة أشخاص اوروبيين من مشاهير رجال العالم آنذاك أمثال فرنسيس برسانسيه وجان جورس وكليمانصو واناتول فرانس . وكانت على رأس هذه الحملات « بروارمينيا » وهي جريدة الدعاوة الارمنية التي تصدر باللغة الافرنسية

ويرأس تحريرها بيركيار، وقد أثرت في نفسية الوزراء الغلاظ القلوب مثل كابريل هانوتو وزير الخارجية الاسبق ووالديك روسو ودلكاسه الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية وقد خطا خطى واسعة في مساعدة القضية الارمنية .



بيەر كيار

في سنة ١٨٩٥ و ١٨٩٦ لم تتحرك فرنسا ولا اظهرت عطفها نحو الارمن بالرغم عن الخطب المثيرة التي ألقاها جان جوريس وغيره من الابطال، ولم تحتج او تستنكر سياسة لوبانوف وزير خارجية روسيا ورفيقه كابريل هانوتو وزير خارجيتها ( اي فرنسا ) لانها لم تدرك سير الاحوال في ارمينيا ولم تكن تعلم شيئا عن الارمن وثقافتهم ونزعتهم، أما الان فان فرنسا وسائر شعوب اوروبا أطلعت على جميع صفحات القضية الارمنية وذلك بفضل الخطب واسئلة النواب البارزين واجوبة اولي الأمر في مجلس النواب الافرنسي وبواسطة الخطب العلنية والمظاهرات التكتلية، وبكيل المديح لحركة الثوار الجريئة من على منابر الخطابة في المجالس النيابية في انكلترا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وحتى المانيا والنمسا ، وباحتجاجات الهيئات لدى الامم في المؤتمر الاوربي العام المنعقد في بروكسل

بلسان سيوديني وألبزه دكلو . وفي المؤتمر المعقود في لندن برئاسة اللورد الانكليزي برايس المناصر للارمن وباشتراك بيير كيار وفيكتور برار من انكليز وفرنسيين ممن يعطفون على الارمن ، وبواسطة المقالات والفصول السخية التي تعقد في الجرائدشارحة تاريخ الارمن وأدبهم وبطولة ثوارهم وخدمات أمتهم لحضارة الشرق الاوسط مطرية ثباتهم في الجهاد مناشدة القوم الدفاع عنهم وايقاف تلك الاضطهادات التي تنزلها تركيا بهم . ولقد كان لما نشره فيكتور برار - بتحريض تاشنا كسيون - في جريدة « لاريفو دي باري » ( *La Revue de Paris* ) عن قابليات الارمن وذكائهم وبراعتهم في ميادين الأدب والاقتصاد ، وعن الفواجع التي أنزلها بهم الاستبداد التركي ، كان لهذا المقال أثر عظيم في النفوس .

ان سياسة تاشنا كسيون وفعاليته نبهت الافكار وبدلتها، وجلبت قلوب الاوربيين - حتى المأجورين منهم - الى جانب القضية الارمنية ، وكانوا قبلا يبثون دعاوتهم ضدها في صحفهم التي استأجرتها تركيا حتى أثرت على بعض كبار الصحافيين مثل بيير لوتي وكلود فارير . اما الآن فقد انعكست الآية بعد حرب ساسون، وهذه الجريدة السياسية اليومية « اورور » تقول في مقال رئيسي ما يلي « .. لقد استشهدالمصلوبون في ادرنه ، ولكن عظامهم مرتاحة في لحودها لانهم أدوا واجبهم المقدس . ان هذه التضحية قدمت قربانا على مذبح السياسة الاوروبية الغاشمة.. ان شعوبا تنجب مثل اولئك الابطال الذين لا ينون عن طلب حقوقهم حتى النهاية لحرية بان يكلل الظفر آمالها المشروعة » .

وفي عام ١٩٠٤ في مجلس الأمة الافرنسية وبحضور دلكاسه وسائر الوزراء وبين التصفيق الحاد كان فرنسيس دي برهسانسه يمتدح مهنئاً حركات الثورة الارمنية عامة وحركة ساسون خاصة اذ يقول « أنا لااحسب اولئك الضحايا أمواتا بل احياء في أعين المثل العليا .. وانني أمتدح الارمن وأثني عليهم بصورة علنية ، فقد أقدموا على حرب يعلمون ان القوتين فيها غير متعادلتين ، ولكنهم يعلمون ايضا ان بدونها لا تنال أمة حقها المشروع . ان الأمة الارمنية تأبى ان تذبح كما ذبحت عام ١٨٩٤.. وهاهم ابطالها

يحاربون اشهراً عديدة دون أي ظفر نالته هـذه الأمة الأبية التي ضيقوا عليها سبل الحياة .. » .



فرنسيس بريسانسي

اما المدافع الثاني عن القضية الارمنية فهو جان جوريس بخطبه المتواترة وبتأثيره العظيم في البرلمان الفرنسي ، وكان يناشد وزير الخارجية العمل ويقابل الوزراء وينصحهم باتباع سياسة مستقلة عن سياسة أبالسة روسيا مع الارمن مذكراً اياهم بالتقاليد الفرنسية القديمة ، وظهر جوريس بمظهر الولاء الصادق نحو الارمن ببياناته في مؤتمر بروكسل المنعقد عام ١٩٠٣ ، قال « ان وضع روسيا الاخير نحو القضية الارمنية انما هو منوط بما ستعمله فرنسا .. واني دون أي تعصب في القومية استطيع ان أقول ان أملنا قوي بان فرنسا ستدعو اوروبا الى العمل متفقة ، وسترسل فرنسا الكثيرين من قناصلها الى المدن الارمنية وتوجب ان يكون في مقدمة اعمالهم مراقبة الاحوال ويجب ان لا يقف العمل عند هذا الحد ، بل يتحتم ان تقوم فرنسا باعمال مجدية اذا كانت لا تريد ان تخل بقانون الشرف الافرنسي الذي يربطها على الاجيال بمقدرات العالم » .

كانت المحاولات الانكليزية في قضية الارمن تصطدم دوما بمخالفة روسيا التى كانت ترتاب بالنيات الانكليزية ، وكان الرأي الافرنسي قد تبنى هذه القضية بفضل الدعاوات المستمرة التى بثها بعض ابناء فرنسا البارزين ، ولقد أجبر الافرنسيون وزير خارجيتهم اخيراً على الضغط على الحكومة التركية لتطبيق الاصلاحات المنصوص عليها في المادة ٦١ من معاهدة برلين . كان دلكاسه وزير خارجية فرنسا يجيبهم دوما « ان فرنسا لا تستطيع تنفيذها وحدها » ولكن الجبهة البرلمانية كانت تلحف بالطلب بزعامة دبني كوشين ، وشارك في ذلك حتى نواب اليمين ، وقد كادت الوزارة الافرنسية يوما ان تسقط من جراء احتدام الجدال وتوجيه الاستيضاحات المشددة التى أمطرها اياها السائلون ، وبلغ التوتر أشده عندما طرح النائب سانبا سؤاله ، ولكن سرعان ما سحب السؤال بتوسط رئيس الوزراء والديك روسو . وأعطت هذه الاسئلة المحرجة ثماراً طيبة وبمراقبة دلكاسه الشديدة للحكومة التركية أجاب على اسئلة دبني كوشين وسانبا وذلك عام ١٩٠٣ بقوله :

« أنا منذ ثلاثة اعوام ولا ازال أتحمس للقضية الارمنية ، وقد ادرك الارمن انفسهم اثر فعاليتنا تجاههم .. اني أقرأ بنفسي كافة التقارير التى ترد الينا وجميعها تؤيد الحالة المفجعة في البلاد .. ليست فرنسا وحدها الموقعة على معاهدة برلين » .

ولكى يبين دلكاسه مشروعية الثورة الارمنية قال : « ان أتعس الأوضاع لهو احسن بكثير من الوضع الحاضر الذى يهدد الارمن بالمذابح في كل حين » . ويصادق برهسانسه صديق الارمن الحميم على تصريحات دلكاسه ثم يضيف : « ان الاقلام والصحف المأجورة كثيرة في فرنسا ، وهي تتهم الارمن متهجمة فتقول ان مسؤولية الحوادث التى جرت في موش وساسون لواقعة لا محالة على عواتق الفدائيين الارمن .. انني بهذه أشكر للموسيو دلكاسه بيانه من منبر الخطابة .. وأقول ان وجدت حالات وظروف فان الافضل للارمن لهو عصيانهم وانه عليهم لواجب محتوم ( تصفيق حاد ) .

وبعد هذا أعطى دلكاسه ايضاحات عن حروب ساسون فقال : « ان التقارير الواردة من سفارتنا في تركيا تنبيء بان وقائع شديدة قد وقعت بين الجيش التركي

والفدائيين الأرمن ، ولكن المضايقات كانت اشد على الأرمن ، ولقد احترقت من جراء ذلك بعض القرى وسقطت في ايدي الأتراك بعد مقاومات عنيفة ، وبسقوط قرية كلي كوزان انتهت مقاومـة الأرمن » . ثم يستأنف دلكاسه كلامه قائلا : « ويقال ان عدد الضحايا كثير .. ولو قبلنا جدلا بقلته ، فان الوضع الحاضر سيء جداً ، ولنا حق اتهام الباب العالي لانه على الرغـم من تعهداته الصريحة فهو لا يزال مستمراً على ادارته السيئة ، فالعصيان خير وسيلة وانجع علاج لشعب يأس بائس قد انقطع في يده حبل الرجاء .. » (تصفيق حاد) .

وعلى الرغم من هذه الفعاليات السياسية التي قامت بها الحكومتان الافرنسية والانكليزية فان الأمة الأرمنية قد اخذت عليها ارتخاءهما تجاه روسيا المستبدة ، لان الحكومتين كانتا تتمكنان من ارغام تركيا على تطبيق الاصلاحات التي كانت تعارض فيها الحكومة الروسية وذلك عندما كانت روسيا مشغولة في حرب اليابان ، وكان باستطاعتها غل يديها عن تهييجاتها كالذى فعلته في تسبيب المذابح الأرمنية عام ١٨٩٥ بواسطة وزير خارجيتها لوبانوف . اجل ان الدولتين الحليفتين الفرنسية والانكليزية لم تبرزا شجاعة سياسية مخلصة ضد اعتداء روسيا الفظيع لتنقذا الامة الارمنية الذبيحة.

لذلك نتمكن من ان نحكم بان فرنسا وانكلترا فضلتا منافع بلديهما على مساعدة ارمينيا الجريحة وانهما لم تريدا ان تضربا دعائم علاقتيهما بالامة الروسية عرض الحائط في سبيل القضية الارمنية .

وهكذا يثبت الدليل القاطع مرة اخرى ان اية مساعدة من الاجانب مها بلغت سعتها هى غير كافية لحل المشاكل ، وان على الارمن ان يدبروا امورهم بانفسهم وان يعتمدوا على قواهم الاصلية ، ولكن هذه القوى كانت - للاسف - ضئيلة جداً بالنسبة الى تفوق العدو الكبير .

على ان هذه المساعي السياسية قد آتت ثمارها وخففت من جراة عبد الحميد على تكرار المذابح الارمنية ، وأعادت سكان ساسون الى قراهم .

(٤) انعقاد المجلس التأسيسي الارمني في القوقاز

انتهت الحرب التترية الارمنية حين وضعت الحرب الروسية اليابانية أوزارها عام ١٩٠٥ ، وخلال هذه الحرب كانت حركات الاحزاب السياسية قد بلغت أوجها وأثرت على القيصر ورجاله ، فلتهدئة الخواطر واخماد نيران الثورة أعلنت الحياة الدستورية في الامبراطورية الروسية وذلك في تشرين الاول ١٩٠٥ ، فعم الفرح والسرور شعوب الامبراطورية ، فقد تغلبت الامة على حكومتها العاتية ، فرفعت كل رقابة بوليسية وتعقيبات سياسية ومنعت الاضطهادات القاسية عن الاحزاب ، فباشر كل حزب بما لديه من مناهج عملية تحت ظلال الدستور .

اما تاشناكسيون ففضلا عن اشتراكه بالمسعى مع الاحزاب السياسية الروسية المختلفة، اشتغل بالشؤون الداخلية الارمنية ايضاً بصورة خاصة ، فجمع المجلس التأسيسي الارمني الداخلي البالغ عدده ٦٠ نائباً من جميع أنحاء البلاد الارمنية الشرقية في مقر البطريرك الارمني العام في اجميازين ، وعقدت الجلسة برئاسة البطريرك الشيخ الجليل الشهير « خرميان هايريك » وكان عمره المبارك ستة وثمانين حولا ، وهو أبو الثورة الارمنية ورئيس الوفد الارمني الى مؤتمر برلين ، فقرر هذا المجلس الملي المركزي تجريد الروحانيين من التدخل في امور الاوقاف واقصاءهم عن ادارة المدارس والمعاهد العلمية وسن القوانين والانظمة لادارة أملاك الاوقاف والمدارس الاهلية ، ووافق على مساعدة الارمن في تركيا الى أبعد مدى وذلك بتجهيزهم بالمال والذخيرة والعتاد والرجال الثوريين لتنمية روح الثورة وتشجيعها ، ودام انعقاد المجلس اسبوعين ( ١٥ ـ ٣١ آب ١٩٠٦ ) .

وفي الوقت نفسه أسس الحزب الجرائد الأرمنية الحرة ونشرها للدعاوة وتنوير الأذهان في القضايا الأرمنية الروسية التركية. وفي الحقيقة كانت ساحة الاعمال واسعة أمام تاشناكسيون بعد كفاحه المجيد مع التتر والحكومة القيصرية ، وكان أمله كبيراً في أن يساعد الأرمن في تركيا وينقذهم من كابوس الاستبداد والجور الى أفق الحرية الطلق ، وقد سار خطى واسعة في هذا الميدان بقرارات المجلس المركزي العام .

وكان مركز الحزب قويا مرموقا في ما وراء القوقاز بعد نجاحه في الكفاح واسترداد الأملاك الوقفية من أيدي روسيا وبعد غلبه التتر .

كانت أعمال الهمجية والفوضى قد ازدادت لغض الحكومة طرفها عن جرائم الجناة ، فاضطر الحزب الى تشكيل محاكم خاصة لتأديب المجرمين ومعاقبتهم،والقاء من يستحق منهم في غيابة السجن ولوضع حد للجرائم بانزال العقوبات الصارمة ، وفي هذه المحاكم كانت تحل الدعاوى والقضايا المختلفة ، وبهذا لفت تاشناكسيون أنظار الصحفيين الأجانب . يقول الصحافي الشهير اميل ديلون Emyl Dilon :

« جرت في القوقاز تهييجات وتحريضات مستمرة وتصادمت فيها العناصر المختلفة، ففي هذه المملكة الواسعة كان العنصران الراقيان ـ الارمن والكرج ـ في ثورة. فأسس تاشناكسيون عدداً وفيراً من المحاكم تحل قضايا الشعب حلا عادلا سريعاً ، وأرضى الشعب الارمني عدل هذه المحاكم وسرعة انجازها اعمالها في القضايا التي كان المتنازعون ينتظرون نتيجتها اشهراً لدى المحاكم الرسمية ، وحتى استغربت المحاكم الرسمية في ولاية يريوان قلة القضايا التي ترفع اليها .. ذلك أن محاكم تاشناكسيون كانت تعاقب وتنفذ الأحكام دون خطأ أو اجحاف بالحقوق » . وكانت هذه الشبكة القضائية ممتدة في بعض مناطق الالوية التركية مثل موش ودارون وساسون وغيرها .

وأخيراً ، حل القيصر الروسي مجلس النواب [Duma] وألغى الدستور عام ١٩٠٧ فعاد الظلم وأحاق الاستبداد بالبلاد !

### (٥) انتماء تاشناكسيون الى الاشتراكية الأممية

انتمى الحزب الى الاشتراكية الأممية عام ١٩٠٧ وذلك لينال معاونة الشعوب الاوروبية المتمدنة للقضية الارمنية ، ومن موقد منبر الخطابة في مجلس الاشتراكية ، ارتفع الصوت الارمني يلفت نظر الزعماء العظام الذين كانت لهم كلمة مسموعة ومركز هام في البرلمانات الاوروبية ، وقد تلقى تاشناكسيون مساعدات سياسية قيمة من الجماعات الكبيرة بفضل اعضائها المتنفذين امثال فرنسيس برهسانسه وفيكتور بيرار وبيه ركيار وجان جورس وسابان وغيرهم .

وفرنسيس بره‌سانسه هو الذى كان قد ناقش وزير الخارجية دلكاسه في قضيـة ساسون - كما ذكرنا - وأمن توسطه لدى عبد الحميد لايقاف الاضطهادات ، ثم طالب بالاصلاحات فى الولايات الارمنية ، وكان في كل وقت حرج عضواً فعالا فيهذه الكتلة السياسية التى ترفع الشكاوى ، وان هذه الكتلة ولو لم تكن ساعدت الارمن بعمل حاسم الا انها أفادتهم ادبياً في كل زمان ومكان .

استتر ناشنـا كسيون خلف هذا الستار الاشتراكى لنيل مآرب أمتـه ، ولكنه ظل حافظاً مبدأه الذى لا يريم عنه كحزب وطنى ديمقراطي ، وهو حتى اليوم أمين وسيبقى أميناً لمبادئه القومية الصريحة ، وهـو عدو الشيوعية الغاشمة كما كان عدواً للحكومتين المستبدتين روسيا القيصرية وتركيا الحميدية .

# الأرمن في الدستور العثماني

## ١٩٠٨ - ١٩١٤

« لقد بزغت شمس الحرية من البلقان بنهضة نيازي وأنور ( ١٠ تموز ١٩٠٨ ) وزالت أشباح الاستبداد وتبدد الظلام عن الامبراطورية العثمانية ».

هكذا تصورت الامم العثمانية غير التركية ، لان كلا منها كان يتألم من قيود الاستعمار والاستبداد بدرجات متفاوتة ، فالعرب مثلا عدا فقدهم استقلالهم كادوا يضيعون لغتهم وثقافتهم القومية ، وباسم الدين كانوا يخدرون منهم الأعصاب ويحدون النهضة القومية ، ولئن كانت نهضة العرب في ضمائر زعمائهم ، الا ان أعمالها كانت محدودة النطاق . والارناووط في قلب البلقان كانوا يئنون تحت نير الاستبداد ، والمكدونيون وهم الأغلبية الساحقة يعجون بالشكوى من الجور ، والارمن تطيح برؤوسهم سيوف الغدر والظلم .

هذه العناصر جميعاء - والعنصر الارمني على الاخص باعتباره مسيحيا - كانت تختنق في أجواء من الاضطهاد يراد به القضاء على شعورها القومي وثقافتها الخاصة ، وكان الضغط يأخذ بتلابيبها يوما بعد يوم . فلا عجب اذن بعد كفاح غير متوازن دام ثمانية عشر عاما مع دولة معظمة ان يبهر النور الجديد عيونها ويأخذ اعلان الدستور العثماني بمجامع البابها فتهرع الى احضان القائمين بالنهضة ملقية السلاح اعتماداً منها على اخلاص معلني الدستور ، ثم تهب نفسها لتضميد جروحها ولا عم الحياة الدستورية اذ تعلم العلم اليقين ان العنصر التركي لا يروقه ان يساوي نفسه بعناصرها وقد كان الحاكم لها أحقابا !

وحقق عبد الحميد بالفعل عنعنات هؤلاء الاتراك ، اذ انه في ٣١ آذار ١٩٠٩ حنث بيمين الاخلاص التي اقسمها للدستور ، وبتحريضاته تحركت جميع العناصر الرجعية تحت عنوان «جمعية فو لكان» وراحوا يحتلون الدوائر الحكومية لقلب حكومة

الدستور الاتحادية واعادة الحكم المطلق الاستبدادي . وفي اليوم نفسه قام أتراك ولاية أطنه لتكرار المذابح الارمنية السابقة ، فتبددت أحلام الارمن الذهبية واضطروا الى امتشان الحسام ليذبوا به عن حياضهم ونزلوا الى ساحة الوغى يناضلون قوة متفوقة بالعدة والمدد ، فضحوا من بررة أبنائهم ٩٠٠٠ نسمة خلال اسبوع واحد .

أخمد محمود شوكت باشا نار حركات الفولكان بجيش دعي «حركت اردولري» واحتل به الاستانة .

وخلع حزب الترقي والاتحاد عبد الحميد جزاء وفاقاً لاعماله الرجعية وقبض على زمام الامور بيد من حديد ، وصار أبطال الحرية أولياء الامور وأعطوا الضمانات الشفهية والتحريرية للارمن بعدم تكرر تلك المآسي المؤلمة واتفقوا مع تاشناكسيون على ادامة الحياة الدستورية ، ولكن الاتحاديين على الرغم من جهودهم لاظهار المظاهر الدستورية لم يكونوا صادقين في بواطنهم ، وكانت فكرة البانتورانية قد استحوذت على أفكارهم ، فجعلوا نصب أعينهم ليل نهار تتريك العناصر الصغيرة ، ورأوا ان عليهم لتنفيذ منهاجهم اقتلاع جذور الارمن من طريق البلاد الطورانية لانهم أكبر حائل دون بلوغهم مأربهم ، ولاجل ذلك لم يطبقوا ولا مادة بسيطة من الدستور لتأمين حياة الشعب الارمني وأمواله وشرفه في ولايات شرقي الاناضول ، وكان أعداؤهم ينهبونهم ويستلبون أموالهم والحكومة ترى وتسكت عمداً عن المظالم ، وكان الوالي والمتصرف وسائر الموظفين يستنزفون الاموال والثروات بالضرائب الكيفية وبالطرق الهمجية في استحصالها ، ولم تجد شيئاً احتجاجات نواب الارمن في البرلمان العثماني وكان عددهم ٢٢ نائباً ، وقد ظلت الاملاك المغصوبة في الدور الحميدي من قبل شيوخ العشائر بأيدي غاصبيها والشعب ذليل فقير مهيض الجناح محتاج الى القوت الضروري لسد رمقه ، وذهبت كل مساعي أولياء الامور الارمن أدراج الرياح ، وظل الظلم والاستبداد يغمران الديار الارمنية ، ولم يصل من أنوار الدستور اليها قبس .

حرب البلقان : بعد الغزو الايطالي لطرابلس الغرب نشبت حرب البلقان عام ١٩١٢

فأعلنت تعبئة جزئية في انحاء الامبراطورية العثمانية وحشدت الجنود من الولايات المجاورة للعاصمة وعلى الأخص الولايات الارمنية ، وأتوا بابناء الارمن لخدمة العلم فوجاً بعد فوج وساقوهم الى الجبهة وخلت الديار الارمنية من رجالها ، ورأت الادارات المحليـة ورؤساء العشائر والظلام الحميديون ان الفرصة مؤاتية لاشباع نهمهم ومطامعهم الاشعبية الدنيئة ، فغزوا القرى الارمنية العزلاء وعثوا فيها سلباً ونهباً لا يحاذرون سلـطة ولا يخشون رقيباً ، ولم تغن فتيلا احتجاجات بطريركية الاستانة والنواب وأعيان القوم الى البرلمان العثماني .

وفي أثناء ذلك انخذل الجيش العثماني أمام الجيوش البلقانية ـ البلغارية والرومانية والصربية واليونانية ـ وانسحب الى استحكامات جتالجة ، وعقدت الهدنة . ورأى الارمن خلال هذه الهدنة أن الجو مساعد على تنفيذ مطاليبهم الاصلاحية في الولايات الارمنية ، فألحفوا في مطالبة الدول الموقعة على معاهدة برلين والدول ذات العـلاقة بالقضية ، فأبدت استعداداً طيباً وتوسطت لدى حكومة الاتحاد والترقي . وجاء رئيس الدولة الصدر الأعظم محمود شوكت باشا الى المجلس الملي الارمني في غلطه ووعد وعداً قاطعاً بالمسارعة الى تطبيق منهاج الاصلاحات في الولايات الارمنية وصرح قائلا: « ان الامـة الارمنيـة درة لامعة في تاج الامبراطورية العثمانية . ولقـد قررنا أن لا نفقـأ بريق هذه الدرة ، ولذلك فسوف نطبق قريباً الاصـلاحات الضرورية وخصـوصاً في ولايات شرقي الاناضول » .

لقد كان يعز على محمود شوكت باشا أن يأتي الى أمة من رعايا دولتـه فيخطب ودها ويبذل لها الوعود في مجلسها الملي الخاص ويتعهد لها باسعاف مطاليبها المضرة بنوايا الدولة العثمانية في زعمهم ، ولكن للضرورة أحكاما تحل النواميس ، ولقد اضطرت حكومة الاتحاد والترقي بالحاف الارمن وبطلب مجبر من الدول المعظمة أن تجلب مفتشين اداريين عامين اثنـين للولايات الارمنيـة الست ، لكل ثلاث ولايات مفتش له جميـع صلاحيات الوالي العام، فجاء هوف [ Hoff ] ووستنيك [ Vistenege ] وتوليا الامور الاصلاحية في الولايات المذكورة أواخر ١٩١٣ وأوائل ١٩١٤

انسلخت من جسم الامبراطورية العثمانية خلال ثلاث سنوات مقاطعات طرابلس الغرب العظيمة وألبانيا ومكدونيا وسلانيك وجزائر الدوديكانيز ( اي الاثني عشر ) في بحر ايجي ، فعظم ذلك على الاتحاديين، وكان دخول التفتيش الأجنبي على الولايات الأرمنية ضربة قاصمة على ظهورهم . ولكن سرور الأرمن به كان عظيما جداً ، اذ بواسطته تلغى الامتيازات والتشكيلات الحميدية المضرة وتجري أحكام العدل والقانون في أنحاء البلاد .

# حالة أرمينيا في سي

## ١٩١٤ - ١٩١٧

ان الرصاصة التي أطلقت في سرايبوو ابصربيا فصرعت ولي عهد الامبراطورية النمسوية كانت الفتيل الذي أذكى نيران الحرب العالمية ، وانقسمت الأمم الاوربيـة جبهتين : (١) جبهة الحلفاء وقد تألفت من انكلترا وفرنسا وروسيا واليابان (٢) جبهة المانيا وحليفاتها النمسا والمجر وايطاليا ومن تابعها مثل تركيا .

ولما كانت غاية تركيا تصفية الحساب مع غرمائها المتدخلات في شؤونها منذ عدة أجيال بحجج يبطنون بها مصالحهم الخاصة وتنصاع لهم تركيا نظراً الى قوتهم ، والحق للقوة في كل زمان ومكان ، فلقد ارتأت حكومة الاتحاد والترقي التركية ان تقطع دابر مطاليب تلك الامم بقوة السلاح .

كان العرب يطلبون اللامركزية بلسان زعمائهم ، والأرمن يريدون الاصلاحات الادارية في بلادهم ، والاروام يطلبون الانضمام الى اليونان الوطن الام ، فكانت خير فرصة لتكميم أفواههم ان تعلن تركيا الحرب وتنضم الى جانب المانيا ضد الحلفاء لأن لكل من هؤلاء مطمعاً في الامبراطورية العثمانية ، فانكلترا كانت ترنو الى البلاد العربية ، وفرنسا تطمع في سوريا ولبنان وروسيا تأمل ضم البلاد الارمنية فكان من حكم العقل والمنطق ان تنضم تركيا الى جانب أعداء الحلفاء لأن حيادها كان يضرها ايضا ، ولقد أعلنت الحرب عليهم فعلا أواخر عام ١٩١٤ .

أعلنت تركيا « سفر برلك » اي التعبئة العامة في ١٠ تموز ١٩١٤ ودعت أبناء جميع أقوام الامبراطورية الى الجهاد وخدمة العلم ، وفتحت دوائر التجنيد وشكلت دوائر خاصة لجمع التكاليف الحربية ، فقدم الارمن أولادهم وأملاكهم وجميع ما استطاعوا من عون ، وتقديراً لحرج موقف الحكومة أعلنوا الولاء التام وأجلوا قضية الاصلاحات الادارية ونشرت البطريركية الارمنية في الاستانة وجميع الاحزاب السياسية مناشير خاصة يحضون بها الارمن على اطاعة الاوامر وتأدية الضرائب والتكاليف والانظام في

سلك الجندية .

ولكن على الرغم من هذه الوطنية الصادقة التي ظهر بها الأرمن صافحين عن كل ما مضى فان الحكومة الاتحادية التركية أصرت على مبدئها الشرير وتصفية حساب الارمن اولا ثم الامم الاخرى ثانيا ، فبعد جمع شبابهم من جميع أنحاء الاناضول وبعد مصادرة معظم أموالهم باسم التكاليف الحربيـة ، أصدرت الحكومة عام ١٩١٥ قانون التهجير الارمني ، وباواس مدبرة خاصة قبضوا على المثقفين الارمن في الولايات والعاصمة من أدباء وشعراء وأطباء ومحامين ومعلمين ونواب وصحـافيين ، وسيقوا بالالوف الى بطون الصحاري العربيـة القاحلة ليلقوا حتفهم بصور بربرية من يد عصابات تركية خاصة .

وطبق قانون الهجرة على الشعب الهادىء البائس وسيقت جموعه الخائـفة الى صحاري دير الزور وجزيرة العرب بعد ان جردوا من اموالهم واملاكهم وأخرجوا من الديار التي ورثوها جيلا بعد جيل من آبائهم وجدودهم ، ونظراً الى سرعة المفاجأة لم يجدوا سبيلا لأي عصيان او مقاومة وأنى لهم ذلك وقد خلت ديارهم من خيرة الشباب باسم خدمة العلم وسير مثقفوهم الى مجاهل الصحاري ! وبغير ما ذنب ، وبدون رحمة أخرج اصحاب المهن من حوانيتهم والتلاميذ والتلميذات من مدارسهم والأمهات من مطابخهن والكهنة من كنائسهم وسيق الموكب البائس البرىء من شيوخ وعجائز واطفال وصبايا كالجزور الى الصحاري القاحلة جياعا عطاشا حفاة عراة ، فأذلهم جلادوهم ونهبوا آخر ما تبقى لديهم واهاوهم ، وكانوا يستعجلون سيرهم بالضرب والشتم ويقتلون منهم الالوف . اعمال بربرية يندى لها جبين التاريخ وتربأ الوحوش بانفسها عن ارتكابها ، ولكن هل للسفاحين من قلوب ، وهل للجلادين من ضمائر ؟ وقديما خاطب مدحت باشا ابو الاحرار وحوش محكمته فقال : « أستحلفكم بالله تعالى وباسم الحقيقة ، ألم يأتكم خطاب علوي (١) عندما وقعتم على قرار اعدام المظلومين ؟ » فان كان الحكام لم يتورعوا من خيانة ضمائرهم بسبب الأمر العلوي ، فكيف بالسفلة الرعاع ؟ .

١) نسبة الى الباب العالي



كريكور زهراب
أستاذ الحقوق الجزائية ونائب الاستانة وأديب بارع ومحامي محنك بين الأمم

احتج كريكور زهراب الزعيم الكبير والقانوني البارع ونائب الاستانة احتجاجا شديداً على هذه الاعمال البربرية الفظيعة وأنذر وهدد طلعت باشا وزير الداخلية قائلا: « سأناقشكم الحساب يوما » فقال طلعت متهكما « في أي وقت وأي مكان ؟ » فاجابه زهراب « في البرلمان ومن فوق منبر الخطابة » (١) . وسيق زهراب في اليوم الثاني الى الصحراء العربية !...

ودامت العملية التطهيرية سنتين ، وهام المشردون على وجوههم بين مهاوي الوديان السحيقة ومخارم (٢) الجبال وادغال الغابات وسباسب (٣) الفلوات (٤) ، وكان هؤلاء الافراد هم البقية الناجية ، لا يدرون كيف نجوا من حز السيوف واغماد الخناجر

١) مسكين زهراب ! لقد ظن انه في البرلمان الامريكي او السويسري
٢) المخارم جمع مخرم وهو منقطع انف الجبل
٣) السباسب جمع سبب وهي الارض البعيدة المستوية
٤) الفلوات جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة

وتصويب الطلقات وبقر البطون واضرام النيران ، وكانوا أشبه بالممسوسين بشعورهم الطويلة المسترسلة وعيونهم الحائرة الجامدة وارجلهم المتهافتة من طول السير وابدانهم المهزيلة من قلة النوم والغذاء وجسومهم شبه العارية من الثياب .

وخسر الارمن في هذه الفاجعة مليون نسمة من رجالهم ونسائهم ذبح منهما ١٠٠ر٠٠٠ فقط في صحاري دير الزور تحت اشراف متصرفها زكي !

لقد نجحت حكومة الاتحاد والترقي في مجازرها بجميع الولايات التي يقطن فيها الارمن مستقلين او مختلطين بالعناصر الاخرى من ترك واكراد ، ولكنها فشلت باعمالها العدوانية في ولايتي وان ودارون ، فقد كان ثقليها عليها شديداً .

وأخذ الارمن بثأرهم من طلعت وجمال وبهاء الدين شاكر والبرنس سعيد حليم اذ اغتال ابطال الأمة الارمنية هؤلاء الطغاة جميعهم .



صوغومون تايليريان

الذي اغتال طلعت باشا في شارع فيلهلم اشتراسه في برلين وبرأه المحلفون الالمان

الفصل الحادي عشر

# الحروب الدفاعية في واسبوراكان - ١٩١٥

عندما أعلنت التعبئة العامة ، سارع شباب وان الى التطوع لخدمة العلم حسب ارشادات الأحزاب السياسية والزعماء ، وبنفس الحماس بادر شباب الاقضية لاداء واجبهم الوطني ، وهكذا كان الحال في جميع انحاء وان - واسبوراكان - فقدم الشباب انفسهم دون تردد ، وفتحت أبواب الحوانيت - كما وقع في جميع انحاء الاناضول - امام الجيش التركي لاكمال تجهيزاته ، فأخذ من هذه الحوانيت أموالا تقدر قيمتها بملايين الدنانير دون أن يدفع فلسا واحداً أو يعطي وصلا لأصحابها من التجار والباعة ، حتى ان أرباب المهن من رجال الارمن كالخياطين والنجارين والحدادين وحتى الصاغة والحكاكين قدموا خدماتهم الى الجيش التركي .

شارك سكان وان بكل نوع من الاعانات والمساعدات الضرورية فأعطوا الدقيق والخبز والسمن والصوف وغير ذلك من المواد ، وساهمت في ذلك حتى الطبقات الفقيرة .

وهكذا فرضت الحرب أعباءها على كواهل الارمن وظلت مخازن القرويين مفتوحة دوما امام الجندرمة والجنود الاتراك الراحلين الى الجبهة ، ولم يستلب هؤلاء منهم الحبوب والدقيق حسب ، بل ساقوا أمامهم حتى الابقار الحلوب والثيران والخيل والمواشي وكل ما ملكت أيمانهم إذ ان ذلك أجمع صار ملكا مشاعا للحكومة ، وبذلك انحط الفلاح الارمني الى مهاوى الفقر والافلاس وبالتالي الجوع اشباعا لنهم حكومته وجشعها .. ولكن على الرغم من هذه التضحيات كلها كانت معاملة الحكومة لشعبها الارمني سافرة العداء تتجلى فيها التفرقة وتلوح سياسة الافقار لحط اقتصاديات هذا الشعب بحجة استكمال نواقص الجيش . أما حالة الجندي الارمني فكانت أتعس من حالة أخيه المدني ، فهو يستخدم في الاعمال الشاقة - كأسارى فدائيين للمصريين - ويكال له الضرب والشتم لاتفه الاسباب ، أما اذا ظهرت منه أية بادرة توجب الشك والظن

فجزاؤه الموت . اما من حيث المعيشة والتغذية فنستطيع ان نقـول ان الاتراك أطعموا دوابهم خيراً مما أطعموه ، وكان كل هذا قبل ان تشترك تركيا في الحرب بصورة فعلية، اما بعد ان خاضت غمارها فكان العدوان يزيد يوما بعد يوم ، وكانت سياسة الافناء تتضح بأجلى بيان بانزال افانين المظالم من سلب القرى ونهبها واستباحتها والقتل الخاص والعام وحبس الرؤساء .. وقد أبيح لعشائر الكرد ان تطلق ايديها في القرى الارمنية وليس عليها من جناح !

وفي أواخر عام ١٩١٤ وأوائل ١٩١٥ عندما تقدم الجيش الروسي من حدود شرقي وان اغتاظ الأتراك وامتلأوا حنقاً على الأرمن، فباشروا بتطبيق منهاج ابادتهم بصورة رسمية ، فاستدعوا جودت بك بن طاهر باشا الى ولاية وان مع ٢٠٠٠ جنـدي نظامي و ٤٠٠٠ فرد من العشائر الكردية ، فقـام هذا الجمع الحاشد بنهب قرى الحدود وقتل سكانها العزل الأبرياء ، اما من نجا من سيوفهم فقد التجأ الى وان جائعاً عرياناً حافي القدمين من خوف ورعب ، وأصبحت باش قلعة وآخوريك واوزاريك وسراي ركاما وبلغ عدد القتلى ١٠ آلاف نفس ، وفي الوقت ذاته كانت الفظائع تحل في الشكرد واتسعت موجة الارهاب والمذابح بين القرى والقصبات الأرمنية يوماً بعد يوم ، والى جانب سياسة الافناء بين سكان الديار الوادعين الآمنين ، فقد نفذت السياسة عينها في الجنود الأرمن ، فكانوا يجردون من سلاحهم ثم يقتلون أفراداً وجماعات بيد الجنـود المسماة «ملي» .

عندما ذاعت أخبار هذه الجرائم الشنعاء ، أصاب الاضطراب والهياج جميع أنحاء ولاية وان ، ولذلك اصطدمت قوات الأرمن في قضاء تيمار مع الشرطة التي كانت قـد تجاوزت وقتلت بعض الأبرياء ، وتكررت الحادثة في قرى اخرى ، فأصبـح الدفاع عن النفس ضروريا ، ولما كانت المقاومة الفردية لا تجدي ، فقد يمم الأهالي المرعوبون شطر مدينة وان اما الحكومة المحلية فبدلا من ان تؤدب المجرمين الذين سببوا الفظـائع ، كانت تشجع جميعهم وتتهم الأرمن فقط فترسل قوادها العسكريين وجنودها النظاميين مجهزين بالمدافع والرشاشات السريعة لتأديب الأبرياء المدافعين عن ديارهم ، فقتلوا

المئات من الأشخاص البائسين بعد تدمير قراهم . ويقال انه بعد تدمير قرى قضاء تيمار وفرار البقية الباقية من سكانها الى مدينة وان ، طلبت الحكومة وساطة نائب وان ورامیان وزعيم الأرمن آرام باشا في تهدئة خواطـر الارمن الهائجة ، فطلب النائبـان ان تسحب الحكومة قواتها من القضاء وتبذل المساعدات المالية للمهاجرين والمنكوبين وتعترف باجرام بعض الموظفين والشخصيات ، فتعهدت الحكومة بالمساعدة، ولكنها لم تف بعهدها .

أما الحالة في الاقضية التي جنوب وان فلم تكن مرضية ، وأما الحدود الجنوبية فقد كانت مسرحاً للقتل والنهب والسلب . وكانت التحريات والتجسس أموراً اعتيادية في كاواش وكارجكان ، وكانا وسيلة لارتكاب جرائم السلب والقتل ... واضطر شباب الارمن أخيراً الى الذب عن حياضهم ، فكان لزاما على كل شاب أرمني ان يدفع عن عائلته وقريته ، فتذرعت الحكومة بهذه حجة وأنزلت بهم صوارم العقاب ، اذ أرسلت قوة عظيمة أحرقت ودمرت القرى الموجودة في تلك الجهات البالغ عددها عشراً بعد ان نهبتها وسلبت خيراتها ، ثم تعقبت سكانها في الجبال المكسوة بالثلوج ... وقعت هذه الحوادث في قضائي شاداخ وهايوتس تور ونجم عنها مصادمات مع الارمن المتسلحين دفاعا عن أنفسهم .

وما زالت التعقيبات وحركات التدمير وعمليات الافناء متتابعة متلاحقة من قبل الحكومة حسب منهاج خاص حتى وصلت الشرارة الى أبواب مركز وان وكان فيها أكثف عدد من السكان الارمن .

كانت قرية شوشانس القريبة من مدينة وان تقع في صدر جبل واراك ، وقد وقع فيها حادث مقتل أرمني وكردي ، فاتخذت الحكـومة ذلك ذريعة وارسلت قوة عظيمة الى القرية والى ديرها التاريخي «واراك» ، فحاصرت هذه القوة القرية وضربت سكانها ، فدافع الاهلون عن أنفسهم ، وبعد مصادمات طويلة انسحب حملة السلاح الى الجبال وتحرت قوة الحكومة الدير وقبضت على خدامه ورهبانه وهددوا بحرقه وحرق القرية . وظلت القرية محاصرة ثلاثة أيام ، ثم توسط ورامیان نائب وان وتدخل آرام

باشا الزعيم فرفع الحصار عنها ، غير ان الحكومة قبضت على رجالها البارزين وقتل أحدهم بضرب العصي واستاقت المواشي وصادرت الاموال ، ولم تغن تدخلات زعماء الارمن شيئاً ، أما في مركز ولاية وان فقد تكررت حوادث القتل والجرح في الازقة والاحياء (١) وذلك بحجة الفرار من العسكرية .

وبناء على هذه الحوادث المؤلمة التي سردناها قدم اوادیس ورامیان نائب وان في مجلس المبعوثان (النواب) التركي مذكرة عدد فيها هذه الفظائع الى وزير الداخلية طلعت باشا وهي كما يلي :

« لا ينكر أحد ان قد حصل امر غير طبيعي بين الحكومة وبين الامة الارمنية منذ أربعة أشهر خلت ، ووقعت امور لم تلفت أنظار الحكومة حتى أعقبتها حوادث وفواجع مؤلمة كالتي وقعت في كارجكان وكاراش ، ولم تتدخل الحكومة كذلك ولم تفكر في تبديل ولو بسيط لهذا الوضع ، وحين مجيئي الى منطقتي الانتخابية ، وجدت من واجبي التحقيق والتدقيق في الاحوال الحاضرة المقلقة وذكرت للحكومة المحلية طرق معالجة هذه الاحوال بمذكرتين احداهما شفهية والاخرى تحريرية ، وقد ثبت الآن بالعمل انى لم أكن مخطئاً في ظنى ، وهأنذا أجمع ذاكرتي لالفت نظر الحكومة المركزية الى الامعان في تلك الامور باخلاص .

من الواجب ان نبحث عن الاسباب التي ولدت هذه الامور غير الطبيعية، وهي تتلخص في أربعة مظاهر يكمل بعضها بعضاً نشأ منها هذا الوضع المؤسف ، وهذه هي : (١) فرار الجنود (٢) تجريد الجند والجاندرمة الارمن من السلاح (٣) اعلان الجهاد الديني وتأويله تأويلا خاطئاً (٤) العمل على محو كيان الارمن . أما الظاهرة الاولى أي فرار الجنود الارمن فتعود الى ثلاثة عوامل :

أ- فقدان التعليم العسكري النظامي بين الشباب الذين تزيد أعمارهم عن ٢٤عاماً .

ب- حرمان الشباب الذين تقل أعمارهم عن ٢٤ سنة من الغذاء والراحة .

ج- عدم مراعاة المراسيم الدينية للجنود الارمنية ، وبالعكس فقد يحتقر دينهم

---

١) جمع حي وهو المحلة

ويشتم ، وتلك لعمرى جريمة كبيرة ان يحرم المرء الرجاء الروحي والتسلية الدينية في أواخر ساعات حياته .

لن يزداد عدد الهاربين اذا اصلحت الامور واحترمت الشعائر ، بيد ان الحكومة تسير على خطة معاكسة ، فهي تظهر عدم اعتماد شنيع نحو الارمن ، وقد نجمت عن ذلك حوادث كثيرة جديدة تهدد كيان هذا الشعب ، منها تنظيم منهاج خاص من قبل الحكومة لاذلالهم ومحوهم ، واعلان الجهاد وتحريض العشائر عليهم بحجة تزايد عدد الفارين . ولقد اتخذت الحكومة من هذا القرار حجة فطبقت على الارمن الامور التالية :



آوادیس ورامیان ( نائب وان )

(أ) تجريد الجنود والجاندرمة الارمن من السلاح ، وهذا العمل خلق جو آسياسياً خانقا ، وولد عدم الثقة بهم ، وكان سببا لتأزم الاحوال بينهم وبين جيرانهم .

(ب) أنيطت اعمال الحيوانات بالجنود الذين جردوا من سلاحهم فجرحت عزة نفوسهم وكبرياؤهم الانسانية والقومية بصورة بالغة وسقطوا في نظر مواطنيهم من

غير الأرمن .

( ج ) وسلم الافراد تحت محافظة الجنود الاتراك الى افواج العملة وكانت حياتهم مهددة في كل لحظة ، وأبيدت المئات منهم فعلا رميا بالرصاص أو خنقـا أو اغراقا في الأنهر في مقاطعة أرضروم وفي ساحة الحرب بايران .

( د ) وأبعد الجنود المجردون من السلاح الى ديار بعيدة بحجج مدسوسة .

( ﻫ ) سلح جميع الاكراد الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ و ٦٠ سنة وأعطيت لهم وظائف الشرطة والجاندرمه لتأديب الارمن بل للتنكيل بهم .

( و ) سوء تصرفات « الملي » الذين كانت وظيفتهم القتل ونهب الديار في بتليس وديار بكر ، وفي غيرهما من القرى التي في حدود وان .

( ز ) العفو عن كبار المجرمين من الاكراد وتسليحهم واسكانهم في المناطق الارمنية

( ح ) تحويل معظم الفارين من الجيش من الاكراد باذن من السلطات في المناطق الجبلية من وان وبتليس وتهديدهم الارمن .

( ط ) اسكان الافواج الحميدية في الاقضية الارمنية وتشجيعهم على تدمير قراها كما جرى في حسن طمران واخوريك وبوغازكسن وهازار ومنـدان وكما دكت قرية يزديك بيد فوج ساطم بك الحيدري .

( ي ) وأخيراً مذبحة اهالي باشقلمة ونواحيها .

ومن مطالعة هذه النقاط العشر تتضح خطورة القضية وضرورة العمل على تأمين شرف ومال وحياة الامة التي أعلن عدم الاعتداء عليها بصورة رسمية ، فقد أزم هـذا الأمر وضع هذه الامة البائسة الى درجة اصبحت لا تتمكن من العيش مع جيرانها .

ان ضمان الشرف والمال والحياة حق طبيعي جليل جداً وهو فوق كل اعتبار ، وعلى هذا فاذا كانت الحكومة تجبر افراد الشعب الارمني على الخدمة وهم عزل من السلاح فانها تهدد حياتهم ، والحكومة التي تقدم على مثل هذا العمل انما تخالف الوجدان والمنطق والسياسة الرشيدة لأنها تحمل الافراد والعائلات هدفا لتعرض جاراتهم المتوحشة وتحكمها في رقابهم ، وهي ولا غرو سياسة مضرة بالمنافع العامة للدولة والوطن .

ولئن كان الافراد المسلحون من الاكراد يفرون من ساحة القتال جماعات بعد جماعات ، فليس من الحق ولا من العدل اطلاق اسم «فارين» على الجنود العزل المعرضين لخطر القتل من قبل جيرانهم ، خصوصا وان فرار الجنود الارمن ناجم عن الاسباب الاجتماعية والدينية والسياسية التي سبق بيانها .

وانه لخطر بالغ اخلاء البيوت والقرى من الذكور وابقائها بغير محافظة ، وقد لمسنا عواقبه السيئة في ولايات وان وبتليس وارضروم ودياربكر ، وان سوق الجنود العزل لا نفع له للجيش ، كما انه يحرم البلاد من الايادي العاملة فتتأخر اقتصاديا وزراعيا وعسكريا .

ان اغفال حل قضية الفارين حلا عادلا يجعل البلاد أمام كارثة كبرى ويفسح المجال لحركة العصابات ، لانه من الطبيعي أن الفرد الهارب المعقب من قبل القانون اذ يرى شبح الجوع ماثلا أمام عينيه والخطر محدقا به سيضطر لانقاذ حياته الى ان يسلك الطريق الى العصابات .

ولذلك أقدم هذه المطاليب وآمل من كياسة الحكومة وحسن نيتها الاسراع بتلبيتها :

( أ ) أن يبقى تحت السلاح أفراد الشعب الارمني الذين تم تدريبهم في ١٩١٠-١٩١٤ .

(ب) لتوطيد الأمن واعادة الاعتماد على الارمن فان على الحكومة أن تستخدم الجنود منهم في وظيفة جاندرمة في ألويتهم وأقضيتهم .

( ج ) أن يسرح الفرد الارمني من الخدمة غير المسلحة الذليلة ان زاد عمره عن ٢٤ سنة ولم يكن قد درب في الجيش ، وذلك اقاء بدل نقدي .

( د ) أن تجري تعقيبات شديدة للمسؤولين عن المذابح العامة لسكان باشقلعه وقراها ، فيلقى القبض عليهم ويسلمون الى السلطات القضائية .

( هـ ) أن يطبق قانون حراسة الريف الذي سن في عهد الوالي تحسين بك وابلغ الى الاقضية والنواحي .

( و ) أن لا يمنع الارمن من حمل السلاح طالما جيرانهم من الاكراد هم مسلحون لان للفرد الارمني عين الحق الذي لجيرانه .

( ز ) أن تعاد الاموال المنهوبة من القرى الذبيحة وتسلم الى أصحابها ، وتخصص اعانات مالية من خزينة الدولة باولئك البائسين .

( ح ) أن تعاد الاموال المنهوبة من الكنائس اليها ، ويمنع تبديل الدين بصورة إجبارية .

ان الغاية من مذكرتي هذه انما هي بسط الحالة الشاذة الراهنة وطلب خلق اعتماد على طبقات الشعب الارمني لتأمن على حياتها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان ايجاد ثقة لهذا الشعب بالحكومة المركزية لا يتم بتجريد الجندي الارمني من السلاح واستخدام الافراد العزل كأسرى حرب وعبيد . ان صرامة الحكومة وسوء معاملتها والنهب والقتل اللذين يجريان تحت سمعها وبصرها بل وبتشجيع منها ، كل هذا يعيد الى الذاكرة عهد عبد الحميد الثاني ، وان الادارة الدستورية في تركيا لم تتمكن مع الاسف من اصلاح خطأ الحكومة البائدة القديم بربط الارمن بنهضتها واستقلالها .

ان مذبحة اطنه وعدم حل قضية الاراضي والمسائل الاخرى المعلقة ، بعثت في نفوس الأرمن شكوى انتواء الحكومة نية سيئة شنيعة نحوهم ، والحكومة لم تعمل على ازالة هذه الشكوى من أذهانهم بصدقها وحسن نواياها ومودتها ، وهذه الحرب العالمية قد ذكت نارها وتركيا مشتركة فيها لا محالة ، وهي بحاجة الى خدمة كل فرد من أفراد شعبها ! وقد كان من واجب الحكومة ان تجعل نصب عينيها حشد كل قواها الوطنية، ولكنها أعلنت الجهاد الاكبر باسم الخليفة ، ولم ترغب في اكتساب مودة الارمن والانتفاع منهم ، كما لم تفتح أمامهم أبواب المساواة الحقوقية والسياسية والمدنية .

وكان على الحكومة ان تلغي وتبيد العهود والأنظمة العتيقة ، وتبدأ بتطبيق مناهج الاصلاح في البلاد منذ غادرها هوف وويستينك .

ولئن كان الجهاد لم يأخذ نصيبه في قلوب الاكراد - وهو لغاية شريفة وباسم الدين - وقد فروا من ساحة الوغى ، فكيف الحال بالأرمن الذين لم يدعوا اليه ؟ كان

ممكناً جلب قلوب الأرمن بنداء العمل للمنافع العامة والمصلحة والوطنية ، ولكن لم يوجه اليهم هذا النداء وانما اعتبروا كأولاد امرأة الاب .. وهذا خطأ كبير ارتكبته الحكومة .

لقد حان ان تنشأ الاخوة التركية الارمنية بمناسبة الوضع الراهن ، ولذلك اقترح اجابة بعض المطاليب الارمنية البسيطة بارادة ملكية خاصة ، وهذه هي :

( أ ) تمثيل الأرمن في البرلمان العثماني بنسبة نفوسهم .

(ب) اعطاء ٥٠٪ من الكراسي في « انجمن (١) » الولايات الست الأرمنية الى الأرمن .

( حـ ) ان يكون نصف موظفي الدولة في هذه الولايات من الارمن .

( د ) استعمال اللغة الأرمنية بصورة متساوية مع اللغة التركية في الولايات الست

( هـ ) مساواة المدارس الأرمنية الأهلية مع المدارس الاميرية في الحقوق ، وأخذ الأجور التدريسية من الأرمن بواسطة الحكومة لدفعها الى رئاسة الطائفة ، وان تدفع مساعدة المعارف رأساً الى تلك الرئاسة .

( و ) قبول طلاب من الأرمن في المعاهد العسكرية لتجهيز ضباط من الارمن للجنود الارمن المستخدمين في الجيش .

( ز ) ان لا تضع الحكومة يدها على أوقاف الطائفة .

اذا قبلت هذه النقاط الأساسية وصدقت من قبل حزب الاتحاد والترقي ثم نفذت فانها لا تفتح عهداً سعيداً من الصلات الاخوية الخالدة بين الترك والارمن فقط ، بل سيظهر تأثيرها العميق في قلوب بقية الامة التي هي وراء الحدود التركية ، وستربط قلوب الارمن بالامبراطورية العثمانية .

ان الذي دفعني الى تقديم هذه الذكرة الى معاليكم هو الرغبة في التحليل العادل للحوادث الحاضرة الجارية في الولايات الشرقية ، وانني أسترحم معاليكم مصراً باسم المصلحة الوطنية المشتركة ان لا تكتفوا بالمعلومات بل توجهوا اليها أنظار الدولة .

نائب وان ( اواديس ورامیان )

---

١) « انجمن » كلمة فارسية تعني مجلس الولاية العام

## دسائس الحكومة
## على حياة زعماء الارمن في وان

كان جواب وزير الداخلية طلعت باشا اي جواب الحكومة ارسال جودت بك ابن طاهر باشا لاجراء المذابح العامة في باشقلعة وكان معه ٢٠٠٠ جندي نظامي و ٢٠٠٠ من الملي الاتراك وبقدر العددين من أبناء العشائر و ١٢ مدفعاً جبلياً وصحراويا. وبالرغم من نصح وارشادات آرام باشا والنائب وراميان فقد طلب الوالي جودت جميع الارمن الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٤٥ ( ليسوقهم الى أفواج العملة وتبيدهم جنوده النظامية والعشائر في الطرق البعيدة وفي المناطق الجبلية ).

لم تكن مقاصد جودت بخافية على الارمن، ولكنهم تهدئة لاعصابه واجتنابا للمصادمات المسلحة بين الطرفين ولو الى حين قرر زعماؤهم تسليم الشباب للخدمة المسلحة الا ان جودت الخبيث رفض هذا الطلب وأصر على سوقهم الى أفواج العملة، فحاول الارمن معه محاولة اخرى هي ان يعطوا الشباب فوجا بعد فوج بصورة تدريجية فوافق على ذلك مشترطا ان يتم تسليم جميع شبان وان خلال شهرين. غير ان هؤلاء الشباب كانوا قد تلقوا درساً قاسياً من الوقائع المؤلمة الماضية فلم يوافقوا على الامر ورفضوا تقديم أنفسهم للخدمة غير المسلحة الذليلة وبيعها رخيصة للموت، لان تسليم النفس بغير سلاح معناه الرضا بالموت، وقد كان جلياً في أعينهم قصد الحكومة بذبحهم كالاغنام ومحو أمتهم كالاعداء. وهكذا عارض الشباب اليقظ أفكار آرام ووراميان وايشخان في الجلسة المنعقدة يوم ٢ نيسان ١٩١٥. اما وراميان فقد نصحهم ان يسلموا ٥٠٠ من العمال لانقاذ اكثرية الامة، وقال لهم: « في اللحظة الاخيرة حينما يمتد سيف العدو الى رقاب الامة جمعاء فلا لوم ولا تثريب عليكم ان امتشقتم الحسام ». فرضخ الشباب لرأيه وأذعنوا لنصحه وقرروا ان يعطوا ٥٠٠ شخص، ولكن حدث بعد يوم ان قتل ايشخان الذي كان من زعماء تاشنا كسيون بمؤامرة، اذ كان جودت قد أرسله لتهدئة خواطر الارمن في شاداخ ورتب أمر مقتله، فانقلبت الامور رأساً على عقب

وقبض الوالي على وراميان نائب وان وعلى الرغم من مطالبته بالحصانة النيابية فقد سيق الى جهات بعيدة ، ولم تجد مراجعات قنصلي ايطاليا وامريكا ومطران الارمن في تخليصه ، وقتل بمؤامرة دبرت له .

ثم أراد جودت القبض على آرام باشا بالتودد والمخادعة ولكن هذا أحس بسوء نيته واجرامه في مقتل وراميان وايشخان بالحيلة ، فرفض مقابلته ، وبالتشاور مع كريكور بلغاري - وهو من قواد تاشناكسيون - نظما خطة الدفاع عن كيان الشعب الارمني في مقاطعة وان لان جميع المحاولات للتفاهم مع جودت ذهبت أدراج الرياح اذ كانت حكومة الاتحاد والترقي قد قررت ابادة الامة الارمنية في أية جهة كانت.

وفي ذلك الحين تلقت اللجنة المركزية العليا للحزب من عاملها هوسيب اخباراً شفهية ثم كتابا موسوما بتاريخ ٥ نيسان ١٩١٥ يصف فيه بتفصيل مقتل ايشخان في قرية هيرج ويقول :

« وصل ايشخان الى هيرج وحل على صديقه القديم كريم اوغلي رشيد ، وحينما جمل ايشخان ورفاقه الاسلحة الى جانبهم دخلت الدار عصابة مسلحة منفذة من قبل جودت وعدد أعضائها ١٢ عضواً واقتحموا الغرفة التي فيها الجماعة الارمنية فقتلوهم جميعاً ثم أبادوا جميع الارمن الساكنين في هيرج . فتصوروا حالنا واعلموا ان ألوفا من الاشخاص المسلحين من عشائر نوردوز وخوشاب قد سدوا الطرق المفضية الى قريتنا « هايوتسور » وأن قائد الافواج المسلحة الكردية هو ليزكن بن شاكر اغا كيراوي . انني مستعد للمقاومة ولكن المقاومة لا تجدي كثيراً نظراً الى تفوق العدو بالعدد والمدد ، وأن حاجتنا الكبيرة لا الى السلاح فقط بل الى المحاربين ايضاً » .

وكانت الحوادث المرعبة عينها تقع في شاداخ ونوردوز وكاواش وهايوتس تسور وفي أنحاء مدينة وان ، فكانت محاولة التفاهم والتحالف ضربا من الجنون وكان ذلا على الاحزاب السياسية الارمنية وعلى شبابها الملتهب حماسا أن يبقوا مكتوفي الايادي ازاء هذه الاحوال .

ان مصرع ايشخان ثم وراميان كان نقطة التحول ، فأحس جميع سكان

واسبورا كان (١) عجزاً وشبابا رجالا ونساء أحزابا أومحايدين بضرورة الدفاع من الحياة والمال والشرف . أما ارام وكريكور بلغاري وقد قطعا كل أمل من السلم والتفاهم فانهما أخذا يهيئان للدفاع لأن كل لحظة تمر كانت ثمينة ، فارسلا الافراد المسلحين الى جميع النقط التى كان يحتلها الاتراك لجابهتهم وبعثا بالافراد غير المسلحين لحفر الخنادق وتحضير الاستحكامات في كافة انحاء المدينة ولاذت العائلات الساكنة قريبا من المواقع التركية بمنطقتي القنصليتين الالمانية والامريكية .

وفى ٥ نيسان احتل الاتراك كنيسة الارمن ومدرستها التى فى محلة أرارك والقنصلية البريطانية ، وكانت هذه كلها نقطا هامة لضرب الاحياء الارمنية . ولحظ قواد المدافعة هذه الحركة التركية ولكنهم تريثوا فى ضرب الاتراك بأمر من أرام باشا لالقاء مسؤولية المبادأة بالعدوان على عواتق الترك ، وفى اليوم نفسه اجتمع المجلس الملي فقرر قطع مراجعة الوالي جودت للنجاة من الامر الواقع . ولكن الارمن خطوا خطوة معقولة حسب العرف المتبع اذ انهم أرسلوا وفداً مكونا من القنصل الايطالي والقنصل الامريكى ومطران الارمن وعضوين من المجلس الملي والمبشر الامبركاني ايشير فضرع الوفد الى الوالي لاخلاء سبيل ورامیان وحل الحالة الراهنة فكان جواب جودت ان قال : « انا لا أريد ان أحمم طلبا باطلاق ورامیان ، بل انني أطالب بتسليم جميع الافراد الذين بين سن ١٨ و٤٥ خلال أربع وعشرين ساعة ، وخلافا لذلك فانني سأدك الاحياء الارمنية فى ٢٤ ساعة » ، ثم استأنف كلامه قائلا : « وسأرسل خمسين جنديا الى كل من منطقتي القنصليتين الالمانية والامريكانية » وختم قائلا : « ان العمل الذي انتويته يجب ان يتم كما أريده ، فلا تكلموني عن هـذه الامة الخؤون .. واستقبلوا جنودي لحفظ حياتكم وكفاكم هذا .. ان العمل الذي بدأته يجب ان ينتهي » .

فقال له الدكتور ايشير المبشر الاميركاني : « ان آرام يخالفكم في هذا ، وأظن ان الأرمن سيقاومونكم .. كما انني أرى من الفضول ان ترسلوا جنوداً لمحافظتنا لان الارمن لن يلحقوا بنا أذى . اما اذا كنتم قد قررتم ارسالهم ، فارسلوهم » .

وهكذا عاد الوفد بأسره يائساً وانقطع الامل من مفاوضة الحكومة ، وطفحت

---

١) وهي ولاية وان وجميع ملحقاتها

الكأس وفار التنور، ولم يبق غير سبيل واحد هو الدفاع فاما الحياة واما الموت الشريف واقتنع بهذا حتى المبشر بالمبادىء المسيحية الدكتور ايشير فقال: لقد انطفأت كل الآمال · فلم يبق أمامكم الا الدفاع عن حياتكم .. آسف لانني لن أستطيع ان أعمل شيئاً فلا بد من الدفاع، أتمنى لكم التوفيق والنجاح ».

## حيال الامر الواقع

بعد عودة الوفد الألماني الأمريكي الأرمني بالخيبة، أخبر بعض الأكراد المخلصين المنصفين أصدقاءهم من الأرمن بان جودت بك عازم على افنائهم وان عليهم أن يدبروا أمرهم.

وكتب أحد الاكراد وهو صديق لآمر ازاد الأرمني اليه يقول: «ان المعروف الذي صنعتموه نحوي قديماً لن أنساه ما حييت، ولذا أوصيكم أن تحزموا أمركم في هذه الأيام. ان قائمقام شاداخ بحجة التجنيد سيذبح جميع الأرمن، وقد أصدر الوالي جودت أمره الى رئيس عشيرة الكيراوبين لبزكين ان يبقى في قضاء هايوتس تسور ليتشبث باخلال الأمن في شاداخ، وقد دعيت الى هنا لمحاربتكم عشائر بزدنيان وأصدرت الآن الأوامر الى عشائر خليلان وخوشدينان وبرواري ونوردوز بالالتحاق بالكيراوبين. لقد وزعت الأسلحة على جميع الأكراد. وأخيراً ارجو كتم هذه الاسرار وعدم البوح باسمي». «بقيو كوسري»

هيأت الحكومة اذن كل وسائطها الوحشية الجهنمية لابادة أمة توارثت وطن أجدادها خمسة وعشرين قرناً. وقطعت جميع الطرق والمواصلات وانشأت المخافر العديدة في كافة أنحاء مدينة وان، ونصبت المدافع والرشاشات في نقط مختلفة من ضواحي المدينة واستولت على بعض المباني العظيمة كبناية القنصلية البريطانية والمدرسة الاعدادية الارمنية وكنيسة الارمن، وهكذا كشفت القناع عن سوء نواياها وكشرت عن أنيابها لتمزق بها الامة الارمنية اربا اربا، فانشأت الاحزاب الارمنية تاشناكسيون وهنجاك والحزب الديمقراطي على عجل وباتفاق الكلمة «الهيئة العسكرية الدفاعية» ووضعوا تحت

تصرفها جميع قواهم المادية والادبية ، وكانت هذه الهيئة مؤلفة من كريكور بلغاري وكازاك اراكيل من حزب تاشناكسيون وأرميناك بكاريان من الحزب الديمقراطي وكلهم من ذوي الماضي الجيد ومن الشخصيات المحترمة في الاوساط الارمنية . ثم تشكلت هيئة الاستخبارات وهيئة توزيع الاسلحة ملحقتين بالهيئة الدفاعية العسكرية ، وكان رئيس جميع هذه الهيئات آرام باشا ماوكيان .

وأذاعت هيئة الدفاع المنشور التالي الى كافة أمار(١) المناطق والنقط والمخافر الارمنية :

«بالرغم من حسن نيتنا ومساعينا للتفاهم مع العدو الذي يتعمد افناء أمتنا بموجب الادلة الموثوقة الثابتة لدينا ، فلقد فشلنا في توطيد السلام ، وها نحن مضطرون للنزول الى ساحة القتال للدفاع عن أنفسنا حتى آخر قطرة من دمائنا . ولكي نخرج من هذا النزال المهلك ونحن منتصرون ان شاء الله ، نوصي المحاربين أجمع بما يلي لتطبيقه حرفياً :

١) ان الغاية من نضالنا هي الدفاع فقط ، ولكن عند الحاجة حينما نرى ضروريا احتلال بعض المراكز الهامة وارهاب العدو فاننا لن نحجم عن ذلك .

٢) يجب على آمر المنطقة أن يطيع أوامر هيئة الدفاع العسكري ، وعلى أمار السرايا أن يطيعوا آمر المنطقة ، وعلى الكتائب ان تطيع آمر السرية .

٣) يجب الاقتصاد في استعمال الطلقات ، واستعمالها عند رؤية العدو وبعد التأكد من اصابتها .

٤) يجب على الكتيبة ان تطلق النار على العدو الذي أمامها ، ولا تضربه إن كان أمام زميلتها أو جارتها .

٥) لا يجوز للكتيبة تبديل موقعها الحربي إلا بعد موافقة آمر المنطقة ، ولا لآمر المنطقة ان يبدل منطقته إلا بعد استئذان هيئة الدفاع .

٦) السكر ممنوع قطعياً .

٧) يجب على ضابط المخفر أن يتجسس مراكز العدو ، وان يخبر هيئة الدفاع عن جميع حركاته .

---

١) امار : جمع آمر

٨) المهمل لواجباته يعاقب عقاباً صارماً ، أما الذي يترك الصفوف الحربية فيجرم جريمة كبرى ويعاقب أشد عقوبة ·

٥ نيسان ١٩١٥ هيئة الدفاع العسكري

وان - ايكسدان

وحينما كانت هيئة الدفاع العسكري تعمل على تنظيم خططها الحربية، كان الشعب يشكل من تلقاء نفسه هيئات مساعدة للدفاع، وكان مما أنشأه «هيئة التموين» التي جمعت القمح والدقيق والسكر والنفط وحيوانات النحر لتأمين أقوات المحاربين في جبهة القتال ، وهيأت الافران لتجهيز الخبز وجمعت الاعانات النقدية . وكان الشعب يقدم من تلقاء نفسه كل ما يستطيع تقديمه ، وتشكلت كذلك « هيئة جمعية الصليب الاحمر » من السيدات لاسعاف الجرحى ، ووزعت الضمدين والجراحين وناقلي الجرحى والخدم والممرضات على جميع مناطق الجبهة، وفتحت مستشفيات عدة وجمعت الادوية والعقاقير من المذاخر الطبية والصيدليات ، وأهدى الشعب السرائر والوسائد والمناشف والاغطية والبطانيات وما الى ذلك، وتشكلت افواج الاستحكامات وحفر الخنادق، ووهب الاطباء انفسهم للخدمة المقدسة ، وقدم الاميركان للصليب الاحمر الارمني مستشفاهم وصيدليتهم وشارك في خدمات الصليب الاحمر الاوانس والمعلمات وطلاب المدارس وطالباتها وكل من لا يتمكن من حمل السلاح ، وجرت الترتيبات والتشكيلات عينها في شاداخ وبساندشت وسائر الاقضية .

كانت استعدادات الطرفين قوية، وكان الاتراك يضيقون حلقة حصارهم والارمن يقوون مراكزهم الدفاعية وقد احتلوا جميع النقاط التي كان يحتمل هجوم الاتراك منها، ولقد عين أمار المناطق ومساعدوهم فلكل منطقة عامل وجاسوس ومراسل واحتياطي من الجنود ومتطوعون في الصليب الاحمر .

## حرب ايكسدان

في ٧ نيسان ١٩١٥ أطلق الاتراك النار في منطقة اوربات ارو ، واشتركت في

المركة الجنود النظامية بمدافعها الجبلية والصحراوية ، وبعد مصادمات عنيفة ساعة من الزمن اشتدت حملات المدفعية من الجهات الاربع وكانت القذائف تتعدى الاستحكامات الى الاحياء والازقة ومباني الاهلين . وتهدمت الاسوار والخنادق ، وكان المدافعون الارمن يحاربون في اغلب الاحيان من وراء الصخور او الكتل الهاوية الى الحضيض او الخنادق الترابية . ولقد احرقوا الدور الواقعة قرب خطوط الدفاع الارمنية ، وأرغموا الارمن على تبديل مراكزهم بغير انسحاب . وظلت المعارك حتى المساء، وعند الغروب سكتت المدافع التركية لمدة نصف ساعة، ولكن الحرب كانت مستمرة في المراكز الحكومية بوان (١) بين الارمن والمعتدين ، وكانت النار الناشبة من جراء الحرائق تضيء اثناء الليل مسافات بعيدة من ساحة القتال . وفي هذه الفترة من السكوت أصلح افواج الاستحكامات الخنادق والاستحكامات بثلاثمائة عامل أحضروا لهذه الغاية، وعند انقضاء نصف الساعة بدأت الحملة الليلية بكل شدتها فصمد المدافعون لها غير هيابين ولا متزعزعين ، وهلعت قلوب الاطفال والشيوخ والنساء واستبد بهم الفزع وتوقع الرجال تضعضع المقاومة بين آن وآخر، ولكن ظنونهم وتخميناتهم كانت خاطئة اذ أصبح الصباح ورأوا سلامة جميع الاستحكامات وأفراد الافواج المدافعة . أما الاتراك فقد فقدوا في هجماتهم العنيفة ما بين ٧٠ و ٨٠ جنديا وفروا من وجوه المدافعين ، وعزفت اوركسترا الامة الاناشيد القومية ابتهاجاً بالنصر المبين (٢).

---

١) ان بين ايكسوان ومركز ولاية وان مسافة تقارب ستة كيلومترات حيث تأتي قلعة وان الشهيرة .

٢) في اليوم الاول من المصادمات نشرت هيئة الدفاع العسكري ( الارمنية ) نداء الى الشعب التركي هذا نصه : « الى مواطنينا الاتراك: ان الوالي جودت المتعطش الى الدماء بعد ان سفك دماء عشرة آلاف جندي ارمني بغير سبب مبرر يريد اليوم ان يزيد في جرائمه جريمة سفك دماء اهالي وان، ولذلك سحب قوات الحدود ليغير بها على هذه البلدة الامنة ليبيد شعبها الارمني . اذكروا جيداً قوله ان لي جواداً واحداً في هذه الديار ، وهو يعني انه يستطيع الهرب بعد افناء الامنين ! وسيتركم انتم واولادكم واحفادكم الى العدو القريب بعد ان يفتح هاوية بين امتينا وانكم ان واقتموه فستقوت بأنفسكم الى مواطن الهلكة وتضعون على كواهلكم مسؤولية عظمى انتم في غنى عنها ، فاذا اردتم سلامة الوطن فانهضوا وقولوا لجودت : « ان الحكومات موقتة ولكن الامم باقية » ، وقولوا له ايضا : « انت ضيف وسنعيش نحن في هذه المملكة متحدين »

في الثامن من نيسان ١٩١٥ شدد الاتراك هجماتهم من بناية القنصلية البريطانية ، وكان هذا المكان يهدد مراكز الأرمن ، فقرروا احراقه ، وتقدم بعض الفدائيين فرشوا على منافذه النفط بجهاز خاص وأضرموا فيه النيران بطلقات نارية وقنابل يدوية ،وحينما اشتعلت البناية واضطرت الجنود الى مغادرتها ، استقبلتهم الرشاشات الارمنية فحصدتهم حصداً . وقد خصصت هيئة الدفاع أوسمة حربية بالأبطال من المحاربين، ومنحت الكثير منها لأشخاص عديدين .

كانت خدمات افواج الاستحكامات في هذه المعارك عظيمة جـداً ، وكان يساهم في هذه المهمة الشاقة جميع الاصناف من ارباب المهن من نجارين ونقارين وحدادين وبنائين وعمال وبائعين وابناء ريف وغيرهم وغيرهم ، وكان هؤلاء المتطوعـون يعملون تحت وابل من النار حفظا لحياة اخوانهم المدافعين ليمضوا في الدفاع والمقاومـة .. وفي خلال ثلاثة ايام لم يفقد الارمن ولا شبراً واحداً من مراكزهم .

وكانت ثكنة حمود أغا مركزاً خطرا يهدد الارمن لوجود المدافع المنصوبة فيها ، وكان فتح هذه الثكنة بواسطة الهجوم صعبا جدا وكانت قوة ارمنية لا يستهان بها مشغولة بمقاومة هذه الثكنة ، لذلك قررت الهيئة العسكرية احراقها . وكانت المسافة بين ثكنة حمود اغا ومركز الدفاع الارمني ٥٠٠-٦٠٠ خطوة ، فقرر افـراد الاستحكامات حفر نفق من هذا المركز الى هذه الثكنة وأتموا العمل في اربعة ايام ، ثم وضعوا تحت بناية الثكنة مواد متفجرة وقنابل، وبعد اثنى عشرة ساعة انفجرت هذه المواد فنسفت تلك البناية الواسعة الضخمة وهلك فيها عدد كبير من الجنـود الذين كانوا فيها وقتـل الهاربون برصاص الارمن وأزيلت هذه النقطة الضارة من الميدان، وبعد ذلك هجم الارمن على المباني الاخرى من حمود اغا ونقلوا معهم جميع الغنائم من ذخائر واسلحة وما اليها وسلموها الى هيئة التموين .

وبعث هذا الانتصار النشوة والحماس في قلوب جميع الارمن من سكان وان ، ويبلغ عددهم ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ نسمة ، ونشرت الهيئة الدفاعية العسكرية البيـان التالي على الشعب :

« أيها الشعب الارمني : مضت على المعارك اربعة ايام ونحن ثابتون لم نتزعزع أمام العدو على الرغم من شدة قذائفه ومئات الالوف من رصاصاته وهجماته البربرية اليائسة ، فمن ايبجي اوغلو الى آرارك ومن خارج بوغوتس الى مركز حمود اغا تقف جنودنا باسلة منتصرة محتقرة الموت الذي يحوم فوق رؤوسنا .

« لن تخيفنا كثرة العدو ولا معداته ، بل ولا علمنا ان الموت مقبل علينا اليوم او غداً . نحن نريد ان نذوق الموت الذي هو محتوم علينا يوما . ونريد ان نثبت للعالم بان الامة الارمنية هي الارز النامي في اعماق آسيا ، وليعلم العالم ان الارمني يموت وسلاحه بيده ، يموت بين الخرائب والانقاض وعلى الهام والجثث !

« ايها القوم : النضال الذي بدأناه سنواصله حتى النهاية الى آخر قطرة من دمائنا بل الى ان يخذل العدو الوحشي ويولي الادبار !.

« مجد ما شئت بسالة جنودنا وته بها فخاراً ، ولكن لا تضع كل اعباء النضال على عواتق الجنود ، بل ليحرث كل في حقل عمله ، وليتشجع فالنصر حليفنا .

« ليس هذا الكفاح كفاح بقائنا فقط ، ولكنه كفاح عن الحق والعدل .

« فتشجع واستمر حتى تدرك ما كتبه الله عليك من نصر ، وانظر باعجاب الى ثكنات العدو المدمرة رغماً عن تفوق عدده وعدده .

« أنظر بفخر الى بطولة جنودنا وحسن بلائهم ، واستمد الى العمل والأمل عملاً تقسك الى ايام تنال فيها حرية قومنا وتستقبل عيدنا القومي الجديد » .

وان - ايكسدان　　　　　　　　الهيئة العسكرية الدفاعية

١٠ نيسان ١٩١٥

بعد احراق وتدمير ثكنة حمود اغا ، استأنف الاتراك حملات مدفعيتهم الشديدة وواصل الارمن عمليات الاحراق التي كانت تنزل بالعدو اضراراً بالغة في المال والانفس ، وترغمهم على الجلاء عن مواقعهم ، واثناء سرعتهم للفرار بأنفسهم كانوا يتركون انواع الغنائم وأخصها الاسلحة والذخيرة التي كانت تساعد الارمن على مواصلة النضال .

وفي أثناء احتراق المراكز التركية الهامة كانت الاوركسترا الأرمنية تعزف الأناشيد القومية ، وكان منظر النار في الليالي الظلماء يثلج صدور غير المحاربين من الأهالي. ولقد احترقت خلال ستة أيام «٧-١٣» نيسان عدة بنايات محصنة ومراكز هامة كشكنة حاج بكر واستحكامات وزوز وخاج بوغوس وشهبندر وايبجي اوغلو وغيرها .

وعند ابتداء المناوشات حاصر الأتراك دارطوماغيان المحصنة وعزلوها عن الاتصال بغيرها من المراكز الدفاعية ستة أيام، وفي خلال هذه الأيام دكوا حتى حجارتها وقاوم المدافعون الأبطال هجماتهم العنيفة بغير شكوى ، ولم يتركوا مراكزهم المهدمة بل دافعوا عنها بين خرائب الدار بدون أكل او شرب او نوم او راحة ، ودمرت الدار ثم أصلحت مراراً تقرب من العشر في خلال الأيام الستة ، وفي اليوم السادس وبواسطة الامدادات الآتية من الخارج فك الحصار وخرج المحصورون الأشاوس فخورين مسرورين.

أحرقت دار طوبال ملا وهي من اعظم الأمكنة التركية المحصنة ، وذلك بطريقة الغام ما تحتها بواسطة الانفاق ، وفي اثناء حريقها غنم الأرمن مقادير لا بأس بها من الاسلحة والعتاد الحربي . واحرق المقر العام للشرطة في ١٥ نيسان ١٩١٥ بوابل من نيران المدافعين ، ودمرت جميع مخازن العتاد والاسلحة فيه ، وكانت أصوات الانفجارات مرعبة تشوش صفوفهم . وفي ١٥ نيسان ايضا أحرقت عدة مراكز تركية مثل بججكه احمد ودار خولي ودار سارجيان وبوس طاغ وشماقودنيان واوتيل نالبانديان وغيرها ، ولقد ترك العدو خلال اشتعال النار في مراكزه واضطراره الى الفرار عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وكثيرا من العتاد الحربي .

وفي اليوم العاشر من الكفاح نشرت هيئة الدفاع العسكري البيان التالي :

« ان الكفاح القائم منذ عشرة ايام خلت لهو أقدس وأجل وأخلص كفاح في تاريخنا التحرري، ان العدو الجاني الخادع المتعطش الى الدماء ليريد محونا افرادا وجماعات أما نحن فقد قررنا الجهاد دفاعا عن حياتنا ومالنا وديننا وشرفنا وكيان امتنا .

ان نضالنا مع العدو المتوحش الذي يبغي امتصاص دمائنا ليرجع الى ستمائة عام

خلت ، وهو لكذلك اليوم مع جودت عدو الحضارة والحق وامثاله من المجرمين الأدنياء حثالات البشرية ، أولئك المجرمين الذين أعلنوا الجهاد ضد اعدائهم الخارجيين ثم وجهوا سلاحهم الى المسيحيين المواطنين لغير ما ذنب جنوه ، فذبحوا رجالهم ونساءهم ، شيبهم وشبابهم ، كبارهم وصغارهم !.

يا ارمن واسبوراكان ، انقضت على كفاحنا عشرة ايام ، بجهودنا ووسائطنا القومية المحلية حسب، هذا الكفاح الفذ في تاريخ الامة الارمنية الذي سيحرز، هذا الكفاح اعجاب جميع امم العالم المتمدينة في ايام هذه الحرب العالمية .

لير العالم اجمع كيف ان القلائل من ابطال امة صغيرة ينازلون دولة بكاملها في سبيل الحق والعدالة .

ليتردد الثأر في نفوس كماتنا وليشحذ همم ابطالنا وليذك نار الجرأة والاقدام في قلوبنا .

استعدوا للكفاح ولاحراز انتصارات جديدة .

وان : ١٦ نيسان ١٩١٥ — الهيئة الدفاعية العسكرية

## الاعمال الاجتماعيـــــة المثمرة

ان الهيئة الدفاعية العسكرية كانت قلقة من جراء ندرة الطلقـات ، وكانت هـذه الندرة معلومة لديها منذ أول يوم المصادمات ، وقد أوصت بالاقتصاد فيها ما أمكن الاقتصاد ، وقد أجاب كل مدافع الى هذه الوصية لانه كان يقدر أهمية القضية، ولكن أنى وقت كان القصد فيه جريمة لانه كان يعد انتحارا اختياريا .

ونظراً الى توسع الحرب وتضاعف هجمات الاتراك فقد كادت الطلقات تنفد فتوقع كارثة بالأمة . ولما كانت الحاجة أم الاختراع فقد أنشأ الأرمن معملا للبارود ينفث الدخان وآخر لا ينفثه ، وأنشأوا كذلك معملا للخراطيش ، وتشكلت في أول اسبوع من النزال هيئة فنية لهاتين الغايتين برئاسة البروفسور ميكائيل ميناسيان الاستاذ بدار المعلمين العالية وانضم الى هذين المعملين الصاغة والحكاكون والذين يسبكون القـوالب

والميكانيكيون مجتمعين ، وكان يشتغل فى كل معمل ٧٠ـ ٨٠ عاملا من الصباح حتى المساء بل وآناء الليل ايضاً عند مقتضى الحاجة .

وكانت خراطيش الطلقات التي استعملت فى النهار تجمع وتسلم الى المعمل لحشوها في الليل وتسلم الى المعسكر لتوزيعها ، وكان معدل الحشو ٣٥٠٠ خرطوشة يوميا . وكانت تستحضر المواد اللازمة لمعمل الطلقات من نيكل ورصاص ونحاس بصهر الاواني البيتية وسقط الآلات والأدوات الميكانيكية ، وكان واجب الأحداث جمع الخراطيش الفارغة وتسليمها الى المعلمين ، وانشيء كذلك معمل للاسلحة ولاصلاح العتيق منها .

وقد صب كريكور بلغاري أحد أعضاء الهيئة العسكرية الدفاعية مدفعاً ليقابل به مدفعية الأتراك، وعند استعماله ظنوا ان قوات الروس وصلت الى وان وان هذا المدفع هو من مدافعها .

وأنشيء معمل للاحذية وللالبسة لتجهيز المحاربين بها .

وبالنظر الى توسع النضال واحتشاد الأهالي في المدينة تأسست ادارة الشرطة لحفظ الأمن الداخلي ولحل المشاكل الموقتة ، وكانت مهمة الشرطة تنحصر في ما يلي :

١ـ منع التجوال والتجمع فى الأزقة لوقاية الأهالي من مقذوفات المدافع .

٢ـ منع نشر الاخبار كاذبة كانت ام صحيحة ومعاقبة المخالفين المتجاسرين .

٣ـ التحقيق فى الجرائم العادية ومعاقبة المجرمين ، وتقديم الجناة الى الهيئة العسكرية .

٤ـ معاقبة محتكري المؤونة والذخائر ومواد الاستهلاك الضرورية .

وتم في الحال تعيين مدير الشرطة وضباطها وأفرادها من الصف العالي من المدارس الاعدادية ، وكان السجن والنظام الداخلي والتدابير الصحية كلها تحت ادارة الشرطة .

وتشكلت ادارة البلدية لتنظيم الأسواق وتنظيف البلدة واعاشة المعوزين .

كذلك انشئت محكمة بداءة لحسم الدعاوي الحقوقية البسيطة والدعاوى الجزائية، وجمعية الاتحاد النسائي لنسج الجوارب وخياطة الملابس الداخلية واعداد الفرش وللغسل ولرقع الثياب الممزقة وتأمين حاجات المستشفيات ومعاونة النازحين من القرى اللاجئين

الى وان .

وكانت المنتميات الى الاتحـاد النسائي يجمعن المواد اللازمة للحاجات اليومية متنقلات من دار الى دار ومن محلة الى اخرى تحت تهديد القذائف التركية لا هيابات ولا وجلات وكان البعض منهن يؤدي وظيفة مراسلات والبعض يوزعن الحـاجيات الضرورية على النقاط الدفاعية وكان بعضهن يحملن السلاح ويتجسسن على مراكز العدو، وكن عند الحاجة يدافعن عن أنفسهن ، وكانت الآنسة « سيفو » أشدهن بأساً .

## شبح الجوع

لقد غصت ايكسدان (١) وان بالمهاجرين النازحين من قضائي ارجاك وهايوتس تسور ، فتغيرت أمور التموين لأن دخول ١٥٫٠٠٠ نسمة جديدة الى البلد جعل الوضع خطيراً جداً خصوصاً وان العلاقات الاقتصادية قطعت مع الخارج منذ ستة أشهر وفضـلا عن وجود ٧٠٫٠٠٠ نسمة ضمن هذه المنطقة الضيقة ، أضف الى ذلك كله ان الهيئة الدفاعية العسكرية وضعت يدها على أموال الشعب وجمعت الاعانات المتكررة باسم الجيش والتكاليف الحربية ، ففرغت خزائن البلدة وأطل شبح الجوع الرعب على الاهالي المحصورين من جميع الجهات ، وكان ايواء المهاجرين صعباً جداً كذلك لقلة المساكن والمآوي ، فقبل المصادمات كانت الدور والخانات قد امتلأت بقوافل المهاجرين الذين فروا من القرى المجاورة ، وفي بدء المناوشات انضم الى هذه الزحمة الأرمن القاطنون في الاحياء التركية من ايكسدان فلذلك كان تفشي الأوبئة الفتاكة أمراً لا يستطاع دفعه وكان احتمال المجاعة أشد منه هولا ، فهاجت أعصاب هيئة الدفاع امام هذه الكارثة ووزعت حالا المرضى والأطفال والنساء والعجز على العائلات الموسرة نسبياً ، وأنشأت ملاجيء للمهاجرين في المـدارس والكنائس والنوادي وفي سائر الاماكن العامة ، وجردت المرضى من السلاح وسلمته الى الذين يصلحون للخدمـة العسكرية ، وساقت الجموع المسلحة لحماية القرى المحدقة بالمدينة .

١) مدينة ارمنية في ضواحي وان

وتشكلت أفواج الاستحكامات من الشبان الاقوياء من المهاجرين ووزعت على المراكز الدفاعية لاستخدامهم في تهيئة الاستحكامات وتصليح ما أتلف منها ، وأعطيت الاوامر الشديدة الى هيئة التموين لتوزيع الاعاشات ، وجمعت اعانات مالية من المترفهين وأجبر أهالي ايكسدان على القصد في مؤنهم والاحتياطي المذخور لديهم ، كما اقتصد ايضاً في مخصصات المحاربين اليومية ، وأذيع نداء خاص على سكان الأحياء ليتبرعوا ببعض المؤن والمذخورات الى لجنة التموين فاجتمع لديها كل انواع المواد الضرورية للحاجات اليومية .

## الحروب في الاقضية

هكذا كان الوضع الراهن ، وكانت الحروب في الأقضية ماضية بكل شدتها ، وكان قضاءا شاداخ وباسين دشت على الأخص يدافعان ببطولة فذة عدواً يفوقهم بالعدد والعدد مجهزاً بالأسلحة الحكومية الحديثة وبالمدافع والرشاشات ، ولقد استطاع هذان القضاءان بفدائييها الشجعان تدمير الجسور والقناطر وتطهير المخافر المحيطة من الجندرمة والجنود واغتنام كثير من الأسلحة والعتاد والذخائر من العدو .

كان في شاداخ صموئيل ميمروبيان وديكران بغداصاريان وفي باسين دشت ليفون شاغوريان وقد تمكن هؤلاء بدهائهم العسكري من اشغال العدو مدة أربعين يوما على الرغم من قلة ذخائرهم ونقص أسلحتهم وازدحام قضائهم بالنفوس ، وفي هذين المركزين ايضاً دبر السكان أمر صنع البارود والأسلحة والمدافع ، واغتنموا بهجماتهم الخاطفة شيئاً كثيراً من المواد الضرورية ، وذهبت جميع محاولات العدو لافناء الأرمن في القضاءين أدراج الرياح وكانت كل حملة من حملات العدو تكلفه أضراراً بالغة ، وهذا ما يقوله قائمقام شاداخ في أحد كتبه الى الوالي جودت :

«جرح أمس المدعو جلك بطلقة من موقع اوهان أفندي . المصادمات مستمرة بغاية الشدة حتى الآن ، واطلاق النار شديد على دائرة الحكومة حياة الموظفين الاتراك في المحلة الفوقانية في خطر عظيم ، ووضعيتنا حرجة للغاية إلا أننا ثابتون في مواقعنا .

لم يبق لدينا إلا ١٢٠٠ طلقة فقط ، ولاجلاء هذه الشرذمة عن مواقعها فنحن بحاجة قصوى الى تعزيز قوتنا بقوة أخرى لان قوتهم تزداد يوما بعد يوم وذلك بدخول أفواج جديدة من القرى، أما قواتنا فهي غير كافية ، يرجى ارسال الامدادات سريعاً».

التوقيع : القائمقام حمدي

والى قائد الفرقة كامل بك :

« منذ ثمانية أيام ونحن نحارب العصاة في مركز القضاء ، وان شدة مقاومتهم العنيدة كسرت المعنوية الادبية لعساكرنا . لقد تحصن ٥٠٠ نفر من الفدائيين في دورهم فانضمت الى قواتهم الجديدة القرى المجاورة ، والزيادة مستمرة ، واذا لم نتمكن خلال بضعة أيام من احتلال بعض التلول المحدقة بالمدينة لم نستطع عمل أي شيء لنجاحنا ، لذلك فارسال المدفعية مع ضابط من ضباطها أمر ضروري انهم لا يعطوننا مجالا للاستعداد ، ولكننا مجدون للمحافظة على شرف الدولة» .

التوقيع : القائمقام حمدي

أرسلت المدفعية والامدادات المطلوبة الى حمدي ، فحاصرت قوات الحكومة المدينة ، ودافع الارمن المحصورون عن أنفسهم دفاعا مجيداً حتى الثامن من أيار ١٩١٥. وبهجوم سري خاطف مسلح قام به الارمن انفرطت حلقة الحصار فكانت سبباً لفرار العدو ، ثم خرج المجاهدون من مراكزهم وطاردوه الى مسافات بعيدة ، فقرعت أجراس الكنائس ابتهاجاً ، وأقام ١٥ الف شخص في شاداخ و ٦ آلاف آخرون في باسين دشت المهرجانات احتفالا بنصرهم .

وكانت خسائر الاتراك في القضاءين لا تدخل تحت حصر ، وأبلغ المراسلون خبر نصر الأرمن الى قائدهم العام آرام باشا .

## دفاع مدينة وان عن نفسها

كان الشعب الارمني يكافح في ايكسدان ، وقد أحرز انتصارات باحراق ثكنة حمود أغا وبناية القنصلية البريطانية ومقر الشرطة العام وثكنة جامع بكر ، هذا من

جهة ، ومن جهة أخرى فان الارمن الذين فى مركز مدينة وان استمروا على جهادهم بعـزم وقوة عجيبين ، وقد قسمت هيئة الدفاع الارمنية المدينة الى أربعة مراكز دفاعية : (١) منطقة باب تبريز (٢) منطقـة تكاليف حربية (٣) منطقة يازمالو (٤) منطقة انبار . أما مركز القيادة العامة فقد كانت دار المطرانية ، أما مناطق هجوم العدو فكانت الجوامع والمآذن والثكن العسكرية والقلعة القديمة لمدينة وان ، وكانت جميع هذه المواقع مشرفة على مراكز الدفاع الارمنية فضلا عن تفوق العدو لحيازته المدافع المديدة والرشاشات الكثيرة .



قلعة وان

ابتدأ هجوم الاتراك على مراكز الدفاع الارمنيـة فى وان فى نفس الوقت الذي بدأ فيه الهجوم على ايكسدان فى ٧ نيسان ١٩١٥ وأخذت نيران المدفعية تنصب من قمة القلعة ومن جوانبها عندما هجم المشاة في الصبـاح ، ودام الضرب حتى المساء . وكان دفاع الارمن قويا ، وقاموا بحملات شديدة ولم يدرك العدو شيئاً من النجاح وترك فى الساحة ٦٠ قتيلا و ٨٠ جريحاً ، ولقد سجل الارمن فى ذلك اليوم نجاحا باهراً باستيلائهم على بناية تكاليف حربية التي كانت مطلة على المراكز الدفاعية الارمنية ، وأحرق صبي أرمني لم يبلغ السادسة عشرة المحاكم المدنية الواقعة فى خان جيد جيان فاشتعلت جميع الوثائق والسجلات ، وهجم الارمن على دائرة الكمرك وعلى البرق والبريد وعلى البنك العثماني ورئاسة الصحة ، وباستيلائهم على هذه الدوائر أبادوا أفراد حامياتها البالغ مجموع أعدادهم ١٢٠ شخصاً بالقنابل اليدوية ، ثم واصلوا هجماتهم على مخزن تجهيزات المعدات الحربية

وعلى دار المعلمين ومركز الشرطة وأحرقوها جميعاً ، وهكذا فقد العدو مراكز هامة حلال بضعة أيام ، وكان أعظم نصر أحرزه المدافعون هو تدمير مذخر الاسلحة والممدات وقد احترقت فيه الاسلحة الاثرية العتيقة والاعلام التركية التاريخية والادوات الحربية النادرة وجميع الاسلحة والذخائر الاحتياطية التي أعدت لابادة الارمن .

بعد النجاح الذي ناله الارمن في ايكسدان باحراق عدة ثكن ومبان واسوار ، والنجاح الذي ناله ارمن وان باحراق واحتلال المراكز الهامة ، كتب الوالي جودت الكتاب التالي الى اسبيرطوني القنصل الايطالي :

« عزيزي السيد اسبيرطوني :

« ان العصاة الارمن بحصولهم على بضعة الايام التي نالوها بوساطتكم قد أتموا استمداداتهم لتطبيق سامهم . وفي نهار الاثنين قتل جنودهم الذين لهم اشارات خاصة على زنودهم والذين يتغنون بأناشيدهم خفير ثكنة حمود اغا ، وقطعوا الخط التلفوني وهجموا على دائرة البرق الواقعة في خاج بوغوتس فاحتلوها ، وقد قابلتهم كتائبنا طبعاً باطلاق النار عليهم ، واخيراً علمت ان الاختلال عام ، فلذا أمرت ... والمعركة الآن ناشبة في كل مكان ... وفي نفس مركز وان أحرق القرويون المدججون بالسلاح جميع دوائر الحكومة والسوق ، ولقد استعملت منتهى الصرامة لكيلا ينال احد منهم وطراً ، والشدة نفسها سأمارسها مع اولئك الذين جسروا على تدمير ثكنة حمود اغا بالقنابل ، وخرجوا فرحين وموسيقاهم تعزف اثناء احتراقها ! وسأمحقهم جميعاً ان شاء الله .....

« أحرق العصاة ليلة امس دائرة الديون العمومية مع البنك العثماني ودائرة الكمرك ثم هجموا بقنابلهم اليدوية لتدمير دائرة الحكومة ، غير انهم نكصوا على اعقابهم بضغط قواتنا .

« أبيد جميع المخلين بالأمن من قبل سرياتنا (١) اولئك الذين هاجموا الجندرمة

---

١) ان الذين أبادتهم سرايا جودت كانوا من الاهالي العزل وقد أفنوهم في الطرقات والقرى ، ولقد قاومت شاداخ حتى جلا الاتراك عن واسبوراكان .

والموظفين يبغون قتلهم . المتحصنون في بعض النقط محصورون من قبـل قواتنا ، واني لمنتظر بفارغ الصبر وصول نبأ ابادتهم ، وسوف تقـترب اليهم قطعاتنا المتقدمة من باشقلعة وساراي ، لتنكل بهؤلاء العصاة قطاع الطرق ، وكلي أمل باننا سوف نفنيهم عما قريب ... » .

١٠ نيسان ١٩١٥ الوالي جودت

جواب القنصل الايطالي على كتاب الوالي جودت في ١٠ نيسان ١٩١٥ :

« سيدي صاحب السعادة :

« بمزيد الشرف تلقيت كتابكم بالامس ، وانني آسف لاقتناعكم بان وساطتنا لديكم كانت فرصة لكسب الفوضويين الوقت ، ولكنني أطمئنكم بان جل رغبـتي وأقصى أملي من مراجعتي اياكم انما كان تقديم خدماتي الى الحكومة والشعب معاً للحيلولة دون وقوع الحوادث المحزنة الجارية الآن . وحين ملاقاتي مع سعادتكم تشرفت ببيان الوقائع المؤلمة التي وقعت كما ذكركم بها المسيو آيسبيري في كتابه عن سوء فهم « الملي » أوامركم نقطة فنقطة ، وعن خبث نياتهم . ولكنني واثق استناداً الى ما عرفته من صلتي بكم منذ اثنى عشر عاما كما لا يخفى على جنابكم العالي ، واطلاعي على احساسكم السامي بحب البشرية ، انكم ستتمكنون تبعاً لتجاربكم الشخصية من ايجاد حل ملائم ، وستقدمون اقتراحا يلاقي القبول من العنصر الارمني .

أما اقتراحكم بنزع السلاح وتسليم النفس بلا قيد ولا شرط فانا قانع بانه عقيم لا ثمرة له . ولقد حمل الارمن السلاح لما ثبت لديهم ان الحكومة بتجريدهم من السلاح انما تنوي ابادتهم بحجة أخذهم للجندية ، ولذلك قرروا - دون انتظـار عون من الروس - الدفاع عن انفسهم . واني ليؤسفني جداً مصرع الجنود الذين لقوا حتفهم من جـراء احتراق القنصلية الانكليزية ، ولكن حسب المعلومات الموثوق بها التي تلقيتها ان الجندرمة الذين كانوا في الخفارة هم الذين بادأوا باطلاق النار دون ان يقع عليهم هجوم من الخارج .

ومن واجبي ان اخبر سعادتكم بسقوط قذائف المدفعية وانفجارها في دار القنصلية

الروسية ، ولقد أصابت خمس طلقات قنصليتنا .

وان : ١١ و ٢٤ نيسان

القنصل الايطالي

اسبير طوني

وفي ١٧ نيسان كتب الوالي الى اسبير طوني :

« الى اسبير طوني افندي

« تلقيت كتاب تهنئتكم بجلوس السلطان . اشكركم .

« ان قطعاتنا المتقدمة من بتليس وكاركار دائبة على تأديب قطاع الطرق وحماية القرويين المطيعين (١) ، أما القطعات المتقدمة من تبار فانها أبادت العصاة المتحصنين في ديرامير حتى وصلت الى قرية آلور ، وقد سلم سكانها القرية وضواحيها لاطاعتهم (٢) كما سلمت قرية آوانس لخضوعها التام (٣) .

أما جيشنا المتقدم من سراي وآرجاك فانه يؤدب البلهاء العصاة الذين يحفرون الخنادق ويقيمون الاستحكامات ويعرقلون جنودنا (٤) ، أما العصاة الذين في قريتي طارمان وكولبانس فستؤدبهم اليوم ايضا العصابات المحتشدة في مركز وان ، وبحسب ما علمنا فان العصاة المتحصنين في الكنيسة الى جانب القلعة وفي دار المطرانية سوف يلقون عقابهم عما قريب (٥) .

---

١) تمكن قسم من القرويين في تلك المناطق من الالتجاء الى الزعيم ليفون شاغويان بياسين دشت وبعضهم الى لاطو ، اما الذين لم يتمكنوا من الفرار فقد حصدتهم سيوف الحكومة .

٢) لم تقم اية حركة عصيان في دير امير، غير ان الجنود الحكومية ابادت الجنود الارمن المستخدمين في افواج العمال فقط كما انهم ذبحوا السكان العزل الامنين . اما سكان آلور فانهم لجأوا الى جزيرة ليم في بحيرة وان ، والذين لم يتمكنوا من الالتجاء اليها لجأوا الى آمر شيرين ، اما الذين اوقعهم سوء طالعهم في الالتجاء الى الحكومة فقد نحروا نحر الجزور .

٣) نجا سكان هذه القرية عند هزيمة الاتراك . ولكن في اللحظة الاخيرة عبر جودت وحاشيته بحيرة وان بواسطة زوارق سكان القرية فافنوهم عن بكرة ابيهم ، وكان عددهم ١٥٠ نسمة .

٤) ان جودت يعتبر دفاع اهالي سراي عن حياتهم بلاهة ! ويرى ان الطاعة توجب ان يقدموا اجسادهم وما ملكت ايمانهم لقمة سائغة !

٥) ان المدافعين في نفس مركز وان لم يتأثروا من حملات الحكومة بتاتا ، وان ادعاء الابادة كذب محض .

« اما اصابة القنبلة لكنيسة الاميركان فهو اختلاق صرف لان الاميركان يريدون ان يتخذوها ذريعة للتعاون مع العصاة وليس لنا في ذلك شك .

« وترون ان النار تفتح على المتمردين في اراك وصاهان بيك لمنع هجماتهم عن الاحياء التركية ، وحينما يبدأ الهجوم العام على اولئك المجرمين الذين يأملون مجيء الروس فيتمردون ولا يقدمون الخضوع فسيضربون اينما كانوا ولو لاذوا بعيتم اس بكاني او ميتم الماني ليتخذوا منها مكانا يتحصنون فيه ، وسنسعى الى اخضاعهم وتأديبهم والتنكيل بهم وسنصفي الحساب معهم باذن الله .

« صودرت في ديار بكر اسلحة كثيرة وقنابل يدوية عديدة ، وأخبر الاهالي عن الثوار « الكوميتاجيين » فقبض عليهم ، وانتهت القضية بهدوء . اما اهالي وان فسيلقون جزاء خدماتهم الى العصاة وآمالهم بقدوم الروس .

« يؤسفنا جداً ويؤلمنا منظر الأشلاء الممزقة بالقذائف على بيوت مركز وان(١) ولكن من واجب الحكومة مكافحة اولئك العصاة الذين يتآمرون عليها ولا يطيعونها ويخضعون لها » .

وان ١٧ نيسان ١٩١٥ الوالي جودت

جواب القنصل الايطالي اسبيرطوني الى الوالي جودت :

« سيدي الافخم :

« أتشرف باخباركم بانني تسلمت كتابكم امس ، وقد وجدت من المفيد ان أوقف عليه بعض الاشخاص المسؤولين (٢) .

« يستبان من كتابكم ان الاهالي المسالمين يفيدون من حماية الحكومة وحسن نواياها ، ولكن - مع الاسف - ان الاخبار التي تلقيناها لا تؤيد ذلك فقد وقعت مظالم واضطهادات ومجازر على الاهالي المطيعين الوادعين نزعت ثقة الارمن من أساسها بالحكومة واصبحوا يتوقعون قيامها بالمذابح العامة حسب منهاج خاص ، فكان هذا

---

١) كذب صريح ، ومتى كان الوحش يتألم من منظر الفريسة التي مزقتها براثنه وانيابه؟

٢) اطلع اسبيرطوني ارام باشا القائد العام لهيئة الدفاع العسكري على كتاب الوالي جودت.

سبباً في دفاعهم عن حياتهم .

« اما اصابة القنبلة للكنيسة الامريكية فهو أمر مؤكد وحقيقة لا غبار عليها ، وقد أجريت الكشف بنفسي واطلعت ، وأطمئنكم بان الامريكان محافظون على حيادهم التام في النضال الحاضر » .

وان القنصل الايطالي اسبيرطوني

ان أهم ما يسترعي الأنظار في كتابي جودت هو هذه الأكاذيب والافتراءات التي لفقها لالقاء التبعة على الأرمن ، وقد فندها القنصل في كتابيه .

العشرة الثانية من ايام الكفاح في ايكسدان

في ايام ١٦و١٧و١٨ من نيسان استمر العدو يضرب جميع نقط الدفاع الأرمنية بمدافعه دون انقطاع ، وبلغ عدد قذائفه ٤٠٠ ، وقد ضربوا غير هذه النقط كالشوارع والاحياء والكنائس وجميع أطراف البلدة فسببوا مقتل ١٠-١٥ نفساً من الاطفال والنساء الذين كانوا خارج دورهم ، وحمل مشاتهم وأجبروا المدافعين على الخروج من استحكاماتهم التي دمرتها القذائف ، وتقابلوا مع العدو فالقوا عليه القنابل اليدوية وقارعوه بالسلاح الابيض فانسحب الى مراكزه الاولى بعد ان فقد ٦٠-٧٠ قتيلا .

وتهيأ الاعداء يوم ١٩ نيسان لحسم القضية نهائياً فكانت مدافعهم تلعلع بغير انقطاع، وقد ضيقوا الخناق على المدافعين بزيادة المدافع والمشاة وبتأليب العشائر المسلحة التي أقبلت من بتليس ومن سائر الولايات ودمرت جميع التحصينات والخنادق فاضطروا الى ان يحاربوا بين الخرائب حربا تفوق طاقتهم ، وبذلت أفواج الاستحكامات جهوداً جبارة لاصلاح ما خربته يد العدو وكانوا يعملون تحت نيران العدو الحامية ساكتين هادئين مستهينين الموت ورسله ، فكان الاعداء يطلقون باستمرار والمدافع تقذف بغير ما رحمة والعامل يرمم الخراب . ولما رأى جندالترك الخراب الشامل في المراكز الدفاعية الارمنية غادر مراكزه وخرج الى الساحة المكشوفة للهجوم على المدافعين الذين صاروا بلا ملجأ، فقابلوا مدافعه بالقاء القنابل اليدوية ، وعلى الرغم من الضحايا والاضرار التي

أنزلوها بعدوهم فقد استمر على هجومه غير ناكص ، وحين ضاق به الحال لجأ الى جناح المراكز الأرمنية فغدا الارمن في خطر ولما رأى أشاوس الارمن سوء المنقلب بعد ان احترقت الحوانيت المجاورة لهم بيد الاتراك ، انسحبوا من بين النيران ليجدوا مراكز جديدة ، وفي الحين وصلت قوة عززت المدافعين ، فاشتدت الحرب بكل ضراوتها وانسحب الاتراك خوفاً من التطويق ، وأطفأ الارمن الحرائق عند فرار العدو .

وبعد بضع ساعات بدأت حملة المدفعية على جميع نقط الدفاع الارمنية ، ولكن الارمن كما سبق لم يتزحزحوا شبراً واحداً ، واستمروا على بناء الاستحكامات واكملوا مهمة ترميم وتعمير الدور والحصون أثناء الليل ، وفي هذه المرة وقعت قذائف عدة على الاماكن الالمانية والامريكانية .

وحينما رأى الترك عزم المدافعين وثباتهم في مراكزهم شنوا هجمة تحت قيادة زعيم تركي بمائتين من الخيالة وثلاثمائة من الاكراد والافواج النظامية يصحبون معهم خمسة مدافع ، وقاوم الارمن كعادتهم مقاومة باسلة فقتلوا الزعيم وكثيراً من الجنود والاهالي ، ولكن الاتراك أصروا على هجماتهم واقتربوا من مراكز الارمن ، ولما رأت القيادة الارمنية الخطر المحدق عززت المدافعين بقوة حولتها من مراكز اخرى الى تازه كهريز مركز المقاومة تحت قيادة كابراك اراكيل وارميناك يكاريان ، وبهذا التعزيز ارتد العدو تاركا ٤٠-٥٠ قتيلا . ولقد امتاز في حرب تازه كهريز الشاب كيراكوس ببطولته فمنح وسام صليب الحرب . وفي حروب تازه كهريز ترك الترك مراكزهم المحتلة قبل اثني عشر يوما تحت ضغط القوات الارمنية . ورمم الارمن اثناء الليل جميع الاستحكامات في تازه كهريز وربطوها بعضها ببعض بمسالك تحت الارض .

وكانت الهجمات في وان مستمرة بمنتهى الشدة ضد المدافعين ، وكانت أصوات المدافع في ايكسدان ووان تختلط وتتجاوب بها الاصداء . وفي ١٩ نيسان استعملوا جميع قواتهم وتصاميمهم الحربية لكسر دفاع الارمن ولكن ذهبت جميع محاولاتهم سدى ونشرت هيئة الدفاع العسكرية البيان التالي :

« الى الكتائب والسرايا والافواج في ايكسدان :

« ايها الرفاق المحاربون : يئس العـدو من جراء حملاته الفاشلة منـذ ثلاثة عشر يوما ، وهو اليوم يحاول القيام بهجوم عام في جميع الجبهات ، وبهذا أيضا يثبت عجزه وظفرنا المجيد ، لقد ترك ٤٠ قتيلا وسوف ينهزم مذعوراً من نيراننا الحامية . هـذا الهجوم هو الهجوم الاخير اليائس فاحزموا أمركم على مقاومته بكل بسالة وبطولة .

« تشجعوا أيها الرفاق ، واحتفظوا بمراكزكم بكل اتقان . اقتصدوا بالطلقات وصوبوها الى الهدف » .

ايكسدان ١٩ نيسان — الهيئة الدفاعية العسكرية

## ٢٠ و ٢١ نيسان

بلغت هجمات الاتراك في هذين اليومين أقصى شدتها فقصفوا بمدافعهم منطقة ارارك التي كانت مركز الدفاع الارمني وهي جنوب شرق مقبرة الارمن ، إلا ان الارمن بعد أن قتلوا جنديين من الجنود الموكولة اليهما مدافع العدو ، تمكنوا من اسكات مدافعه مدة غير قليلة . ثم سلط العدو على استحكامات ساهاكيك وطوقميان مدافعه وأصلاها اكثر من مائة قذيفة ، واستعمل الارمن مقابل ذلك القنابل اليدوية بنجاح ، وحاول الاتراك احراق بعض مراكز المدافعين ولكنهم انسحبوا فاشلين بعـد ان خلفوا وراءهم قتلى وجرحى ، وفي ليلة الحادي والعشرين من نيسان جرت وقائع دامية يائسة ودام القتال بالسلاح الابيض اكثر من ساعة ، وبمقاومة المدافعين العنيفة اضطر العدو الى الانسحاب .

وفي الساعة الرابعة ليلا أعاد الترك هجماتهم بواسطة جماعات كردية غير نظامية تمكنت من الوصول الى المراكز الارمنية المنهارة ، فاضطر الارمن الى استعمال جميع قواهم التي هي خارج الاستحكامات لمواصلة دفاعهم ، واندفعوا نحو الساحة المكشوفة بصراخ مرعب مدافعين عن انفسهم بالخناجر والمسدسات والقنابل اليدوية وحتى بالاحجار التي كانت تلقيها النساء ، وقتل من العدو عشـرون ومن الارمن اثنان ، واخـيراً انسحبت الجنود الكردية من بين البساتين والاشجار ، واستمر الاتراك على القاء قذائفهم بغيـة

جم قتلاهم ، ووقعت في كندرجي اضرار جسيمة من جراء القذائف التي أمطرها الترك على مراكز بوص طاغ وباپيار خاجيك ومينو . وفي كروم هوسيان شن الارمن هجوما مضاداً كلفهم غالياً ، ولما حل الليل حاول الاتراك القيام بهجوم معاكس ووقعت خسائر عظيمة بالطرفين اثناء المعركة ولم يحرز أحدها نصراً وانسحب الاتراك الى مواقعهم .

بيان الهيئة الدفاعية العسكرية عن المواقع التي جرت ٢٠ – ٢١

« شن العدو امس هجماته على جميع مراكزنا في الخط الشمالي الشرقي، وقد اشتبكنا معه داخل البساتين واستمر القتال طيلة النهار ، ثم انسحب بعد ان تكبد خسائر فادحة وتفيد المعلومات التي تلقيناها انه خسر ٦٠ جنديا . انفلق المدفع المنصوب على طبراق قلعة ذلك المدفع الذي كان يقصفنا بقذائفه دون انقطاع، وبانفلاقه قتل اربعة من جنود المدفعية ، وأسكتنا امس المدفع المنصوب قرب الكنيسة بعد القضاء على جنوده » .

في الثاني والعشرين من نيسان لم يحاول الاتراك القيام بأي هجـوم ، ولكنهم في المساء صوبوا النار الى خط الجنوب الشرقي من دفاعنا ولم ينالوا مأربا ، وقتل مدفعي واحد .

في ليلة ٢٢-٢٣ من نيسان أحرق الارمن مركزين مهمـين للاتراك وهما آداق وهمزا ، وذلك بحفر نفق تحت الارض وبالقاء قنابل الحريق . ومن جراء انفلاق المواد المتفجرة اضطر العدو الى الهزيمة تاركا معدات هامة من اسلحة وعتاد حربي كلهـا تفيد قواتنـا .

وتقول الاخبار الواصلة الى الهيئة العسكرية في ٢٣ نيسان ان الاتراك ينقـلون جنودهم دون انقطاع الى مراكز حاج بكر وهرر وباسن وهابوتس تسور، ويجري النقل على دفعات تتراوح كل دفعة بين ٢٠٠-٣٠٠ على استقامة طبراق قلعة وخوش كوديك، وشوهد من مركز الارمن المسمى داردانيل ان الاتراك نقلوا في٢٣ نيسان بواسطة ٦٠ - ٧٠ فارس مواد هامة مجهولة .

في ٢٤ نيسان كان مائة كردي غير مسلحين يمرون من أمام ثكنة حاج بكر مـع عشرين فارساً وكانوا محملين ومتوجهين الى وان ، كما شوهدت في ٢٣ منه حركة ذهاب

وايلب بواسطة الزوارق في بحيرة وان و كانت ثلاث سفن تسافر نحو ارجيش . وأشغلت هذه الحركات اذهان وظنون هيئة الدفاع ، ولما كان الأرمن محصورين تحت ضغط نيران المدفعية مقطوعين عن العالم الخارجي ، فقد كان من الصعب الوصول الى نتيجة مقنعة عن تلك الحركات التركية غير المعتادة ، على انهم حدسوا حدسين: (١) بناء على قيام وقائع مهمة في الجبهة التركية الروسية فلابد انهم كانوا ينوون الانسحاب (٢) انهم يريدون ليوهموا الأرمن ان هذه الحركات إن هي إلا مناورات عسكرية الغاية منها كسر دفاع ايكسدان بصورة نهائية . وصدق الظنان بعد يومين فظهر اولا ان الأتراك بهجماتهم المباغتة احتلوا المراكز الارمنية في شوشانس ، وثانيا ان الروس احتلوا ديلمان بقيادة الجنرال الارمني نظربكيان .

## العشرة الثالثة من أيام الدفاع

### ٢٦ نيسان - ٥ ايار

بعد احتلال مركزي شوشانس وارارك صمم الاتراك على حشد قواهم امام ايكسدان ومركز وان نفسه واختراق خطوط الدفاع الارمنيـة بحملات شديدة حاسمة قاموا بها بين ٢٦ و ٢٨ نيسان فاطلقوا النار والقوا القذائف دفعـات متقطعة ولم ينجم عن ذلك اية أضرار . وفي ٢٨ منه نصبوا اربعة مدافع على استحكام طبراق قلعة وقصفوا جميع مراكز الارمن قصفا مستمراً ، ولم تغن جهود المدافعين ودكت تحصيناتهم الى القاع ، وعند الظهر كانت مراكز ديرخاجاديريان وشيرويان وجانقيكيان وشيكويان وغيرها قد دمرت ، وحالف الحـظ الاتراك في وان اكثر من ايكسدان ولم يبق لدى المدافعين غير الشجاعة الكامنة في نفوسهم ضد أسلحة العـدو ومعداته من مـدافع وأسلحة اوتوماتيكية ومسدسات ورشاشات .

وتحت حماية المدافع دخـل جنود العـدو بالسلاح الابيض حتى داخل استحكام جانقيكيان . ومضت فترة من الزمن ظنت فيها القيادة العسكرية ان كل شيء قد ضاع وان العدو سيمشي على جثث المدافعـين الابطال وينتهي أمر الدفاع نهائيا ، ولكنها أخطأت الظن اذ خرج جميع المدافعين امام العدو لمقارعته شاهرين خناجرهم ومسدساتهم

وحاملين قنابلهم اليدوية ، ووقع من الطرفين قتلى ، ولكن أيا منهما لم يسلم ، ثم صوبت المراكز الارمنية المجاورة نيرانها على مركز جانتيكيان الخطر وانضم الى المحاربين كابراك اراكيل وكريكور بلغاري مع اعوانهم فانقلب الوضع لمصلحة الارمن .

ظل المهاجمون بين اربع نيران ، فارسل اليهم قواد مساعدون ، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول الى صف الحرب لشدة النيران ، وضيق الارمن على الترك الخناق وأرغموهم على الفرار الى مراكزهم تاركين وراءهم ٢٥ قتيلا و ١٤٠ جريحاً، وكلفت المعركة الطرفين غاليا ، وقتل من الارمن خمسة وجرح أربعة ، وقد قصفت جميع مراكز ارارك في ٢٨ نيسان والقي على مركزين منها فقط ٨٠ قذيفة ، وعلى مركز اغانيكيـان صبوا ٢٥٠ قذيفة ، وتعدت الحرب النهار الى الليل ايضا ودمرت جميع المراكز الارمنية أثناءه ولكن رجال الاستحكامات أعادوا تعميرها .

ولقد قتل في ٢٨ نيسان اكثر من مائة جندي تركي وما لا يقل عن هـذا العدد من الارمن ، ولكن هؤلاء حافظوا على مراكزهم وعلى شرفهم العسكري ولم يتخـلوا عن شبر واحد من الارض رغماً عن شدة المعارك .

وفي ٢٩ نيسان كان يعم جميع مراكز ايكسدان سكون غير مألوف ، فلم تصـدر أية بادرة من الاتراك ، وكانت تسمع أصوات المدافع العاملة في مركز وان . وفي اليوم عينه تحدثت النساء القرويات الارمنيـات بان الاتراك على وشك الانسحاب وترددت الاشاعة في أماكن عدة، وقيل ان قد شوهدت قوافل من الكرد والترك تولي الادبار في جهات مختلفة ، فاذاعت الهيئة العسكرية البيان التالي :

«أيها الرفاق: تفيد استخباراتنا ان القلق قد استحوذ على الاتراك وانهم يتركون مراكزهم الحربية ، فعليكم ان تتحصنوا في مواقعكم، ولترسلوا من كل مركز جنوداً ثلاثة لاستطلاع الحقيقة لتتبينوا هل ان الاخبار صحيحة اوهي مدسوسة لغشنا وتفكيكنا»

الهيئة الدفاعية

وبعد الاستطلاع والتجسس ثبت ان الاتراك باقون في مراكزهم ولكن أعدادهم قليلة بالنسبة الى السابق . وجوابا على التعقيبات الارمنية أطلق الاتراك نيرانهم بشدة

ولم يحتل الارمن أي مركز تركي . ولم يقع أي هجوم يومي ١و٢ أيار من قبل الاتراك وانما كانت مدفعيتهم تقصف جميع المراكز مع المنطقتين الامريكانية والالمانية .

## احصاء عسكري في ٣٠ نيسان

بعد المعارك العنيفة يوم ٢٨ نيسان قررت الهيئة العسكرية برئاسة ارام باشا اجراء احصاء للمواد الحربية والاسلحة والذخائر والمؤن لتحيط علما بمقاديرها، وتعهد ارام أن يقوم بالاحصاء بنفسه، وأتم ذلك في ٣٠ نيسان نظراً لهدوء ذلك اليوم ، وكانت نتيجته مقلقة للاسف : فالبلدة التي تضم ٧٠ الف نسمة المحصورة من قبل عدو قوي عات عنده ١٢ مدفعاً و٦ آلاف مقاتل ورشاشات وبنادق وطلقات لا تعد ولا تحصى ، هذه البلدة انما يحميها ١٠٥٣ جنديا و١٠٥٤ سلاحا ناريا من بينها ٥٤٩ مسدساً و ١١٣ر٩٢٣ رصاصة من ضمنها ٣٩ر٠٨٩ رصاصة مسدس، وبهذا العدد القليل وهذا العتاد الضئيل قابل الارمن عدوهم الجبار . وهذه الارقام تشرح لنا حرج موقف المدافعين وسمو شكيمتهم وشدة بأسهم .

كان الجنود الأرمن موزعين على خمس مناطق بقيادة تسعة امار ثمانية منهم من حزب تاشنا كسيون وواحد من الحزب الديمقراطي ، وكانت هذه المناطق الخمس مقسومة الى ٧٣ مركزاً كان ٤٩ قائداً فيها من تاشنا كسيون و ١٧ من الحزب الديمقراطي و ٥ من حزب هنجاك ، ومن بين ١٠٥٣ جنديا كان ٨٤٤ تاشنا كياً و ١٣١ ديمقراطياً و ٣٥ هنجاكياً .

## اليوم الاخير من حروب وان الدفاعية

كان الثالث من ايار عام ١٩١٥ آخر يوم من ايام النضال المجيد ، وفيه نصر المدافعون نصراً مبيناً وخذل الترك خذلاناً مشيناً .

في الصباح الباكر ابتدأ قصف ١٢ مدفعاً من ١٢ مركزاً ، فكانت قذائف المدافع تهزم جميعها سويا ، وسقطت على بناية الاميركان ٢٦ منها ، وقتل بفعل المقذوفات داخل المدينة ما يقرب من ٣٠ شخصاً من غير المسلحين وجلهم من النساء والاطفال والعجزة ،

ففزع الاهالي ، اما المدافعون فصمدوا ، وحين خفت شدة القصف طلب المدافعون القيام بهجوم معاكس ولكن لم يسمح لهم بذلك .

وفي الساعة الخامسة من اليوم نفسه تسلم هانيكوپس كتابا من امار المناطق فيه يطلبون السماح لهم بالهجوم على مراكز العدو اذ تأكد لديهم انه سينسحب اليوم من أمامهم وقبل ان تجيب الهيئة على هذا العرض علمت بان الجنود في بعض الاماكن قد خرجوا من مراكزهم وهاجموا الاتراك فاحتلوا ثكنة حاج بكر وغنموا مدفعين ، وتأثر الامراء بعضهم بعضاً وقرروا الهجوم دون انتظار أمر من القيادة العليا ، وبعد مصادمات عنيفة علت الصيحة من مركز كندرجي الكبير : « انهزم العدو ، انهزم العدو .. » .

وفي هذه الأثناء شوهد حريق في ثكنة طراق قلعة وقد أحرقها مدافعو هانيكوپس ، فقد قارعوا العدو ساعتين في معارك دموية حتى كسروه ونجحوا باحراقها ثم شن المدافعون حملاتهم على المخفر الواقع في قمة زمزم مغارة وبالرغم من مقاومة العدو اليائسة فقد أفلحوا في اجلائه وأحرقوا المخفر واغتنموا مدفعين .

حينما شوهدت حرائق ثكنة طراق قلعة وثكنة حاج بكر من مركز مدينة وان خرج المدافعون من تلك المنطقة التي فيها مراكزهم وارتقوا قمة قلعة وان التاريخية لكي يرفعوا عليها اللواء الارمني لواء التحرر وتحطيم أغلال الاستعمار .

وفي خلال أربع وعشرين ساعة أخلى الاتراك جميع المراكز ودوائر الحكومة وفر الوالي جودت من الانتقام الأرمني بعد ان هددهم ثلاثين يوما متعطشاً الى شرب دمائهم . وفي ليلة ٣-٤ ايار وفي يومي ٤و٥ منه ابتدأ النهب والحرق والتدمير ، وقد لبس المجاهدون قناع الدولة المستبدة الغاشمة ، ولم تستطع أية قوة بشرية ولا اي منطق انساني ايقاف حدة المدافعين او خضدشوكة شهوة الانتقام فيهم بعدان حوصروا اربعين يوما واحتشد عليهم ٧٠٫٠٠٠ نسمة صمدوا لهم ودافعوا دفاعا فوق طاقة البشر بذخائر قليلة ضعيفة ، فملأ أفئدتهم غيظ طبيعي دفعهم الى القيام بالتدمير والتخريب والنهب والسلب حتى ان عاد العدو ثانية لا يجد شيئاً يصلح لفائدته ، هذا فضلا عن ان الجيش الروسي ان تم له احتلال وان فهو سيصادر جميع ما غنمه المجاهدون الارمن بدمائهم .

ولقد ترك الاتراك عدا المراكز والمغنومات قدراً كبيراً من الأسلحـة والمعدات الحربية والأسرى من الاشخاص العزل من النساء والشيوخ ، وقد حاهم الارمن .

أقيمت مهرجانات عظيمة في وان خلال الايام الثلاثة الاخيرة ، ولكي نصف ابتهاج الشعب وحماسه ندرج بيان الهيئة الدفاعية :

« أيها الشعب :

لقد سلخنا الآن شهراً كاملا ، شهر كفاح ومجد ، شهر موت وانبعاث ، شهراً بدا إثره الربيع الزاهر الباهر للارمن .

قبل شهر حين أعلن العدو الحرب علينا وعلى الحضارة والعدل ، حملنا سلاحنا ورائدنا الايمان الراسخ باننا انما نكافح الظلم والجهل لنحق الحق والعدل ، ولذلك شعرنا في اعماق نفوسنا باننا سوف نغلبه .

أشهرنا سلاحنا واستقبلت صدورنا طلقاته وقذائفه التي كان يريد بها قصم ظهورنا الرازحة تحت الضيقات والشدائد ، وافناء عنصرنا الفذ وانزال الذل والهون بشبابنا الناهض . فصمدنا لجميع محاولاته وجاهدناه بنضالنا الباسل ولم نترك له شبراً من الارض ولا تخلينا له عن مركز واحد .

ان مقاومتنا العنيفة لقنت العدو درساً قاسيا ، وجعلته يعتقد اننا لا ننام على ضيم ولا نهاب كفاحا بل ولا نخشى موتا ، واننا ننشد الحرية ونكره الحياة مع الذل ، ولقد علمته هذه المقاومة العنيدة كيف يهزم الاقوياء العتاة فيصبحون اذلاء !

وهذه ثلاثة ايام ونحن في نشوة الظفر .. وها نحن واقفون معجبين بالحرائق الفتانة الناشبة في الثكنات وباطلال اوكار الجلادين الغلاظ القلوب .. نحن ثملون بالنصر وممتلئون ثقة بالعون الالهي منذ مئات السنين بان غاصبنا وسالبنا الذي يرهقنا ويضيق علينا مهزوم مغلوب .. وها نحن الآن نكيل لعدونا الصاع فننهبه وننزل به العقاب .

ان الاله العادل المنتقم هو الذي أنار عقولنا ، فاصغينا في اعماقنا الى آهات ونداءات رجالنا المذبوحين واطفالنا المحروقين في الاتاتين وعذارانا المسبيات يهيبون بنا

الى الثأر والانتقام . وها ان عظامهم الكريمة ترتاح اليوم في اجداثها ممجدة جهادنا .

والآن بعد مئات السنين يخفق العلم الأرمني على القلعة التاريخية فيفر الاستبداد لدى رؤيته اياها، وينهزم خوفاً من رصاص الجندي الارمني الذي ضحى براحته وامواله بل بنفسه وباسرته في سبيل قضيتنا المقدسة .

لقد جعلنا الحرية اساسا لجهادنا الباسل الذي كان يحلم به نوابغنا وعظاؤنا بل والشعب اجمع . ولقد ضحينا في سبيلها خلال ثلاثين عاما بملايين من الانفس ، وها هي الآن شمسها تشرق فتكلل قنن الجبال العظيمة في واسبوراكان السعيدة .

ليس اليوم عيد نصرنا حسب ، بل هو عيد الحرية الارمنية ، عيد انقاذ الامة من براثن الوحوش ، عيد رفع نير الاستبداد عن اعناق الارمن !

وان ـ ٦ أيار ١٩١٥ الهيئة الدفاعية العسكرية

## دخول افواج المتطوعين الارمن الى وان

في الخامس من ايار عام ١٩١٥ عندما أرسلت الشمس خيوطها الذهبية الى بحيرة وان ، دخل مدينة وان فوج من المتطوعين الارمن تحت قيادة الزعيم الوطني الشهير تاشناكان خيجو والزعيم الروسي اوزولي ، فاستقبل الشعب المجاهد برئاسة آرام باشا



دخول فرقة كايزاك الى وان

واعضاء الهيئة العسكرية الدفاعية هذا الفوج بمنتهى الحماس بالهتاف المظيم واطلاق المدافع من قبل المجاهدين ، وكانت الموسيقى تعزف الاناشيد الوطنية .

وبعد فوج خيجو دخل الجنرال طروكانايان بجنوده الخيالة والمشاة ، ثم أعقبه الجنرال الروسي نيكولايف مع القطعات الروسية ، وقد أستقبلوا جميعاً استقبالا حافلا ونثرت عليهم الازهار وحياهم المجاهدون التحية العسكرية اللائقة .

وأرسل الجنرال نيكولايف الى القائد الروسي الأعلى البرقية التالية :

« بفضل نصر الشعب الارمني المسلح الذى دافع عن وان شهراً كاملا تحت قيادة آرام ، انسحب الاتراك قبل ثلاثة ايام . كانت المدينة محترقة ، ولكن الأحياء الارمنية والقنصلية الروسية سالمة .

وعندما اقتربنا من المدينة استقبلونا باطلاق ستة مدافع غنموها من الاتراك وسلمونا مفاتيح القلعة . وأقام شعب وان مظاهرات ومهرجانات برئاسة المطارين والرؤساء الروحانيين ، وكان المدافعون والشعب يهتفون : ليحي ، ليحي » .

الجنرال نيكولايف

هكذا دخل الجيش الروسي وان بعد ان طرد المجاهدون الاتراك منها ، وبدلا من ان يلقى عدواً يقابله بالمدافع والرصاص فقد استقبله الشعب المتعطش الى الحرية بالهتاف والازهار ، وهنا اضطر القائد الروسي الجنرال نيكولايف طوعا او كرهاً ان يسلم ادارة مقاطعة وان الى أيدي الارمن وارسل لذلك ثلاث برقيات يطلب فيها تعيين آرام باشا والياً عاما موقتاً لمقاطعة وان الأولى الي الجنرال اوكانيوفسكي وقد تسلم عليها الجواب التالي :

« أوافق على تعيينكم وأصادق على اسناد وظيفة الولاية العامة المؤقتة لادارة مقاطعة وان الى آرام ، وهو الذى يشكل ادارة خاصة من الارمن ويستند الى قوة وطنية . ولقد أبرقت بذلك الى القائد العام وطلبت اليه تعيين ممثل روسي مؤقت لدى الادارة الارمنية ، كما أبرقت بذلك الى قنصل تبريز » .

الجنرال اوكانيوفسكي

ولما تسلم الارمن زمام الادارة بايديهم مع الاحتفاظ بسلاحهم اخذوا يتشبثون بالقيام بالاعمال المثمرة الجدية على الحياة الحرة المستقلة ، ووجه آرام النداء التالي الى الشعب :



آرام باشا روح الدفاع والاستقلال الارمني

« الى الشعب الارمني :

« أيها المدنيون : بتقدم الشعب الروسي الظافر فتحت صفحة جديدة امام شعبنا المحروم من حقوقه وأنيطت ادارته به . اليوم نهاية الظلم واضطهادات الاجيال ، وهو بداية الاعمال المثمرة المفيدة للامة الارمنية . لقد قدر الجنرال نيكولايف الجهاد الارمني الباسل لشل قوة الاتراك ثم تحطيمها ، وقد تفضل بكتابه المرقم ١٦ والمؤرخ ٧ ايار ١٩١٥ فعينني واليا لمقاطعة وان واقسامها الادارية وسائر شعبها . واليوم نظمت تشكيلات الشرطة والعدلية والرعية والبلديات وما الى ذلك ، وبهذا تلغى جميع التشكيلات الحكومية القديمة فيجب مراجعة الشعب الخاصة للجان الحكومة الجديدة في كل شأن ،

وعودة الاحوال الى مجاريها الطبيعية في المدينة والاقضية، وسيكون الشعور بالمسؤولية هدف الأمة الارمنية فتلتف حول الحكومة تائقة الى تنظيم حياة المدينة والاقضية عاملة على تحقيق آمال الابطال والشهداء منذ ربع قرن خلا ، وعلى اعلاء شأن الأمة ثقافيا واقتصاديا في هذه المقاطعات الاناضولية .

لقد وضع الجنرال الروسي ثقة عظيمة بي وبالشعب الأرمني ، فيجب علينا ان نثبت أننا أهل لثقته واعتماده ، متطلعين الى مستقبل سعيد » .

١٨ ايار ١٩١٥ آرام

الوالي العام لمقاطعة وان

## حكومة آرام

خلال بضعة ايام كون آرام بدهائه الفذ من العدم حكومة ذات منهاج اصلاحي انتاجي ، ووجه جميع القوى وكل الايادي العاملة الى ساحة الاعمال لا فرق بين قروي ومدني وساكن في وان او في ارمينيا القوقازية ، وبتوالي الايام قوى اسس حكومته وركزها فكانت نواة للدولة الارمنية الصغيرة التي امتد عمرها ٧٠ يوما فقط ثم انحلت بدسائس روسيا ومخاتلاتها ، على انها بدت خلال المدة المذكورة بكافة خواص الحكومة بتشكيلاتها الادارية والقضائية والرفهية وبشرطتها ومعارفها وغير ذلك ، وحينما كانت الحكومة الفتية الارمنية تتقوى ، كان الارمن من خارج تركيا يرسلون اليها المساعدات والهدايا الكثيرة ، وكانت وان وأقضيتها تكتظ رويداً رويداً بافواج المتطوعين الارمن تحت قيادة المجاهدين القدماء مثل وارطان وكيري وهامازاسب وسيبوه ، وبعد مدة يسيرة جاءها المجاهد الارمني الأعظم الجنرال انترانيك وجاءها اخيراً قاهر الاتراك في ديلمان الجنرال نظربكيان ، وهكذا اجتمعت في وان الشخصيات البارزة من امراء ومثقفين ممتازين وزعماء احزاب وشعراء وأدباء فكانت الحياة تسير في معارج السعادة والرفاهية .

## انسحاب ٢٠٠,٠٠٠ ارمني من مقاطعة وان

بعد تشكيل الحكومة المحلية والادارة المستقلة بكافة شعبها وفروعها ، وبالرغم

عن ارادة الارمن وقرارهم بالثبوت في وطنهم ومقـاومة جميع الطواريء أمر القـائد الروسي الاعلى في ١٨ تموز ١٩١٥ باخلاء وان ، وفي ٢٤ منه باخلاء أقضيتها من الارمن وبوجوب رحيلهم الى الخـارج ، وذهبت أدراج الرياح جميع محاولات حكومة آرام والقوادالمتطوعين الأرمن واصرارهم على البقاء ، ورفضت القيادة الروسية حتى تزويدهم ببعض المدافع والذخائر الحربيـة للدفاع عن أنفسهم بدون طلب عون روسـيا ، ثم ان الجيش الروسي العظيم شرع بحرق جميع المذاخر الحربيـة ، والاحتياطي الموجود في مسافات شاسعة ثم ينسحب من ولاية وان بجميع جيوشه ومعداته ، وكان على ٢٠٠٫٠٠٠ من سكان واسبورا كان ان يعبروا مضيق بركري خلال ثلاثة ايام والا وقعوا في فخاخ العدو ، فتوسل آرام والزعماء الآخرون بكافة الوسائل والطرق الممكنة للتخلص من هذه الورطة الجديدة المهلكة التي سببتها القيادة العليا الروسية ، ولكن لم توصـل جميع المحاولات الى المرام، فاضطر الشعب المسكين الذي أنهكه الجهد في دفاع طال ثلاثين يوما وهو محصور في المدينة ومراكز الأقضية ، اضطر ان يمشي على الاقـدم مائتي كيلومتر حتى وصل الى مضيق بيركري بعد ان أعطى ضحايا كبيرة بسيوف الاكراد وبالامراض الوبائية التي انتابته في ايكدير واجيازين ويريوان .

وهكذا نجحت السياسة الروسية القديمة نحو الارمن ، تلك السياسة التي كان هدفها «أرمينيا بدون أرمن» وهي سياسة لوبانوف اللعين ، وحينما كانت الفرقة الروسية تنسحب من وان بطريق جانيك ، كانت فرقة روسية أخرى تدخلها بطريق خوشاب !

وبعد الانسحاب الروسي ثبت للارمن أن دول الحلفاء باتفاق سري تركوا أرمينيا الى الحليف الروسي بدون رضا الارمن ، وكما دافعت وان عن نفسها دافعت شابين قره حصار واورفه وجبل موسى في سوريا مدة أربعين يوما .

وبعد أن انسحب الروس من مقاطعة وان وأجبروا الارمن على اخلائها ( تموز ١٩١٥ ) عاد قسم من الامة الى وطنه تحت رئاسة زعمائه ليفون شاغويان وكريكـور بلغاري وديكران بغداصاريان ، وشرعوا يعمرون الخرائب التي سببتها الحروب الدفاعية في نيسان . وفي عام ١٩١٦ عندما احتل الروس ولاية ارضروم بعون المتطوعين الارمن

انتعش أمل هؤلاء في الرجوع الى الوطن والبقاء فيه مجتمعين ، ولم يعلموا أن اتفاقا قد عقد بين الحلفاء ( روسيا وانكلترا وفرنسا ) لترك الولايات الارمنية الى الاستعمار الروسي ، وبنتيجة هذه الاتفاقية سرح الروس الجيش الارمني الذى كان تحت قيادة هامازاسب وايشخان آرغوطيان ، وسلمت ادارة المناطق المحتلة الى ادارة يشكوف



الجنرال ايشخان آرغوطيان
قائد الفرقة الثالثة للمتطوعين

الذى كان ينظر الى الارمن نظرة العدو، ولكن الارمن لم يأبهوا لمضايقاته وظلوا فى مناطقهم الى ان نشبت ثورة كيرنسكى عام ١٩١٧ .

الفصل الثاني عشر

# حالة أرمينيا بين ١٩١٧ و ١٩٢١

عندما ظهرت الحركة الانقلابية في روسيا في شباط ١٩١٧ قبض كيرنسكي « *Kereneski* » الثوري الاشتراكي الشهير على زمام الحكم بيده وخلع قيصر روسيا واعترف باستقلال ثلاث من أمم الامبراطورية الروسية هي فنلندا وبولونيا وارمينيا .

الا ان سلطان كيرنسكي لم يطل وافلت الحكم من يده بظهور البلاشفة ولما ظهرت الشيوعية في شهر تشرين الاول ١٩١٧ لم يستطع الشيوعيون نيل السلطة في القوقاز لأن الاحزاب السياسية فيه أبت الالتحاق بالشيوعية ، وكانت الاحزاب ذات النفوذ هي (١) الحزب الاشتراكي الدمقراطي في بلاد الكرج (٢) حزب المساواة في اذربيجان (٣) حزب تاشنا كسيون في ارمينيا ، واتفقت الاحزاب الثلاثة فشكلت الحكومة الاتحادية لما وراء القوقاز *Federation*

وكان الجيش الروسي الذي احتل الاراضي الارمنية في تركيا قد تسرب اليه الانحلال وألقى في الحال سلاحه وعاد الى دياره بتأثير الدعاوة الشيوعية ، لذلك كان أول عمل قامت به حكومة اتحاد القوقاز هو تشكيل جيش للمحافظة والدفاع عن الحدود من هجمات تركيا ، ولكن الاذربيجانيين لم يريدوا محاربة تركيا لانهم والاتراك من عنصر واحد ، أما الكرج فكانت تتبع سياستها السلمية الخداعية بالاتفاق خفية مع الاتراك ، ولذلك لم يبق للدفاع عن الحدود سوى الأرمن الذين بعد الهجرة الارمنية العامة (١٩١٥) من جراء النهب والسلب والمجازر خربت ديارهم ، وجعلت هذه الامور المؤلمة تفاهمهم مع الاتراك مستحيلا ، ولذلك قررت الامة الارمنية الدفاع عن كيانها باي ثمن كان وهذا ما صرح به المستر ونستن تشرشل اذ قال :

« في أوائل عام ١٩١٨ انحل الجيش الروسي في القوقاز وترك جبهة آسيا الصغرى ولم يعد لافراده من هم سوى العودة الى ديارهم ، وقد عادوا اليها فعلا . ولم يتقدم

الاتراك في تلك الجبهة حينذاك، الا ان الارمن بذلوا جهوداً يائسة للمحافظة على بلادهم فاحتشد العنصر الارمني الموجود في الجيش الروسي ونظم جيشا قوامه ٣٦٫٠٠٠ جندي وهو بقية ١٥٠ الف جندي كانوا قد أمدوا بهم الروس ، وبهذا الجيش تمكن الارمن من وقف تقدم الروس مدة ما » . ( The World Crisis : المجلد الخامس ١٩٢٩)

وأحيا هذا الجيش الارمني الحديث الذي كان فيه رشيم الدولة الجديدة التقاليد العسكرية القومية القديمة ، وأشغل جبهة حربية عامة ضد الاتراك تحت قيادة الجنرالين نظربكيان وانترانيك « غاريبالدي الارمن » والزعيم الركن موريلي ، فدافع هذا الجيش عن القوقاز شبراً شبراً في جبهة طولها ٤٠٠ كيلومتر ، وفي هذا يكتب الجنرال بريمون « Bremon » قائلا :

« ان البطولة التي أبداها الارمن لا يعرف عنها الا القليل من الناس ، ولكنها ليست بجديدة على التاريخ الارمني المجيد ، وهذه صفحة جديدة ناصعة يضمها الى صفحات امجادهم . لقد كانت بطولة ممتازة حقاً في جبهة وعرة المسالك لتشامخ جبالها وانعدام الطرق والمواصلات فيها وعسر تموينها وانقطاعها عن العالم الخارجي، وتفوق العدو القاسي عدداً وعدداً وعدم مد الحلفاء أيديهم لمعونتهم . انها ولا شك سجية قومية عليا » .

ويصف الموسيو هـ . باربي H. barbe المراسل الحربي لجريدة جورنال دى باري Journal de Paris هذه الحرب التي كان شاهد عيان لها فيقول :

« لقد كانت الحرب الارمنية التركية غير متعادلة الكفتين ، حيث كان الاتراك يفوقون غريمهم عدداً وعدداً، وظلت الحرب سجالا تسعة أشهر حتى أيلول ١٩١٨. وفي المواقع العنيفة التي نشبت في باكو كان الارمن منقطعين عن العالم الخارجي محرومين من مساعدة الكرج معرضين دوما الى هجمات الاكراد والتتر ، ولكن هذا العنصر الشجاع الفذ ناضل بكل حماس وبطولة لا بقصد غلب الاتراك بل لمنع تقدم جيشهم الى داخل البلاد ، وكان الامل بالفوز المظيم يملأ أفئدته ».

دافع الارمن عن أذربيجان في شباط ١٩١٨ وعن حمى ارضروم في آذار، وقدم

الاتراك خيرة قواتهم على جبهة أرمينيا أملا فى تطبيق منهاجهم البانتوراني . ولم تقم القوات الانكليزية المحتشدة في جبهة العراق وايران بواجبها نحو الارمن ، فقد كان الامل ان تمد الارمن الذين كانوا يحمون جبهة القوقاز في وان وأرضروم بامدادات تبعث بها عن طريق لواء الموصل ، ولكنها لم تفعل . لذلك كان الضيق يزداد شدة يوما بعد يوم على الجيش الارمنى . وكان الجيش التركى يجدد قواه على الايام ، فاضطر الجيش الارمنى الى الانسحاب امام ضغط الاتراك الذين بلغوا حتى الحدود التركية الروسية القديمة ١٩١٤ .

في ١٣ كانون الثانى عام ١٩١٨ أعلن لنين استقلال الارمن واعترفت روسيا السوفيتية بعدالة القضية الارمنية كما اعترفت بها جميع الاحزاب الانقلابية السياسية السابقة ، وأقر المؤتمر السوفيتي العام بجلسته المنعقدة في ٢٧ كانون الثاني ١٩١٨ استقلال أرمينيا وفنلندا .

وعلى الرغم من هذا الاجماع على الاعتراف تركت روسيا قارص واردهان والولايات الارمنية التي داخل الاراضي التركية الى تركيا ، وهكذا نقضت بدها من اعترافاتها السابقة بقبولها شروط المانيا في برست ليتوفسك « *Brist Litovisk* » واحتل الاتراك قارص في ٢٥ نيسان ١٩١٨ بعد صراع عنيف مع الارمن ، وسلمت ايضا حكومة اتحاد ما وراء القوقاز قارص وباطوم الى الترك في أثناء مفاوضات الصلح في طرابزون مع تركيا . وفيها كلف الاتراك الارمن أن يقبلوا شروطهم ، وبها كانت الحدود الارمنية تنكمش وتضيق ثانية ، وتنفتح أمام الترك الطريق الى باكو الى آبار النفط التى هى قلب الحرب النابض .

رأى الارمن الضغط شديداً عليهم والموضوع يدور حول حياتهم او مماتهم ووصل الاتراك الى مناطق سردار آباد وباشا باران والى ابواب العاصمة يريوان فلذلك أذاع الجنرال نظر بكيان الى جيشه النداء التالي :

« أيها الجيش : بعد ان عشنا تحت نير الاتراك اجيالا آ ثرنا الآن الحياة الحرة او الموت الكريم . واذا لم ننجح في الذود عن حريتنا وحماية وطننا بسلاحنا فلا نستحق

الحياة كأمة . والحل الحاسم الآن هو وجوب تأمين استقلالنا او فنائنا ».

وبعد ايام من هذا النداء ، ولاول مرة بعد اجيال حارب الجيش الارمني لحماية الوطن وقاوم مقاومة عنيفة في سارداراباد تحت قيادة الجنرال نظربكيان وفي قره كليسا تحت قيادة الجنرال سيليكيان وفي باش اباران تحت قيادة الجنرال طردوكانايان ونشبت معركة دامية دامت خلال ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ أيار ١٩١٨.

وندرج فيما يلي التقارير الواردة من القيادة العليا للجبهة :

٢٧ ايار ( بعد الظهر ) ١٩١٨ :

المعركة الجارية قرب طلقة تبه على مرتفعات رقم ٤٤٠ دامت ست ساعات وانتهت بانخذال العدو ، وهو ينسحب بسرعة وبغير انتظام .



الجنرال نظربكيان القائد الاعلى للجيش الارمني

٢٧ ايار : الساعة الثانية بعد منتصف الليل :

اني سعيد جداً بابلاغكم ظفر جيشنا قرب قشلاق ، وقد صد هجمات العدو الغادر

الذي - حسب افادات الاسرى - كان يزحف نحو قره كليسه ، وفي غمرة السرور بالتوفيق الذي حالف جيشنا هجمنا هجوما معاكساً فطردنا العدو من قرية اطلاس قراو ونكلل هجومنا بالنجاح ، وفي الوقت عينه هاجمناهم من الجبهة ، وبضربة قاضية احتللنا مرتفعات كائنة في منطقتنا . انهزم العدو وطارده أبطالنا . خسائر الاعداء جسيمة جداً.

٢٨ ايار ١٩١٨ : الساعة العاشرة ليلا :

اليوم في الساعة ٨/٤٠ مساء استشهد بعض الابطال من جنودنا في حرب غير متعادلة ، وبعد معركة دامية دامت ثلاثة ايام انهزم الأتراك عجالا الى ثلاث جهات : الاولى من محطة آلا كاز الى آني ، والثانية الى قرس لو والثالثة الى آقجه قلعة ، وقطعاتنا تتعقبهم خطوة خطوة .



الجنرال طرد كانايان

قائد الفرقة الثانية لجيش المتطوعين المنتصر في جبهة باش آباران

---

٢٨ ايار ١٩١٨

هجمت قطعاتنا باتجاه باش آباران ، وأخرجت العدو من مراكزه . سوف تستمر

على مطاردة العدو . وان قسما من جنود قطعاتنا احتلوا محطة آلاكاز وهم الآن يسيرون نحو آني » .

مركز القيادة العليا

للجيش الارمني

وانكسر الاتراك في جميع الجبهات واضطروا الى القبول بوجود دولة ارمنية حديثة في اراضيها الوطنية القديمة واعلن استقلال ارمينيا بادارة جمهورية في ٢٨ أيار ١٩١٨ بعد انحلال حكومة ما وراء القوقاز وانكسار جيوش الترك امام القوات الارمنية ، واعترف الاتراك باستقلال الارمن بموجب معاهدة باطوم التي ضمت ولايتي يريوان وسيفان الى ارمينيا ، أما الاجزاء الباقية فاقتسمتها تركيا واذربيجان ، ومن الجانب الآخر فقد تولى حماية باكو « مركز آبار النفط » القائد الوطني الشهير روستوم زوريان بفرقته الارمنية المسلحة وذلك في ١٥ أيلول ١٩١٨



الجنرال سيليكيان

قائد جبهة سردارآباد

وكان لحماية آبار باكو نتائج سيئة على الالمان كما اعترف بذلك القائد الالماني المعروف لودندروف ، وقد كتب فيكتور بيرار : « ان دفاع الارمن عن باكو لم يعين مستقبل

الارمن حسب ، ولكنه ضمن المحافظة على خط البحر الاسود ـ الموصل كما قرر مصير جميع الدول الديموقراطية » .

وحينما تأيد الظفر للحلفاء ، فقد كان من حق الارمن ان يفتخروا بمعاضدتهم اياهم بتضحياتهم وبسلاحهم ، ولقد حارب الارمن في ظروف قاسية مؤلمة لم تكتو بمثلها الامم المتحاربة الاخرى ، وقد كان على الحلفاء ان يذكروا لهم هذه اليد البيضاء ، ولكن الجميع تناسوها !

ولقد حصل الارمن على النتائج الحسنة اكراها لا طوعا وبفضل مجهوداتهم الجبارة لا بعون حليف .

## احياء الدولة الارمنية

بعد سقوط دولة باقرادونيان لم تقم للارمن حكومة إلا عام ١٩١٨ في مدينة يريوان عاصمة ارمينيا ، وهكذا وصلت يد جبارة من جديد تلك الحلقة التاريخية المفصومة .

وارت هذه الحكومة امواتها ، وحشدت الاحياء وأنشأت تعد العدة للمستقبل رغماً عن المصاعب الجمة التي تعتور سبلها ، وأدارت هذه الحكومة دولاب العمل تحت اشراف الوطني الغيور العظيم « ارام مانوكيان » وتشكلت اول وزارة برئاسة اوهانس كاجازنوني وفتحت ابواب البرلمان الارمني تحت رئاسة آويديك ساهاكيان .

كان القحط والأوبئة قد فتكت بالأمة ونالت منها ضحايا كثيرة ، غير ان الحكومة نظمت دوائرها وشرعت تكافح دون يأس او ملل ، ولقد أسست الجامعة ونظمت الجيش ، وتم لها عام ١٩١٩ الاستيلاء على مدينتي قارص واردهان ، وأبلغت مساحة اراضيها الى ٦٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ثم حصلت وقائع مؤلمة بين الكرج والارمن في مقاطعتي بورجالو واخلكلاك الآهلتين بالارمن وانتهت بانخذال الكرج . وكانت العصابات الباقية من الاتراك قد خلقت بعض المشاكل للحكومة الارمنية ، بيد ان نشاطها لم تطل ايامه وخاصة في الاقسام التي سيطرت عليها الحكومة الجديدة .

ورغماً عن جميع المصاعب فى خلال سنتين وطدت الحكومة الامن العام واصلحت الطرق ونظمت المواصلات وأنعشت الزراعة ، وفى ٢٨ أيار عام ١٩١٩ أي مطلع السنة



اوهانس كاجازنوني

اول رئيس للوزراء - ١٩١٨

الثانية من عمرها أعلنت الحكومة توحيد ارمينيا الشرقية وارمينيا الغربية .

وفى عام ١٩٢٠ تحسنت الحالة الاقتصادية والزراعية وظهرت آثار الرفاه والسعادة على وجوه افراد الشعب ، وثبت للعالم ان سنتين او ثلاثا تكفى الامة الارمنية لاعمار خرابها وتضميد جروحها مهما بلغ الدمار او اتسع الجرح .

وكان سيل الهدايا ينهال على الدولة الجديدة من كافة اقطار العالم ومن كل بلد يقطنه ارمني .. وكل فرد ارمني مستعد ان يقدم لوطنه ما عنده من غال ونفيس وهو يزداد اليه يوما بعد يوم شوقاً وحنيناً ، وفي ارمينيا الجديدة يقول سيسنيه الذي طاف انحاء الجمهورية القوقازية :

« ان ارمينيا تسير نحو السلام تدريجيا ، وهي اليوم اقوى مما كانت في السنتين الماضيتين ولقد ثبت الآن انها قادرة على تسوية بعض المشاكل التي كانت ضد رغباتها الا ان وجود ارمينيا منوط بالدول الخارجية التي يصعب الاعتماد عليها .



الكساندر خديصيان
ثاني رئيس للوزراء - ١٩١٩

---

## الارمن تجاه الحلفاء

بعد هزيمة المانيا وحليفاتها كان من الضروري أن يطبق الحلفاء مبدأ الحق والعدل مع الارمن ، لان زعماءهم امثال بلفور وكليمانصو ولويد جورج وباتلووي وبوانكاره وولسن رئيس جمهورية امريكا كانوا خلال ١٩١٧-١٩١٨ وفي عدة مرات قد وضعوا القضية الارمنية مع قضية الالزاس واللورين وقضية بولونيا وقضية جيكوسلوفاكيا ولكن ظهر بعد هذا ان الوعود كانت واهية لا قيمة لها ، وقد قال المستر ونستون تشرشل : « قد آن الوقت لان يلقى الارمن العدل فيعترف بحقهم في الحياة داخل وطنهم ان اولئك الجلادين للارمن غدوا الان خاسرين مدحورين من جراء الحروب

والانقلابات ، وكان أملنا في دول الحلفاء المعظمة التي هي حليفة لأرمينيا ايضاً ان ترى لزاماً عليها تأمين حقوق الارمن ، اما اذا لم ينيلوهم حقوقهم فذلك أمر غير مفهوم وقد حصل للارمن هذا الامر غير المفهوم ، فان الحلفاء عند مناقشتهم فى هذه القضية ظهر بينهم النفاق وسوء التفاهم ، فتفكك اتحادهم وسرحت جيوشهم فلم تعـد لقراراتهم اية قيمة ».

وهكذا اهملت منذ البدء القضية الارمنية عندما عقدت الهـدنة مع الأتراك في مندروس بتاريخ ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ ، فلم تجبر شروط هذه الهدنة تركيا على تسريح جيشها واخلاء ارمينيا الغربية التي هى داخل الحدود التركية ، وهكذا تغاضى الحلفـاء عن تركيا المجرمة بينما أجبروا بلغاريا والنمسا على تسريح جيشيهما ، وفي هـذا يقول امين الريحاني :« ان هدنة مندروس هى أول إغفال من قبل الحلفاء للقضية الارمنية » .

وغير هذا ، فقد دعي الى مؤتمر الصلح الذي عقد فى باريس حتى مندوبو بنـاما وليبريا بصفتهم مندوبين عن دولتين من الدول الحليفة المحـاربة ، اما ارمينيا التي بذلت دماء أبنائها فى نصرهم فلم يدع الى المؤتمر من يمثلها . ولذلك أرسلت دولة أرمينيا الفتية وفدين الى مؤتمر باريس أحدهما برئاسة اواديس اهارونيان وكان يمثل حكومة ارمينيا وثانيهما برئاسة بوغوص نوبار باشا وكان يمثل ارمينيا الغربية الداخلة فى الاراضي التركية.

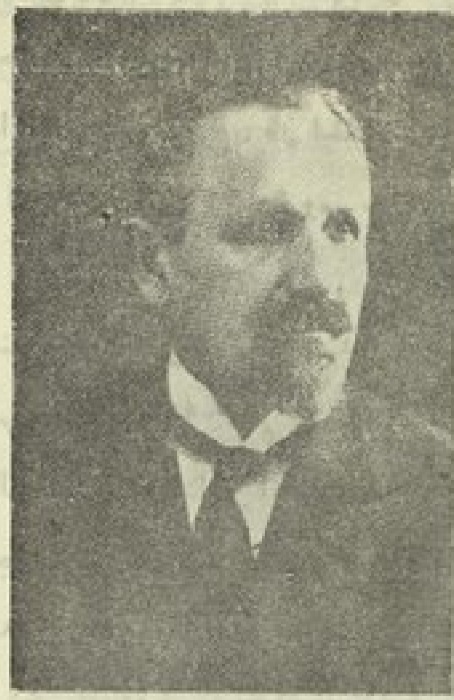
وسعى هذان الوفدان سعياً حثيثاً ضد المطامع الكبيرة التي لبعض دول الحلفاء وضد روح الاستعمار الذي هو هدف الدول المعظمة منذ القدم .

وفى باريس كان ولسن رئيس الجمهورية الاميركية هو المحامى عن الحقوق الارمنية وكان يتبع سياسـة غلادستون (١) وقد سعى ولسن لأن يجعل ارمينيا تحت وصـاية اميركا ولكن مجلس الشيوخ الاميركى رفض ذلك لأنه آثر سياسة العزلة والحياد .

ومضت سنة كاملة على الهدنة ولم يعر الحلفاء القضية الارمنية اهتماما فلم يعترفوا بدولتها ولم يبذلوا لها مالا او عتاداً وهكذا أهملوا حليفتهم الصغيرة فى ايام عرسها ، ثم اعترفوا اخيراً باستقلالها اواخر عام ١٩٢٠ .

---

١) يقول غلادستون : « اذا اردت تنوير شعوب الشرق وترقيتها ، فاعط الحرية للارمن ».



آواديس اهرونيان
رئيس الجمهورية ورئيس وفد الارمن في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩

وقع على معاهدة سيفر اواديس اهارونيان في ١٠ آب ١٩٢٠ وهكذا اعترف(١) باستقلال ارمينيا *De Facto – de Jurie* وهاتان هما المادتان المتعلقتان بارمينيا فيها :

١ـ تعترف تركيا رسمياً باستقلال ارمينيا كما تعترف به دول الحلفاء .

٢ـ على ارمينيا وتركيا وعلى دول الحلفاء كذلك ان لا يصدروا حكما في مسألة حدود ارمينيا ومن ضمنها ولايات ارضروم وطرابزون ووان وبتليس ، وان يتركوا الحكم لرئيس جهورية اميركا وان يقبلوا بكافة الترتيبات والوصايا التي يقررها لمنح ارمينيا منفذاً بحريا ولتجريد تلك المنطقة عسكريا .

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ أصدر رئيس جهورية اميركا حكمه بان تترك لأرمينيا ( وان ) باجمعها التي كان معظم سكانها عام ١٩١٤ من الأرمن وكذلك ولايتا ارضروم وبتليس وقسم صغير من ولاية طرابزون لتأمين المنفذ البحري ، ولكن الوقائع الاخيرة

١) اقرا الفعل بصيغة المجهول



بوغوص نوبار باشا
ممثل ارمينيا التركية في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩

---

حالت دون تطبيق معاهدة سيفر !

## غزو مصطفى كمال والبلاشفة لارمينيا

قبل المصادقة على معاهدة سيفر وقبل الانتصارات العظيمة التى أحرزتها جيوش مصطفى كمال على اليونان فى أزمير أدرك رجال الدولة الارمنية سلفاً خطر الكمالية وخطر الشيوعية، ولذلك طلبوا من الانكليز المعونة لتشكيل جيشهم الارمني وتجهيزه، وجرى هذا الطلب بعد مؤتمر الصلح الذى عقد في باريس وقد قدمه اواديس اهارونيان الذي زار لندن في ٨ كانون الثاني ١٩٢٠ الى المستر ونستون تشرشل وزير الدفاع ، وهذا نصه :

حضرة الوزير

لقد ابدى الارمن في هذه الحرب امرين هامين : اولهما انهم ربطوا قضيتهم بقضية الحلفاء دون قيد او شرط وضحوا بانفسهم في سبيل نصر الحلفاء ، وثانيهما انهم أثبتوا بالدليل القاطع كفاءتهم فى النضال والبطولة حين أعطي لهم العتاد الكافي . ولكن مع

مزيد الاسف لم يقدر الحلفاء فيهم هاتين الميزتين لتوطيد السلام بهم في الشرق ولتأمين استقلالهم وضمانه ، وضاعت كل مراجعاتنا لتجهيز جيشنا بالعتاد الحربي ، واليوم فان في زحف البلشفية على العالم الشرقي ما يهدد العالم كله ، وليست أرمينيا فقط اول من يخسر في هذا الزحف بل الحلفاء بصورة عامة والانكليز بصورة خاصة ، واظن لذلك ان تجهيز الارمن حتم عليكم في سبيل مصالحكم ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فها هي عصابات مصطفى كمال تهدد ارمينيا من الجنوب وهي تهدد كيان الحلفاء من الشرق ايضاً ،



هامو اوهانجانيان
رئيس وزراء عام ١٩٢٠

ولقد انتهز التتر فرصة تغاضي الحلفاء فغزوا اذربيجان الى قرهباغ واحتلوا القسم الجبلي منها ، وبهذا نجد ارمينيا في خطر من الزحف الشيوعي الذى يشجع الترك بدورهم على غزو بلادها مغتنمين فرصة الفوضى وضياع المسؤولية . ونظراً لهذه الاحوال الراهنة أسترحم ان تمدوا يدكم بمعاونة سريعة لتجهيز جيش أرمينيا كي يجابه الطوارىء ، وهذا الجيش يكون عدده لا أقل من ٤٠ الف ، وهو بالجهد يتمكن من انقاذ أرمينيا من الكارثة ».

فأجاب المستر تشرشل :

« اني مدرك حرج وضعكم ، ولكنني مع الاسف لا أستطيع اقناع المسؤولين بتلبية مطاليبكم ، ولو كانت الامور رهن يدي لما تركت جيش الجنرال دنيكين ينخذل ولا مكنت الشيوعيين من الزحف الى حدود روسيا الجنوبية ، ويؤسفني ان الحلفاء لم يقدروا أهمية وجود دنيكين ، فقد كانت جيوشه ظلا ظليلا ، ولا يمكن أن تغطي رقعة عرضها عشرون متراً بغطاء عرضه عشرة أمتار . وآمل ان دول الحلفاء ستنتبه قبل حلول الخطر ، ومن حسن الحظ ان قوة دنيكين لا تزال موجودة للنضال وقد جرى انسحابها بكل انتظام .

ثقوا ان شجاعتكم وتضحياتكم معلومة لدي واني أميل الى قضيتكم ، فقدموا لي مذكرة تحريرية لاكون وسيطاً بينكم وبين حكومتي » .

وهكذا أدرك رجال الارمن قبل ثلاثين عاما خطر الشيوعية على العالم وعلى الدول الديموقراطية جميعا ، إلا ان جهودهم لم تؤت ثماراً ، بيد انهم انصرفوا الى تنظيم بلادهم وتقوية جيشهم جهد مستطاعهم . وبينما كانت أرمينيا مهتمة في الفات نظر الحلفاء الى خطر الشيوعية من جهة والكمالية من جهة اخرى ، فقد كانت كذلك منهمكة في تضميد جروحها العميقة وإعمار خرائبها الواسعة وتكوين جهاز حكومتها . وإبان ذلك صودق على معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ ، فدام عرس الدولة الارمنية بموجب هذه المعاهدة ٤٣ يوما فقط اذ انها منحتها استقلالها التام بحدود واسعة تضم ارمينيا الشرقية وارمينيا الغربية . ثم أعقب هذه الفترة القصيرة هجوم جيش مصطفى كمال على أرمينيا بقيادة كاظم قره بكر بموافقة روسيا السوفيتية حسب الاتفاق السري بينها وبين الترك ، وقد تم هذا الغزو بدون اعلان حرب وفي ظروف غير موائمة للارمن ، اذ كانت الدولة الارمنية محاطة بدول غير محالفة كالكرج وأذربيجان وكانت حدودها مغلقة من جميع الجهات ومشكلة اسكان المهاجرين المطرودين من أرمينيا التركية تشغل بالها وجهدها والدولة تعيش على نفقة امريكا المحسنة ، بينما كانت تركيا غدها روسيا بالمال والسلاح والذخائر الحربية وبالنقد الذهبي ، وكانت فرنسا وايطاليا تتسابقان الى خطب ود مصطفى

كمال ، وكان فرانكلن بوئيون الفرنسي يقايض على حياة أرمينيا لقاء امتياز او معاهدة تجارية لخير دولته .

هاجمت جيوش كاظم قره بكر ارمينيا في هذه الظروف في ٢٤ ايلول ١٩٢٠ في جبهتي سورمالو وقارص ودام الهجوم خمسة ايام ، وفي ٣٠ تشرين الاول سيقت الجيوش على ايكدير وصاري قامش ، وبعدة وجيزة استولى الأتراك على قلعة قارص ومدينتها ولم يكن احتلالها صعبا لان المدافع الثقيلة التي كانت فيها رفعها الانكليز منها حينما احتلوها اثناء الهدنة العامة عام ١٩١٨ ، لذلك كانت التجهيزات الحديثة التي في القلعة غير كافية للدفاع عنها مدة طويلة .

واذ كان الأرمن مشغولين بمناجزة الأتراك احتلت الجيوش البلشفية البلاد من جانب قزاق وبثوا دعاوتهم الضارة بواسطة بعض الأرمن الشيوعيين بين افراد الجيش الوطني داعين الى القاء السلاح والعودة الى الديار .

اضمحلت ارمينيا الوطنية، ومع ذلك فقد واجه الأرمن قوات الأتراك الكماليين في جاغور واضطروهم على التقهقر في ١٢ تشرين الثاني، ودامت المصادمات والانسحابات متوالية حتى نهاية تشرين الثاني من عام ١٩٢٠ حيث احتل الكماليون قارص واردهان واولتي والكساندروبول ، ثم طلب الطرفان الهدنة ووقف القتال .

اما من الجهة الأخرى فقد احتل الجيش الأحمر شمال ارمينيا، وقدم ليكران المحتل انذاراً الى الحكومة الأرمنية باعلان الشيوعية في بلادهـا ، ولم يكن لها مفر من الرضوخ في هذه الأوضاع الحرجة حقناً للدماء في محاولة لا تعود عليهـم إلا بالوبال ، فأقر مجلسها النيابي الشيوعية مكرهاً وعقدت بين الروس والأرمن معاهـدة بتأسيس الادارة الشيوعية في البلاد وصارت ارمينيا بلداً شيوعيا تحت ضغط قوة جبارة في ٢ كانون الاول ١٩٢١ ، وأتى الروس باشخاص من الشيوعيين الارمن لادارة البلاد وفي ٢ كانون الاول عينه قدم كاظم قره بكر القائد الكمالي العام الذى كان في الكساندروبول ثاني مدينة في الأهمية في ارمينيا الشروط الثقيلة التالية :

١- يعترف المجلس الوطني الكبير لتركيا باستقلال ارمينيا بالحدود التالية: من

جنوب اخلكلاك الى أوج تبه لر ومنها الى اريه جاي ، ومن مجرى هذا النهر حتى مخلطه مع اراكس ومن اراكس الى محطتها حتى حدود جايكند .

٢- تبقى متنازعا عليها لمدة ثلاث سنين ولايتا قارص وسورمالو، وفى خلال المدة المذكورة فللحكومة الارمنية حق اجراء استفتاء عام لتعيين أمورها ومقدراتها وذلك تحت رقابة الجاندرمة التركية والارمنية مشتركتين .

٣- على ارمينيا ان ترفض معاهدة سيفر وتسحب جميع وفودها من اوروبا، وان تقصي جميع ممثلي الحلفاء عن بلادها حتى يعقد الصلح مع تركيا .

٤- لا يسمح لارمينيا ان يزيد عدد افراد جيشها على ١٥٠٠ جندي ، وهذا الجيش يكون لمحافظة حدودها ، ويكون مثل هذا العدد من الشرطة ، وتحصن القلاع بالمدافع الثقيلة ويحظر التجنيد الاجباري .

٥- تتعهد تركيا بالدفاع عن أرمينيا حين وقوع اي هجوم خارجي على بلادها وذلك بموجب طلب من أرمينيا .

٦- للدولتين الأرمنية والتركية الحق بالاستفادة من الترانسيت بواسطة السكك الحديدية والطرق المبدة .

٧- لا يدفع الطرفان أية ضمانات حربية .

٨- بعد التوقيع على المعاهدة وعندما يسير القطار يجري تبادل الأسرى المدنيين وفي اثناء تحديد الحدود بين البلدين يكون تبادل الأسرى العسكريين ايضا .

٩- تلغي أرمينيا جميع معاهداتها المعقودة ضد الأتراك .

١٠- لجميع المهاجرين الحق بالعودة الى ديارهم الاصلية خلال سنة واحدة والتمتع بالحقوق المدنية عدا اولئك الذين حاربوا ضد حكومتهم .

١١- الارمن في تركيا والاتراك في أرمينيا متساوون بالحقوق المدنية .

١٢- يبتديء تبادل الممثلين السياسيين بين الطرفين وحرية السفر ذهابا وايابا للمدنيين بعد المصادقة على المعاهدة من قبل مجلسي الدولتين وكذلك تعود الاتصالات البرقية والبريدية .

١٣- يعطى الاستقلال الداخلي لولايتي شارور ونخجوان تحت الانتداب التركي حتى يقرر مصيرها .

١٤- يجب أن يتم تصديق هذه المعاهدة خلال شهر واحد من قبل المجلس الملي التركي ومجلس النواب الارمني .

١٥- ينسحب الجيش التركي من ارمينيا حينما تسرح هذه جيشها وتخفض عدده الى المقدار المقرر بالمعاهدة .

وهكذا انسلخ من أرمينيا بموجب هذه المعاهدة ٣٠ الف كيلومتر مربع من أراضيها عدا الحقوق المضاعة في ارمينيا التركية . اما الدول المعظمة فمدا كونها لم تعن الارمن في قضيتهم ، فقد خانتهم وخاصة فرنسا وايطاليا وروسيا الشيوعية ، هذه الدول الثلاث التي صارت شريكات تركيا في الجريمة .

## عصيان الشعب الارمني ضد الادارة الشيوعية

### ١٨ شباط ١٩٢١

ذكرنا آنفاً انه في ٢ كانون الاول ١٩٢١ عقدت بين تركيا وأرمينيا في الكساندروبول معاهدة مجحفة بحقوق الارمن ، وفي اليوم ذاته عقدت معاهدة سوفيتية أرمنية في يريوان من قبل ليكران الممثل الروسي والجنرال طروو كانايان ممثل الجمهورية الارمنية، ثم دخلت اللجنة الشيوعية الارمنية العاصمة فاستنكرت معاهدة ليكران - طروو ، وأسست حكم الارهاب بالقتل والنهب والمؤامرات ، وأعلنت عدم مشروعية حزب تاشناكسيون ، وحلت الجيش الارمني واعتقلت ضباطه البالغ عددهم ١٥٠٠ مع قائدهم ورئيس أركان جيشهم الجنرال نظر بكيان ونفتهم الى مجاهل روسيا مع الجنرال طروو ايضا ، وسجنت الامراء وكبار رجال الدولة من الوزراء والمديرين العامين والمثقفين والادباء ، وقتلت في السجن رمياً بالرصاص الجنرال هامازاسب والجنرال غورغانيان ووضعت يدها على كافة ممتلكات الشعب في جميع أنحاء البلاد وارتكبت انواع الجرائم والمظالم ، ثم أرسلت الاموال المنهوبة الى اذربيجان .

ولم تبر الشيوعية باي عهد من العهود التى قطعتها ، وظل الاتراك زمنا طويلا فى الكساندروبول يرتكبون انواع المظالم فى الجهات المحتلة من قبلهم امام عيون الشيوعيين ، وعم البلاء البلاد ، وامتلأت السجون فى يريوان واجيازين وقره كليسا واشداراك ونوربايزيد ويلنوفكاو وغمارلو وغيرها برجال السياسة البارزين ورجال الثقافة ، حتى بلغ عدد المسجونين في خمسة عشر يوما تحت هذا الحكم البلشفي ٢٫٠٠٠ شخص ، ولم يبق أي شخص من المنتسبين الى حزب تاشنا كسيون خارج السجون، وكذلك سجن افراد الاحزاب الاخرى بتهمة ميلهم الى افكار تاشنا كسيون الوطنية، ومن جراء الظلم الواقع على الحزب الكبير كان بعض رعاع الارمن رغبة فى تقوية مراكزهم يضطهدون ذوي الافكار الحرة .

ولموا جميع الانعام والمواشي والمؤونة والألبسة من كافة الدور كما نهبوا المياتم وسلبوها كل حاجياتها فارسلوا هذه الاسلاب الى اذربيجان الشيوعية ، كذلك نهبوا مكتبة معمل ارارات وقدموها هدية الى لينين ، وقدرت قيمة هذه المنهوبات بثلاثين مليون روبل ذهبا ونقلت هذه الثروة على ظهور الحيوانات من عشرين قرية في مدة شهر ونصف تحت حراسة الجنود الحمر .

تحت عوامل هذه الحياة القاسية قرر الشعب متضامنا وبقيادة حزب تاشنا كسيون القيام فى وجه الشيوعيين . وفى ١٠ شباط ١٩٢١ أي بعد سبعين يوما من تأسيس الادارة الشيوعية ، علم ان الحكومة الشيوعية قررت القاء القبض على اعضاء الوزارة التي كانت في الحكم قبل تشكيل الحكم الشيوعي، فهربت(١) لجنة التمرد اعضاء الوزارة الوطنية المذكورة الى ضواحي العاصمة، وعقدت اللجنة مع الوفود القادمة من الالوية والاقضية جلسة استشارية سرية ، فقرروا البدء بالعصيان فى كافة انحاء البلاد ، وفى صباح ١٨ شباط ١٩٢١ قطع الثوار الاسلاك التلفونية واستولوا على دائرة البريد والبرق وعلى معمل الكهرباء ومحطة القطار والسجن ، وفى وقت معين اشتعلت النيران داخل العاصمة وخارجها واستولوا بقيادة الجنرال غورو على مراكز مهمة ، فحاصروا السلطات الشيوعية العسكرية في داخل العاصمة ، اما اعضاء الحكومة الشيوعيون فقد

---

١) براء مضمنة



هيئة اركان الجنرال غورو طارخانيان

في عصيان الارمن ضد البلاشفة سنة ١٩٢٩

فروا قبل دخول الثوار وتركوا النضال الى ضباط الجيش الاحمر ، الا ان هذا الجيش انكسر وفر مخذولا بعد ان أعطى خسائر فادحة .

ان استقصاء تاريخ الامم ادرس يفيد الانسانية ، ولكنه درس لاولئك الذين يملكون قوة الادراك وقابلية الاعتبار . اما رجال البلشفة فلم يفيدوا من تاريخ الامة الارمنية عبرة وظنوا ان الشعب الارمني لا يفكر بغير قوته اليومي ، وما علموا ان لحن مزمار الحرية بيد الحزب الوطني تتردد نغماته في ارواح طبقات الشعب، وان روح البطولة والحماس التي تحلى بها الاجداد قد أورثوها ابناءهم واحفادهم ، وأخطأ البلاشفة الظن حين حسبوا الامة الارمنية عاجزة عن تحطيم سلاسل الاستبداد القوية . وقرر الارمن اختيار أهون الشرين وهو ان ينتقل الحكم من احدى اليدين الى اليدالاخرى خيراً من ان تفقده كلتاهما ، وعقدوا النية على ان يسلموا الحكم من يد الحزب الوطني الارمني الى يد الحزب الشيوعي الارمني ورأوا ذلك أولى من تسليمه الى الاجنبي .

ما عرف البلاشفة نفسية الفرد الارمني وقابلياته ، فاضطرته اعمالهم على التمرد والعصيان فكان ذلك له سببا لنيل غار الظفر والمجد وذلك في ١٨ شباط ١٩٢١ .

لم يركن الارمن الى الاحلام الذهبية ولم يسترسلوا في الخيال ولم تستهوهم الصور الجذابة فيخدعوا أنفسهم ، بل قاموا قومة رجل واحد ليحققوا لهم الحرية والاستقلال وليسجلوا مرة أخرى على أنفسهم في تاريخهم العزم والارادة والاباء ورفض النير الاجنبي سواء كان من الجنوب أم من الشمال ، او كان من عدو قديم أم من عدو جديد . وفي خلال يومين طهر الشعب الهائج البلاد من دعاة الشيوعية ، وفي الساعة التاسعة من صباح ١٨ شباط ١٩٢١ تشكلت لجنة انقاذ الوطن برئاسة سيمون فراتسيان الذي أخذ لنفسه منصب وزير الخارجية كما أخذ كاروسوني وزارة الداخلية.



سيمون فراتسيان

رابع رئيس وزراء ١٩٢١

بعد هزيمة البلاشفة وانقاذ الوطن فتح السجن فوجد ان الابطال البارزين قد قتلهم الشيوعيون .

وقررت لجنة انقاذ الوطن الدفاع عن البلاد وتنظيم دوائر الحكومة ، وابتدأ العمل ودب النشاط بين أفراح الشعب ومسراته ، وفر أعضاء الحكومة الشيوعية صوب

شارور ونخجوان لدى الاتراك . وفى ٢٠ شباط استتب الامن فى كافة أنحاء البلاد ، وعادت الى الظهور الجريدة السياسية اليومية «أرمينيا الحرة» وصارت الجريدة الرسمية للجنة انقاذ الوطن ، وأعيدت الأموال التى نهبها البلاشفة ووزعتها على أصحابها لجنة خاصة، وتشكلت لجنة اخرى لتوزيع المساعدات على عوائل الشهداء برئاسة كاجازنوني رئيس الوزراء الأسبق ففرقت خمسين مليونا من الروبلات في ذلك الوجه ، وألغيت الرتب العسكرية وتشكلت لجنة لتقدير تخمينات الخسائر التى أنزلتها يد الشيوعية ودفن الشهداء الذين صرعتهم بنادق الشيوعيين بحضور معظم سكان العاصمة بحزن عميق . وفتحت ابواب المطاعم العامة ، كما فتحت كذلك ابواب جامعة الدولة ، وألفت لجنة التموين العليا ، وتشكلت لجان انقاذ الوطن فى كل لواء وقضاء وناحية لمقابلة الغزو الشيوعي .

وبدأت اولى الغزوات من نوربايزيد ، واشتد الضغط الشيوعي تدريجيا بوصول النجدات من روسيا ومن الكرج التي تبلشفت حديثا ، ولكن الشعب دافع بجميع الوسائل التى فى يديه بكل شجاعة وعزم ودام دفاعه عدة اشهر .

وفى ٢ نيسان ١٩٢١ اضطرت لجنة انقاذ الوطن الى الانسحاب من العاصمة والتجأت الى قرهباغ ، وباجتماعها مع القوات المنسحبة من ارارات ومن غيرها من الاماكن واصل الجميع الكفاح ضد الشيوعية حتى ١٠ تموز ١٩٢١ ، لكن مقاومتهم كانت عبثا وفوق مكنتهم نظراً الى قوة الروس الشيوعيين الجبارة ، فانسحب الارمن ايضا ودخلوا ايران ...

وظلت ارمينيا المنكودة تحت كابوس الشيوعية الثقيل حتى الآن !

# مؤتمر لوزانه ١٩٢٣

بانخذال أرمينيا الفتية نالت تركيا وروسيا الشيوعية مقاصدهما الخبيثة واقتسمتا أراضيها بينهما ، اما الحلفاء الظافرون فلم يلتفتوا الى الخطر الذي ينجم عن توسع الشيوعية جنوبا وعن اتفاقها مع مصطفى كمال ، ذلك الخطر الذى أنذر به في حينه اواديس اهارونيان رئيس الوفد الأرمني في المذكرة التي قدمها الى المستر تشرشل وزير الدفاع البريطاني في ٨ كانون الثاني ١٩٢٠ بعد مؤتمر الصلح .

وفي سنة ١٩٢٣ اجتمع في لوزان الموقعون على معاهدة سيفر ولحسوا تواقيعهم القديمة دون حياء او خجل. وقد وافق مؤتمر الدول المعظمة «مؤتمر حفار القبور» (الامير باليسيتين) على ان يحضر المؤتمر الوفد الارمني المكون من الشخصيات الارمنية البارزة مثل اهارونيان والكساندر خادشيان وكابريل نورادنيكيان وزير الخارجية الاسبق للامبراطورية العثمانية وحضره كثير من الاوربيين الذين يعطفون على القضية الارمنية أمثال كرافت بونار والدكتور موزيبه وغيرهم من الاميركان والانكليز والفرنسيس والبلجيكيين والاسكاندناويين لكى يسعى الجميع في ان ينيلوا الارمن حقوقهم بواسطة عصبة الامم . وتقدمت كذلك الفا كنيسة اميركية مع عدد عظيم من المثقفين الاوروبيين طالبين العدل للارمن ولكن ذلك كله ذهب سدى .

لم يكن الاتراك وحدهم في لوزان بل كانت روسيا تشد ازرهم وتؤمن على أقوالهم، وكانت روسيا تسيطر على المائدة الخضراء للمؤتمر وكان يمثلها جيجرين اكبر معرقل لنجاح القضية الارمنية وهو الذى بالاتفاق مع مصطفى كمال خرق معاهدة سيفر بالاستيلاء على أرمينيا .

وصارت أرمينيا ومسألتها سلاحا ماضياً بيد الامم تشهره في سبيل جر مغانمها ونيل منافعها ، فاستعملها الانكليز لانجاح قضية الموصل ، واستعملتها فرنسا في قضية الاسهم ، وحتى الاميركان الاديااليست *Idialste* المحايدون والمجردون عن المنافع فانهم كانوا يحاولون ان يؤمنوا مصالحهم بالسندات الارمنية وذلك بعقدهم معاهدة

تحالفية مع الاتراك في اوسن ، ولكن هذه المعاهدة فشلت بمساعي اللجنة الامريكانية الارمنية التي كان يرأسها جيمس جرارد وواهان كارداشيان ، فرفض مجلس الشيوخ الامريكي عام ١٩٢٧ المصادقة عليها .

جرى التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٤ ، وكانت أفضح معاهدة بعد معاهدة بريست ليتوفيسك وبها وئدت المبادىء التي أعلنها الحلفاء وبها برهنت الدول المعظمة على كذبها وخيانتها للامم الضعيفة ، كما ثبت بواسطتها ضعف هذه الدول واستسلامها الى مصطفى كمال والعصابات الشيوعية.

ولم يجر حتى ذكر القضية الارمنية في هذه المعاهدة ، وكأن لا حق في هذه القضية ولا عدل! وكانت معاهدة لوزان بمثابة صاعقة نزلت على رؤوس الارمن فزلزلت معنوياتهم وهزت اركان محافلهم .

واحتج وفد الجمهورية الارمنية الى عصبة الامم وذكر لها ان عدم حل القضية الارمنية لن يسقطها من أهميتها ، وان مطاليب الارمن باقية على قوتها وان الامة الارمنية ستدأب ما عاشت على الكفاح في سبيل حل قضيتها نهائيا حتى تنال حريتها في معاهدة سيفر ثانية وتؤسس جمهورية أرمنية متحدة مستقلة .

---

ان اهداف الامة الارمنية اليوم تنحصر في ثلاثة أمور :

(١) الكفاح ضد البلشفية داخل ارمينيا وخارجها .

(٢) الكفاح لرفع الموانع عن تطبيق معاهدة سيفر .

(٣) الكفاح لحفظ الكيان القومي الارمني بين الامم الراقية التي استوطن الارمن اوطانها .

ولرب سائل يتساءل كيف تستطيع الامة الارمنية ان تناضل على هذه الجبهات الثلاث وهي امة ضعيفة تعترضها صعوبات جمة ، وهي بعيدة عن بلادها الاصلية وشعبها مشرد في جميع الآفاق ؟ فنجيب عن ذلك :

١) ان هذا السؤال لمهم جداً ، وقد يسبق القلم السيف في اكثر الاحيان ، ولا حساب للسنين مهما طالت في تاريخ الامم الحية المناضلة عن حقوقها . وليس للقلعة الشيوعية

حصانة أبدية سرمدية ، والكفر والظلم لا يدومان الا ريثما يزولان .. لا تدوم الا المبادىء السامية وهي والحمد لله متمكنة في نفوس الارمن . ان الامة الارمنية لمتيقظة مستعدة لانتهاز الفرص وهي جاهدة منذ ثلاثين عاما في الكفاح ضد الشيوعية بكل الوسائل الممكنة كنشرات الدعوة الى المبادىء القومية والخطب والدعاوة ضد البلشفية وهي لا تنفك عن القاء المحاضرات وانشاء المقالات الصحفية ضاربة على هذا الوتر وهي - اي الامة الارمنية - منتمية الى الكتلة الديمقراطية الغربية . والحالة الراهنة بين الامم هي ان انتصار الغرب على الشيوعية هو الذي يؤمن للامم الصغيرة حياة حرة مستقلة ، وبفيل هذه الحياة ستتمكن الكتلة القومية الموجودة الآن في ارمينيا التخلص من الاستعباد السوفيتي .

٢) ان الكفاح سيرفع الموانع عن تطبيق معاهدة سيفر في الوقت المناسب ، « والامور مرهونة باوقاتها » وحقوق الامة محفوظة ومداد المعاهدة لما يزل نديا !

وفي نفس الوقت حين يرفع نير البلشفية عن اعناق الامة وتنال الحياة الحرة ، ستتمكن هذه الامة - كدع اصلي - من ان تقوم بواجبها في تطبيق معاهدة سيفر ، لأن الامم الضعيفة لن تستطيع المطالبة بحقوقها الا بعد انهيار الصرح السوفيتي وعندها ستنهض هذه الامم الصغيرة المستعبدة وتطالب الامم المتحدة بحريتها ، ولن تقدر تركيا وهي الى جانب امريكا وفي صفوف الامم الديموقراطية ان تنكر حقيقة الوقائع .

وجدير بالذكر ان العالم اليوم امام احتمالين :

أولها : إما ان العالم باجمعه سيكون حراً . وتعين كل امة كبيرة كانت ام صغيرة اوضاعها كاعضاء فعالة حرة متساوية بالحقوق في عائلة الامم .

وثانيها ان يدخل هذا العالم تحت نير الشيوعية الخانق ويصبح ابناؤه رقيقا لها ، وبهذا يضيع كل حقوقه وبالاحتمال الاول ستتمكن الامة الارمنية - كسائر الامم الصغيرة - من احقاق حقوقها ، ولا ريب عندها في ذلك .

٣) ان هذا يتم بتهيؤ الأمة واستعدادها لتلك الأيام السعيدة سياسيا وثقافيا.

ان للأمة الارمنية احزابا وجمعيات خاصة لطبع الآثار الادبية والثقافية النادرة

الثمينة ونشرها ، ولها كتب في النظريات والمبادىء التي تفسر غايات القومية، ولها جمعيات طلبة الجامعات ، وجمعيات خيرية في جميع الاقطار ، وكلية خاصة لتعليم تاريخ الأدب الارمني القديم والحديث ، ولها مجلات اسبوعية وشهرية في كل مدينة كثر فيها الشعب الارمني ، كما ان لها صحفاً يومية عديدة ، واخيراً فلها جمعيات متعددة ونواد كثيرة تتردد في جوانبها المسامرات الادبية في كل الاماكن التي فيها عدد كثيف من الارمن، وللارمن جمعية احسان رأس مالها ملايين الدولارات في نيويورك وباريس ولها شعب في جميع البلاد التي يقطنها الارمن ، كما ان لهذه الامة عدة مدارس .

ليس للأمة الارمنية من غايات سياسية في أي بلد من البلاد التي استوطنها ابناؤها حديثاً بعد التهجير الاجباري الذى أرغمهم عليه الاتراك . وخطة الارمن مرسومة يلقنونها أبناءهم في كل فرصة ومناسبة وهي تتلخص في النقاط التالية :

١- عدم التدخل في السياسة المحلية ، ولكن وجوب المؤازرة الجدية للسكان للحصول على الآمال القومية المحلية .

٢- خدمة البلاد التي سكنها الارمن والسعي لاعمارها ورقيها علمياً وأدبياً وصناعياً واقتصاديا .

٣- عدم اقلاق الحكومات المحلية بالمجادلات والمناقشات الطائفية الخصوصية ام العمومية .

٤- اجتناب كل حركة او عمل يضر بالمنفعة العامة للأمة والبلاد .

٥- تأسيس العلاقات الودية الأخوية مع الشعوب التي أضافتهم وآوتهم .

٦- تشجيع الجمعيات الخيرية المحلية والمشاركة فيها .

٧- السعي لتعليم النشء الحديث وتربيته على المبادىء القومية وتجنيبه المبادىء الشيوعية الهدامة .

-تم-